

المجتمَع والعِرَاقِي

في شِعْرِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ لِلْهَجْرَةِ

سَاءَلَتْ جَامِعَةَ بَغْدَادٍ عَلَى نَشْرِهِ

تَأَلَّفَ

عَبْدُ الْلطِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّائِي

مَكْتَبَةُ النَّهْضَةِ - بَغْدَادُ

المجتمع العربي



سأعدت جامعة بغداد على نشره

المجتمع العربي في شعر القرن الرابع للهجرة

(رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة بغداد وثالث مرتبة امتياز)

تأليف
عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي

مكتبة النخبة
بغداد

مَقَدِّمَة

بقلم : الدكتور فيصل السامر

رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب - جامعة بغداد

يكاد المؤرخون أن يجمعوا على أن القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) هو العصر الذي شهد قمة التطور في المؤسسات الحضارية والثقافية الإسلامية . لذلك - من هذه الزاوية - اشيع هذا القرن بحثاً ودرساً من جانب القدامى والمحدثين عرباً ومشاركة ومستشرقين ، حتى خيل للكثيرين ان البحث والدرس فيه أصبحا أمراً عسيراً على من يريد التصدي الى الابتكار والإبداع والجدّة .

غير اني أتساءل : هل صحيح ان دروب القرن الرابع ومسالكه قد أوصدت أمام الباحثين ، وان التصدي لدراسته تقود الى حلقة مفرغة لا طائل تحتها ؟ وجوابي كلا والف كلا . فثمة كثير من نواحي المائة الرابعة الهجرية ما تزال حقولاً بكرّاً لطالبي البحث الجاد ، المزودين بالموهبة ، والمتميزين بالقدرة على الغوص الى ما وراء النصوص ، في محاولة للكشف عن الخفايا الموضوعية التي تفسر الظواهر الاجتماعية والفكرية والسياسية ووضعها في مكانها الصحيح من التاريخ .

صحيح أن عدداً من الدراسات الناجحة الموفقة عن القرن الرابع قد خرجت الى النور ، وأنها غطت كثيراً من جوانبه ، إلا أن الكثير من هذه الجوانب ما

زالت مطموسة وغامضة ، أو أنها درست دراسة سطحية أو شكلية لم تستوعب روح العصر وسماته الأساسية ، وبتعبير آخر لم تكشف عن الدوافع الفعلية التي اكتسبت ذلك العصر سماته المميزة .

ومن جهة أخرى ، فإن أغلب الدراسات الجادة — ليس في القرن الرابع وحده — وإنما في مجمل التاريخ الاسلامي صدرت عن المستشرقين الذين جمعوا بين المنهج العلمي السليم من جهة ، وبين النظرة الكلية الشاملة من جهة ثانية ، وبين الجرأة في قول الحقيقة من جهة ثالثة . هذا مع اعترافنا بأن المستشرقين لا يركن الى جميع احكامهم ، لأن بعض تلك الأحكام تميل مع الهوى وتصدر عن التعصب أو عدم الفهم والفهم . وانه اذا كانت قد ظهرت بعض الدراسات الجيدة بأقلام باحثين عرب ، فهي ما زالت قليلة ونادرة وبخاصة في مجال دراسة المجتمع والاقتصاد .

لذلك كله رحبت بهذه الدراسة الجريئة التي نال بها مؤلفها الاستاذ عبد اللطيف الراوي درجة الماجستير في الأدب العربي من جامعة بغداد . واقول الحق ان المؤلف الفاضل حين دفع إلي بمسودة بحثه لتقويمه وتقديمه ، وجدت ان الجرأة هي الطابع المميز لبحثه من أوله الى آخره . لقد وضع الباحث امامه وثائق بحثه ونقدها بجرارة وجرأة ، وتعمق فيما وراء دائرة اهتمامه ما سيقال عنه وفيه . انها فيما يبدو لي روح الشباب الوثابة التي لا تخشى التفرع او اللوم ، كما لا تبالي بالثناء والمديح .

تر

وماذا كانت حصيلة هذه الجرأة ؟ الحق ان كثيراً من الأحكام جاءت صائبة على أنها مرة وقاسية . فحين يشخص الباحث دوافع الشعر وخصائصه في القرن الرابع نجده مشمئزاً ، بحيث لا يفارقه الاشمئزاز من ذلك الجيش اللجب من الشعراء المادحين والماجنين والباحثين عن المنفعة وعن المجد في ارفع صورته واحطها .

ان منهج البحث سليم ، لأن المؤلف وضع نصب عينيه نظرية استطاع ان يخلص لها ، ويمحضها الوفاء . فهو ينطلق من حقيقة ان الشعراء في ذلك العصر إنما هم فئة عاشت على افضال طبقة الخاصة ذات الحول والطول والجاه والثروة والنفوذ المادي والأدبي . فمن حاله الحظ توصل بشعره إلى ساحة الملوك والأمراء والوجهاء فنفق عندهم ، ارتفع شأنه وامتلاً جيبه بالعطايا والهبات والمنح ، ومن جانبه الحظ عاش بائساً يائساً يشكو دهره ويذم زمانه . ومن هنا كانت هناك فئتان من الشعراء احدهما التحقت بالخاصة ، وأخرى ظلت ملتصقة بهموم الطبقة العامة التي مثلت الغالبية الساحقة من مجتمع القرن الرابع الهجري .

لقد أراد المؤلف ان يدرس المجتمع من خلال الشعر ، أي انه أراد اعتبار الشعر مصدراً من مصادر دراسة التاريخ . والحق ان الوقائع التي دونها المؤرخون والاعلاميون لا يمكن أن تكون وحدها مصادرنا الكاملة لدراسة تاريخ المجتمع البشري بكل فاعليته وحيويته . وهنا يأتي الشعر - والأدب بصورة عامة ليكمل وثائق المؤرخين والآثار المادية التي خلفها الماضون . ان الشعر معين مثمر لا ينضب لدراسة المجتمعات ، باعتباره صوتاً ينبعث من اعماق النفس . ومهما يكن من تأثير الشعراء بمصالحهم وحاجاتهم اليومية ومطامعهم الشخصية - مما أفقد كثيراً من الشعر طابع الصدق - فإن المؤرخ الحاذق لا بد ان يعثر في شعر أي شاعر على ملامح تم عن الحقيقة .

ان النتيجة التي أراد المؤلف ان يصل اليها هي اعتبار الشعر - وهو جزء من ثقافة العصر - انعكاساً لمجتمع طبقي - أعني مجتمع القرن الرابع - انقسم فيه الناس الى طبقتين اثنتين : طبقة خاصة استأثرت بالجاه المادي والنفوذ الأدبي وهي أقلية ، وأخرى طبقة عامة كانت تسعى سعيًا حثيثاً دائماً الى لقمة العيش وهي جماهير الفلاحين والصناع والجنود والعاطلين عن العمل وصغار

الباعة وأصحاب المهن . وكان الشعراء - شأن المثقفين يومذاك - فئة تعكس حقاً حدة التمايز الاجتماعي وتعبر عنه بنتائجها خير تعبير . ان شعر المديح يعكس دون أدنى شك زيفاً فكرياً واجتماعياً وهو دليل على حاجة الشاعر الى عطايا مادحه . والبرهان على ذلك انك لو أخذت منظومة مدح في أمير أو وزير أو وجيه ، ثم رجعت الى المدونات التاريخية ، فإنك لن تجد إلا صورة شديدة المخالفة للصورة البهية الزاهية التي يحاول الشاعر ان يطبعها في ذهنك . ان ابتعاد الشاعر عن ابناء الطبقة العامة وهمومها ، وتكريس شعره لأهداف مادية شخصية بحتة هو سمة عصر - كالقرن الرابع - يجعل الثقافة عموماً في خدمة الفئة التي تمسك بمقاليذ الأمور . ان ذلك العصر ربط الشاعر ربطاً محكماً بالطبقة العليا لأنها كانت مصدر رزقه ، ومن هنا ابتعد الشعر في مجمله عن أن يكون أدب الشعب وثمره كفاحه ومرآة همومه ، الا في النادر القليل الذي نجده في شعر شعراء الطبقة الثانية والثالثة من المغمورين الذين اغلقت في وجوههم ابواب القصور ، او أولئك القلائل الذين وضعوا أرواحهم وفنهم في خدمة قضية عادلة .

وبعد ، فإن هذه الدراسة محاولة جيدة وجريئة وموفقة لإعادة النظر في تقييم تراثنا الأدبي وتقويمه ، واذا كانت هناك هنات ^(١) ومآخذ شكلية ومنهجية ، او اخرى نتجت عن الحماسة او الاندفاع ؛ فإن ذلك كله يجب أن يغتفر لباحث صادق الدوافع سليم النوايا يحاول أن يصل الى الحقيقة ويدافع عنها .

(١) هناك ملاحظات نهني اليها الاستاذ العاضل أخذت بها قدر امكاني فله مني جزيل الشكر والامتنان .
(المؤلف)

المقدمة

يبدأ إقليم العراق من تكريت شمالاً وينتهي عند عبادان والبصرة والبحر جنوباً ، ماراً بـ سامراء وبغداد وواسط ومنطقة البُطيحة والأهواز ، ويبدأ أيضاً من اعالي هيت غرباً حتى شهرزور وحلوان شرقاً ، ماراً بمدينة الأنبار ومنطقة ديالى وجلولاء وخانقين وقصر شيرين (١) .

ومثلما أكدت كُتب الجغرافية اقليمية العراق أكدتها كتب الأدب ، فلقد قسمت الشعراء حسب اقليمهم ، فهناك شعراء اقليم العراق وشعراء اقليم الموصل والجزيرة وشعراء اقليم الشام ومصر ، وشعراء اقليم فارس وخوارزم ، وأول ما وصل اليها من الكتب التي اتبعت هذا المنهج يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وتتمتها لأبي منصور الثعالبي ، ثم دمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزي ، ثم خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصبهاني .

ولقد اخترت دراسة مجتمع اقليم العراق كما عكسه الشعر في القرن الرابع للهجرة لعدة أسباب منها ، جدة الموضوع وطرافته ، والرغبة في اعطاء علاقة

(١) ينظر المسالك والممالك للاصطخري ٥٦ وما بعدها ، الاقاليم للاصطخري ايضاً ، وينظر في الكتاب نفسه الخريطة رقم ١٣ التي حدد بها الاصطخري العراق ومدنه ، ينظر كذلك أحسن التقاسيم ١١٣ ، ١١٤ ، وتقويم البلدان ٢٩١ ، ٢٩٨ وما بعدها ، مراصد الاطلاع / ٢ / ٩٢٦ .

الأدب بالمجتمع تفسيراً علمياً بعيداً عن التقعرات اللفظية والافتراضات الشخصية ، آملاً أن يخدم هذا التفسير الشعر واللغة والمجتمع وأن ينزه التاريخ من الدراسات الرافضة التي أرهقت وأرهقت الكثير من المبتدئين في دراسته ، خاصة وان القرن الرابع يمثل مرحلة أدبية واقتصادية متطورة واضحة تساعد الباحث وتأخذ بيده الى النظرات الموضوعية الصائبة او القريبة من الصواب .. أمّا منهجي في ذلك فاختيار النصوص ذات الدلائل الاجتماعية ، وتحليلها تحليلًا علميًا موضوعيًا لا يقتصر على المظهر السطحي للنص انما يغور الى اعماق الكلمات وما يمكن أن توحيه هذه الكلمات من معان اجتماعية وسياسية وفنية مبتعدا عن النص المتحيز وبخاصة المديح ، الا ما كان له دلالة اجتماعية أو حضارية مهمة .

ولقد حاولت أن أبحث عن نصوص جديدة لم يستهلكها الباحثون ، على أن هذا لا ينفي اعتمادي مثل هذه النصوص المستهلكة حينما لا أجد مناصا من استعمالها أو أن مستعملها لم ينتبهوا للدلالة من دلائلها .

ولقد فتح عليّ في هذه الدراسة وأسهم اسهاما فعالا في كشف جوانب مهمة منها ، وجود كتب تاريخية وأخرى أدبية درست الحياة الاجتماعية والسياسية في العراق بهذا المقدار أو ذاك .

من هذه الكتب « الادب في ظل بني بويه » الذي كان لصاحبه استاذنا الدكتور محمود غناوي الزهيري فضل في اختيار الموضوع والارشاد الى مصادره ومنابع دراسته ،

ولا أنكر ما أخذت عن كتاب « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متر » من مصادر واشارات مهمة سهلت علي صعوبات عديدة واختصرت لي زمناً لا بأس به .

ولا بد لي هنا من الوقوف قليلاً عند مصادر ومراجعي ، فلقد عولت في أخذ النصوص الشعرية والتاريخية على المصادر القديمة واهتمت كثيراً بتلك التي ألفت في القرن الرابع أو قريباً منه ، ولكنني حين أجد نصاً يفيدني ذكر في مصدر متأخر عن القرن أو مرجع حديث أثبتته وأحاول أن أجده له مصدراً أقدم فإن لم أجده أشرت إلى الكتاب الذي أخذته منه .

إن دراستنا هذه عملية نفاذ خلال النصوص الشعرية ووراءها لاستخلاص نتائج ودلالات اجتماعية لم ينتبه لها الكثير من المؤرخين والباحثين ، أو أنهم لم يوفوها حقها من التدقيق والتحليل ، ولقد قسمتها - بعد التمهيد في حياة العصر - ثمانية فصول :

الفصل الاول - الشاعر في المجتمع من خلال ما يعكسه الشعر ، ولقد أوضحت في هذا الفصل علاقة الشاعر بالحاكم والناس والشعراء .

الفصل الثاني - الخلفاء والأمراء من خلال شعرهم وقد اتخذت الراضي النموذجاً لمجتمع الخلفاء وآل بويه النموذجاً للأمراء .

الفصل الثالث - الوزراء ورجال الدولة الآخرون ، وفيه بينت علاقات هذه الفئة الحاكمة وحياتها من الشعر الذي جرى على لسان أفرادها .

الفصل الرابع - التبذل والمجون ، وقد استخلصت حصيلة مما قاله الشعراء الذين عرفوا باللفظ الفاحش ، والشعر الماجن ، ولم أنس أن آخذ نماذج من مساهمات معظم مقالة الشعر في هذا الميدان .

الفصل الخامس - تكلمت فيه على مجتمع أهل الكدية من خلال ما كشف عنه شعر بعض أصحابها ونظمهم .

الفصل السادس - أهل التصوف ونزعاتهم وطبائعهم وأفكارهم ، وقد

حاولت جهدي أن أذكر نصوصاً شعرية صوفية تفسر كل ما لهم وما عليهم .

الفصل السابع - خصص لفئة مهمة من فئات مجتمع العراق ، هي فئة الساخطين والمتمردين الذين ارتسمت علامتهم رفضهم لحياة الذل والجوع في صفحات شعرهم بشكل واضح جلي .

الفصل الثامن - كلام مجمل على مظاهر اجتماعية وحضارية شائعة اشترك فيها معظم فئات المجتمع وطبقاته وظلت تشير في احيان كثيرة الى تمايز طبقي بين .

انني اذ أقدم كتابي هذا أرى من الواجب علي أن لا أحمل احداً اوزاره ، ولا أشركه بمسؤولية ما أعلنت فيه من آراء فذلك يقع عليّ وحدي ، واذا كان هناك ما أحملّه لاستاذي المشرف الدكتور علي جواد الطاهر وأحملة اليه فهو شكري له واكباري لجهوده التي بذلها معي ، فلقد كبح جماح لغتي وشطحاتي اللفظية والفكرية ، وصرف الساعات الطوال في قراءة الفصول ومراجعتها بحضوري ، وما سمعت منه بعد كل جهوده الا لغة الموجه الحريص ، ولفظ الاخ الكبير الناصح ، فله مرة أخرى ولكل الذين وضعوا ايديهم بيدي لأتمّ بحجي هذا خالص إجلالي وتقديري .

عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي

نيسان ١٩٧١

التمهيد

١ - الحالة السياسية :

مر العراق خلال القرن الرابع بعصرين سياسيين متباينين تقريباً : عصر تحكم الجنود المرتزقة وهو الذي نصطلح على تسميته بعصر نفوذ الاثراك ، يليه بعد ذلك العصر البويهي الذي يكاد يكون وحده متميزاً عن العصر الذي سبقه من حيث البنية الحاكمة .
تميزه

عصر ما قبل البويهيين ٢٩٥ - ٣٣٤

يبدأ هذا العصر منذ تولي المقتدر (جعفر بن المعتضد) (١) عام ٢٩٥ الخلافة حتى دخول معز الدولة البويهي (احمد بن بويه) (٢) بغداد عام ٣٣٤ .
تولى الخلافة خلال هذا الدور خمسة خلفاء كان المقتدر أهمهم واطولهم مدة فلقد جيء به الى كرسي الخلافة صبياً غراماً لم يتجاوز الثالثة عشرة بتدبير من الوزير العباسي بن الحسن (٣) ، واستمر عهده حتى عام ٣٢٠ هـ . وكان العراق خلال ذلك يمر بأحلك عهد سياسي عرفه منذ انتقال عاصمة الخلافة اليه .

-
- (١) ينظر في خلافة المقتدر وترجمته تاريخ الطبري ١٣ / ٢٨٠ ، مروج الذهب ٣٠٢ ،
البيتمة ٣٢٦ ، تجارب الامم ١ / ٣ ، مختصر التاريخ ١٧٢ ، الفخري ٢٦٠ ، النبراس ٩٠ ،
مآثر الأنافة ١ / ٦ / ٢ ، العصور العباسية المتأخرة ١٨ . ١٨٧
(٢) ت ٣٩٦ هـ ترجمته في وفيات الأعيان ١ / ١٥٧ .
(٣) قتل سنة ٢٩٦ هـ .

لقد تحكم في البلاد الجوارى والغلمان وتجراً الكثير من الطامعين فتقدموا لنيل مناصب رفيعة في الدولة ، وساطتهم في ذلك الرشوة والتدليل . وحين استشعر بعض رجال الدولة ما آلت اليه دولتهم من ضعف قاموا بحركة مفاجئة عزلوا فيها المقتدر ووضعوا محله عبد الله بن المعتز ، فحدثت بذلك فتنة ذهب ابن المعتز ومن سايره ضحيتها (١) ، وعادت بعد ذلك دولة النساء والخدم متمثلة بالمقتدر وحاشيته ، وعاد مع هذه الدولة الهزيلة سياستها الاستغلال والمجاعة والاضطراب ، وتدخلت ام المقتدر (شغب) وقهرمانتها وخدمها في أمور الدولة وسياستها تدخلاً سافراً ، فلقد اجلست ام المقتدر هذه قهرمانتها (ثمل) للقضاء (٢) واطلقت يد قهرمانتها الاخرى ام موسى^{نصبت} (٣) في شؤون الوزارة والادارة ، وتأخذ الرشاوي من هذا الطامع او ذاك ، ولقد تغيرت الوزارة بفعل هذه السياسة المبنية على الغش والرشوة اربع عشرة مرة خلال فترة حكم المقتدر كان لام موسى (٤) ت ٣١٠ هـ نصيب وافر في خلق مثل هذه التغيرات الخطيرة كما كان لنصر الخادم ولمؤنس ولام المقتدر نصيب كبير (٥) في ذلك أيضاً .

وفي خلافة المقتدر الضعيف تفاقم أمر القرامطة وقويت شوكتهم فاحتلوا الكوفة وهددوا بغداد أكثر من مرة وتضاغرت أمام بأسهم وعزيمتهم عاصمة

(١) تجارب الامم ٥ / ١ وما بعدها ، الكامل ١ / ٨ وكتب التاريخ الاخرى حوادث

٢٩٥ .

(٢) المنتظم ٦ / ١٤٨ .

(٣) المنتظم ٦ / ١٣٨ ، ينظر الكامل ٨ / ٦٢ ، ٦٤ .

(٤) ينظر النجوم الزاهرة ٣ / ١٥١ حوادث سنة ٣٠٤ حينما ثقل على علي بن عيسى امر الوزارة وضجر من سوء أدب الحاشية ، وينظر المنتظم ٦ / ١٣٨ وكيف كان تأثير ام موسى في عزل علي بن عيسى والقبض عليه .

(٥) المنتظم ٦ / ١٨٨ وينظر تاريخ التمدن الاسلامي ٤ / ١٨٧ .

الخلافة وحكامها (١)، فسقطت هيبة الخليفة وتجراً الجند أخيراً على شتم
المقتدر (٢) .

وحين اشتدت سطوة الجوارى والغلمان وازداد استخذاء المقتدر ووصلت
الدولة حضيض الضعة والاختلال ، دفع هذا الهوان القواد الى خلع المقتدر عام
٣١٧ هـ ومبايعة اخيه محمد بن المعتضد الذي لقب بالقاهر ، لكن الامر لم يستمر
اكثر من يومين ، فلقد خلع القاهر واعيد المقتدر بضعفه وانغماره باللهو (٣) .

واذ عاد المقتدر الى خلافته لم تهدأ الامور ، ولم تستقر الخلافة فسرعان ما
تمرد مؤنس الخادم على خليفته ، وحاول المقتدر ان يتمرد على ضعفه وشهوته
فخرج لقتال مؤنس لابساً البردة ، لكن القتل كان اسرع من تدبيره ، فلقد
قطع رأسه وسلبت ثيابه وترك عارياً مكشوف العورة الى ان مر به رجل من
الأكرة فستر عورته بحشيش (٤) ثم حفر له ودفن في موضعه .

بعد مقتل المقتدر عام ٣٢٠ اعيد القاهر الى الخلافة (٥) والامور مرتبكة
والسطوة لمؤنس ومن احاط به من قتلة المقتدر امثال علي بن بليق وابيه ، ولم
يكن القاهر ضعيفاً مثل اخيه كما لم يكن سياسياً مثل ابيه ، لذلك تصرف بعنف

(١) ينظر في تحركات القرامطة ايام المقتدر تجارب الامم ١ / ١٤٥ ، ١٧٢ - ١٨٠ وغيره
من كتب التاريخ حوادث السنوات ٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، وينظر في المؤلفات
الحديثة بندي جوزي ١٧٤ وما بعدها ، العصور العباسية المتأخرة للدوري ٢٥ ، القرامطة لعارف
تامر دار الكتاب العربي ومكتبة النهضة بغداد .

(٢) تجارب الامم ١ / ١٨٢ ، النبراس ١٠٧ .

(٣) المنتظم ٦ / ٢٢١ ، وما بعدها وكتب التاريخ حوادث سنة ٣١٧ .

(٤) مروج الذهب ٤ / ٣٠٦ ، تجارب الامم ١ / ٢٣٧ ، المنتظم ٦ / ٢٤٣ ، شذرات
الذهب ٢ / ٢٨٤ وتنظر كتب التاريخ الاخرى حوادث سنة ٣٢٠ هـ .

(٥) ينظر في خلافة القاهر ، مروج الذهب ٤ / ٣١٣ ، التنبيه والاشراف ٣٣٦ ، تجارب
الامم ١ / ٢٤١ ، المنتظم ٦ / ٢٤١ ، النبراس ١١٣ ، دول الاسلام ١ / ١٤٢ .

وتطرف وغباء فقتل مؤنسا وبليقا (١) وابنه وشدد في مطاردة علي بن مقله ،
 فهابه الناس وخشوا صولته (٢) واثّر عنفه وقتله لقواده في نفوس حاشيته
 فخافوا على أنفسهم ثم دبّروا بتأثير من علي بن مقله ومؤيديه مؤامرة (٣)
 خلعه فيها وسملوا عينيه ، وكان القاهر اول خليفة يسمّل في الاسلام (٤) .
 بعد خلع القاهر جيء بمحمد بن جعفر المقتدر ، ويبيع بالخلافة ولقب
 بالراضي^(٥) ولم يكن الراضي احسن من ابيه سياسة وادارة ، فقد كان ضعيفا
 امام شهوته وامام سطوة رجال دولته ، وتحكمهم ، لذلك كان زمنه مضطربا
 تعاضم فيه أمر الطامعين واستفحل طغيان الجنود المرتزقة الذين كانوا ينتقلون
 من قائد الى آخر حسب قوة القائد ومقدار عطائه .

وفي وزارة علي بن مقله للراضي كثر الاضطراب ، فتعاضم امر عبد الله
 البريدي في البصرة والاهواز (٦) ، واشتدت شوكة الحنابلة ، « فصاروا
 يكبسون دور القواد والعامّة (٧) » ويفعلون افاعيل فيها الكثير من التطرف
 « والفوضى » حتى أزهجوا بغداد وأذوا غيرهم من أصحاب المذاهب
 الاخرى (٨) .

وشغب الجند على ابن مقله فاضطر الى الهرب (٩) ثم قبض عليه وولي

-
- (١) في الكامل بليق ٢٦٠ / ٨ وفي تجارب الامم ٢٦١ / ١ ، والمنتظم ٢٤٩ / ٦ بليق .
 - (٢) مروج الذهب ٣١٣ / ٤ ، الكامل ٢٦١ / ٨ ، مختصر التاريخ ١ / ٦ .
 - (٣) الكامل ٢٧٩ / ٨ .
 - (٤) تاريخ التمدن الاسلامي ١٢٨ / ١ ، آدم متر ١٢٩ / ٢ .
 - (٥) ينظر في خلافة الراضي واخباره ، اخبار الراضي للصولي ومروج الذهب ٣٣٢ / ٤ ، مختصر التاريخ ١٧٩ ، وكتب التاريخ حوادث سنة ٣٢٢ هـ .
 - (٦) الكامل ٣٠٦ / ٨ .
 - (٧) نفسه ٣٠٨ .
 - (٨) الكامل ٣٠٨ / ٨ .
 - (٩) نفسه ٣١٣ / ٨ .

الوزارة عبد الرحمن بن عيسى (١) فعجز عن تدبير الامور بعد ان « قطع ابن رائق حمل واسط والبصرة وقطع البريدي حمل الاهواز وكان ابن بويه قد تغلب على فارس (٢) » .

بعد عجز عبد الرحمن بن عيسى عن تدبير الوزارة وليها ابو جعفر محمد بن القاسم الكرخي لكن وزارة أبي جعفر لم تدم أكثر من ثلاثة أشهر ونصف فقد التاث عليه الاوضاع فاستوزر محله ابو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد ، « فكان في الوزارة كابي جعفر في وقوف الحال وقلة المال (٣) » .

استعان الراضي على هذا التدهور السياسي باحد قادة الجنود المرتزقة ، هو محمد ابن رائق (٤) الذي جاء عام ٣٢٤ الى بغداد وامسك الامور بيد قوية فلقبه الراضي بأمر الأمرء ، وقد ابطلت في عهده (العسكري) الدواوين والوزارة وصار هو وكاتبه (ينظران في الامور جميعها) .

لم يطل أمر ابن رائق كثيرا فقد تغلب عليه عام ٣٢٦ احد اتباعه من القواد وهو يحكم التركي (٥) فلم يكن للراضي بد من تقليد امره الامراء لبجكم ، فتسلط هذا القائد التركي وتجبّر وسلب الاموال وتصرف تصرفا مطلقا في شؤون الناس والدولة دون ان يكون للراضي ادنى رأي او مشورة .

واذ مات الراضي عام ٣٢٩ هـ تقلد أمور الخلافة ، رجل ضعيف هزيل

(١) نفسه ٣١٢/٨. هـ. إلى ١٦

✱ (٧) تجارب الأمم ١/٥١٣ ، والكمال ٨/٣١٤ .

✱ (٣) ينظر الفخري ٢٨١ وكتب التاريخ ضمن سنوات خلافة الراضي .

✱ (٤) تجارب الأمم ١/٥٣٣ ، والكمال ٨/٣٢٢ .

✱ (٥) تنظر اخبار ابن رائق وبجكم في تجارب الأمم ١/٣٥١ وما بعدها .

الرأي ذلك هو ابراهيم بن المقتدر الذي لقب بالمتقي (١) ولم يكن له اي سلطان ازاء جبروت بحكم وكاتبه احمد بن علي الكوفي .

في عهد المتقي قتل بحكم ونهب رجال الخليفة داره (٢) واستولى البريدي على بغداد (٣) وقلد امرة الامراء ايضا ، لكن الناس اخرجته بالقوة لسوء سيرته كتفليدها كورتيكين الديلمي حيث انزل جنده دور الناس فاجتمعت العامة (وتظلموا من الديلم ونزولهم في دورهم ، فلم ينكر ذلك فمئنت العامة الخطيب من الصلاة واقتتلوا هم والديلم ، فقتل من الفريقين جماعة) (٤) . وفي هذه الاثناء عاد ابن رائق من الشام وطرد كورتيكين ثم جاء البريدي عام ٣٣٠ هـ فاستولى على بغداد ونهبها فهرب المتقي مع ابن رائق الى موصل الحمدانيين وهناك قتل ابن رائق على يد أبناء حمدان (٥) .

عاد المتقي الى بغداد بصحبة ناصر الدولة الحمداني الذي طرد البريدي وقام ببعض الاصلاحات المالية والادارية ، ولكن حين رجع الحمداني الى الموصل ثار الديلم ونهبوا داره وانتصر توزون على سيف الدولة برغم مساعدات المتقي لسيف الدولة هذا (٦) .

وحين استولى توزون والأتراك على بغداد وانتهت سلطة الحمدانيين خلع المتقي مضطرا على توزون ومنحه لقب امير الامراء (٧) ، لكن المتقي عاد

-
- (١) ينظر في خلافة المتقي مروج الذهب ٣٤٧ / ٢ ، تجارب الامم ٢ / ٢ ، الفخري ٢٨٤
النبراس ١١٩ تاريخ ابي الفدا ١١٠ / ٣ ، شذرات الذهب ٢١٨ / ٢ .
(٢) تجارب الامم ٩ / ٢ ، الكامل ٣٧١ / ٨ .
(٣) الكامل ٣٧٢ / ٨ .
(٤) نفسه ٣٧٤ / ٨ .
(٥) الكامل ٣٧٥ / ٨ وما بعدها ، شذرات الذهب ٢ / ٢٢٥ .
(٦) مروج الذهب ٤ / ٣٤٢ ، الكامل ٨ / ٣٨٣ وما بعدها .
(٧) الكامل ٤١٨ / ٨ .

فهرب بنفسه وأهله إلى الموصل (١) وأقام مدة عاد بعدها إلى بغداد ولم تفد معه نصائح ناصر الدولة ، فغدر به توزون وسمله وعزله (٢) وولى الخلافة بعده عبد الله بن المكتفي الذي لقب بالمستكفي (٣) ولم يكن لهذا الخليفة الجديد أمر ولا نهي فالأمر بيد توزون الى ان مات هذا القائد التركي عام ٣٣٤ هـ (٤) فتسلم الأمور ابن شيرزاد حتى دخول معز الدولة البويهى بغداد في السنة نفسها حيث منح لقب أمير الأمراء وبدأ بدخوله عهد جديد هو العهد البويهى .

العصر البويهى :

يبدأ هذا العصر بدخول معز الدولة البويهى بغداد سنة ٣٣٤ ونقف فيه عند وفاة بهاء الدولة بن عضد الدولة سنة ٤٠٣ هـ ، ويتميز بأنه ذو وجه سياسي واحد ، فالبويهيون هم أصحاب الأمور ، وما التبدلات السياسية في هذا العصر إلا تغيير لوجوه بويهية بأخرى من الأسرة نفسها ، ولا يعني هذا وجود تشابه كلي في سياسة الافراد البويهيين الذين حكموا العراق ، فالفروق بين هذا الملك البويهى وذاك واضحة . والعراق ومجتمعه يتحملان ويلات هذا التمايز في نظام الحكم ، فلقد مرّ خلال عهد البويهيين أيام عصيبة كثرت فيها النعرات الطائفية والفتن الطاحنة ، واتباع البويهيون سياسة خرقاء في إدارة البلاد وجباية الضرائب .

فمعز الدولة البويهى — وهو الذي يدعى الشيعة — لم يعزل الخليفة

(١) تجارب الامم ٢ / ٤٧ وما بعدها ، الكامل ٨ / ٤٠٦ .

(٢) تجارب الامم ٢ / ٦٩ ، الكامل ٨ / ٤١٨ .

(٣) ينظر في خلافة المستكفي : تجارب الأمم ٢ / ١٠٩ ، الكامل ٨ / ٤٢٠ ، تاريخ ابى

الفدا ٣ / ١١٨ ، الفخري ٢٨٧ .

(٤) الكامل ٨ / ٤٤٨ .

السني فقد ابقاه ليدلّ عليه وبذلّه ، ويتصرف دونه في الامور (١) وقد اهان المستكفي وأذله وخلعه وسمله وولى محله الفضل بن المقتدر الذي لقب بالمطيع (٢) ، فكانت معاملته له أسوأ معاملة ، فغدا المطيع خانعا « لا أمر له ولا نهي ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر (٣) فقد « تسلم معز الدولة العراق بأسره ، ولم يبق بيد الخليفة شيء البتة الا ما اقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجاته (٤) » .

ولم تنحصر اساعات معز الدولة في الخليفة وحده ، فقد استهان بأرواح الناس وأموالهم فنهب ضياع السلطان واملاك الناس وأقطعها لقواد جنده (٥) وأصحابه وبدأت بذلك مرحلة حادة من مراحل الاقطاع يمكن ان نسميه الاقطاع العسكري .

وحين أحس بتدمير الناس ألهاهم بالركض والمصارعة والسباحة (٦) فشغلهم اياما كثيرة بهذه الالعب وجعل يقدم من يبرز في ميادينها ويحيزه ، واستطاع بذلك ان يصرف سخطهم عليه وعلى جنده الذين أنزلهم دور الناس وجعل ذلك رسماً .

(١) ينظر في محاولة معز الدولة عزل الخليفة العباسي وتولية علوي محله : الكامل ٨ / ٤٥٢ . وكما يقول فيصل السامر لم يكن تشابه المذهب أو اختلافه هو الذي يتحكم في علاقات هذه الفترة إنما كانت المصالح السياسية هي التي تلعب الدور الاساسي بدليل العلاقات العدائية بين الحمدانيين والفاطميين وبين البويهيين والحمدانيين الخ .

(٢) ينظر في خلافة المطيع : مروج الذهب ٤ / ٣٧٢ ، تجارب الامم ٢ / ٧٨ ، الكامل ٨ / ٤٥١ ، الفخري ص ٢٨٩ تاريخ ابي الفدا ٣ / ١١٨ .

(٣) مروج الذهب ٤ / ٣٧٢

(٤) الكامل ٨ / ٤٥٢ .

(٥) الكامل ٨ / ٤٥٦ . وينظر حضارة الاسلام ص ٢٧٤ والدولة الحمدانية ص ٣٤ .

(٦) المنتظم ٦ / ٣٤١ ، الكامل ٨ / ٥٧٥ .

وحين مات معز الدولة (١) وخلفه ابنه عز الدولة بختيار تدنت الامور اذ ترك الامير الحديد شؤون الدولة وانغمس في الصيد والاكل والشرب واللهو وتحريش الكلاب والديكة والمساخر والمغنين ، وبث الفتن بين الديلم والأتراك وبين الشيعة والسنة فاضطربت عليه الامور (٢) وتجراً عليه جنوده من الديلم والأتراك حتى استعان بعمه ركن الدولة (الذي كان في فارس) فأعانه بابنه عضد الدولة الذي طمع بملكه فحاول عزله لكن اباه منعه فامتنع ، وحين مات ابوه عاد الى بغداد عام ٣٦٧ هـ واحتلها وقتل بختيار (٣) وامسك بالامور امساك عسكري حاذق ، فاستقرت السياسة وانتعش العمران والاقتصاد وامتد حكمه من بحر الخزر الى كرمان وعمان وبث في هذه البلدان الجواسيس (٤) ولقب نفسه « بشاهنشاه » أي ملك الملوك وهو أول من فعل ذلك في الاسلام (٥) ولم يدم ذلك طويلاً فتمت مات عضد الدولة عام ٣٧٣ فعادت الخلافات تأخذ بخناق ابناء بويه ، فقد تولى الامور بعد عضد الدولة ابنه صمصام الدولة (٦) .

وكان بينه وبين اخيه شرف الدولة حرب انتصر فيها الثاني وسمي الاول (٧) سنة ٣٧٦ هـ ، وفي عهد شرف الدولة كثرت الفتن بين الديلم

(١) تجارب الامم ٢ / ٢٣٤ وما بعدها ، الكامل ٨ / ٥٧٦ .

(٢) تجارب الامم ٢ / ٣٤ وما بعدها ، الكامل ٨ / ٥٧٦ .

(٣) الكامل ٨ / ٦٨٩ وما بعدها .

(٤) المنتظم ٧ / ١١٤ .

(٥) نفسه ٧ / ١١٣ .

(٦) الكامل ٩ / ٢٢ . وترجمة صمصام الدولة في المنتظم ٧ / ٢٠٤ .

(٧) الكامل ٩ / ٢٣ ، ٤٨ ، ٦١ ، تاريخ ابي الفدا ٤ / ١٥ شذرات الذهب ٣ / ٥٨٦ .

والترك (١) لكن فضله كان في منع السعيات والوشايات التي كانت تأخذ برقاب الناس .

توفي شرف الدولة سنة ٣٧٩ هـ فجاء بعده أخوه بهاء الدولة الذي كثرت على عهده الفتن العنصرية والطائفية (٢) واشتدت خلافاته مع أهله واقربائه ، وفي سنة ٣٨١ هـ احتاج بهاء الدولة الى المال فبادر الى خلع الطائع الذي كان قد ولي الخلافة بعد تنازل أبيه (المطيع) ، وكانت طريقة الخلع مهينة وغير انسانية (٣) .

جاء بالفادر بالله احمد بن اسحق بن المقتدر ففوض اموره لبهاء الدولة وانزوى في دار الخلافة يعبد ربه .

وفي هذه السنوات حتى نهاية القرن استبد الجند بشكل لم يسبق له مثيل وقوي أمر العيارين ، وكثر انتهاب الناس بعضهم لبعض وتفاقت الفتن المختلفة (٤) . ففي عام ٣٩٢ هـ نهب العوام بيعة للنصارى (٥) وفي شهر رمضان من السنة نفسها « عظمت الفتنة في بغداد وكثرت العملات وانتشر الدعار (٦) » وفي سنة ٣٩٨ هـ وقعت الفتن بين أهل الكرخ والفقهاء استحال الى قتال بين السنة والشيعة (٧) ، وهكذا توالى سنون هذا القرن حالكة مفرعة ، أصابت الناس في أرواحها وأرزاقها ولم تترك واحداً دون ان تنال منه .

(١) الكامل ٤٩ / ٩ .

(٢) الكامل ٦٣ / ٩ ، تاريخ ابي الفدا ١٦ / ٤ .

(٣) المنتظم ١٥٦ / ٧ ، الكامل ٧٩ / ٩ ، شذرات الذهب ٩٧ / ٣ .

(٤) الكامل ١٨٦ / ٩ .

(٥) المنتظم ٢١٩ / ٧ .

(٦) المنتظم ٢١٩ / ٧ ، الكامل ١٧١ / ٩ .

(٧) المنتظم ٢٣٧ / ٧ ، الكامل ٢٠٨ / ٩ ، شذرات الذهب ١٤٩ / ٣ .

٢ - الحالة الاقتصادية :

لم تكن الحياة الاقتصادية في هذا القرن الا امتدادا وتطوراً طبيعياً للسياسة الاقتصادية ذات الطابع الاقطاعي الطبقي الذي نشأت عليه الدولة العباسية ، وكان لا بد لهذا التطور الاستغلالي من ان يبلغ مرحلة تؤثر تأثيراً فعالاً وسيثاً في سير الحياتين السياسية والاجتماعية .

لقد تميز القرن الرابع بشراسة الطبقة المستغلة حيث أخذت تتبع مختلف الاساليب وتتوسل بطرق شتى لا يبتزاز أموال الطبقة المعتمدة المستغلة التي زاد عددها ، وبدأت تدافع عن نفسها ووجودها بطرق كثيرة ، ومبتكرة منها ما هو مقبول ومنها ما هو شاذ وغريب .

كانت موارد الدولة وموارد رجالها تفد من عدة وجوه ، منها ما هو مشروع كالزكاة والخراج والجزية والمواريث وغيرها من الموارد الاسلامية المعروفة ، ومنها ما هو مستحدث بعيد عن الشرع الاسلامي كالضرائب المفروضة على الدور والامتعة والملابس والملح والخمرة ، والضرائب التي تعنّ في ذهن الوالي أو الحاكم او الزيادات على الضرائب الاسلامية التي يستحدثها الجباة حسب أهوائهم .

وتؤلف المصادرات مورداً آخر للابتزاز ، فان ضاق الامر بالخليفة صادر الوزير ، وان ضاقت يد الوزير صادر تاجراً أو اقطاعياً أو وزيراً سابقاً ولو كان من أصدقائه .

وفي العهد البويهي كان الملك البويهي اذا أعسر صادر الخليفة أو الوزير ولم يرعَ في ذلك ذمة ولا عهداً كما حدث مع الوزير المهلي (١) والخليفة الطائع (٢) مثلاً .

(١) صدره بعد موته معز الدولة البويهي ، ينظر الكامل ٨ / ٥٤٧ .

(٢) صدره بهاء الدولة البويهي ، المنتظم ٧ / ١٥٦ .

من هذا المنطلق الاقتصادي الاستغلالي كانت تنبع سياسة الدولة المرتبكة ،
التي يسودها سوء الظن وتمتلىء بأساليب الوقيعة والدس وتحسين الفرص ، فقد
كان كل واحد من المتنفيين والأثرياء يستطيع أن يبلغ مطمحة السياسي اذا
بذل المال الذي يفني بحاجات الخليفة أو الامير أو حاشيتهما .

سمع ابن الجصاص أن الوزير ابن الفرات يريد مصادرتة ، فهدد بأنه
سيبذل للمقتدر الملايين من الدنانير لازاحته ونكبتة ان هو تعرض لامواله أو
لتجارته وحياته ، فما كان من ابن الفرات إلا أن تراجع معترفاً أن المقتدر
ضعيف أمام المال لا يفرق بين كفاية ابن الفرات وبين أخس كتابه « مع
المال الحاضر (١) » .

وهناك أمثلة كثيرة تدل على أهمية المال وفاعليته في السياسة منها وصول
الحاقاني وحامد بن العباس وابن الفرات نفسه الى الوزارة ، والرشاوى المقدمة
لمعز الدولة ومنح معز الدولة الاقطاع للجند وقادته ، وتولي القضاء عن طريق
الضمان ، وغير ذلك من الامور التي تبرهن على ان الوصول الى المنصب كان
يقوم أساسا بتأثير المال وبريقه .

هذا ما كان من تأثير المال في الطبقة الحاكمة (المستغلة) ، أما تأثيره في
الطبقة المحكومة المستغلة ، فكان شيئاً يعجز الانسان عن تصوره ، وسنستعرض
بعض الاحداث السياسية التي كان لويلات الاستغلال والمجاعات يد طولى في
دفع الناس الى عملها معبرين بذلك عن سخطهم وتذمرهم على قاتليهم « مدفوعين
بغريزة حب البقاء (٢) التي تختزن عند كل كائن حي » .
واذا كنا نعتز ان الحياة السياسية مرتبطة كلياً بالحياة الاقتصادية ، فان

(١) ينظر الخبر كاملاً في الوزراء ص ١٢٥ ، الحمقى والمغفلين ٨٨ .

(٢) الادب في ظل بني بويه ٥١ .

اندفاع الناس الى الثورة وانضمامهم الى الحركات العنيفة التي قامت ضد الدولة العباسية ، كان حافزه الاول هو الاقتصاد المتدهور والحالة البائسة للطبقة العامة التي لم « تقبل ظروفها التعسة بهدوء ، بل حاولت ان تثبت كيانها وتحسن أحوالها بكل وسيلة سلمية أو ثورية (١) » .

فلقد حاول بعض أفرادها ان يغير وضعه الاقتصادي بعنف وثورية فانضم الى حركة القرامطة أو ثورة الزنج ، بينما حاول ذلك آخرون بطرق سلمية تعاونية فكونوا « الجمعيات والتقابات (٢) » .

وحين يتحدث الدكتور طه حسين عن ثورات بابك والزنج والقرامطة يؤكد الحالة الاقتصادية يقول « ولعل أخص ما يمتاز به هذه الثورات الثلاث انها كانت تقصد الى تغيير الحياة الاقتصادية بحيث يُغير توزيع الثروة بين الناس ويُحقق شيء من العدل والمساواة بين الافراد والجماعات (٣) » .

وكانت تقوم الى جانب هذه الثورات المنظمة حركات شعبية متمردة ضد المظالم الاقتصادية ، (ففي سنة ٣٠٦ حين شغب الجند على ابن الفرات الوزير لأنه أخرّر أرزاقهم (٤) سقطت وزارته وتولاها حامد بن العباس فضمن خراج العراق وأصفهان وخوزستان واحتكر حبوبها ومنع حملها الى بغداد بالاتفاق مع المقتدر فنارت عليه العامة ومنعت صلاة الجمعة وكان من نتيجة

(١) تاريخ العراق الاقتصادي للدوري ٨٠ وهذه شهادة على عدم شعبية هذه الحركات .

(٢) نفسه .

(٣) مع المتنبي ٣٠ ويضيف الدكتور طه حسين « وانها كانت تقصد كذلك تقوية الشخصية الفردية وتحريرها من القيود والاغلال التي فرضها عليها النظام الديني والسياسي والاجتماعي » وهذه شهادة أخرى تبرئ هذه الثورات من الاتهامات السطحية وتؤكد انها ناتج خطأ السياسة الاقتصادية للدولة العباسية .

(٤) الكامل ٨ / ١١٣ .

ذلك سقوطه وانتهاء وزارته ايضا (١) .

وفي سنة ٣١٥ ثار العيارون ونهبوا الاموال (٢) ، وفي سنة ٣٢٣ ضج الناس من غلاء الاسعار وصار الخبز أربعة ارطال بدرهم ، وشكا بنو هاشم الضر وسودوا وجوههم ومنعوا الامام من الصلاة يوم الجمعة وتكرر مثل هذا العمل منهم في السنة نفسها (٣) .

وفي سنة ٣٢٤ « شغب العامة لغلاء السعر في مسجد الرصافة ، ودخل الجند في طلبهم فصعدوا الى السطوح ورموا القوسان بالحجارة حتى هربوا » ، وحين استمرت الحرب بين الجند والعامة أمر الوزير باجراء « اصلاحات جزئية » طلبا للرفق بهم (٤) .

وفي سنة ٣٢٩ « كثر الضجيج من تعنت أصحاب لؤلؤ للناس ووضع الجبايات عليهم واغرامهم فعزل عن الشرطة ، ووليها غيره (٥) . وفي العام نفسه اشتد الغلاء وأكل الناس الحشيش وكثر الموت فمنعت العامة الامام من الصلاة وتظلمت من الديلم ونزولهم في دورهم وتعليهم عليهم في معاملاتهم ، وكسرت المنبرين وشعثت المسجد ومنعتهم الديلم من ذلك فقتل من الديلم جماعة (٦) .

وفي خلافة المتقي اشتد الغلاء حتى بلغ كثر الحنطة مائتين وعشرة دنانير ، فخرج الحریم من قصر الرصافة ينادين الجوع .. الجوع (٧) ، وقام رجل « في

(١) نفسه ٨ / ١١٣ .

(٢) نفسه ٨ / ١٢٦ .

(٣) اخبار الرازي ٦١ ، ٦٦ ، ٧٠ .

(٤) نفسه ٧١ .

(٥) اخبار الرازي ٧١ ، ولؤلؤ هو صاحب الشرطة .

(٦) المنتظم ٦ / ٣١٨ .

(٧) الأنافة ١ / ٢٩٢ .

الجامع والامام يخطب فلما دعا للمتقي قال له العامي : كذبت ما هو بالمتقي فأخذ وحمل الى دار السلطان (١) .

ووقعت أيام البويهيين - على الرغم من قسوة الحكام - « تمردات حادة بين العامة كان دافعها الاول سوء الحالة الاقتصادية ، ففي سنة ٣٥٨ اشتد الغلاء بالعراق واضطرب الناس (٢) » وفي سنة ٣٦٣ قلّت الاموال عند بختيار واضطرب أمر جنده - الاتراك والديلم - « فكثّر ادلائهم عليه واطراحهم لجانبه وشغبهم عليه » واضطر لذلك الى ايقاع فتنة بين الاتراك والديلم في الاهواز اشتدت وعمت بغداد والعراق كله (٣) .

وحدثت مثل هذه « الاضطرابات والفتن » في عهد صمصام الدولة وشرف الدولة وبهاء الدولة اولاد عضد الدولة البويهى بعد ان ارهقوا الناس بالضرائب الغريبة والرسومات الكثيرة والمجاعات المستفحلة (٤) .

يتضح لنا - من خلال هذه الالمامة التاريخية - ان فساد الحياة السياسية ليس سببه فساد الطريقة المتبعة في انتخاب الخليفة (٥) ، انما سببه - وهذا ما أثبتته واقع الامور - فساد النظام الاقتصادي وسوء توزيعه ، وما تبع ذلك من نشوء طبقات جديدة مستغلة لا تعرف مذهباً أو قوماً الا مذهب الاستغلال وقومية الثراء ، ولذلك نستطيع استعادة ما قاله الدكتور طه حسين من ان

(١) المنتظم ٦ / ٣٢٦ . ونلاحظ كيف كانت تستغل الجوامع وخطبائها من اجل الدعاية للخليفة وبطانته ولكن النتيجة تأتي في الغالب عكس ما يريدون اذ سرعان ما تتخذ المساجد اماكن للتحريض على التمرد والثورة .

(٢) الكامل ٨ / ٦٠١ .

(٣) نفسه ٨ / ٦٣٤ .

(٤) ينظر الكامل ٩ / ٢٢ وما بعدها .

(٥) كما يرى ذلك د. عبد الرزاق محي الدين في كتابه ادب المرتضى ص ١٢ ط ١ مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥٧ .

« فساد السياسة الاسلامية قد استتبع من غير شك فساد الاقتصاد الاسلامي (١) »

٣ - المجتمع :

كان من نتائج سوء توزيع الضرائب والاستغلال الذي رافق عمليات جبايتها ، ونتيجة للنظام الاقتصادي المرتبك الذي سارت عليه الدولة العباسية نشوء طبقتين اجتماعيتين متميزتين ، هما الطبقة الحاكمة المترفة المستغلة ، والطبقة المحكومة المستغلة ، « ولا يعدل ترف الاولى من حيث التطرف والتناهي غير بؤس الطبقات الدنيا وفقرها المدقع (٢) » والطبقة المترفة تعيش طميلية تبتز ترفها وغناها من عرق أبناء الطبقة المعدمة « المسحوقة » .

وليس بين هاتين الطبقتين طبقة ثالثة لها خصائصها المستقلة المتميزة فالطبقة الوسطى التي اعتاد أغلب الباحثين درجها ضمن التقسيمات الطبقيّة للمجتمع العراقي خلال القرن الرابع تكاد تكون معدومة لانها مضطرة الى الارتباط باحدى هاتين الطبقتين ، فاما ان تتعامل مع الطبقة الحاكمة المتسلطة وتبيع نفسها لها وبذلك تُصبح جزءا منها أو تتعرض للسلب والإفقار لانها لا تملك ما تحمي به وجودها وبهذا تكون ملتحمة مع الطبقة المستغلة .

وقد رأينا ان نسمي هاتين الطبقتين بما تعارف عليه المؤرخون القدماء والمحدثون ، فنطلق على الطبقة الاولى « طبقة الخاصة » وعلى الثانية « طبقة العامة » .

واذا كان هذا التقسيم هو الذي يمكنه ان يلف معظم فئات المجتمع آنذاك (٣) فان هناك انحرافات اجتماعية تتولد بسبب قساوة الحياة الاقتصادية ،

(١) مع المتنبي ٢٦ .

(٢) بروكلمان ٨٢ / ٢ .

(٣) ينظر الادب في ظل بني بويه (الحالة الاجتماعية ٣٦ - ٥٥) .

فتبرز لذلك فئات شاذة غريبة لا ترتبط عضويا بأي من الطبقتين الرئيسيتين وان ارتبطت لفظيا بطبقة العامة .

هذه الفئات هي الافراز الطبيعي للصراع الطبقي آنذاك ، فهي فئات ضعيفة منهارة اتخذت اساليب الذلة والعزلة والدجل طريقا للعيش .

تشمل هذه الفئات المكدين وبعض رجال الصوفية ودراويشها وكل المشعوذين الذين اتخذوا من السحر وما شابه من ضروب الشعوذة اسلوبا للوصول الى حياة مادية أفضل .. وهذه الفئات هي « طبقات غير اساسية في المجتمعات » لانها لا ترتبط مباشرة بأسلوب الانتاج السائد .

تضم « طبقة الخاصة » اشتاتا من المستغلين تبدأ بالخليفة أو الملك البويهى وتنتهي بأبسط جندي تركي او ديلمى .

وكان الخليفة قبل البويهيين قمة هذه الطبقة يليه الوزير أو أمير الامراء ثم بقية رجال الدولة وقادة الجند .

واذا كان الخليفة يمثل السلطة « الشوقراطية » الاقطاعية ، فان بقية رجال الدولة يمثلون السلطة العسكرية والارستقراطية .

وتضم هذه الطبقة ايضا كلَّ المنتفعين المرتبطين بالسلطة ممن يحتمل ان يكونوا أصحاب سلطة او ثراء مثل التجار (١) والاقطاعيين والشعراء والادباء والعلماء ورجال الدين والخدم والعبيد الذين استهوتهم السلطة وحاولوا ان يصلوا الى مكان متقدم يعوضون به عن ذلهم واسترقاقهم .

(١) أما بعد قيام البويهيين فقد أصبح الملك البويهى هو القمة بعد ان ذهبت هيبة الخليفة وانتهت تأثيراته الروحية ، وصاروا احدا من افراد حاشية الملك البويهى لا قيمة سياسية له ، وقد نرى الخليفة في تلك المرحلة يصبح تقديمياً اذا ما قيس بالاحكام الفعلين .

ويمكن ان نلاحظ على هذه الطبقة سمة ندرة التجار (١) ، فان وجد فيها تاجر فهم من كبار الصرافين ورجال الذهب والجواهر ، وهؤلاء معرضون للمصادرة والتشرد والفقر ان سلموا من القتل أو التعذيب ، ويظل ما حصل لابن الجصاص الجوهري من المصادرة (٢) رمزا لرفض طبقة الخاصة للتجار ، فمادة هذه الطبقة هم الاقطاعيون على الغالب ، فالخليفة والمملك البويهى والوزير وقادة الجند وحاشية الخليفة اقطاعيون من الدرجة الاولى ، وهم ينظرون الى التاجر بالمنظار الاقطاعي الايراني الذي يرى في التاجر عنصراً غير ذي قيمة .

وبالرغم من ان الاقطاع يخلق المعوقات الكثيرة امام نمو التجارة وازدهارها (٣) فقد ظلت العامة لا تغض من شأن التجارة والصناعة بل هي تشجع التجارة « لان وقف التجارة فيه هلاك الامة (٤) » .

لقد كانت النظرة العليا الى التجار سيئة ، وكان التاجر في مفهوم طبقة الخاصة « عامياً (٥) » يستحق ان يعدّ ساذجا مغفلا (٦) . على ان هذه النظرة

(١) هناك تاجر بلغت أموالهم الملايين مثل ابن الجصاص وغيره ، حتى لقد بلغ الأمر بابن الجصاص وابراهيم بن احمد المادرائي حين حدثت بينهما ملاحه ومعاندة أن تراهما بمئة الف دينار . تنظر القصة في المنتظم ١٢٢ / ٦ ، وينظر في ممتلكات ابن الجصاص من الجواهر التي لا تقدر بثمن . مروج الذهب ٢٣٤ / ٤ .

(٢) تنظر قصة مصادرة الحسين بن عبد الله الجصاص في الفرج بعد الشدة ١ / ١١٩ .

(٣) « سيفال » لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ ٢٩ - ٣٣ ، وللتأكد من استفحال الاقطاع وسيطرته ينظر ما كتبه الماوردي هذا الشأن في الاحكام السلطانية ١٩٠ وما بعدها .

(٤) ينظر في نظرة الخاصة والأدباء والعامة الى التجار (حضارة الاسلام) لجوردنبام ص ٢٧٤

(٥) قال بحكم التركي عن ابن مقاتل وهو احد افراد حاشية ابن رائق « وعلمت أنه تاجر عامي صغير النفس وان الدراهم ليعظم في نفوس امثاله » .

(٦) اخبار الحمقى والمغفلين ما خصص عن حمق ابن الجصاص ٨٣ - ٩٤ ، وسبب هذه النظرة المتحاملة لم يهتم أحد بأدب التجار وعد أدبا عاميا ، ويمكننا بعد ذلك ان نعد التجار بالقياس الى رجعية الاقطاعيين وثيوقراطية الخليفة المغرقة في الجمود فئة تقدمية حاولت خلق اطار متغير =

لا يمكن أن تنفي ارتباط أغلب التجار مصيريا بطبقة « الخاصة المستغلة (١) » .
أما طبقة « العامة » فتتكون من صغار التجار « وارباب الصنائع والمهن (٢) »
والزراع والفلاحين والكادحين في المدن (٣) الذين كانوا خليطا من مختلف
الشعوب والالوان والعقائد جاءوا للعمل والبحث عن الرزق (٤) .
وينتمي الى هذه الطبقة أيضا كل من لم يرتبط بالسلطة ولم يحم منها ، كما

=لبنية المجتمع آنذاك فجوبت بقسوة وعنف بالرغم من انها كانت اذكى من الفئات الاخرى وأوسع
فكراً بسبب اطلاع افرادها وكثرة اسفارهم .
وينظر التمثيل والمحاضرة وكيف وضع الثعالبي التجار مع السوق ص ١٩٦ وما بعدها :
والملاحظ ان نظرة الأدباء والكتاب الى التجار نابعة من نظرة سادتهم الحكام (ينظر حضارة
الاسلام ٢٧٤) .

(١) هناك تقسيمات للمجتمع كثيرة قديمة وحديثة ، منها تقسيم الوليد الاموي فقد كتب الى
صاحب الساحل : اجعل الحائك والاسكافي في مرتبة ، والحجام والبيطار في مرتبة والمعلم
والخصي في مرتبة ، والنحاس والشيطن في مرتبة (المحاضرات ٢ / ٤٥٩ ، ومنها تقسيم الفضل
بن يحيى احد رجال الحاشية العباسية فقد قال : « الناس أربع طبقات ، الملوك قدمهم الاستحقاق
وزرراء فضلهم الفطنة والرأي وعلية انهمهم اليسار وأوساط الحقههم بهم التأدب والناس بعدهم
زيد جفاء ، وسيل غشاء ، لكع ولكاع وربطة اتضاع هم احدهم طعامه ونومه . (مختصر كتاب
البلدان ، آدم متر ١ / ٢٦٢) اما 'المأمون فقال : السوقيون سفلى ، والصناع أنذال ، والتجار
بخلاء ، والكتاب ملوك على الناس . المحاضرات ٢ / ٤٥٩ .

وللاستاذ أحمد امين تقسيمات فيها الكثير من الصواب كما فيها الكثير من الارباك والسطحية ،
ظهر الاسلام ١ / ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٢ / ٢ .
واجود التقسيمات هو تقسيم الدكتور غناوي الزهيري الذي اهتمنا به ، ويقاربه تقسيم عبد
النافع طليمات في كتابه (اهل الكدية ابطال المقامات في الادب العربي ص ٤٠) والدكتور فيصل
السامر تقسيم علمي جيد لطبقات المجتمع اطلعت عليه بعد فترة من اكمال هذا البحث ومناقشته .
ينظر الحمدانية ص ٣٠ .

(٢) نشوء الاصناف والحرف في العراق ، الدوري . مجلة كلية الآداب ع ١ من ١٩٥٩ .
ص ١٥٦ .

(٣) ينظر الادب في ظل بني بويه ٤٠٥ .

(٤) نشوء الاصناف .

يرتبط بها كثير من الهاشميين الذين يعتزون بنسبهم لكنهم من حيث المبدأ والواقع الاقتصادي جزء من هذه الطبقة (١) ، فهم مثلها يتعرضون للمجاعة والاستغلال ولم يكن ينفع أغلبهم ربع الدينار الذي وضعته السلطة جناية شهرية وثمنا لهذا النسب « الشريف » (٢) .

هناك فئة من العامة تمردت على واقعها الذليل وبدأت تتبع اسلوبا حادا في كسب قوتها اليومي هذه الفئة هي فئة العيارين والشطار التي صار اعضاؤها أشبه بالمرتزقة ، وقد استغل العيارون واستغلّوا ، ففي سنة ٣١٥ كانت لهم هيمنة وجولة في بغداد (٣) وفي سنة ٣٢٦ تحرك بعض عياري المخرم في امر السعر (٤) ، وفي عام ٣٣٠ استعان ابن رائق بالعيارين على البريدي ، وفتح العيارون السجون (٥) . وعظم أمرهم زمن الخليفة القادر فصارت لهم قيادة تنظم شؤونهم وكان على رأس هذه القيادة العيار المعروف بـ (عزيز) الذي أصبح مع من التحق به يثير الرعب في أشد النفوس (٦) . وفي سنة ٣٩٢ صارت لهم هيبة وسطوة وارهجوا بغداد بأفعالهم كثيرا وصار فيهم هاشميون (٧) .

ولا يمكن لباحث الاسهاب في دراسة العيارين لندرة أخبارهم ولأن هذا القليل الذي وصل الينا لا يبين وجهة نظرهم هم ، وانما يبين وجهة نظر المؤرخين الذين رأوا فيهم سراقا وقتلة وفساقا ، ويفهم من روح هذه الاخبار

(١) ظهر الاسلام ١٧ / ٢ .

(٢) آدم متر ٢٦٤ / ١ .

(٣) ينظر الكامل ١٢٦ / ٨ .

(٤) اخبار الرازي ١٠٤ .

(٥) نفسه ٢٢٣ .

(٦) ينظر المنتظم ٦٤ / ٧ .

(٧) المبر ٥١ / ٣ .

أن كلمة « عيَّار » كانت سبة (١) « على أن هناك من الباحثين من يرى أنهم كانوا يمثلون حركة تقدمية فعالة في طبقات الشعب الدنيا » (٢) « وهم على أي حال مظهر اجتماعي ذو أساس اقتصادي يلبس أحياناً لبوساً دينياً » (٣) « وكان من الطبيعي والبديهي أن تتأثر الفتوة بالحالة الاجتماعية في القرن الرابع فقد تفاقمت العراق وخصوصاً بغداد العنصرية المذهبية ... وامتزجت الفتوة بالعبارة والسطارة والفتن المذهبية الدموية » (٤) .

وإذا كانت حركات العيارين أو الشطار (٥) تفتقد للكثير من التنظيم السياسي والاقتصادي فقد كانت حركة القرامطة وثوراتهم ودولتهم تتبع نظاماً اقتصادياً حاذقاً يمتلك أساساً اشتراكية واضحة .

وتلتقي الحركة الترمطية مع حركة العيارين في عملية الرفض العنيف للتناقض الطبقي الذي يسود مجتمع العراق ، لكن رفض القرامطة كان خالياً إلى حد ما من الطابع الفوضوي غير الهادف الذي كانت عليه حركات العيارين ، فلقد انتهج القرامطة منذ اللحظات الأولى لدعوتهم سبلاً سياسية واقتصادية قويمية .

وكان أول أمرهم دعوة دينية ذات بناء اقتصادي متفرعة من الاسماعيلية ، لكنها تطورت فصارت أكثر تنظيماً من الاسماعيلية وأوسع أفقاً فكرياً ،

(١) الشعر العربي ١ / ٥٧ .

(٢) الحركات التقدمية في العراق ٦٢ .

(٣) الشعر العربي ١ / ٥٧ .

(٤) مجلة المجمع العلمي العراقي . مجلد ٥ ، ص ١٩٥٨ ، ص ٥٥ مقال الدكتور المرحوم مصطفى جواد .

(٥) ينظر ما كتبه الدكتور عبد العزيز الدوري عن العيارين ، مجلة كلية الآداب ١ / ١٥٧ ، والعصور العباسية المتأخرة ٢٨٢ وما بعدها . وينظر مقال الدكتور حسين أمين ، « العيارون ونشاطهم الشعبي في بغداد » التراث الشعبي ع ٢ ص ١ ، ت ١ ، ١٩٦٧ ص ٤ .

واجتماعياً وقد وصلت قمة فاعليتها حينما أسست دولة ذات كيان معترف به في « هجر البحرين » حتى لقد أحنت لها خلافة بغداد هامتها أكثر من مرة ودفعت لها الجزية وفعل مثل ذلك الكثير من حكام الاقاليم الاسلامية (١) وكان لدولة القرامطة نائب في بغداد يرعى شؤون اتباعها (٢) ، وقد اثبتت لنا كتب التاريخ أن القرامطة كانوا يتبعون نظام حكم جماعي تتمثل فيه « المركزية الديمقراطية » وهو ما كان يسمى عندهم بالشورى (٣) ، وينهج هذا الحكم الجماعي سياسة اقتصادية ذات بناء اشتراكي ، فالاعمال مؤمنة تسيطر عليها الدولة أو الحركة (قبل نشوء الدولة) وقد طبق القرامطة في سواد العراق « اشتراكية تامة يعطى فيها لكل فرد حسب حاجته بينما يكون مركزه الاجتماعي مناسباً مع خدماته (٤) » .

ولا نريد أن نسهب في الكلام على موضوع درسه الباحثون وحلوه (٥) ، لكننا نؤكد ان القرامطة أثروا في مسيرة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في العراق لانهم كانوا ثورة اجتماعية ، والثورة الاجتماعية تعدّ دائماً « أعلى

(١) ينظر ما فعله معهم علي بن عيسى عام ٣٠٣ ، المنتظم ٦ / ٣١ . وينظر ما كتبوه الى معز الدولة عام ٣٣٦ ، المنتظم ٦ / ٣٥٦ .

(٢) ينظر المنتظم ٦ / ١٩٥ ويبدو انهم اصبحوا كثيرين في بغداد ، فقد وقعت بينهم وبين الاتراك عام ٣٣٠ حرب ، المنتظم ٦ / ٣٢٦ .

(٣) ينظر من تاريخ الحركات الفكرية ، القرامطة .

(٤) دراسات في العصور العباسية المتأخرة ٢٦ .

(٥) كتب عن القرامطة كل المؤرخين القدامى كالطبري والمسعودي ومسكويه وابن الحوزي وابن الاثير وغيرهم . تنظر هذه الكتب حوادث السنوات ٢٨٩ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣١٧ . كذلك كتب عن القرامطة مؤرخون محدثون منهم من هو موضوعي علمي ومنهم غير ذلك ومن الذين كتبوا موضوعية لويس برنارد في اصول الاسماعيلية ، وعبد العزيز الدوري في دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، وبندلي جوزي في كتابه (من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام) ١٥٩ . ينظر في القرامطة كتاب القرامطة لأبن الجوزي ط ٢ بيروت ١٩٦٨ وكتاب القرامطة لعارف تامر ، وكتاب قرامطة العراق لمحمد عليان .

أشكال الصراع الطبقي» فغيرت لذلك ثوراتهم وتحركاتهم في نواحي عديدة من أرض العراق بنية التركيبات الطبقية والسياسية ، وقد فعلت فعلها ايضا في نفوس العامة الذين كانوا مادة القرمطية وجعلتهم يرفضون باستمرار وبأشكال حادة مختلفة أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية المزرية .

كان من نتيجة وجود هذا المجتمع العراقي المُحتمل بأنواع التناقضات السياسية والاقتصادية نشوء عادات وأوضاع شاذة قد تعم جميع المجتمع أو تختص بفئة معينة منه .

فالأضطراب السياسي كان عامًا اما مصدره فكان من الطبقة الخاصة ، فالتنازع والتنافس بين افراد السلطة الحاكمة على تسلم الزعامة والقيادة صار يأخذ شكلا دمويا عنيفا ، وأصبحت الدولة متقاسمة بين أيد عديدة غير أمينة ، ولقد شاعت بين الناس أمثال وحكم تدلل على فساد الاوضاع وتدهورها فقالوا : « من كثرة الملاحين غرقت السفينة (١) » .

وفي مثل هذا الجو الخرب انتشرت الرشوة بأشكال وصور مختلفة ، من ذلك أن أولاد الوزير الخاقاني تحكموا عليه ، فكل يسعى لمن يرتشي منه ، وكان يولي في الايام القليلة عدة من العمال ، حتى انه ولى بالكوفة في مدة عشرين يوما سبعة من العمال (٢) .

وفعل أغلب القضاة في مجال اختصاصهم فعل الوزراء والامراء (٣) ، فضرب الناس الامثال في الرشوة وقالوا : « الرشوة تعمي عين الحكيم (٤) » و« الرشوة رشاء الحاجة » و« البذل بالمؤونات (٤) » .

(١) خاص الخاص ١٧ .

(٢) الكامل ٦٤ / ٨ .

(٣) ينظر التحف والهدايا للخالدين ١١٩ ، الوزراء للصابي ٢٨٢ . -

(٤) التمثيل والمحاضرة ٤٦٨ .

ومثل هذه الامثال شاعت اخرى تدلل على نواح اجتماعية وسياسية كبيرة ، فلكثرة الويلات قالوا : « لا تعلم اليتيم البكاء » ولتفشي الانانية قالوا : « كل يجر النار الى قرصه » ونتيجة لاستمرار الظلم قالوا : « فرّ من القطر وقع تحت الميزاب » و« خرج من البئر الى الحب » و« فم يسبح ويد تذبّح » ، ولأن المداجنة شائعة عامة قالوا : « خير الغناء ما شاكل الزمان » وهكذا (١) .

واذا كانت العامة تتأثر بالحياة السياسية والاجتماعية السائدة رأيناها تصدق الاراجيف ، والاختلافات التي حيكت حول القرامطة ، وفوضويتهم وقسوتهم ولحادهم وكانت تصدق الخرافات والاساطير ، ففي سنة ٣٠٤ ضاقت العامة من حيوان يسمونه الزبزب قالوا انهم يرونه على سطوحهم وأنه يأكل الاطفال وربما عضّ يد الرجل أو ثدي المرأة فقطعهما وهرب بهما فكسان الناس يتحارسون ويتزاعقون ، ويضربون بالطشوت ، والصواني ، وغيرها ليفزعوه فارتجت بغداد لذلك (٢) .

وليست العامة وحدها بهذه العقلية الصغيرة فقادة الطبقة المسيطرة كانوا بعقلية سمجة ساذجة ، وكان المقتدر وهو خليفة المسلمين همه متعه ولذاته لا يتردد على لسانه إلاّ أمثال قوله : « من اللذات أربع ، حلق اللحى الطويلة العريضة ، وصفع الاقفية اللحمية ، وشم الارواح الثقيلة البغيضة والنظر الى الوجوه الصبيحة المليحة (٣) » .

واذا أردنا أن نستكمل الصورة لمجمل القرن استرجعنا قول أبي حيان

(١) خاص الخاص ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٢) الكامل ١٠٥ / ٨ .

(٣) خاص الخاص ٥١ .

التوحيدى (١) : « وقد بلىنا بهذا الدهر الخالى من الديانين الذي يصلحون أنفسهم ويصلحون غيرهم ، الخاوي من الكرام الذين يتسعون في أحوالهم ويوسعون على غيرهم » وبعد ان يعدد اخلاق السابقين وتنافسهم على صنع المحامد يقول : « فذهب هذا كله وتاه أهله وأصبح الدين وقد أخلق لبوسه ، وأوحش مأنوسه ، واقتلع مغروسه وصار المنكر معروفا والمعروف منكرا ، وعاد كل شيء الى كدره وخائره وفاسده وضائره ، وحصل الامر على ان يقال : فلان خفيف الروح ، فلان حسن الوجه .. حلو الشمائل .. حسن اللعب بالنرد ، جيد في الاستخراج .. الى غير ذلك مما يأنف العالم من تكثيره والكاتب من تشطيره .. وهذه كنايات عن الظلم والتجديف ، والحساسة والجهل ، وقلة الدين وحب الفساد » .

بعد كل هذا الكلام لا يبقى لنا الا القول : إن أبا حيان خير شاهد على انهيار قيم عصره وتخللها وتدهور العلاقات الاجتماعية والاعراف الدينية والقبلية التي كان يرتكز عليها المجتمع الاسلامي بعامه والمجتمع العراقي بخاصة (٢) .

الحالة الثقافية :

ان ازدهار الثقافة ونموها يرافق في كل الاحوال الاستقرار السياسي والاقتصادي وحيث أن القرن الرابع كان مضطربا في سياسته وادارته (٣) ... فقد كان مضطربا في بنية ثقافته أيضا .

(١) الامتاع والمؤانسة ١ / ١٦ .

(٢) كتب الدكتور فيصل السامر فصلا اسماء « روح العصر » ضمن كتابه القيم « الدولة الحمدانية في الموصل وحلب » استعرض فيه مجمل الحياة الاجتماعية في القرن الرابع بصورة علمية دقيقة وقد اطلعت عليه بعد مناقشة الرسالة وكان سروري كبيرا حين وجدت منهجي في البحث يتقارب كثيرا مع منهج الدكتور الفاضل .

(٣) الوصف في العراق ٢٨٨ .

لقد كانت بداية هذا القرن مجدية حضارياً فرجال الدولة بعيدون عن عالم الثقافة لأنهم غرباء عن لغتها أولاً ولانشغالهم بخلق ظروف سياسية تلائم مطامحهم ووضعهم الشاذ ..

ومثلما تجمدت المذاهب والاجتهادات الاسلامية تجمدت العلوم والفنون والآداب . « ولم يكن أدب غير الأدب القديم ولا لغة غير الالفاظ القديمة حتى كأن العالم الاسلامي كله أجذب بالعلم (١) » ، وبارت تجارة الشعر وانغمر الشعراء بالقديم وولع رجال الدولة بالمسامرات والقصص الخيالية مثل « عجائب البحر وحديث سندباد والسنور والفأر (٢) » ، ولم يسلم الادباء والشعراء أو العلماء من الاهانات التي بلغت حدّ التعذيب والقتل كما جرى للحلاج وابن عطاء من بعده (٣) .

ويبلغ الجهل ببعض الناس أن منعوا دفن محمد بن جرير الطبري سنة ٣١٠ هـ فاضطر الى دفنه في الليل (٤) وهو من هو في الفقه والتفسير والتأريخ ، وسلب أبو بكر الصولي ونهبت أمواله من قبل الديالم في رمضان سنة ٣٢٩ مع ان منزله الأدبية كانت مشهورة وصلته بالخليفة معروفة . وطعن علي ابني عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد بعلمه وهو احفظ أهل زمانه وأذكاهم (٥) وحرم ابو نصر يوسف بن عمر بن محمد الأزدي بعد وفاة الراضي من تولي القضاء مع انه

(١) ظهر الاسلام ٧ / ٢ .

(٢) اخبار الراضي : ٦ وهذا يدلنا على أن قصص الف ليلة كانت موجودة زمن الراضي .

(٣) تجارب الامم والمنتظم وكتب التاريخ الاخرى حوادث السنوات ٣٠١ ، ٣٠٩ ، ٣١١ .

(٤) المنتظم ٦ / ١٧٠ .

(٥) اخبار الراضي ٢١٠ والصولي هو محمد بن يحيى ت ٣٣٥ أو ٣٣٦ ترجمته في الفهرست

١٥٠ ، نزهة الالباء ١٨٨ . وتاريخ بغداد ٣ / ٤٢٧ والوفيات ٣ / ٤٧٧ .

كان معروفا بالنزاهة والعلم والفقہ (١) ، كل ذلك لأن الوصول الى المراكز المتقدمة في الدولة ودور الحكام يتطلب الملق والادعاء والخنوع ولا أهمية للعمق الفكري والقيمة العلمية أو الأدبية .

ولا يعني هذا أن الادباء والشعراء حرموا نهائيا من الرعاية والعناية ، فابن الفرات الوزير كان يخصص كل سنة من سني وزارته عشرين ألف درهم رسما لهم سوى ما يصلهم به متفرقا عند مديحهم اياه (٢) .

وكان للراضي عناية خاصة بالشعر والشعراء كانت مجالسه الأدبية مقاربة لمجالس الوزير المهلبى فيما بعد .

وهناك بعد ذلك التفتات نحو الشعراء والادباء من هذا الخليفة أو ذاك الوزير لكنها ليست دائمة ولا تستحق ان تسمى رعاية أو اهتماما .

هذا ما حدث قبل مجيء البويهيين ، اما زمن البويهيين فقد ارتفعت قيمة الاديب على حساب كرامته ، وصار ارتفاعه وعدمه مرتبطا ارتباطا فعليا بمصلحة الحاكم ، وقد تعرض الكثير من أدباء العصر البويهي للاهانة فالوزير المهلبى تعرض للضرب في حياته (٣) وتعرض للمصادرة بعد مماته (٤) ، وتعرض الصابى (٥) وكذلك والد الشريف الرضى (٦) للاعتقال والعزل على يد عضد الدولة الذي كان — كما يقال — يرمى الادب والعلم ويحتضن الشعراء والادباء .

(١) نزهة الالباء ١٩٠ .

(٢) ينظر آدم متر ١ / ١٦٣ .

(٣) نشوار المحاضرة ١ / ٧١ .

(٤) معجم الادباء ٩ / ١٨ .

(٥) معجم الادباء ٩ / ١٨ ، زهر الآداب ١ / ٣٩١ .

(٦) الكامل ٨ / ٧١٠ .

أما أبو حيان التوحيدي فقد كان نصيبه التشريد والضياع واهانات الصاحب ابن عباد ووصل به الامر الى سكب ماء وجهه بعبارات تذلل واستجداء للوزير ابن سعدان (١) كي يكسب قوت يومه ، ولم ينفعه علمه أو أدبه عند الناس أو الحكام .

ومع كل هذا لا بد من القول إن الحياة الثقافية قد انتعشت بشكل بارز عندما استقرت امور الدولة في يد البويهيين ويبدو ذلك جيدا زمن عضد الدولة .

ويرى الدكتور مصطفى جواد (٢) أن سبب الازدهار السريع للعلوم بعد أن دخلت الخلافة في حماية البويهيين يعود الى « توفر الحرية الدينية والحرية الفكرية والحرية العلمية ، وكانت هذه الحريات قبلهم مزومة مكتومة ، وقد عوقب عليها قبلهم بالموت كما جرى على الحسين بن منصور الخلاج » ، وهذا الرأي يبقى غير نافذ الى اعماق العوامل الحقيقية التي دعت الى ازدهار العلم والادب والتي نستطيع ان نقول بأنها سياسية واقتصادية بالدرجة الاولى .

فبعض الاستقرار السياسي الذي أعقب تولي آل بويه مقادير الامور ، ومحاولة هؤلاء الحكام الجدد كسب مشاعر أهل العراق بتقريبهم الشعراء والادباء والعلماء وتظاهرهم بالحرص على اللغة وادعائهم التأدب والشاعرية والمعرفة أدى الى انتعاش الحركة الفكرية والادبية ، نضيف الى ذلك كون آل بويه اتخذوا « من الادب وسيلة يستعينون بها على تهدئة الخواطر المضطربة والنفوس القلقة ويستخدمونها في اقامة الهيبة وبث الدعوة وتثبيت السلطان (٣) » عن طريق المراسلات التي كان يدبج متونها وزراؤهم وكتابهم أمثال ابي

(١) الامتاع ٣ / ٧ وما بعدها ، وينظر في استجدائه كتاب ابي حيان : ٣٦ ، ٤٢ .

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي س ١٩٥٦ مج ٢٤ / ٥٠٢ . مقال الدكتور مصطفى جواد .

(٣) الادب في ظل بني بويه ١٢٢ .

اسحق الصابي (١) وعبد العزيز بن يوسف (٢) وابن عباد (٣) وغيرهم .
نستطيع بعد هذا القول : ان تقرب آل بويه للادباء والشعراء لم يكن من
أجل علمهم أو أدبهم فقط « فلو لم يكن لقدرة هؤلاء البلاغية جدوى للملوك
وأثر حسن في حياتهم وحياة ممالكهم لما رأيناهم يتسابقون الى احتضان الادباء
الاكفاء فيسلمونهم ممالكهم (٤) » ، ولو كان الادب والشعر واللغة سبيلاً الى
السلطة لرأينا المتنبّي وابن فارس اللغوي ت ٣٦٩ ، وأبا علي الفارسي المتوفى
٣٧٧ ، والجوهري صاحب الصحاح وأبا حيان التوحيدي وغيرهم ممن كانوا
أعظم علماً وأسمى أدبا من وزراء آل بويه أصحاب سلطة ومسيّري أمور
دولة .

لقد كان آل بويه يستغلون الأدب والانسان معا من أجل سيادة كلمتهم
واستقرار أمور دولتهم ، وان برز منهم من يهتم بالأدب ويتظاهر بأنه يقرب
أصحابه حبا بالتزود من مناهله ، فلا يعدو أن يكون هذا اهتماما سطحيًا يشبه
الى حد بعيد الاهتمام بالملبس والمأكل والمشرب ومجالس الانس والطرب ،
لأن الادب غدا مظهرا من مظاهر الترف الحضاري .

واذا تساءلنا بعد ذلك كيف تجمع مثل هذا السيل الجارف من الادباء
والشعراء ورجال العلم ؟ جاءنا الجواب واضحا صريحا وهو ان الادب وليد
البيئة وخلق ظروف الحياة سياسية كانت أو اقتصادية ، وهو ليس ابن يومه
اذ يحمل جنينا في رحم المجتمع ويولد وبه كل الصفات الوراثية التي طبعتها
مراحل تطور هذا المجتمع وتقدمه .

(١) ابراهيم بن هلال الصابي ت ٣٨٤ ترجمته في معجم الادباء ٢ / ٢٠ ، اخبار الحكماء
٧٥ ، معاهد التنصيص ٢ / ٦١ ، وفيات الأعيان ١ / ٣٤ .

(٢) الفهرست ١٣٤ .

(٣) صاحب اسماعيل بن عباد العباسي ت ٣٨٥ ترجمته في الفهرست ١٣٥ معاهد التنصيص

٤ / ١١١ معجم الادباء ٦ / ١٨٦ وما بعدها ، وفيات الأعيان ١ / ٢٠٦ .

(٤) الادب في ظل بني بويه ١٢٤ .

ولهذا فأدباء وشعراء وعلماء هذا العصر حصيلة تلاحم الثقافة العربية مع الثقافات الأجنبية التي بدأت تغزو أسواق العلم في بغداد وغيرها أوائل القرن الثاني للهجرة من خلال الترجمة والتجارة وقد تطورت هذه الثقافة الممتزجة وتنامت في القرن الثالث للهجرة ثم نضجت وأتت أكلها في قرنا الرابع هذا .

وبما أن هذه الثقافة - وكل ثقافة في الدنيا - متأثرة بشكل مباشر بالحياة السياسية والاقتصادية وتقلباتها وتراكماتها فقد لوثت بما كانت متلوثة به هذه الحياة من اضطراب وزيف انتهى بالادب عموما والشعر خصوصا الى أن صار حرفة يتاجر بها جماعة من البشر ، يزورون حقيقة وجودهم الانساني - على الأغلب - بأساليب متنوعة من التصاغر والشذوذ ، وصار من يقف بوجه تيارهم يعدّ غريبا ويكون مصيره الجوع والتشرد .

وقد أحس الكثير من الأدباء والشعراء بهذه الغربة وهذه الوضاعة فصوروا ذلك في أشعارهم وكتاباتهم ، وسنبن في كلام آت منزلة الشاعر من خلال الشعر الذي تجمع لدينا فأعطانا القيمة الحقيقية لحضارة القرن الرابع التي يتحدث عنها بعض المؤرخين والكتاب ويملاً فمه فخرا وحماسة معتقداً أنها حضارة اسلامية ، وقد فاته كونها حضارة مبنية على الاستغلال والجوع والحرمان .

ولما كان استعراض الحركة الفكرية في هذا القرن لا بد منه فقد رأينا أن نوجز .. فنقصر الحديث عند ذكر قسم من رجال كل جانب من جوانب هذه الحركة ومجمل لآرائه ، ومذاهبه .

وأول ما نأتي على ذكره هو التفسير ، ونعني به تفسير آي القرآن الذي تطور في هذا القرن وتشعب ، وصار لكل مذهب ديني تفسير يختص به أهل

ذلك المذهب ويتأثرون بأرائه .

ولعل محمد بن جرير الطبري قد اوصل التفسير الى مرحلة جديدة ومنهج الطبري في التفسير أن يجمع في كل آية التفسير بالمأثور ، وفي الغالب يفضل أحد الاقوال (١) .

واذا كان الطبري قد بلغ الذروة في التفسير بالمأثور فهناك من اتخذ التفسير بالرأي اسلوبا كما فصل الشريف المرتضى في أماليه (٢) حيث اتبع فيه طريقة المعتزلة « اذ كان هو نفسه شيعيا معتزليا (٣) » .

أما الحديث فقد دونت في هذا العصر كتب كثيرة منه مثل صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد بن حنبل (٤) .

وقد ظهرت في هذا القرن مزية حفظ الاحاديث الكثيرة ، وكان هناك من يروي الاحاديث وينقدها (٥) .

ولم يكن المحدثون مبرئين من التلاعب في الاحاديث فهناك من أخذ يضع الاحاديث ويبتكرها ليدافع عن مذهب أو ليثبت رأيا ، ومع هذا كانت للمحدثين سلطة كبرى فمن « خرج على لنهجهم قيد شعرة ، شغب عليه ، ورمي بالزندقة (٦) » .

وكان لعلم الكلام صولة وجولة ، وكان للمعتزلة الفضل الاكبر في تطور هذا العلم ، والحقيقة أنه علامة تدل على سلامة التطور الفكري للمجتمع ، ولكنه في القرن الرابع لم يبق على ما كان عليه في القرنين الثاني والثالث من فاعلية

(١) ظهر الاسلام ٣٨ / ٢ ، وترجمة الطبري في تاريخ بغداد ١٦٢ / ٢ .

(٢) تنظر أمالي المرتضى ط عيسى البابي محمد ابو الفضل ابراهيم ١٩٥٤ .

(٣) ظهر الاسلام ٤٠ / ٢ .

(٤) نفسه ٤٦ / ٢ .

(٥) ينظر ظهر الاسلام ٤٧ / ٢ .

(٦) نفسه ٤٩ / ٢ .

وحركة . على أن عملية الانتماء الى المعتزلة ظلت ذات بريق سطحي خلاّب يؤكد هذا ادعاء الصاحب بن عباد الاعتزال وولعه بالجدل (١) .

أما التصوّف فقد أخذ مظهرها متميزا في هذا العصر ، وقد حدّ مقتل الخلاّج والتمثيل به ، من جرأة بعض المتصوفة .

وكان أبرز متصوفة هذا العصر الخلاّج ، وابن عطاء والشبلي والطوسي صاحب كتاب اللمع في التصوف ، وابو طالب المكي صاحب كتاب قوت القلوب والسّلمي صاحب الكتب الصوفية المتعددة منها كتاب طبقات الصوفية ، ولا حاجة بنا الآن الى استعراض آراء المتصوفة لاننا سنفصل ذلك في موضع آخر من هذا البحث .

أما اللغة وعلومها وآدابها فقد كانت ذات حركة كبيرة ، فقد ألف ابن دريد معجمه اللغوي الذي سماه « جمهرة اللغة (٢) » وألف الجوهري معجمه الذي دعاه « الصحاح (٣) » ووضع ابن فارس (٤) كتابا لغويا « نحا فيه نحوا جديدا » وأطلق عليه اسم « مقاييس اللغة » ، وألف الثعالبي كتابه المعروف بـ « فقه اللغة » ، الذي جمع فيه الالفاظ المتقاربة في موضع واحد .

لقد كانت حركة تأليف الكتب اللغوية والنحوية في هذا العصر ذات أهمية بالغة فالعامة بدأت تنتشر انتشارا واسعا ، وصارت جزءا من كلام الناس ، كما بدأت تغزو الشعر والادب .

(١) ينظر الصداقة والصديق ٧ ونزهة الالباء ٢٢٤ ، الكشكول ١ / ٢٤٤ .

(٢) تنظر جمهرة اللغة ط ١ حيدر آباد ، ابو بكر محمد ابن دريد ت ٣٢١ هـ ترجمته في نزهة الالباء ١٧٥ سنة ١٣٤٤ اعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثنى بغداد .

(٣) ينظر الصحاح ط دار الكتاب العربي بمصر ، ١٩٥١ ، والجوهري هو أبو نصر اسماعيل ابن حماد ت ٣٩٠ ترجمته اليتيمة ٤ / ٣٧٣ ، بغية الوعاة ١٩٥ ، نزهة الالباء ٢٣٦ ، انباء الرواة ١ / ١٩٤ ، معجم الادباء ٦ / ١٥١ ، النجوم الزاهرة ٤ / ٢٠٧ .

(٤) ترجمته في الاعلام ١ / ١٨٤ .

وفي النحو والصرف برزت اسماء لامعة كان لها تأثير فعال في الحدّ من
ميوعة اللغة العربية الفصحى ، ومن أهم رجالات هذا القرن، الزجاج (١)
الذي تتلمذ عليه أبو علي الفارسي (٢) استاذ أبي جني (٣) صاحب المذاهب
الصرفية والنحوية .

وهناك نحويون ظهوروا في هذا القرن فتأثروا بعلم الكلام المعتزلي وروح
المنطق اليوناني فخلطوا النحو بالمنطق والفلسفة ومن هؤلاء النحويين الرّماني أبو
الحسن علي بن عيسى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ (٤) .

أما البلاغة فقد بدأت تبحث بصور وأشكال مختلفة ، كان أغلبها يبحث
في أسباب إعجاز القرآن (٥) ، وحين وصلت الى أبي هلال العسكري (٦)
جعلها أحق العلوم بالتعلم « اذ بدونها لا تفهم أسباب إعجاز القرآن (٧) » ،
وكانت علوم البلاغة تسمى علم البيان .

أما في النقد فقد ظهرت كتب ومؤلفات عديدة منها كتب الصولي التي
أهمها « أخبار أبي تمام (٨) » وأخبار البحري (٩) والاوراق (١٠) ، وفي الاول
منهج نقدي واضح يمكن ان يعتمد في كتابه دراسة عن نقد الصولي .. وغير

(١) هو ابو اسحق ابراهيم الزجاج ت ٣١٠ ترجمته في نزهة الألباء ١٦٧ ، أنباء الرواة
١ / ١٥٩ ، تاريخ بغداد ٦ / ٨٩ .

(٢) الحسن بن احمد ت ٣٧٧ ترجمته في نزهة الألباء ٢١٦ .

(٣) ينظر كتاب ابن جني النحوي للدكتور فاضل السمرائي .

(٤) ترجمته في نزهة الألباء ٢١٧ .

(٥) ينظر كتاب البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف ط ٢ دار المعارف بمصر ٢٩ ، ١٠٢ ،

(٦) في كتاب الصنائع ط عيسى البابي الحلبي تحو علي البجاوي وابو الفضل ابراهيم .

(٧) ظهر الاسلام ٢ / ١٢٤ .

(٨) ط المطبعة الهاشمية ، القاهرة ١٩٥٨ .

(٩) مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق .

(١٠) كتاب الاوراق في عدة اجزاء ظهر منه ثلاثة أجزاء هي : اخبار الراضي والمتقي واشعار
اولاد الخلفاء واخبار الشعراء .

كتب الصولي كان كتاب الموازنة للآمدي (١) ، وكتاب الابانة عن سرقات المتنبي (٢) والرسالة الحاتمية (٣) وكتب الثعالبي التي جمع فيها مختارات شعرية وأشار إلى نواح جمالية عديدة في هذا الشعر .

واذا تخطينا الفلسفة التي كان من أئمتها الفارابي وابو سليمان المنطقي وابو حيان التوحيدي ، ومسكويه واخوان الصفا وجئنا الى النثر والشعر توضحت لنا معالم واسعة لهما متمثلة بلغة النثر العالية التي نجدها عند ابي اسحق الصابي وابي بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان الهمداني وابي حيان التوحيدي (٤) وابي منصور للثعالبي ، وغيرهم .

لقد أغنى هؤلاء اللغة العربية بأساليبهم العالية والفاظهم المبتكرة واننا لواجدون بذورا جيدة للقصة في مقامات الهمداني ، ونموذجا واضحا للروح الوجودية والعمق الفكري في لغة ابي حيان التوحيدي وفلسفته (٥) .

واذا كان من الواجب أن نذكر الشعر والشعراء رأينا أن نشئت شيئا عن لغة الشعر فنقول : انها كانت ، مواكبة لحركة العصر متأثرة بتطوراتها وما استجد فيه وما دخل عليه من سمات أجنبية ، ذات مظاهر سطحية ، على أن هذه اللغة أفادتنا كثيرا في استكمال دراسة المجتمع من خلال الشعر وجعلتنا نطرق أبواب دراسة تحليلية جديدة .

(١) ط مطبعة صبيح ، القاهرة

(٢) طبعة دار المعارف في مصر ١٩٦١ .

(٣) الرسالة الحاتمية كتابان لأبي علي محمد بن الحسن الحاتمي الاول مناظرة بينه وبين المتنبي حين جاء الى بغداد والكتاب ملحق بالابانة عن سرقات المتنبي . والثاني له أيضا يتضمن الحكم والتي اقتبسها المتنبي عن ارسطاطاليس .

(٤) مما كتب عن ابي حيان وأدبه كتاب الدكتور عبد الرزاق محي الدين (ابو حيان التوحيدي سيرته - آثاره) وكتاب الدكتور إحسان عباس (ابو حيان التوحيدي) ، وينظر في ترجمته الاعلام ٥ / ١٤٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ١ / ٣٣٣ .

(٥) ينظر مقدمة كتاب الاشارات الالهية لأبي حيان التوحيدي التي كتبها محقق الكتاب الدكتور عبد الرحمن بدوي ، ونلاحظ فلسفة الوجودية في كتابه ثلاث رسائل وبخاصة رسالته في الحياة .

هذه اللغة السطحية السهلة نجدها عند الخبزازي والمفجع البصري وابن ليبيك وابن سكرة وابن الحجاج وغيرهم .

ومثلما نجد هذه اللغة الاجتماعية الشعرية ، نجد لغة عالية ترسم خطى الشعراء الاقدمين ، وتتقوّل بقالبيهم ، لكنها متأثرة بروح العصر وما دخل عليه من سعة أفق وامكانية تصوير . مثل هذه اللغة نجدها عند المتنبي والشريف الرضي والصابي والشريف المرتضى ومهيار الديلمي وغيرهم .

اخيراً نستطيع أن نؤكد أن الحياة الثقافية كانت متحركة منتجة لكن حركتها وانتاجها يرتبطان بحركة المجتمع السياسية والاقتصادية ، ويصوران مسيره ونماه (١) .

(١) يرى الدكتور فيصل السامر في ملاحظاته على كتابي وهو رأي صائب ان من أسباب ازدهار الادب استقلال البويات وثقافتها وحرص أمرائها على احاطة انفسهم بالاقلام والألسن للدعاية ، يضاف الى ذلك الترف المادي نتيجة تدفق الثروة النقدية وتركزها بيد الخاصة وتدفق ذوي المواهب عليهم لنيل الجزاء .

الفصل الأول

الشاعر في المجتمع

يتميز الشاعر عن بقية الناس بعلاقاته المشعبة في مجتمعه ، ومن علاقاته التي تستحق التوضيح والدراسة وتبرز أهميته في المجتمع علاقته بالحاكم ، والناس ، وقرانه الشعراء .

الشاعر والحاكم :

لم يكن لأكثر الشعراء ارتباط عضوي مع طبقة معينة من طبقات المجتمع (١) فارتباطه متعلق بمصلحته التي تعمي عنده الرؤية الواضحة فلا تجعله يفرق - في اغلب الاحيان - بين حاكم جائر وآخر عدل ، فالحاكم عدل ما دام كريما في الهبة ، فان شحت يده وقصرت عن العطاء ، فهو لا يستحق من الشاعر ذكراً ان سلم من الهجاء والقلح .

أما الحاكم فانه يرى في الشاعر لعبة صغيرة تسد فراغه أو ببغاء يردد اقوالا حفظها تنتفخ لها أوداج الحاكم أبهة وفخرا ، أو آلة يستعملها عند الحاجة وينتقي منها الاجود ، والاجود عنده هو من عمل لمصلحته ، ورفع اسمه ، واشاد بمفاخره ، وثبت له أركان سلطته .

(١) لأن المثقفين ورجال الدين وبعض الفئات الطارئة ليسوا من طبقات المجتمع الاساس ، التي لها علاقة بوسائل الانتاج .

وقد أحسن بعض الشعراء بالحال المزرية التي آلت إليه منزلته فحبر عن
ألمه بقول أبي المكارم المظهر البصري (١) :

رأيتُ الشعرَ للساداتِ عزاً ومنتمةً وصيتاً وارتفاعاً
وللشعراء هوناً وانخفاضاً ومجلبةً لذلٍ واتضاعاً
وكيف لا يحدث مثل هذا الاتضاع وأكوام الشعراء - إن جاز التعبير -
تقف مكدسة على أبواب الملوك والأمراء والوزراء وبقية رجال الدولة، تنتظر
دورها لتلقي الكلمات التي لفقتها لتستجدي بها رزقا ، فقد يقف الشاعر ببؤس
أيامه أو أشهره ينتظر انفتاح باب القصر - باب الفرج - ليملأ فمه بالالفاظ
التي كد في تلفيقها الليالي وأرهق نفسه وفكره ، وقد تبلغ به الحال ما بلغت
بالسلامي حين قال (٢) :

أفلا أجازُ وليّ ثلاثة أشهر لا تعلمون بما أقيمُ تجمُّلي
قد بعْتُ حتى بعْتُ طرفاً قائماً تحتَ القيدور على ثلاثة أرجل
ورَهنتُ حتى قد رَهنتُ منادمي ومُناشدي ومذكّري ومعلّلي
فرايتُ حالة حاسديك كحالي ورأيتُ منزل حاسديّ كمتزلي
إنها دعوة استجداء صريحة تدفعنا لرثاء كرامة السلامي التي فقدوها حين
غدا يطوي عرض البسيطة جاعلاً « قصارى المطايا أن يلوح لها القصر » مبشراً
آماله ببقاء « ملك هو الوري » مؤملاً عطايه وجوائزه (٣) .

واذ يفتح الحاكم أذنيه لسمع الكلمات تزدهر حياة الشاعر ويبدأ الرزق
يرفده من كل جانب ثم يصبح لساناً آلياً ، يمدح ، يرثي ، يفخر بنسب الحاكم
ومنزله ... الخ ، فالصدق هنا مسألة ثانوية إذ المهم والأهم أن يسمع الناس ما
يقول الشاعر عن الحاكم . والمناسبات خير ما يطلق السن الشعراء للمدح
والتقرب .

(١) تمة البيتة ١ / ١٨ .

(٢) بيتة الدهر ٢ / ٤٣٧ .

(٣) نفسه ٢ / ٤٠٢ .

فاذا جاء العيد وجب على الصابي أن يقف مهنتاً به قائلاً (١) :

يا سيداً أضحي الزمانُ بأنْسِهِ مِنْهُ رَبِيعاً
أيامُ دَهْرِكَ لم تزل للناسِ أعياداً جميعاً
حتى لأَوْشَكَ بَيْنَهَا عيدُ الحقيقةِ أن يَضِيعاً

وحين يعود أمير أو وزير من سفر أو حج أو غزو تزهو الدنيا ويبتهج
الكون خلال الكلمات التي يقولها الشاعر .

هذا الشريف الرضي ، على منزلته ، يقدم أحد الحكام فما يستطيع إلا
أن يأتي مهنتاً بهذا القدوم فيقول (٢) :

قَدِمَ السرور بَقَدَمَةٍ لك بَشَرَتْ غُرَرَ العلاءِ وَعَوَالِي التَّيجَانِ
قد كان هذا الدهرُ يَلْحَظُ جانبي عن طَرَفٍ لَيْثٍ سَاغِبِ ظَمَانِ
فَالآنَ حين قَدِمْتَ عُدُنَ صَرْوفُهُ بِسَرْمُقُنِّي بِلَوْحِظِ الْغِزْلَانِ

وبدلل هذا الكلام على أهمية رعاية الحاكم للشاعر في تكوين منزلته
الاجتماعية وموقعه بين الناس بمختلف فئاتهم .

وجود الشاعر اذا يحققه وجود ممدوحه ، وهذا ما يدفعنا الى التساؤل عن
أهمية المديح للممدوح وللشاعر معا ، كما يدفعنا للتساؤل ايضا عن المسببات
الرئيسية في هذا المديح وعن أهمية المادة في تدفق عباراته والفاظه ، وللممدوح
وعطاياه ومنزلته اثر كبير في شهرة الشاعر وانتشار شعره مهما كانت قدراته
الفنية وعطاياه الابداعية .. يقول صريع الدلاء موضحاً ذلك في احدى اماديجه
لفخر الملك (٣) :

كم أديب تراه اعرفَ مني بعلوم الاشعار والآداب
لو تعاطى بنعله قحفَ رأسي كان قحفي يقوم بالإعراب

(١) نفسه ٢ / ٢٧٩ ، نهاية الأرب ٥ / ١٧٦ .

(٢) الديوان ٢ / ٥٠٨ ، نهاية الأرب ٥ / ١٣٦ .

(٣) الديوان ورقة ١٧٩ أ .

يتحاشون كالكلاب من الاف لاس بين الورى بلا أذئاب

وبجود المليك صرت أنا القصا رُ لا بالآداب والانساب

قد يكون المال أهم هذه الأسباب لكنه ليس كلها ، فملازمة الشاعر للأئمة للحاكم تولد نوعا من الالفة قد تتحول الى صداقة وحب عميقين يبقيان مع الشاعر حتى بعد أن ينكب الحاكم بالعزل أو القتل ، وهذا ما حدث لابن الأنباري مع ابن بقية الوزير حين قتل الأخير بيد عضد الدولة فرثاه ابن الأنباري وبكاه بتصيدة رائعة الوفاء تمنى عضد الدولة لو أنه كان محل المقتول لينال شرف كلماتها التي تقول (١) :

علو في الحياة وفي الممات	لحق أنت إحدى المعجزات
كان الناس حولك حين قاموا	وفود نذاك أيام الصلات
كانك قائم فيهم خطيباً	وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفالا	كمدّهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن	يضمّ علاك من بعد الممات
أصاروا الجوّ قبرك واستنابوا	عن الأكفان ثوب السافيات
لعظمك في النفوس تبيّت تُرعى	بحرّاس وحفّاظ ثقات

وهكذا تستمر القصيدة في سفح مشاعر الحزن الصادقة والتي تدل على

(١) اليتيمة ٣٧٤ / ٢ ، الوافي ١٠١ / ١ وترجمته الوزير محمد بن محمد بقية المقتول سنة ٤٦٧ في الوافي بالوفيات ١٠٠ / ١ ، نكت الهميان ٢٧١ . ولابن الحاج أكثر من قصيدة مديح في ابن بقية نجد فيها الكثير من الفاظ التعظيم والتأليه ، وهي على ما فيها من دجل تسجل منزلة ابن بقية الكبير ينظر مثلاً ديوان ابن الحاج من رقم ٤٤٢ م ورقة ٢ وورقة ١٢ وورقة ١٦ .
(٢) اما ترجمة أبي بكر الأنباري محمد بن عمر فنجدها في اليتيمة ٣٧٤ / ٢ وتراجع اخباره في نكت الهميان ٢٧٢ ، شذرات الذهب ٦٣ / ٣ . وقد خلط محي الدين عبد الحميد بينه وبين ابن الأنباري المتوفى سنة ٣٢٧ .

عمق وفاء فاق ما روى عن وفاء البحري للمتوكل بعد قتله (١) وسبق به وفاء الشريف الرضي للخليفة الطائع بعد عزله ووفاته (٢). ولنا في رثاء ابن سكرة الوزير المهلب (٣) بعد وفاته ومصادرة أمواله ، ورثاء مهيار (٤) الديلمى للصاحب ابى القاسم بن عبد الرحيم بعد مقتله محبوساً في هيت أمثلة أخرى تدلل على صدق ما ذهبنا اليه .

ومع كل هذا تظل العلاقة المادية طاغية على كل عمل شعري يصل بين الشاعر والحاكم . حتى الرثاء لا يعدو ان يكون وصفاً لمحاسن الميت من حيث هو كريم ، باذل للمال ، حافظ الشاعر من العوز والجوع .

وابن سكرة يوضح في صدق هذه الحقيقة حين يقول في الوزير المهلب (٥) :

أَيَّامَ كُنْتُ مِنَ الْمَهَالِبِ فِي	رَبْعٍ أَغْنَىٰ وَمَرْتَعٍ خَصَبِ
فَبِمَنْ أَعُوذُ الْيَوْمَ مِنْ كَمَدِ	لَا أَسْتَقِلُّ بِهِ مِنَ الْكَسْرِ
طَلَقْتُ لَدَاتِي الثَّلَاثَ فَمَا	بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ سَبَبِ
فَعَلَى السَّرُورِ وَكُلِّ فَائِدَةٍ	بَعْدَ الْوَزِيرِ سَلَامٌ مُحْتَسِبِ

أو حين يقول :

مَضَى مَلِكٌ عَمَّ الْبَرِيَّةَ جُودُهُ رُؤُوفٌ ، وَإِنْ رَاعَ الْأَسْوَدَ شَفِيقُ
سَكِرْتُ بِنُعْمَاهُ وَجُودِ وَزِيرِهِ فَقَالَتْ لِي الْإِيَّامُ : سَوْفَ تُفْهِقُ

واذ نشم من هذا الرثاء بعض الوفاء يجعلنا نتغاضى عن الروح المادية التي تملؤه ، لا يمكننا بأية حال من الاحوال أن نستشعر شيئاً من الاحترام للعلاقة الذليلة التي يصورها لنا ابن الحجاج حين يمدح ابا الفرج محمد بن العباس بن

(١) ينظر ديوان البحري وقصيدته التي قالها في المتوكل بعد قتله والتي جاء فيها :

تَفِيرُ حَسَنُ الْجَعْفَرِيِّ وَأَنَّهُ وَقَوْضُ بَادِي الْجَعْفَرِيِّ وَحَاضِرُهُ
٥٤ / ط دار صادر ، دار بيروت .

(٢) الديوان ٢ / ١٩٤ ، ١٩٧ مثلاً .

(٣) اليتيمة ٣ / ٢٤ .

(٤) الديوان ١ / ٤١٨ وترجمة الصاحب ابن عبد الرحيم في الوافي بالوفيات ٣ / ٨ .

(٥) اليتيمة ٣ / ٢٥ .

فسانجس الوزير بقوله (١) :

يسا وزيرا بنوره طلعت أنجمُ العِـدي
صحن خدّي لأرض نعلِك يا سيدي الفِـدا
بك قامت سوقُ النوالِ وقد أَصْبَحَتْ سُدَى
وسمِعنا فيها النداء على الجودِ والنساي

وكذلك لا يمكننا الا أن نغض الطرف حياء من هذا التصاغر الذي نجد
صريع الدلاء مغموراً فيه ، فحين يحفوه فخر الملك لا يجد غير كلمات تقطر
وضاعة وانهاراً فيقول (٢) :

شمت الحاسدون بي بعد عزّي وبكى لي من رحمة احبابي
أنا كالكلب ليتني كنت كلباً انا مثل السنور بين الكلاب
كان جاهي ما بينكم في الثريا فأنا اليوم في الثرى والتراب

* * *

من أنا الكلب؟ من كذقي وشعري وصريع الدلاء في الالقاء

* * *

لي سبق لا في الحروب ولكن في حضور الطعام قبل الذباب
كما أننا نعجب للشريف الرضي المفاخر بعلويته ونسبه وهو يتنازل عن مقامه
فيقول لآل بويه (٣) :

نرى منعكم جودا ومطلقكم جُداً وإذلاً لكم عزّاً وإمراركم شَهدا
خُذُوا بزمامي قد رجعتُ اليكم رجوعَ نزيلٍ لا يرى منكم بُداً

(١) تكملة الطبري ١ / ٢٠١ « وابو الفرج بن فسانجس تقلد مع ابي الفضل الشيرازي
الامور بعد وفاة الوزير المهلبلي ولكن من غير تسمية لاحدهما بوزارة » ، ينظر الكامل ٨ /

(٢) الديوان مخ ورقة ٧٧ ب ، ٧٨ أ .

(٣) الديوان ١ / ٤٠١ .

أريد ذهاباً عنكم فيردني اليكم تجارب الرجال ولا حمداً
وتظهر هنا علامات للصراع النفسي عند الشريف الرضي وخاصة في
البيت الأخير كما يظهر تكلفه المديح في جفاف كلماته وارتباكها في أداء المعنى
الذي يريده .

ويبدو الشاعر صغيراً محمياً مستظلاً بقيء الحاكم حين يضحك كلماته
ويبالغ بالمديح فيتضائل وجوده بينما يبني على حساب كرامته مجداً كاذباً
- في أغلب الأحيان - للمدح ، يقول السلامي مادحاً سابور بسن
أردشير (١) :

اليوم طبقَ أفقَ الدولة النورُ وأوضحتْ فلقَ المُلْكِ التباشيرُ
فكلَّ عينٍ إليك اليومَ طامحةٌ وكلَّ قلبٍ بما خُوِّلَت مسرورُ
أقبلتْ في خِلَعِ السلطان زينتُها ذيلُ على أنجمِ الجوزاء مجرورُ
ورحت فوق جوادٍ كالعُقَاب جرى والحدودُ في سرجه والمجدُ والحيرُ

وقد يكون سابور كريماً ، وقد يكون كرمه مفرطاً ، عميماً ، أو محدوداً
خاصاً بفلان من الشعراء وعلان من الأدباء ، وقد يكون حاكماً يعطي ليمدح (٢) ،
أو يمدح فيعطي ، أو لا يكون شيئاً من هذا ، ولكن السلامي ثبت لسابور
كرماً ، وخلد له ذكراً .

وان كان السلامي اقتصر في مديحه على الكرم وحب الناس للممدوح
فابن نُبَاته السعدي جعل لعضد الدولة متاماً فوق البشر بل فوق الانبياء والملائكة

(١) اليتيمة ١٢٩ / ٣ وترجمة سابور اردشير ٤١٦ في الوفيات ٩٩ / ٢ .

(٢) من الحكام الذي اعطوا ليمدحوا فخر الملك ابو غالب محمد بن علي من أهل واسط وزرهباء
الدولة وقتلة سلطان الدولة سنة ٤٠٧ ، ينظر المنتظم وفيات هذه السنة .. وقد اختص صريع
الهرلاء بفخر الملك هذا وكاد يقصر ديوانه على مديحه وتعظيمه ، ويبدو أنه كان مثل آل بويه ميالاً
الى شعر السخف والتحايق ولصريح اشارات عديدة لذلك ينظر الديوان الأوراق ٧٩ أ ، ٨١ ب ،
٨٢ أ ، ٨٥ أ ، ٨٧ ب ، ٩٠ ب ، ٩١ أ ، ٩٢ أ وغيرها .

حين قال (١) :

يا عَضُدَ الدولة لا واحدٌ بعدك غيرُ الصَّمَدِ الواحدِ
تركت أخبارَ قرون خلّوا حوادثاً بادت مع البائدِ
في كل يومٍ غارةٌ تنطوي على لذيدِ المغنمِ الباردِ
وقد عرض في قصيدته هذه ببختيار ووصفه بقلة العقل وفساد الرأي

حين قال (٢) :

لم يدر من في (أملٍ) أنه بين خطاه شركُ الصائدِ
يفرح بالصحة في جسمه وسقّمهُ في رأيه الفاسدِ
ولا ينسى ابنُ نُبّاةٍ في مديح آخر أن يؤله عضد الدولة ويصفه بالجبروت
والعظمة حين يقول (٣) :

يا عَضُدَ الدولة الذي قمعتُ دولته الدهرَ وهو جَبّارُ
وليس ابنُ نُبّاةٍ وحده الذي يؤلّه ممدوحه ، فالحاتميّ البغداديّ يحذو
حذوه ، حينما يمدح سابور بنَ أردشِير ، ويُعدّد مدح ابنِ نُبّاةٍ لعضد
الدولة متواضعا امام هذا الزخّم من كلمات التعظيم التي يصغر ازاءها كل
شيء ، فلا يجوز ان يقال في عصر يؤمن أهله بدين الوحداية السماوي .
يقول الحاتمي (٤) :

(١) مختارات البارودي ٢ / ١٧٨ . من الاشعار التي تعظم عضد الدولة وتؤفه قول ابن الحاج :

« وانتظرنّي لي دين عند قارون الزمان
عند مولاي ولي النعم القرم الهجان
عند حي غير ميت عند باق غير فان
عند من يطلع مثل الشمس في كل مكان »

القطعة ٤٤٢ ، ٢ ورقة ٦٤

(٢) نفسه .

(٣) اليتمية ٢ / ٣٩١ .

(٤) نفسه ٣ / ١٣٢ .

أَوْفَى عَلَى كُلِّ الْبَشَرِ سَابِوْرُ مَجْدًا وَأَثَرُ
وَلَمَّا الْعَضْبُ الذِّكْر أَعَارَهُ مَا لَمْ يُعَرَّ
رَأَى كَمَحْتَمِ الْقَدَرِ فَانْصَاعَ كَالنَّجْمِ انْكَدَرِ
يُحْمَدُ إِنْ ذُمَّ الْمَطَرُ تَهْفُو الرُّوَاسِي إِنْ زَفَرَ
فِي كَفِّهِ نَفْعٌ وَضَرُ وَلَحْظُهُ خَيْرٌ وَشَبَرُ
وَالدَّهْرُ طَوَّعَ مَا أَمَرَ يَجْرِي بِمَا سَاءَ وَسَرُ

* * *

عُمِّرَتْ مَا شَاءَ الْوَطَرُ فَأَنْتَ لِلْمَلِكِ وَزَرُ
دُونَكَ عِذْرَاءُ الْفَقْرِ تُتْلَى كَمَا تُتْلَى السُّورُ
وَلَا يَدْرِي الْإِنْسَانُ مَاذَا يَقُولُ بَعْدَ هَذَا السَّيْلِ مِنْ كَلِمَاتِ الدَّجْلِ وَالتَّمَلُّقِ ،
الَّتِي تَأْتِي النَّفْسَ تَصْدِيقَهَا لِأَنَّهَا الْمُنْطَقُ الْمُتَحَيِّزُ بَعِينَهُ .

وَإِذَا كَانَ الْمَدِيحُ يَوْضَعُ جِزْءًا كَبِيرًا مِنْ عِلَاقَاتِ الشَّاعِرِ بِالْحَاكِمِ ، وَإِذَا
كَانَتْ هَذِهِ الْعِلَاقَةُ ذَاتَ مَشَاعِرٍ سَالِبَةٍ تَنْبِعُ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ هُوَ الْجَانِبُ الضَّعِيفُ
فَإِنَّ هُنَاكَ عِلَاقَةً مُوجِبَةً تَفْصَحُ عَنْ مَشَاعِرٍ وَدَّ مُتَبَادِلٍ بَيْنَ شَاعِرٍ وَحَاكِمٍ كَمَا
يَبْدُو ذَلِكَ فِي عِلَاقَةِ الْخُبَزَارِزِيِّ الشَّاعِرِ مَعَ ابْنِ يَزْدَادَ الَّذِي كَانَ يَتَقَلَّدُ الْبَصْرَةَ
وَكَانَتْ الْهَدَايَا مُتَبَادِلَةً بَيْنَهُمَا بِاسْتِمْرَارٍ ، لَكِنَّ الشَّعْرَ الَّذِي قَالَهُ الْخُبَزَارِزِيُّ
مُرَافِقًا لِهَذِهِ الْهَدَايَا ظَلَّ يَرَسُمُ صُورَةَ لَصَدَاقَةٍ غَيْرِ مُتَكَافِئَةٍ ... قَالَ الْخُبَزَارِزِيُّ
فِي مَنَاسِبَاتِ أَهْدَاءٍ :

أَهْدَيْتُ مَا لَوْ أَنَّ أَضْعَافَهُ مُطَّرَحٌ عِنْدَكَ مَا بَانَ (١)
هَذَا امْتِحَانٌ لَكَ إِنْ تَرَضَّه بَانَ لَنَا أَنْكَ تَرْضَانَا (٢)

* * *

فَأَعْطَيْتَهَا تَحْكِي أَيْادِيكَ فِي الْوَرَى بِيَاضًا وَإِنْ كَانَتْ أَيَْادِيكَ أَنْصَعَا (٣)

(١) التحف والهدايا للخالدين ٢٣ .

(٢) نفسه ٦٧ .

(٣) التحف والهدايا ١٩ - ٢٢ .

وقد نرسم صورة واضحة لعلاقة الشاعر بالحاكم اذا استعدنا المحاوراة التي جرت بين الجرجاني وبين الخاتمي نقلها لنا ابو حيان في كتابه «أخلاق الوزراء» (١) فقال :

«ولقد رأيت الجرجاني ، وكان في عداد الوزراء وجلة الرؤساء - وانما قتله ابن بنية لأنه نعم بالوزارة - يقول للخاتمي ابي علي (٢) وهو من ادهياء الناس :

— انما تحرم لانك تشتم .

فقال الخاتمي : وانما اشم لأنني أحرم .

فاعاد الجرجاني قوله

فاعاد الخاتمي جوابه

فقال : ثم لماذا ؟

فقال الخاتمي : دع الدست قائمة ، وان شئت عملناها على الواضحة (٣) .

قال : قل .

قال الخاتمي : يقطع هذا ألا يسمعو مدائحهم ، ولا يكثرثوا بمراتبهم ، وان يعترفوا لنا بمزية الادب وفضل العلم وشرف الحكمة ، كما خلدنا (٤) لهم بعظمة الولاية ، وفضل العمل وبسط اليد ، وعرض الجاه ، والاستبداد بالتنعم والطاق والرواق ، والامر والنهي ، والحجاب والبواب وان يكتبوا على ابواب دورهم وقصورهم :

يا بني الرجاء ، ابعدوا عنا ، ويا أصحاب الامل اقطعوا اطماعكم عن خيرنا وميرنا وأحدرنا وأصفرنا ، ووفروا علينا أموالنا فلسنا نرتاح لشركم

(١) محمد بن احمد البغدادي الكاتب ت ٣٦٣ ترجمته واخباره مع الوزير ابن بنية في

تجارب الامم ٢ / ٣١٠ - ٣٢٣ ، والامتناع والمؤانسة ٣ / ٣١٧ ، المقابسات ٨١ .

(٢) ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر البغدادي ت ٣٨٨ ترجمته واخباره في الامتناع ٣ /

١٢٦ ، المنتظم ٧ / ١٠٥ ، بغية الوعاة ٣٥ ، الاعلام ٦ / ٣١٢ .

(٣) يعني دع الأمر كما هو والا دعنا نتكلم بصراحة ..

(٤) خضعنا وأقرنا .

في رسالة تجربونها ، ولا لنظامكم في قصيدة تتخيرونها ، ولا نعتد بملازمتكم لمجالسنا ، وترددكم على أبوابنا ، وصبركم على ذل حجابنا ولا نهش لمذحكم وقريضكم ، ولا لثنائكم وتقريظكم ، ومن فعل ما زجرناه ثم ندّم فلا يلومن إلا نفسه ، ولا يقلعن إلا ضرسه ، ولا يخمشن إلا وجهه ، ولا يشقن إلا ثوبه ، وإن من طمع في موائدنا يجب أن يصبر على أوابدنا ومن رغب في فوائدنا نشب في مكايدها ، فأما إذا استخدمونا في مجالسهم بوصف محاسنهم ، وستر مساوئهم ، والاحتجاج عنهم ، والكذب لهم ، وإن نكون السنة نفاحة عنهم فليشبووا على العمل ، فإن في توفية العداة أجورهم قوام الدنيا ، وحياة الاحياء والموتى ، فإن قصرنا بعد ذلك في اعادة الشكر وابدائه وتنميق الثناء وافشائه ، فإنهم من منعنا في حل ، ومن الاساءة اليها في سعة » .

واذ ينتهي الخاتمي يوافقه الجرجاني ويصادق على كلامه أبو حيان ونستنتج نحن أن علاقة الاديب والشاعر مع الحكام علاقة مادية فعلى مقدار العطاء يأتي المديح أو الرثاء أو الذل .

وقد نجد أنفسنا أمام سؤال مهم هو أين يذهب الشعراء والادباء بما يقبضونه ، وما يقبضونه كما قد تواترت الاخبار في المصادر غير قليل ؟ ان الشعراء والادباء شأنهم شأن بقية المنتفعين والمتطلعين الى حياة مترفة ، يحاولون أن يجدوا لأنفسهم متنفسا يفرغون فيه أزماتهم ومشكلاتهم الخاصة أو يتتلون فراغا خائفاً أو يقلدون سيدا بطرا ، لذلك فهم يبذلون الاموال التي يحصلون عليها بالهز والمجون وشراء الجوارى والغلمان ، أو بتوزيعها أحيانا على الخدم ليحصلوا على قليل من التقدير يكون في المستقبل وساطة جيدة للوصول السريع والولوج الى دار سيد هؤلاء الخدم .

واذا كانت العلاقة المادية بين الحاكم والشاعر هي السائدة فإن ذلك لا يمنع وجود علاقات أخرى تنفي عن مطلق الشعراء البيغوية والتبعية فكما نرى بعض الشعراء يمدح ويفخم ويتدسح على الاعتاب نرى بعضا آخر يوجه النصيح

ويحسن لنفسه ببعض الكرامة والاهمية ، وهذا ابن نباتة الذي رأيناه مع عضد الدولة دون وجود يعود ثانية متراجعا يحسن ببعض قيمته فيوجه النصيح الى شرف الدولة ابي الفوارس ويقول (١) :

أَسِرُّ لِيكَ مَقَالَ النَصِيحِ وَلَسْتُ إِلَى النُّصْحِ بِالْمُفْتَقِرِ
عَلَيْكَ إِذَا ضَاغَتَكَ الرِّجَالُ بِضَرْبِ الرُّؤُوسِ وَطَعْنِ الثُّغَرِ
وَلَا تَحْقُرَنَّ عَدُوًّا رَمَاكَ وَإِنْ كَانَ فِي سَاعِدِيهِ قِصَرُ
وَيَنْفَعُ فِي الرُّوعِ كَيْدُ الْجَبَانِ كَمَا لَا يَضُرُّ الشُّجَاعَ الْحَذَرُ
شُبِّ الرِّغْبِ بِالرَّهْبِ وَامْزَجْ لَهُمْ كَمَا يَفْعَلُ الدَّهْرُ حُلُوْهُ بَمَرُ (٢)

ومع ما في هذا الشعر من استعداد فهو قد يدل على تملل الشاعر وخروجه من دائرة التذلل والمسايرة الى عالم يشعر الانسان بنفسه واستقلاله .
ويزداد هذا التملل ، ويصبح النصيح تحريض حاكم قوي على آخر فيه رعونة وقلة تدبير يحسن بهما ابو الحسن محمد بن غسان فيقول لعضد الدولة محرضاً لياه على ابن عمه عز الدولة بختيار (٣) :

يَسُوسُ الْمَمَالِكَ رَأْيُ الْمَلِكِ وَيَحْفَظُهَا السَّيِّدُ الْمُحْتَنِكُ
فِيَا عَضْدَ الدَّوْلَةِ انْهَضْ لَهَا فَتَقْدَمُ ضَيْعَتُ بَيْنَ شَشٍ وَبَيْكِ (٤)
واذا كان هذا التحريض والتعريض فيه تفخيم وتعظيم الى شخصية أخرى فان النصيح يغدو ايجابيا جدا ، فيبين غضبا ممزوجا بأحرف الشاعر الموجهة الى الحاكم وهذا ما نلاحظه عند ابن زريق الكوفي حين قال (٥) :

(١) اليتيمة ٢ / ٣٩٥ وترجمة شرف الدولة بن عضد الدولة في المنتظم ٧ / ١٤٨ وتنظر اخباره في الكامل ٩ / ٢٣ وما بعدها .

(٢) في الكتاب شب الرعب بالرهب ، ولا يستقيم المعنى مع ما ذكر . والامر لا يعدو تصحيحاً لم ينتبه اليه المحقق .

(٣) تنمة اليتيمة ١ / ٩١ ، تاريخ الحكماء ٤٠٢ ، شعراء النصرانية ٩ ، ق ٣ / ٢٥٣ .

(٤) اشارة الى ولع بختيار بالنرد وتركه أمور الدولة .

(٥) نشوار المحاضرة ١ / ٢١٦ ، اليتيمة ٢ / ٣٧٨ .

إنا لقينا حجاباً منك أرمضنا فلا يَكُنْ ذُلُّنا فيه لك الغرضاً
فاسمعْ مقالي ولا تعجل عليّ فما أبغي بنُصْحِكَ لا مالا ولا عِرضاً
في هذه الدار ، في هذا المكان ، على هذي الوسادة كان العزُّ فانقرضاً

هذا الحجاب الذي أغضب ابن زريق فجعل كلماته تتدفق سلسلة جميلة
ممزوجة بطعم الغضب الهاديء الناصح الواعي ، جعل شاعراً آخر هو ثابت
ابن هارون يمجج غضباً ويقول بعزة نفس ملحوظة (١) :

سأهجرُ كلَّ بابٍ رُدَّ دوني إذا ما ازورَّ أو خُشيَ الحجابُ
ويتحول المهجر والغضب الى كلمات ممزوجة بالحقْد على الظلم والقسوة
الموجهة ضد الشاعر وحده ، أو ضده وضد مجتمعه ، وتقفز استقلاليته مرحلة
أخرى فيقف شاعر مثل بشر بن هارون يشتم القاضي أبا رقاعة ويعـدد
مقابحه (٢) ، ثم يتناول الى مقام الوزير سابور بن اردشير الذي رأينا كيف
ألّه له حاجياً (٣) :

سابورُ وينحك ما أخسّك ما أخصّك بالعيوبِ
واكدَّ وجهك بالشّناء للعيون وللقلوبِ
وجهٌ قبيحٌ في التّسم كيف يحسُنُ في القُطوبِ

ان هذا الشعر يدل على ان روحاً متمرّدة بدأت تغزو وجود الشاعر وتخلق
منه انساناً آخر . ولا يفوتنا هنا ان نذكر شاعراً ذا شخصية متميزة بطابعها
المستقل ، الناقد ، الذكي ، العنيف احياناً كثيرة . هذا الشاعر وان لم يكن
عراقياً أصلاً فانه يؤلف أنموذجاً للشاعر الذي وقف بصمود واع امام مآسي
عصره وعاف لذات الدنيا كي تبقى رؤيته للاحداث نزيهة ناصعة ولهذا جاء
شعره معبراً عما يحسه من مظالم وتهرىء اجتماعي :

(١) شعراء النصرانية ٩ ق ٣ / ٢٦٠ .

(٢) نفسه ٣٩١ .

(٣) نفسه ٢٦٣ .

ما أجهلَ الأممِ الذين عرفتهم ولعلَّ سالفهم أضلُّ وأتبرُّ
يدعون في جُمُعائهم بسفاهةٍ لأُميرهم فيكادُ يبكي المنبرُ (١)
ولعلنا أدركنا أن هذا الشاعر هو أبو العلاء المعري الذي عاش زمنه بتفاعل
حي ولذا نراه يقول :

يا سلوكَ البلادِ فُزتم بنسيِ العُسرِ والجورِ شأنكم في النساءِ
يَرتجي الناسُ أن يقومَ إمامٌ ناطقٌ في الكتيبةِ الخرساءِ
كَذَبَ الظَّنُّ لا إمامَ سوى العقلِ مُشيراً في صبحهِ والمساءِ
إنما هذه المذاهبُ أسبابُ لُحْظِ الدنيا إلى الرؤساءِ
غرضُ القومِ متعةٌ لا يرقون لدمعِ الشَّماءِ والخنساءِ
كالذي قامَ يجمعُ الزنجَ بالبصرةِ والقرمطيُّ في الاحساءِ (٢)

لقد كان أبو العلاء - ابن لنكك البصري أيضا - مثلاً لا نكاد نجد له
نظيراً ، وإن وجدنا شعراء وقفوا مواقف متحمسة بوجه هذه المسألة
الاجتماعية ، أو ذاك الحاكم الجائر فدرّد ذلك - في الأغلب - إلى كون
الشاعر عنصراً مثقفاً (متعلماً في الأقل) يجابه الحقائق بمقدار ما تمليه عليه
مصالحه ويفرضه عليه واقعه الاجتماعي .

فبطولة بعض الشعراء ، التي يصورها لنا شعرهم ، بطولة ساذجة « اعتبارية
لم تأت عن وعي وتصميم ، وهي تقاس بمقدار ارتباطها بالمصالح الفردية
للشاعر وبمقدار ضعف الحاكم واحترامه للأدب ، وتبجيل الحاكم للأدب
والشعر لم يكن نزيهاً في ذلك العصر ، فهو ان لم يستغلهم لصالحه فإنه في الأقل
يفخر بهم غيره من الحكام الراغبين بوجودهم ضمن حضانتهم .

وإذا كنا في استعراض علاقة الشاعر بالحاكم فلا بد أن نذكر هنا علاقة
فريدة حصلت بين الاثنين يمثلها الشاعر ابن الحجاج بصورة جلية ، فيها ترال

(١) زجر النابح ٢٧٤ ، الزوميات ١ / ٣١٤ ، وينظر في مواقفه الناقدة أشعاره في مواضيع
أخرى كثيرة .

(٢) الزجر ١٦ ، ١٧ ، الزوميات ١ / ٥٥ .

الاستار بين الحاكم والشاعر ويكلم الشاعر صاحبه وكأنه يكلم شخصاً
اعتيادياً متخذاً اسلوب الصفعنة والوضاعة طريقاً لاضحاك الحاكم وقد
ارجأت الكلام على هذه العلاقة في فصل قادم على ان اورد هنا مثالا واحداً قاله
ابن الحجاج وقد اتخذ دعوة أيام بختيار ودعا اليها اقواما شتى من رجال
الدولة (١) :

قل للأمر المرتجى	من جاءني فقد نجى
من أبي فذقنه	في عصصي قد لججا
يسبح في بحر خرا	إذا جرى تموجا
من لم يجيء فذقنه	في است الذي استدعي فجا

ومع وجود هذه العلاقات المختلفة فان العلاقة التي تبقى بارزة وطاغية هي
علاقة ضعيف بقوي ، ويبقى الشعراء البطانة التي تردد رغبات الحكام وتملأ
نفوسهم فخراً وأبهة بكلمات ضخمة مكرورة ، تملأ حيزاً من حياتهم المشبعة
بأوقات الفراغ أو تنفذ شيئاً من طماحهم وساطتهم ، ولا أجد في الختام خيراً
من أبيات لابن الحجاج ارسلها الى ابي الفتح ابن العميد بعد أن ترك النبيذ حزناً
على بختيار وكان ابن بقية قد شربها تمثل بوضوح علاقة الشاعر بالحاكم أو
الحاكم بالشاعر .. يقول ابن الحجاج (٢) :

حققي على الاستاذ قد وجبا فإليه قد أصبحت منتسباً
مولاي ترك الشرب ينكره من كان في بغداد محتسباً (٣)

(١) البيمة ٤٤ / ٣ .

(٢) البيمة ٧٢ / ٣ وأظن أن هذه القصيدة كانت في نكبة بختيار الأولى على يد عضد
الدولة ، لأن ابن بقية في نكبة بختيار الثانية قتل قبل بختيار ، تنظر كتب التاريخ حوادث
٣٦٤ ، ٣٦٧ .

(٣) يقصد نفسه لأنه كان محتسب بغداد. والمحتسب موظف مركزه يوازي مركز أمين العاصمة
الآن . ينظر كتاب معالم القرية في احكام الحسبة تأليف ابن الأخوة تاج روبن بيوي ١٣٧ . وينظر
في مكانة المحتسب حضارة الاسلام ص ٢٧٧ .

ان كان من غمّ الأمير فلم
 إنّ الملوك إذا هم اقتتلوا
 وزيره (١) بالأمس قد شربا
 أصبحت فيهم كلب من غلبا
 فلذلك أشكر غير مكترث
 وألف مع خيشومي الذنبا
 أنها كلمات واضحة صريحة تبين كيف كان ينتقل الشاعر من حاكم الى آخر مثل أي فرد مرتزق أو مكدر جوال .
 ٢ - الشاعر والناس :

قلنا : ان الغالب على علاقة الشاعر بالآخرين هي الدوافع المصلحية ، ولما كان أكثر الشعراء يعتمد في رزقه ومعاشه على الحاكم لذلك كانت نظرهم الى الناس من الزاوية التي ينظر بها ربيب النعمة ، فهناك مثلاً شعور بالتعالي على الناس عند الحاكم ينتقل مصلحياً الى الشاعر (جريدة الحاكم الرسمية) فيبرز واضحاً جلياً في شعره ، فالشريف الرضي يرى - متواضعاً - أن بهاء الدولة يساوي في قيمته الناس مجتمعين لذلك يقول (٢) :

مِنْ بَنِي سَاسَانَ أَفْنَى ضُرِبَتْ حُجْرُ الْمَلِكِ عَلَيْهِ وَالسَّيْدُ
 مَا رَأَيْنَا كَأَبِيهِ نَاجِلًا وَلَدَ النَّاسِ جَمِيعًا بُولَدُ (٣)
 والشاعر نفسه يرى آل بويه وهم من ابعثوا أباه ونكّلوا به - كل الناس ولا ناس في عينه غيرهم (٤) :

آل بويه ما نرى الناس غيركم ولا نشككي للخلق أولاكم فقدا
 ان الشاعر هنا يعبر - دون أن يشعر - عن ازدراء الحاكم للناس ، وتعاليه عليهم .

(١) يقصد وزيره .

(٢) الديوان ١ / ٢٧٥ .

(٣) وشبهه بهذا التعظيم قول ابن نباتة يمدح صمصام الدولة سنة ٣٧٢ هـ :

فما ولدت كوالدك الليالي ولا الأيام سهواً واعتماداً

مختادات البارودي ٢ / ١٨١ .

(٤) نفسه ١ / ٤٠١ .

واذ يقف شاعر معين ليذم الناس دون أن يحدد فئة معينة انما يخرج منهم الحاكم ، خاصة اذا عرفنا أن علاقة متينة تربط بين هذا الشاعر والحاكم فاذا يقول الشريف الرضي (١) :

أبى الناسُ إلا ذمَّ النفاق إذا جربوا ، أو قبيحَ الكذب
كلابٌ تبصصُ خوفَ الهوان وتنبحُ بينَ يدي من غلبُ
أو يقول (٢) :

فما طيلبك إنساناً تُصاحبُه كلُّ الأنام كما لا تشتهي هَمَلُ
انما يخرج الحاكم من قصده ، فالحاكم في نظر الشاعر المرتبط بالدولة - مثل الشريف الرضي - يعدّ في مرتبة أعلى من مرتبة الانام الذين يقول فيهم القاضي أبو نصر عبد الله المالكي (٣) :

كلُّ الأنام كلابٌ هَرَّوا بكلِّ طارق
فإن ظفرت بحر فاحفظه فهو سَلوقي

وقد يكون هذا الشعر في لحظات حقد ، أو لحظات تدلل ، وقد يكون نقدا اجتماعيا مرا ، لكننا نسمعه ثانية من المعريّ النزيه ، فنكاد نصدق ، ونكاد نؤمن بانتفاء العاقل الاريب في مجتمع هذا القرن :

يا ليت آدمَ كانَ طليقَ أمّهم أو كان حرمها عليه ظهارُ
ولدتهم في غير طهرٍ عاركا فلذلك تفقد فيهم الأظهار
ولديّ سرّ ليسَ يمكنَ ذكره يخفي على البصراء وهو نهار
أما الهدى فوجدته ما بيننا سرّاً ولكن الضلالَ جهار (٤)
واذا كان أبو العلاء متأخرا أو كان شاميا ، فقبله بعشرات السنين عاش عالم لغة وأدب ، شاعر خبر البشر قرنا من الزمان ذلك هو ابن دريد الذي

(١) نفسه ١ / ١٣٠ .

(٢) الديوان ٢ / ١٨٢ .

(٣) الدمية ١ / ٢٩٥ .

(٤) الزجر ٩١ ، اللزوميات ١ / ٤٦٥ .

كانت حصيلة خبرته قصيدة أوضح فيها مجتمعه، وما فيه سوءات وتناقضات.
 وإذا عرفنا ابن دريد (توفي سنة ٣٢١ هـ) أدركنا أن لقرنا نصيباً من
 نقده الذي يقول فيه (١) :

أرى الناس قد أغروا ببغي وريبة
 وقد لزموا معنى الخلاف فكلهم
 إذا ما رأوا خيراً رمَوْه بظينة
 وليس امرؤ منهم بناج من الأذى
 فلم عابنوا حبراً أديباً مهذباً
 وإن كان ذا ذهنٍ رمَوْه ببديعة
 وإن كان ذا دينٍ يسمّوه نعة
 وإن كان ذا صمتٍ يقولون: صورة
 وإن كان ذا شرٍ فويل لأمه
 وإن كان ذا أصلٍ يقولون إنما
 وإن كان مجهولاً فذلك عندهم
 وإن كان ذا مالٍ يقولون : ماله
 وإن كان ذا فقرٍ فقد ذل بينهم
 وإن صاحب الغلمان قالوا : لريبة
 وإن هوى النسوان سمّوه فاجراً

وغى إذا ما ميّز الناس عاقل
 إلى نحو ما عاب الخليفة مائل
 وإن عابنوا شراً فكل مناضل
 ولا فيهم عن زلة متغافل
 حسيباً يقولوا : إنه لخاتل
 وسمّوه زنديقاً وفيه يجادل
 وليس له عقل ولا فيه طائل
 ممثلة بالعيى بل هو جاهل
 لما عنه يحكى من تضم المحافل
 يفاخر بالموتى وما هو زائل
 كبيض رمال ليس يعرف عامل
 من السحت قد رابى وبش المآكل
 حقيراً مهلاً تزدره الأراذل
 وإن أجملوا في اللفظ قالوا : مبادل
 وإن عفّ قالوا : ذاك خنى وباطل

* * *

وإن كان بالشطرنج والرد لاعباً ولاعب ذا الاداب قالوا : مداخل

• • •

وإن يعتل يوماً يقولوا : عقوبة
 وإن مات قالوا : لم يمت حتف أنفه

لشر الذي يأتي وما هو فاعل
 لما هو في شر المآكل آكل

(١) ديوان ابن دريد ٩٩ .

وما الناس إلا جاحدٌ ومعانِدٌ . وذو حسدٍ قد بانَ فيه التخالُفُ
 فلا تَركنُ حقاً خَليفةَ قاتلٍ فإنَّ الذي تخشى وتَحذَرُ حاصلُ
 ان النظرة المتشائمة التي نراها في هذه القصيدة وفي غيرها من القصائد
 والمقطعات وليدة عوامل نفسية وبيئية متراكمة في دواخله أساسها تدهور بناء
 المجتمع ، والمجتمع المفكك اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا يجعل انسانه
 (وشاعره) منفصلين عن القيم والأعراف الخيرة ويلصقهما (اضطرابا)
 بقيم تفرضها ظروف العيش القاسية .

ان مجتمعا متدهورا اقتصاديا ، مرتبكا سياسيا ، منحلا اخلاقيا لا يمكن
 أن يعيش فيه شاعر ملتزم . حتى بالمفهوم الساذج للالتزام - موفور الكرامة
 والرزق ، وان شئت الظروف ، فانما يعيش فقيرا ، مفردا ، منبوذا يأتيه
 الموت عن طريق مجاعة ، أو سعاية .

وليسَ حال السلامي بالغريبة حين يقول (١) :

لبستُ العُدمَ حتى صارَ ذَيْلِي	يضيقُ قلبي فيه كزَيْقِي
وكادَحتُ المطالبَ بعدَ ضرٍ	ودارأتُ المعيشةَ بعدَ ضيقِ
فقد أوقدتُ صندوقِي ثِيَابِي	وصُبَّ الماءُ في حُبِّ الدقيقِ
فهل في الناسِ يا لَيْلَئاسَ حرٌّ	يُبَيِّضُ وجهَه ممتحنَ مضيقِ ؟
أريدُ أخِي إذا ما ثُلَّ عرشي	وصرتُ الى المعيشةِ في مضيقِ
فأما حين يصلحُ بَعْضُ حالي	فإنَّ الناسَ كلُّهمَ صديقِي

ان حالا مثل حال السلامي تدل على غربة الشاعر في مجتمعه وهي تربينا
 الى حد ما الشاعر الدليل حين يخلو الى نفسه ويراجع اوضاعه كيف يتعذب
 ويصارع ذاته ونوازعه .. ونتساءل اذا كان وضع السلامي المقرب من آل
 بويه المدلل من الوزراء ورجال الدولة بهذا الشكل فكيف حال الشاعر الذي
 يكبو جواده في سيره الى دور الحكم ومواطن الرفد والرزق ؟

(١) اليتيمة ٢ / ٤٢٧ .

ومع السلبية الشديدة التي نلاحظها في أغلب ما قاله الشعراء نجد أحياناً احساساً شاعرياً يتألم لمأساة المجتمع ويؤمن بقدرة الإنسان على اثبات وجوده . يقول المعري وهو يرى في الإنسان الفقير الثورة والتمرد والقدرة على مجابهة مآسي الحياة (١) :

لا يصبرنَّ فقيرٌ تحتَ فاقتهِ إن السباريتَ جابتها السباريتُ (٢)
ناسٌ إذا نسكوا عُدّوا ملائكةً وإن طَغَوْا فهمُ جِنٌّ عفاريت
وفضلاً عن علاقات الشاعر السلبية والايجابية مع الناس فهو - أحياناً - مسجل جيد لما يدور في مجتمعه من مآسٍ اجتماعية ومبازل (٣) ، كما أن اشعاره الاجتماعية تؤكد بوضوح طبقة المجتمع ، والقسمة غير العادلة في الرزق والمناصب وما صاحب كل ذلك من استغلال افقد الإنسان كثيراً من مقوماته البشرية وجعل الشاعر يقول (٤) :

أصبحتُ من سِفَلِ الأنامِ إذ بعْتُ عِرْضِي بالطعامِ
أصبحتُ صَفْعَاناً لثِيْمٍ النفس من قومٍ لثامِ

* * *

نَفْسِي تَحْنُ إِلَى الْهَلَامِ الْمَوْتُ مِنْ دُونِ الْهَلَامِ
مِنْ لَحْمِ جَدِي رَاضِعٍ رَخَصَ الْمَفَاصِلَ وَالْعِظَامِ
هَذَا لِأَوْلَادِ الْحِطَايَا وَالْبَغَايَا وَالْحَرَامِ

إن الشاعر الصادقة والمعاناة الحقيقية للإنسان البائس في هذه القطعة الشعرية وفي مقاطع وقصائد أخرى سنأتي عليها في فصول آتية تدلنا على أن الشعراء

(١) الزجر ٣٧ ، اللزوميات ١ / ١٥٣ .

(٢) السباريت الأولى : القفار ، والثانية : الصعايك أو الفقراء .

(٣) ينظر مثلاً اشعار ابن الهجاج التي سيأتي ذكرها في فصول قادمة وكذلك اشعار ابن لنكك والمفجع وغيرها .

(٤) الامتاع ٢ / ٥٠ ، وينظر قول الوزير المهلب (لا موت يباع فأشتره .. الايات)

البيتية ٢ / ٢٢٥ .

ليسوا عناصر خاملة بمجموعهم ، فهناك شعراء أحسوا (١) بتفاهة وجودهم وبالهواية التي يتردى فيها مجتمعهم فحاولوا ، ولكن اصواتهم كانت أخفت من أن تظهر وسط الصراخ المسعور لاستغلال الانسان لإخيه الانسان .

٣ - الشاعر وأقرانه الشعراء :

في مجتمع مثل مجتمع القرن الرابع يعدّ الشعر مهنة تحترف لا بد أن يتبع الشعراء فيها أساليب أهل الحرفة الواحدة في عرض بضائعهم ، فالجسد والتباغض والدس والهجاء أساليب شائعة رافقت عروض الشعر التجارية هذه .. واذا كان لا بد لمشتري هذه البضاعة الشعرية من المفاضلة بين شاعر وشاعر وبين شعر وشعر ، كسدت بضاعة شعراء وراجت بضاعة آخرين ، وأصيب الكاسدة بضاعتهم بأزمات نفسية أدت إلى الحقد على المنافسين الذين رفعتهم بضاعتهم إلى مناصب متقدمة أو وضعت في أكفهم جوائز وخلع يسيل لها لعاب الشاعر التاجر .

اتبع بعض الشعراء أخس الطرق وأحطها للاستهانة بقيمة شاعر منافس وإبعاده عن طريق الرزق التي يرودها الشعراء ، فكان السري الرقاء مثلاً يدس على الخالدين الأخوين ويتهمهما بالسطو على قصائده وقصائده غيره ويستعدي عليهما الوزير المهلب وغيره من الحكام والوجهاء مظهرًا إياهما دجالين معتدين مبرزا نفسه إلى جانب ذلك مظلوماً مهضوم الحقوق .

قال السري يخاطب (أبا الخطاب المفضل بن ثابت الصابي) (٢) وهو صديق الخالدين (٣) :

بكرتُ عليكَ مغيرةُ الأعراب فاحفظْ ثيابكَ يا أبا الخطاب
ورددَ العراقَ ربيعةُ بنُ مكدّم وعتيبةُ بن الحارث بن شهاب

- (١) مثل ابن لنكك البصري في العراق ، وأبو العلاء المعري في الشام والعراق أيضاً .
(٢) في اليتيمة ، تحقيق محي الدين الضبي ، ومثلها أثبتنا جاء في ط الصاوي وفي الصداقة والصديق ٨٨ ، وفي زهر الآداب ١ / ٤٤٧ هـ .
(٣) الديوان : - ٤١ .

أفعدنا شك^١ بأنهما هما في الفتك لا في صحة الأنساب

* * *

لهما من الخطأ الصوارم^٢ والقنا ومن الطروس^٣ نفيسة^٤ الأسلاب^٥
شنتا على الآداب أقبح غارة جرحت قلوب محاسن الآداب
وقال يخاطب المهلبى ويتظلم اليه منهما ويدعي أنهما سرقا شعره (١)
هل للغنيين عذر^٦ في اغتصابهما حلياً يبيؤ بأوفى اللعن غاصبه
قل للوزير تحرج^٧ إنه سلب غشماً تعدى على المسلوب سالبه
وكيف تسحب^٨ وشياً قد تداوله قوم^٩ سواك فقد رثت مساحبه
واذا عرفنا أن السري كان ينسج شعر كُشاجم ويدس في نسخه « أحسن
شعر الخالدين ليزيد في حجم ما ينسخه ، وينفق سوقه ، ويغلى سعره ،
ويشنع بذلك على الخالدين ، ويغض منهما ، ويظهر مصداق قوله في
سرقتهما (٢) ادركما نوعية الاسلوب الذي اتبعه للحط من قيمة شاعرين
كانت لهما منزلة شعرية محترمة آنذاك عند حكام بغداد والموصل ، وان دل
عمل السري على شيء فانما يدل على مقدار حرفية الشاعر ومتاجرته بأدبه
وشعره وأخلاقه (٣) .

وحين ينتقل الشعراء من أساليب التحريض والدس بعضهم على بعض الى
أساليب المراسقة بالاشعار الهجائية يتردون في هاوية الالفاظ (العامة) المبتذلة
ويحاولون ايجاد العيوب أو ابراز المقابح أو اختلاق الصفات المشينة .. فاذا اراد
محمد بن احمد بن عبد الله القطان المعروف بالمنوتى أن يعرض بأبي بكر الصولي
وصمه بالبخل ، وقال (٤) :

(١) الديوان : - ٥٤ .

(٢) اليتيمة ١١٨ / ٢ .

(٣) ولا يقف السري عند الدس على الخالدين وهجائها ، فهو ينهش كل من يقف بجانبها
أو يؤيدها كما فعل مع ابن العصب الملحي تنظر اليتيمة ١٥٠ / ٢ - ١٥٨ .

(٤) المحمدون ٧٧ .

غَضَبُ الصَّوْلِي لَمَّا كَسَّرَ الضَّيْفُ وَسَمًا
ثُمَّ عِنْدَ الْمَضْغِ مِنْهُ كَادَ أَنْ يَتْلَفَ غَمًّا
قَالَ لِلضَّيْفِ تَرَفَّقْ شُمَّ رِيحَ الْخَبْرِ شَمًّا
وَاعْتَنِمْ سَكْرِي فَقَالَ : الضَّيْفُ بَلْ أَكَلَا وَذَمَّا

وإن أراد ابن الحجاج أن يستهين بالمتنبي لم يجد - وهذه طريقته المعروفة - خيراً من كلمات السخف والمقاذر قالها يصب فيه هجاءه ويقول (١) :

يَا دِيمَةَ اللَّهِ صُبِّي عَلَى قَفَا الْمُتَنَبِّي
وَأَنْتِ يَا رِيحَ بَطْنِي عَلَى عِذَارِيهِ هَبِي
وَيَا قَفَاهُ تَدَانِ وَاقْعِدْ قَرِيبًا بِجَنِّي
وَأَنْ صَفَعْتُكَ أَلْفَا فَلَا تَقُولَنَّ حَسْبِي

وتشيع هجائية ابن الحجاج السطحية للمتنبي ، وتشيع له سطحية أخرى في زميله في السخف والمباذل اللفظية ابن سكرة الهاشمي ويردد الناس قول ابن الحجاج (٢) :

سَلَحَةٌ بَعْدَ قَرْقَرَةٍ مِنْ سِلَاحِ الْمَزُورَةِ
بَاتَ اللَّيْلَ كُلَّهُ جَوْفَ بَطْنِي مُخَمَّرَةٍ
ثُمَّ رَامَتْ تَخْلُصًا فَاعْتَدْتُ ذَاتَ طَرَطَرَةٍ
ثُمَّ سَارَتْ كَأَسْهَمٍ عَنْ قَيْسِي مَوْتَرَةٍ
فَأَصَابَتْ جَوْفَ ذَقْنِ ابْنِ سُكْرَةٍ
بَوْتَبَةٍ

(١) محاضرات الأدباء ٢ / ٧٠ . وينظر مع اختلاف في بعض الالفاظ تلطيف المزاج في ورقة ١٠ ، ١١ ولابن الحجاج قصيدة هجاء في ابن سكره مطلعها :

نافستني في السبِّ وفي ركوب الدواب
يَا شاعراً في مجيئي صفعتني وذهابي

ينظر قطعة من شعر ابن الحجاج (نخ) رقم ٤٣٥ / م

(٢) البيتمة ٣ / ٤٢ .

وما جرى بين ابن الحجاج وابن سكرة، جرى بينهما وبين شعراء آخرين أيضاً ، فكما لم يسلم الكثير من رجال الدولة من رذاذ كلماتهما لم يسلم زملاؤهما الشعراء من هذا الرذاذ أيضاً . هذا هو ابن سكرة يمسك بتلابيب شاعر مسكين ولا يجده ما يرميه بوجهه غير قوله (١) :

كل العجائب قد سمعت وما أرى أني سمعت لشاعر قرنـان
 قرن يحك به السماء وقبائسه ذنب يزور الحوت في الأزمان
 وإذا تحدث أحدثت لهوائه فترى الأنوف تلوذ بالاردان
 وترى اتحاده تعط كأرنب عكفت عليه مناسر العقبان

ان هذه الكلمات ليست وليدة ساعتها أو يومها ، لأن فيها مرارة الحقنة ورائحة الكراهية وان شيبت باللهجة « الكاريكاتورية » الناقدة ، وقد أجد مسوغاً للقول ان للحكام في هذه الاشعار متعة ونادرة يستظر فونها لذلك فهم ان لم يكونوا يخرضون الشعراء فيما بينهم (٢) فهم في تتريبهم لبعضهم ونفورهم من بعض آخر ، يسهمون اسهاماً كبيراً في خلق مثل هذه الاجواء المشحونة بالمهاترات اللفظية التي تنز بالحسد والغيرة ، وقصيدة العصفري في السلاهي شاهدة على هذا الحسد وهذه الغيرة . يقول العصفري (٣) :

رأيتُ في الجامع حواقفة في وسطِها شيخٌ له شأنُ

(١) نفسه ١٧/٣ .

(٢) يؤكد ذلك ما ذكره الصولي عن الرازي وكيف كان « يغري بعضهم ببعض » ويصل بعض الشعراء ولا يصل بعضاً آخر ، وينقل وشاياتهم ببعضهم . ينظر اخبار الرازي ص ١١٦ . ويتأكد لنا تحريض الحكام للشعراء في قول ابن الحجاج حين هجا ابن سكرة :

حتى بنفى صاحبكم ومورد البني وبني
 مدعيان ان الا ميمر كان قد أغراه بي

مخ ٤٣٥/م ورقة ١٨ .

(٣) تنمة البيتية ١ / ٨٥ والعصفري كما يبدو هو الذي يقول فيه صريح الدلاء :
 ايها العصفري ذقنك في اسقي ابدأ سرمداً مع الاوقات
 الديوان مخ ١٧ .

عاليه طرطور ودرآءة
فقلت : من هذا العظيم الذي
أجاءه جبريلُ عن ربه
فقليل : هذا شاعرٌ مفلقٌ
قلت : أمرؤ القيس؟ فقالوا : صه
قالوا : ولا حسان هذا ، إذا
قالوا : السلامي فقلت اطبقي
الشعر لا يسوى ولا أهله
ولاعا الشاعر مستنزه
إمنا مجيدٌ فهو مسترفاً

لها ذبول وجربان (١)
كأنه في التيه سلطان؟
أم عنده وحي وتبيان؟
له أماديج وديوان؟
فقلت : هذا الشيخ حسان
قلت : فذو الرمة غيلان؟
ذا محلبان الضرع لبان
هذا فلم ذا الشيخ غضبان؟
تلهو به النفس وبستان
أو بارد الشعر فصفعان

ويظل هذا الشعر بصورة « الكاريكاتيرية » وأسلوبه الهازيء يدل على
علاقات سيئة كما يدل على علامات اجتماعية أهمها قيمة الشاعر والشعر وأهمية
بضاعة الشاعر على منزلته ورزقه .

وإذا أردنا الاستزادة من هذه الصور حصلنا عليها من هجاء ابن لنكك
لكثير من أقرانه ومعاصريه من الشعراء (٢) .

ان هذه المراسقات والاساءات لا تعني جدبا كلياً في علاقات الشعراء
بعضهم مع بعض ، فالعواطف الانسانية لم تقتلها أنانية السري أو بذاعة ابن
الحجاج وابن سكرة وابن لنكك ، أو مطامع الشعراء التجار . فقد أينعت
هذه العواطف الانسانية وأثمرت علاقات صداقة وصحة بين شعراء عديدين
حتى غدا بعضها مضرب المثل في الوفاء والانخلاص .

واذ تبادل الشعراء عواطفهم نظماً فوصل إلينا الذي وصل رأينا فيه
موضوعات كثيرة طريفة أو حزينة ، فان أراد ابن لنكك أن يمزح مع

(١) جربان الثوب : الحرقعة العريضة التي فوق القبة وهي التي تستر القفا ، والجربان لفظ
فارسي معرب ..

(٢) تنظر البيمة ٢ / ٣٥٤ .

الخيزارزي ويبين له أذى مهنته (خيز الرز) كتب له (١) :

لنصير في فؤادي فرط حب ينيفُ به على كلِّ الضحابِ
أتيناهُ فبُخَرْنَا بُخُوراً من السقفِ المدخنِ بالتهابِ
فقمْتُ مبادراً وحسبتُ نصراً يريدُ بذلك طردِي أو ذهابِي
فقالَ : متى أراكَ أبا حسينٍ ؟ فقلتُ له : إذا أُنسختُ ثيابِي
ولا يكاد الخيزارزي يسمع هذا الشعر حتى يستظرفه ويستملحه فيبادر
بالاجابة ويقول (٢) :

منحتُ أبا الحسينَ صميمَ ودِّي فداعبني بالفاظِ عذابِ
أتى وثيابه كالشيبِ لوناً فعُدنَ له كريحانُ الشبابِ
فإن يكنِ التقوُّزُ منه فخراً فلمْ يكنِ «الوصيُّ» أبا ترابِ
ومثلما يُستملح ما دار بين ابن لنكك والخيزارزي يُستملح
وُستلطفُ ما دار بين ابن سكرة والعصب الملحي وما في مبادلتهم الشعرية
من تعريض مستطاب بكنية الاول ولقب الثاني .

كتب ابن سكرة الى العصب الملحي (٣) :

يا صديقاً أفادني زمانٌ فيه ضنّ بالأصدقاء وشحٌ
بين شخصي وبين شخصك بعدُ غير أن الخيالَ بالوصلِ سمحُ
إنما باعدَ النَّالُفُ منّا أتني سُكَّرٌ وأُنكَ ملحُ
فأجابه الملحي (٤) :

هل يقول الاخوانُ يوماً لخلٍ شابَ منه محضَ المودة قدحُ
بيننا سُكَّرٌ فلا تُفسِدْهُ أو يقولون : بيننا ويكَ ملحُ

(١) البيّمة ٢ / ٣٣٦ .

(٢) نفسه ٢ / ٣٦٦ .

(٣) البيّمة ٣ / ١٢٥ .

(٤) الوفيات ٤ / ٤٠ ، الوافي بالوفيات ٣ / ٣٠٩ .

وإذا كثرت المداعبات ، وطال أمد المزاح ، حدث بعض البرود ،
وقد يتبعه الهجر . والعتاب بين الشعراء الاحباب طريق طيب لتلاحم النفوس ،
وازالة ما يعلق فيها من صداً وجفاء ، وهكذا يبادر الخبز أرزي ابن لنكك
بالعتاب على الهجر ويقول له (١) :

لِمَ لا ترى لصداقتي تصديقا فينا ، وَلَمْ تَدْعُ الصديق صديقا
ذو العقل لا يرضى بوسم صداقة حتى يرى لحقوقها تحققة
فلمن يرجي الحق أن يدعى أخا وعلى الرفيق بأن يكون رفيقا
ان غاب غاب محافظا أو حلَّ كما ن مداعبا أو قال كان صدوقا
ويكاد من علق الهوى بفؤاده مما تعكر أن يرى زنديقا
وهكذا ينهي العتاب القطيعة ، ويبدأ الاصدقاء الشعراء حياتهم من جديد ،
يملؤونها هزلا ، وسخفا ، ونقدا اجتماعيا لازعا .

وتأخذ علاقات الشعراء بينهم روحا أخرى اذا كانت بين شاعر مجرد من
الصفة الرسمية وشاعر له طابع « رسمي » ، ومنزلة متقدمة في الدولة ، فنحن
نرى بجلاء قيمة هذه المنزلة في خلق علاقات طيبة بين الشاعر والشاعر الموظف ،
فقد يتخذ بعض الشعراء من هذه العلاقة جسرا يعبرون عليه الى دور الملوك
ومجالس السلطان ، فأبو اسحق الصابي كاتب الملك البويهى وجليس الوزراء
وقرينهم يتقرب اليه الشعراء ويعظمونه ويستجدونه ، فرى السري الرفاء يمد
له يديه طالبا حصته حتى من البخور (٢) :

يا أبا اسحق زادَ الله في حُسنِ حبورك
وغدا شانيك ذا همٍ طويلٍ بسرورك

* * *

أشرق الدهر وما إشراقه الا بنورك

(١) مروج الذهب ٤ / ٣٥٢ .

(٢) الديوان ١٢٩ .

وأرى الأيام لا تبخل إلا بنظيرك

* * *

حسبنا من جودك الغمر ومن فيض بحورك
قد أتانا منه ما راد على شكرٍ شكورك
بين صفر من دنانيرك أو صفر خمورك
فاشفع العرف بعرف ترتضيه من بخورك

وحين يصلهم بما يستطيعه يطعمون بأكثر من جوده المادي فيودون لو أنه
أوصلهم الى دور سادته آل بويه ، فاذا فعل وقدم أحدهم ثم نال الخطوة
حسده بقية الشعراء وقالوا على لسان السري يعاتبونه لأنه لم يقدمهم قبله (١) :
كم منطلق كسحيق المسك ظاهره لم يُقْضَ عند أبي اسحق واجبه
كانت مدائننا غراً محجلةً تثني عليه فقد اضحت تعاتبه
ورغبة كلما جاءت معرضة بجاهه أعرضت عنها رغائبه
الشعر وشي برود ، أنت ساحبه فهماً ، ودر عقود أنت ثاقبه
فلم منعت عن الإحسان محسنه ما نال من جاهك المبدول خاطبه
لأصبرن على إخلال عرفك بي حتى يثوب إلى المعهود ثائبه
واذا شمسنا في هذه الأبيات رائحة المصلحة الذاتية تعط من جوانب
كلماتها فأننا نجد كلمات العتاب التي يرسلها معظم الشعراء الى الشعراء
الموظفين تأخذ شكلاً اعتذارياً ، قد يحمل الذلّة والمسكنة . ولكن هذا لا ينفي
وجود شعراء يتمردون على هذه العلامة اذا رأوا من المقابل اعراضاً يمس
كرامتهم ، فالمفجع البصري تربطه علاقات ودّ وصدقة بالقاضي التنوخي
(الشاعر ايضاً) تسمح له أن يتبسط معه في القول الى حدود المداعبة ،
فحين يدخل المفجع على التنوخي ويراه يقرأ « معاني الشعر » على العبيسي
يقول (٢) :

(١) الديوان ٢٩ .

(٢) المحمدون ٣٥ . وأبو قبيس اسم جبل مشرف على مكة ، وكذلك اسم حصن مقابل

شيزر . ينظر معجم البلدان ٨٠ / ١ .

قد قَدِمَ العُجْبُ عَلَى الرُّوسِ وشارف الوهدُ أبا قبيسِ
وطاول البقل فروع الميس وهبَّت العنزُ لقرع التيسِ
وادعت الروم أبا في قيسِ واختلط الناس اختلاطاً الحيسِ
اذ قرأ القاضي حليف الكيسِ معاني الشعر على العُيسِ

ولكن المنجع البصري الذي يتعامل مع القاضي التنوخي بهذه الروح ،
يتمدح التنوخي مرة فيقابله بجفاء ، واذ ذاك يحس بصدمة ، ويصاب بأزمة
نفسية تكاد تذهب بصدافته وعلاقته بالتنوخي أو هي تذهب بهما ويحل محلها
الندم ، فيقول (١) :

لو أعرض الناس كلهم فأبوا لم يُنْقِصُوا رزقي الذي قُسمَا
كان ودادٌ فزالَ وانصرما وكان عهدٌ فبانَ وانهدما
وقد صحبنا في عصرنا أمما وقد فقدنا من قبلهم أمما
فما هلكنا هزالا ولا ساخنتُ أرض ، ولم تقطر السماء دَمَا (٢)
في الله من كل هالك خلف لا يرهب الدهر من به اعتصما
حرّ ظننا به الجميلَ فما حقق ظنّا ولا رعى الذمّا
فكان ماذا ؟ ما كل مُعْتَمِدٍ عليه ، يرعى الوفاء والكرما
غَلِطْتُ والناس يغلطون وهل تعرف خلقا من غلطة سلما
شُلْتُ يدي لم جلست عن تَفَهٍ أكتب شجوى وأمتطي القلما
يا ليتني قبأها خرست فلم أعمل لسانا ولا فتحت فمّا

وإذا كانت بعض هذه العلاقات تجارية ارتزاقية تؤثر فيها عوامل عديدة
فتميل بها تارة نحو اليمين وأخرى نحو اليسار فهناك علاقات أخرى فيها وفاء
ونكران ذات ، وفيها نقاوة وصفاء مشاعر ، هذه العلاقات تبدو على احسن
وجوهها بين الشعراء الذين يمتلك جميعهم صفة رسمية .

(١) نفسه .

(٢) البيت مكسور ، ولا أدري كيف فات الامر على المحقق ، ويستقيم الوزن اذا قلنا :

هزلا بدل هزالا .

ويبدو ان ما وطد هذه العلاقات كونه هؤلاء الشعراء غير محتاجين مادياً
 اولاً ، ولأن أياً منهم لم يكن يطمع بمنزلة الآخر الرسمية لأنه قانع بمنصبه
 الذي يحتله ، نضيف الى كل هذا سلامة الطوية ، والصدق في التعامل مع
 النفس ومع الآخرين فتترهت بعد ذلك علاقات هؤلاء الشعراء عن الروح
 المادية « أو النفعية » . ومن خير الشواهد على ذلك ما كان من مشاعر ودّ وفية
 متبادلة بين أبي اسحق الصابي وبين الشريف الرضي أو بينهما وبين غيرهما من
 الشعراء الآخرين .

كتب أبو اسحق الى الشريف الرضي وقد بلغ به العمر حد العجز
 يقول (١) :

إذا ما تعدت بي وسارت محفةً لها أرجلٌ يسعى بها رجلان
 وما كنت من فرسانها غير أنها وفّت لي لما خانت القدمان

* * *

أبا حسن قطعت أحشاء حاسد طواها على البغضاء والشنآن
 وأنت سماء في الذؤابة صاعد وذاك حضيض في القرارة عاني
 أقيك الردى لئنّي تنبهت عن كرى وسهوي على طول المدى اعتوراني
 وتصل هذه الأبيات الشريف الرضي فيستشعر المودة ويعيشها بكل نقاوتها
 ثم يجيب قائلاً (٢) :

ظمائي إلى من لو أراد سقائي وديني على من لو يشاء قضائي
 ولو كان عندي معسراً لعذرته ولكنه وهو المني لواني

* * *

أكرر في الاخوان عينا صحيحة على أعين مرضى من الشنآن
 فلولا أبو اسحق قل تشبّي بخلٍ وضربي عنده بجران
 هو اللافتي عن ذا الزمان وأهله بشيمة لا وانٍ ولا متواني

(١) اليتيمة ٢ / ٣٠٠ .

(٢) الديوان ٢ / ٥٣٩ ، اليتيمة ٢ / ٣٠٣ ، رسائل الصابي ٤٥ .

إخاء تساوى فيه ودّاً وألفة رضيع صفاء لا رضيع لبان
تمازج قلبانا تمازج أخوة وكلّ طلوبي غاية أخوان
وربّ قريب بالعداوة ساخط وربّ بعيد بالمودة داني

* * *

ولو أن لي يوماً على الدهر إمرةً وكانت لي العدو على الحدثان
خلعت على عطفك برداً شبيبتي جواداً بعصري واقتبال زماني
وبعد أن نقرأ هذه المشاعر الوفية التي تنساب بصدق من فم الشريف ،
تدرك عمق علاقتهم ، ومقدار تواضع كل منهما للآخر ، واحترام أحدهما
لصاحبه. وتبدو سمات الوقار عليهما من خلال كلماتهما المشبعة بروح الادب
المنمّقة من أجود البضائع اللفظية .

وإذا أشاد كل منهما باخلاص الآخر وجودة صداقته فما ادعيا ذلك ،
ولا دجلا ، ولقد مر بنا وفاء الشريف الرضي للطائع بعد خلعه على ما في هذا
الوفاء من مخاطر على حياته ومنصبه وسيؤكد هذا الوفاء في كثير من المناسبات
واستمرارية تذكّره والحنين الى أيام صداقته، وقصيدة الرثاء التي قالها فيه بعد
وفاته خير شاهد على هذا الوفاء .

قال الشريف الرضي في رثاء الصابي عند وفاته (١) :

أعلمت من حملوا على الاعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي
جبل "هوى لو خرّ في البحر اغتدى من وقعه متابع الإزباد
ما كنت أعلم قبل حطّك في الثرى ان الثرى يعلو على الاطواد

* * *

هذا أبو اسحق يُغَلِّقُ رهنه هل ذائد أو مانع أو فادي ؟
أعزز عليّ بأن أراك وقد خلت من جانبك مجالس العواد
أعزز عليّ بأن يفارق ناظري لمعان ذاك الكوكب الوقاد

(١) الديوان ١ / ٣٨١ ، البيتة ٢ / ٣٠٧ ، ينظر في الادب العباسي ٤٤٠ .

وتمر الأيام ولا ينسى الشريف الرضي صداقته للصابي ، وحين يجوز
بقبره وهو بالحنينة من أرض كرخايا يقول (١) :

أعلم قبر بالحنينة أننا أقمنا به نعي الندى والمعاليا ؟
مررنا به فاستشرفتنا رسومه كما استشرف الروضُ الطباء الجوازيا
وما لاح ذاك الترب حتى تحلّبت من الدمع أو شال ملأنا المآقيا

هذه بعض دلائل عمق صداقة الشريف الرضي ونبيل مشاعره ووفائه .
أما وفاء الصابي لاصدقائه فقد أكدته أقوال الشريف الرضي في وصف اخلاص
الصابي وجودة اخوته ويؤكدده عبد العزيز بن يوسف في قوله (٢) :

وقيت أبا إسحق من حافظ عهدا وراع لمن يُمْنِي بفرقته ودّا
ومنفرد بالمكرّمات تألّفت عليه المعالي فاستقل بها مجدا
بلوت أخلاء الزمان ، وكلهم سيّء ، فلا ذما منحت ولا حمدا
سواك أبا إسحق ، إنك والندى لأوفاهم عهدا وأصفاهم عقدا
وابعدهم في كل مكرمة مئدى وأنظمهم في جيد مأثرة عقدا
تلاقت بنا الآداب في خير منسب عليه تساقينا على ظمأ بردا

واذا عرفنا ان عبد العزيز بن يوسف كان بمنزلة الوزير في بلاد عضد
الدولة ، واذا عرفنا ان الصابي ان عاتب عبد العزيز على هجر وانقطاع
قال له (٣) :

صديق لكم يشكو اليكم جفاكم وفي قلبه داء من الشوق قاتل
تناسيتوه وهو للعهد ذاكر وللغيب مأمون وللحيل واصل
يقول لكم والوجد بين ضلوعه مقيم وقد حسّت عليه البلابل (٤)

(١) الديوان ٢ / ٥٧٩ ، رسائل الصابي ٤٥ ، وينظر في صدق وثائبات الشريف الرضي
(في الأدب العباسي ٤٣٧ وما بعدها) .

(٢) البيهقي ٢ / ٣٢٢ .

(٣) نفسه ٢ / ٢٩١ .

(٤) البلابل : جمع بلابل وهو شدة الحلم .

أكابرنا عطفنا علينا فأننا بنا ظمأ بَرَحْ وأنتم مناهل
إذا عرفنا هذا أدركنا أن للصابي صفات تدعو الى الاحترام والتقدير وأن
رفاقه يجلّونه حباً به وبصفاته هذه ، وليس طمعا بمال أو مركز ، ويمنحهم
بالمقابل مشاعر مثل مشاعرهم أو تفوق عليها .

ويطول بنا الكلام إذا أوردنا كل الاشعار الاخوانية الصداقة المتبادلة بين
شعراء موظفين ولكننا نختصر القول ونشير الى مساجلات أبي عبد الرحمن بن
الفضل الشيرازي مع صاحب بن عباد والقاضي التنوخي ، وهذا الاخير مع
الورير المهلبى ومساجلات الصابي مع الشريف الكثيرة (١) .

وقد يكون مناسباً ان نختم هذا الكلام بذكر قسم من رثاء الشريف الرضي
لابن الحجاج محتسب بغداد والشاعر الماكن اللفظ (٢) :

نعوه على ضنّ قلبي به فله ماذا نعى الناعيان

* * *

بكيتك للشرد السائرات تعبثُ ألفاظها بالمعاني

* * *

وما كنت أحسب ان المنون تفلّ مضاربَ ذلك اللسان

* * *

فان شاء كان حزان الجراح وان شاء كان جراح الحيران
يهابُ الشجاعُ غداميره على البعد منه مهّاب الجبان (٣)

(١) ينظر اليتيمة ٣٠٧ / ٢ ، ٣٢٦ ، ٣٤١ ، وينظر ما تبادله عبد العزيز بن يوسف
الصاحب والصابي ، اليتيمة ٣١٧ / ٢ .

(٢) الديوان ٤٤١ / ٢ ، معجم الأدباء ٢٢٩ / ٩ . ولابن الحجاج ابیات ومقطعات في
الشريف الرضي منها ستة ابیات لطيفة جاء فيها :

أيا من مجده المجد الأثيل	وداء حسوده الداء الدخيل
ابوك ابو أممتنا علي	وامك ام سادتنا البتول
جعلت لك الفداء فكل ود	سوى ودي يميل ويستحيل

ديوان ابن الحجاج مخ ٤٤٢ / م ورقة ١ .

(٣) غداميره : طول لسانه .



وتعنوا الملوك له خيفةً اذا راعَ قبلَ اللظى بالدُّخان

• • •

ليبك الزمانُ طويلاً عليك فقد كنتَ خفةَ روح الزمان
انها علاقات نبيلة تدلل على ان الخير لم يُزل من النفوس وأن تجارة الشعر
لم تُفسدِ كل الشعراء .

القيمة الفنية :

لا جدال في أن أعلى الكلم فنيا ما كان نابعا عن صدق في المشاعر ،
واخلاص في التعامل مع اللفظ ، وادراك واع لحقيقة الوجود .

والشاعر الذي يتفاعل مع الحياة ويتعامل مع مكوناتها بتناقض بيّن لا بد
وأن يأتي كلامه متفاوت البنية الفنية والقيمة الاجتماعية .

فنجده ينحشر في قالب من الالفاظ المصطنعة والكلمات الجامدة حين
يتكلف المديح أو الوصف أو الاغراض الاخرى المعروفة في الشعر العربي ،
لكنه يرتفع وقد يخلق في أجواء من الفن الرفيع حينما يخلص لفنه ويصدق مع
نفسه ومع الآخرين .

ويمكننا ان نسحب هذا القول على الشعر الذي يبين لنا علاقات الشاعر
بمجتمعه ، فنحن نرى غلوا وتكلفا وصنعة جامدة في اقوال اغلب الشعراء
تذهب برونق شعرهم فتحيله نظما بلا أية رعشة فنية أو عاطفية .

ومع هذا نجد أيضا الشعر الذي نفتش عنه ، فهناك قصائد أو أبيات تكاد
تكون أنموذجا من حيث صدقها وامتلاؤها بالعواطف النبيلة ، كما في قصيدة
الرثاء التي قالها الانباري في ابن بقية الوزير أو الابيات التي قالها ابن زريق
لأحد الحكام .

لقد كان الشعر العربي مبنياً في فنه على ما تبعته كلماته في النفوس من هزة
ونشوة ودفع لذلك فليس من الشعر ما خلا من العواطف والصدق .

الخلاصة :

الشاعر عنصر فعال في المجتمع وهو يرتبط بأواصر متينة وعلاقات مرسومة سابقاً .

فهو - في الاغلب - مع الحاكم ينزّهه ويعظمه ويرضي نزعاته وغروره ومطامحه ، يغضب لغضبه ويفرح لمسرته ، وقد يعادي من يقف ضده ، ولذلك كانت له في نفوس الناس هيبة مستمدة من هيبة الحاكم اضافة الى أن الناس كانوا يرون في الشاعر عنصراً موهوباً جديراً بالتقدير .

وقد أصبح وضع الشاعر في القرن الرابع قلقاً نظراً لما جابه الحياة السياسية من اضطراب رهيب جعل كراسي الحكام تهتز تحتهم باستمرار . وقد انعكس هذا الوضع على نفس الشاعر فبات لا يدري أين يتجه وفي دار أي حاكم يلتجئ .

على أنه سرعان ما تكيف لهذا الوضع الذي استمر طويلاً فأصبح الشاعر مرتزقاً منتهز فرص ، يقعد على باب من ينتصر من الحكام المتصارعين وقد مثل ذلك خير تمثيل ابن الحجاج في قوله :

ان الملوك اذا هم اقتتلوا أصبحت فيهم كلب من غلبا

واذا كان الشعر حرفة يرتزق منها الشاعر ، حصل بين الشعراء منازعات وتنافس ، وكان الذي كان من الهجاء المقذع والفسخ الرخيص .

ولكننا وجدنا مع ذلك علاقات نبيلة حصلت بين هذا الشاعر أو ذاك ، فبلغت من السمو محلاً مرتفعاً كما كان بين الشريف الرضي وإبي اسحق الصابي مثلاً .

لقد ظلت علاقة الشاعر في مجتمعه مثل أي علاقة انسانية أخرى تتباين بمقدار أخلاق الشاعر وعمق تفكيره ومقدار مصالحه الذاتية .

الخلفاء والامراء

الخلفاء :

ليس مستغربا ان يقول الخلفاء شعرا لما يلقونه من وسائل التربية التي تشجع الشعر والادب ، ولما يرونه من مكانة للشعر عند الخاصة والعامة . وكان الخليفة يقول الشعر اما قتلا للفراغ ، أو تنفيسا عن هموم ذاتية ، أو هموم تسببها سيطرة الأجنبي على مقاليد الامور في البلد ، أو رغبة في الظهور بمظهر العالم الشاعر .

وقد كثر بين خلفاء القرن الثالث للهجرة قالة الشعر وورد في كتب الادب والتاريخ شعر للمتوكل والمعتصم والمهتدي والمعتضد (١). وكان شعرهم يرسم صورا من حياتهم ومطامحهم ، وهو يحمل بين طياته علامات بيّنة لانهميار الدولة العباسية ، لذلك فهو ينفع دارسي التاريخ لما فيه من دلالات سياسية واجتماعية مكثفة وصادقة (٢) .

(١) ينظر الطبري : تاريخ الرسل والملوك ط مكتبة خياط ، المسعودي : مروج الذهب ط محي الدين عبد الحميد ، السيوطي تاريخ الخلفاء تح محي الدين عبد الحميد أيضا ، وغيرها من كتب التاريخ .

(٢) قال المهتدي قبل أن يصبح خليفة :

اما والذي اعلى السماء بقـدرة وما زال قدما فوق عرش قد استوى
لئن تم لي التدبير فيما اريدُه لتفتقدن الترك طرا فلا ترى
وقد تم للمهتدي تدبير الدولة لكنه انتهى على يد الاتراك دون أن تتأثر مسيرتهم في البطش والتنكيل بأبناء أسرته وقومه . (ينظر معجم الشعراء ٤٠١) .

وإذا اجتزنا الى القرن الرابع لم نر الذي رأيناه لدى خلفاء القرن الثالث ،
فاذا استثنينا الخليفة العباسي الراضي من ثمانية الخلفاء الذين ولّوا خلال القرن
الرابع لم نجد شيئاً يذكر من الشعر لهؤلاء الخلفاء سوى ابيات قليلة نسبت للقاهر
والمعتقي والمستكفي . فمما نسب الى القاهر بعد سماه قوله (١) :

صرت و ابراهيم شَيْخِي عَمِيَّ لا بد للشيخين من مصدر
ما دام «توزون» له إمسة مطاعة فالميل في المِجْهَرِ
ومما ينسب الى المعتقي بعد أن كحل قوله (٢) :

كَحَلُّونا وما شكونا إليهم من الرمد
ثم عاثوا بنا ونحنُ أسودٌ وهم نقَدُ (٣)
كيف يغتر من أقمنا وفي دسّتنا قَعَدُ

وفيهما نتبين سلطان القادة الاتراك ، وضعف الخليفة العباسي أمام جبروت
توزون وغير توزون ، وخوفه الدائم من التعرض للتكحيل والعمى وهي حال
تبعث على العطف والرثاء وأحيانا الاشمزاز من هذا الجبن والاذلال .

وإذا تساءلنا : لم انفرد الراضي شاعرا في هذا القرن ؟ أمكن أن نجد
الجواب في اهتمام الصولي (استاذ الراضي) بتأديبه اضافة الى ميل الراضي
للادب وذكائه ومواهبه ، وقد أكد هذا الصولي حين قال (٤) : « وقد يعلم
الله تعالى أن الراضي في حالة إمارته وأخاه هارون لما أمر نصر الحاجب ان
يتقدم اليّ بخدمتهما وأن يجعل علي نوبة لهما يومين في كل اسبوع ، ففعل

(١) التنبيه والاشراف ٢٧٨ وكتب التاريخ الاخرى حوادث ٣٢٠ - ٣٢٢ . و ابراهيم
هو المعتقي .

(٢) نكت الهميان ٨٨ ، وينظر مختصر التاريخ ١٨٤ ، ١٨٧ في بيتين نسب للمعتقي وآخرين
للمستكفي .

(٣) نقد : جنس من الغنم صغير الارجل .

(٤) أخبار الراضي ٢٤ .

ذلك ، دخلت اليهما فرأيتهما ذكيين فطنين عاقلين ، الا انهما خاليان من العلوم ، فعاتبت ابن غالب مؤدبهما على ذلك ، وكان الراضي أذكاهما وأحرصهما على الادب ، فحببت العلم اليهما ، واشترت لهما من كتب الفقه والشعر واللغة والاخبار قطعة حسنة ، فتنافسا في ذلك وعمل كل واحد منهما خزانة لكتبه وقرأ علي الاخبار والاشعار .

وكان الصولي يلاقي عنتا ومضايقات من أم المقتدر وخدمها فحين توصف بحاسن تأديبه لأولاد المقتدر أمام احدى قهرمانات « شغب » ترسل له هذه القهرمانة خبرا تقول فيه (١) : « ان هذه المحاسن من هذا الرجل عند السيدة ومن يخدمها مساوية فقل له عني هذا : ما نريد أن يكون أولادنا أدباء ولا علماء ، وهذا أبوهـم (٢) قد رأينا كل ما نحـب فيه وليس بعالم ، فاعمل على ذلك » .

ان هذه الروح المتمردة على الادب هي انعكاس طبيعي للاوضاع السياسية المضطربة التي تؤثر بدورها في عملية اختيار المربي ومن ثم تؤثر في تربية الامراء — خلفاء المستقبل — التي تحكم كما رأينا في سيرها أناس غرباء عن اصول التربية التي كان يتلقاها الامراء كما هم غرباء عن لغة هذه التربية اضافة الى وجود دافع قوي يدفعهم الى زرع بذور التربية الفاسدة في نفوس خلفاء المستقبل ليظلوا تحت هيمنتهم ، وتظل امور الدولة ملك تصرفهم .

وحين نعرف كل هذا ندرك سبب قلة الخلفاء الشعراء ، كما ندرك أن شيئا ما لعب دوره في ايجاد مرب متمكن استطاع تنمية مواهب الراضي الشعرية وصقلها فجعل منه شاعرا وسطا قام الصولي نفسه بجمع مختارات من شعره أودعها الجزء الخاص بأخبار الراضي والمتقي من كتاب الاوراق (٣) ، وقد

(١) أخبار الراضي ٢٦ والسيدة هي أم المقتدر .

(٢) تعني المقتدر .

(٣) أخبار الراضي ١٥٤ - ١٨٢ .

وقعت في ثمان وعشرين صفحة ، عدا ما جاء في ثنايا الاخبار والاستطرادات .
 اذا نظرنا الى شعر الراضي الذي نقله لنا الصولي وغيره من المؤرخين
 وجامعي الادب وجدناه في الغالب يهتم بالغزل الغلmani ومجالس الخمر واللهم
 كما يتناول الفخر والشكوى والرثاء ، وهو على العموم صورة لمجتمع خلفاء
 القرن الرابع . يعوضنا كثيرا عن خرس الخلفاء الآخرين في قول الشعر الذي
 يمكن ان نستشف منه حياتهم وطبيعة مجتمعهم .

نلاحظ في شعر الراضي مقطوعات كان قد نظمها أيام كان أميراً تدل
 بعضها على معاملة الخليفة لابنائه . فالمتندر يغضب على الراضي أو يحفوه فيتألم
 مثل أي انسان آخر يحب أباه لذلك يقول معتذراً (١) :

هلاً ردَدْتُ على العدو الكاشحِ وقبلت في من الصديقِ الناصحِ
 الآن حينَ ملأتَ قلبي رغبة أعقبتَها ظلماً بيأس قاذحِ

* * *

أبعدت ظنِّي بعد ما قرَّبته ولسوف تذكر في فسادِي صالحِي
 ما للإمام تنكرت أخلاقُه من قول هاجٍ في مكان مدائحِي
 في كلِّ يوم أرتجي إنصاف من يجري الى ظلمي بقول الكاشحِ
 جَمَرِي إذا ما شئتَ طافِ خامدٌ واذا تشاء فكالشهاب اللائحِ

واذا لم يكن لهذه القطعة الشعرية قيمة فنية تذكر فهي مهمة في تصوير
 العلاقات بين الخليفة وابنائه ، تبين كيف يسمع فيهم أقوال الوشاة والمتملقين ،
 مما يؤكد إهمال هذا الخليفة لشؤون ابنائه وعدم معرفته أمور حياتهم دقائقها
 وكبائرها .

ومن أيام إمارته ينقل لنا الصولي اهتمام الراضي بالادب واحترامه
 لأصحابه . فقد اعتل الصولي وتأخر عن خدمة الراضي والنوبة كانت عليه
 فكتب الراضي رقعة الى الصولي جاء فيها (٢) :

(١) نفسه ١٦٥ .

(٢) أخبار الراضي ٦٠ .

يا عليلاً جعل الساعة إذ غاب شهورا
ولقد كان به الدهر إذا جاء قصيرا
لعلوم لا أرى الدهر له فيه نظيرا
صرف الله الأذى عنك ولقأك سرورا

وكان الشاعر الأمير مرتبطا بحياة التبذل واللهو ، ففي أيام حبسه زمن
خلافة عمه (القاهر) لا يتذكر إلا أيام لذته وأنسه فيقول (١) :

فقدتُ الهوى وَعَدَمْتُ الودودا وَأبلى الحديدان منِّي الحديدا
وقد كنتُ دهرا أَطْبِيعُ الهوى وأجري مع اللهو شأوا بعيدا
فَحَرَمْتُ كَأْسِي على لَسَدَتِي وَأَزْمَعْتُ كُلَّ وصالِ صُدُودا

ومثلما نلاحظ ارتباطه باللهو الذي يلزمه دائلة حياته نرى ملقه وجبته
حينما أرسل له القاهر برؤوس مؤنس وبللق وابنه متوعدا اياه بمصيرهم نفسه
فارتعب وخاف وكتب اليه يستعطفه (٢) :

بَقِيَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ على الدهرِ برغم الاعادي نافذ النهي والامرِ
شفيت غليلا كان لولاك قاتلا وخففت همّا ضاق عن حمله صدري
وقمت بحق الله في قتل معشر سَعَوْا في البلادِ بالفسادِ وبالكُفرِ
فَعِشْتُ لدين الله تجرُّ وهنهُ وَبُلَّغْتَ أَقْصَى ما هَوَيْتَ من العمرِ

وربما تشفى الراضي من الذي جرى على قتلة أبيه لكن علائم الخوف
تظل واضحة بارزة على كلمات هذه المقطوعة .

وعلى ذكر أبيه المقتل فقد أورد المؤرخون ثلاثة أبيات حسنة يرثيه
الراضي بها فيقول (٣) :

ولو أن حياً كان قبراً لمَيَّتْ لصيرت أحشائي لأعظمه قبرا
ولو أن عُمري كان طوع مشيئتي وساعدني المقدورُ قاسمتُهُ العُمرا

(١) نفسه ١٦٦ .

(٢) نفسه ٥٠ .

(٣) تكلمة الطبري ١١٨ ، البداية والنهاية ١١ / ١٩٧ .

بنفسي ثرى ضاجعت في تربيهِ البليّ لقدضم منكَ الغيث والليث والبдра
والتاريخ لا يؤيد الراضي فيما أسبغه على أبيه من شجاعة لانه كان معروفا
بالضعف والانغماس في الملذات وترك امور البلاد تصرفها النساء .

ويذكر لنا الصولي أيضا مقطوعتين يرثي الراضي بهما أباه ، لا تخرجان
في معناهما كثيرا عن الأبيات التي ذكرناها (١) :

واذا أصبح الراضي خليفة لم يكن أحسن حالا من أبيه في ضعفه وخنوعه
واستسلامه للاجنبي ، ولقد بلغ ضعفه حد التصاغر أمام سلطان أمير الأمراء
(يحكم) فقد رفع اليه آيات الحمد والثناء أكثر من مرة مادحا اياه بكلمات
يأنف صاحب كرامة أن يقولها لند له لا لتابع من اتباع دولته . فحينما ينتصر
يحكم على ابن رائق ويملك واسط يكتب له قائلا (٢) :

يا عمدة السلطان	وليث هذا الزمان
ومشتري الحمد مني	بأوفر الاثمان
فككت أسرى من	كف طارق الحدّثان
فصرت أسبق جريا	وقد ملكت عناني
فأنت حرب عدوي	وسلم من والانسي
والسيف مثل لساني	اذا تعايا لساني
تسرفني كل وقت	في غيبة وعيان
فشرك الدهر لا كارم	أن شكر غيرك شاني

ان كل بيت من هذه الأبيات ينطق بالذلة والخنوع ويدلل قطعا على ان
الراضي لم يكن يمتلك حتى زمام نفسه ، لذا فانه يتزلق في مهاوي الجبن كل
فرصة ، حتى عند هجائه ابن رائق المهزوم يكشف لنا عن كثير من نقاط

(١) أخبار الراضي ١٦٧ ، ١٧٧ .

(٢) نفسه ٥٥ .

ضعفه مع أنه حاول أن يتستر عليها ببعض الكلمات البائسة حينما قال : (١)
أَيْطَلُّ كَيْدِي مِنْ يَهون كَيْادُهُ فَيوقِدُ ناراً مِثْلَ نارِ الحُبَّاحِبِ
لَقَدْ رامَ صعباً لَمْ يَرْمُهُ شَبِيهُهُ وِراضَ شَمُوساً لا يَذُلُّ لِرَاكِبِ
صَغُرَتْ عَنِ الأَمْرِ الَّذِي رَمَتْ فِعْلُهُ فطالِعَتَنِي بِالضَغَنِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وأَظْهَرَتْ لِي حَباً يَطِيفُ بِهِ قَلِي كَخَلْبِ بَرَقٍ فِي عِراضِ سَحَابِ
اتَعَقِدُ لِي كَيْدَ النِّسَاءِ بِمِرْصَدِ وإِنِّي فِي السِّنِّ شَيْخُ التَّجَارِبِ
الْأَرْبَمَا عَزَتْ عَلَى الحَازِمِ الَّذِي تَرَاهَا بِكَفِيَّةِ فَرِيَسَةٍ طَالِبِ
تُكْشِفُ لِي الأَيَّامُ مِنْكَ مَعَايِباً وَقَدْ جَرَيْتَ لاشْكَ أَخْزَى المَعَايِبِ
فأَصْبَحْتَ مَقْهُوراً وَعَادَتِكَ نَكْبَةٌ تَشْكِي إِلَيْكَ الشُّوقَ شَكْوَى الحَبَائِبِ

ولست أدري أين كانت رجولة الراضي حينما كان الامر لابن رائق يستبد بكل شيء ويعيث بكل شيء أمام سمع الراضي وبصره ، وهو لا حول له ولا طول ، فلو لم ينقذه بحكم من تسلط ابن رائق لظل خانعا له مستسلما لسلطانه ، ولربما رفع له آيات الحمد كما رفعها لبجكم .

ان هذه القطعة مع بعدها عن الحقيقة تبين لنا علاقات سياسية عديدة ، كإظهار الود الكاذب للخليفة واستغلال النساء لعمل المكائد ، ونكبات رجال الدولة ، ومواقف الخليفة السلبية من كل هذه الامور على معرفته بها .

وكما يبدو ضعف الراضي أمام قادة الجيوش الاجنبية الذين يحكمون البلاد يبدو ايضا في ذاته ، وفي شعوره بالخطيئة وفي نظراته اليائسة الى الحياة حين يقول (٢) :

كَلْ صَفْوِ اِلَى كَدَرٍ كَلْ أَمْنٍ اِلَى حَذَرٍ

(١) اخبار الراضي ١٥٧ . والجاحب : النار الضعيفة .

(٢) نفسه ١٨٥ ، المحدثون ١٨٤ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٢٧١ تاريخ ابي الفدا ٣ / ١١٠ ، مختصر التاريخ ١٧٩ ، البداية والنهاية ١١ / ١٩٧ ، وقد اختلفت هذه المصادر في بعض الفاظ هذا النص .

أين من كان قبلنا ؟ درس الشخص والاثـر

رب انـي ذخرت عنـدك أرجوك مـدخـر
لـنـتـي مؤمن بـمـا بـيـن الوحي في السور
واعترافي بـترك نفعي وايتاري الضـرر
رب فـاغفر لي الخطيئة يا خير من غفر
ولا بد أن تكون ذنوب الراضي كثيرة . وأنه يعرفها فيطلب المغفرة من
ربه . وكيف لا يطلب المغفرة من انصرف الى الملاذ وكاد يطير المثل بضـعفه
أمام شهواته . وقد فضح شعر الراضي هذه الحياة اللاهية المليئة بالخطايا ،
اميرا وخليفة .

قال يتذكر مجالس أنسه ويصف ما يجري له فيها (١) :

طربت الى «عُمى» وعادوني ذكرى
فكم فتكة لي في ذرى عرصاتها
طرقت بها الخمار والنجم طالع
فأنكحني خمراً رَضِيتُ نِكَاحَها
وقلت لساقينا أدر لي خمرة
فقام خلوب الدلّ يجلو سلافة
له مقلة تسي العقول وفتنة
عليم بوجي الطرف حتى كأنما
فحطّ على حُكمي رحال إجابة
وقسم شوال بقدمته فكري
أروح على سُكر وأغدو على سُكر
طلوع سنان قاصد ثغرة النحر
وأغليت بالسوم المبالغ والمهر
تُنبِلُ المني وافجر بطلعها فجري
تُشَبِّهُ في كاساتها ذائب التبر
تُسَقِّطُني من حيث أدري ولا أدري
يخاطبه فكري بما ضمته صدري
وسار بما أهواه طوعاً إلى أمري
وإذا كان الراضي يظهر نفسه ماجنا شهوانيا ، فإنما يثبت فساد الجو الذي
يعيش فيه ويبين كيف كانت حالة مجتمع خليفته يعيش الفساد كله .. ويصف
الراضي نفسه داعية الى حياة اللهو والفسق مسوغا ذلك بان الحياة غير مجدية ،

(١) أخبار الراضي ١٧٢ . ووردت غنى في معجم البلدان . وهي بلدة قريبة من بغداد ،
وفيها يقول صريع الدلاء : وبغنى جعلت عقلي على الغم ... » ، الديوان ٧٦ أ .

لأنها فانية آفلة . ولا يتراجع عن رأيه هذا حتى أيام اشتداد علته ، حيث يقول (١) :

ولما رأيتُ الدهرَ يخطُبُ خطبةً وأيامه تَعْدُو عليَّ بنوباتٍ
عَصِيَتْ زماناً قد تجاسرَ صَرْفُهُ واتبعت يومَ الهم يومَ لذاذاتٍ
وأيقنتُ أَني مهجةٌ مستعمارةٌ تُرَدُّ إلى ملكِ المعيرِ بغُصَّاتٍ
فيا ليتني أمضيتُ ما كنتُ عازماً عليه ليشفي داءَ صدرِي ولوعاتي
وتلوح لنا مظاهر الهروب من الواقع المؤلم في هذه القصيدة وفي قوله (واتبعت يوم الهم يوم لذاذات) .

ان الراضي ينظر الى الحياة من زاوية واحدة فتبدو له وكأنها جلسة من جلسات الخمرية يقوم عليها ولدان منعمون ولهذا فانه يدعو في حماسة الى الاعتراف من هذا النعيم - في تصوره - ناسيا ، أو متناسيا أن الحياة ليست للهو وأن الانغمار في الملذات هو هروب شائن من وجه الحياة ومتاعبها ، فالعيش يكون مشوها اذا كان مثلما يريد الراضي في قوله (٢) :

العيشُ راحٌ يعاطيها براحتِه مُنَعَمٌ يقتضي عِشْقاً بلحظتِه
كأنما لونُها من لونِ وجنتِه وطعمُ ريقَتِها من طعمِ ريقَتِه
إن أمكن الدهرُ من عيشٍ بشهوَتِه فأنعم بغفلتِه من قبلِ فِطنتِه

ان الراضي يرى مما لا يراه المعتدلون ، فهو يتطرف في دعواته الى الأخذ باللهو ، وقد تكون دعواته هذه ذات طابع شخصي لكنها تظل رمزا لمجون الخليفة وانهزامه وتقصيره في واجباته ، خاصة اذا سمعناه يقول (٣) :

بادر بلهوكَ ليلةً بدريّةً واقصد بما تهوى برغم الحُسَدِ
ومرِ الغريرَ يُديرُ بكُرَّ سُلَافَةٍ لا تسمعنَ لعاذلٍ ومفتدٍ

(١) نفسه ١٦٤ .

(٢) اخبار الراضي ١٦٤ .

(٣) نفسه ١٦٦ .

يهتز في سودِ الثياب كأنه
 ما زلتُ أسحره بلحط خاتل
 حتى تورّدَ خدّه بمدامة
 كالمسك ذاتِ توقدٍ وتورّد
 وتبيّن الانعام في الحاظه
 مُتقربَ الألفاظ بعد تبعد
 يا ليلة كانت لدهري غرة
 طلعت علي نجومها بالأسعد

ومهما يكن فان هذه الاقوال تدل على صدق في اللهجة ، وهي حتى لو كانت خيالا لا تليق - بأمر المؤمنين - الراضي بالله الذي من واجبه أن يظهر - ولو زورا - أمام الناس بمظهر لائق فيه بعض الوقار وقليل من الحشمة . لكن الراضي ينسى أنه خائفة وان شعره سيذيع ، ويتناقل الناس مبادئ صاحبه وتصرفاته الخاصة المهينة ، ولهذا يكثر من وصف أنسه وملاهيته ، فيقول مثلا (١) :

داو الخمار بنجره وصل الصبوح بفجره
 واطرب لفطر زائر أهلا به وبزوره
 يا ليلة « بالقفص » (٢) جادلك العذول بعذره
 لما رأى رشأ يذيب العقل ذائب تيره
 متمردا في سكره متميلا في خطره
 كالبدور الا أنه بدر لسائر شهره
 فشربت خمرة كأسه ورشفت خمرة ثغره
 وزادني في طربي منعّم داني الرضا منّي ناء بالغضب
 يدبر راحا لمعت في كأسه وألبست من مزجه تاج ذهب

ومثلما هو سائد في الأسر المتسلطة المترفة آنذاك من الخلاعة ونزع الاحتشام ، كان الراضي يرمي في مسراته احتشامه جانبا فيؤثر لذته وشهوته

(١) نفسه ١٧٣ .

(٢) القفص : بلدة قرب بغداد .

على رأيه (١) وبدون أية غيرة على سمعته يقول واصفا جلسة من جلسات أنسه وطربه ومجونه (٢) :

قهوة	يترامى	شعاعها	بلهيب
جعلتها	حظ نفسي	عشقا لها	ونصبي
يوم سعد	مصفتى	من الزمان	المشوب
فسقة	تذكارا	لطاعة	المحسوب
واعصر	الرقيب فلاني	أحل قتل	الرقيب
أبى	شبابي إلا	عصية	لمشيبي
ما سود	النسك مني	الا بياض	ذنوبي

وما بنا من حاجة الى وضع أصابعنا على مواقع عصيان الراضي للرقيب وللرب أيضا ، ما دام « بياض ذنوبه » يذهب بسواد نسكه وما دام يرى أن هذا العصيان حلال إذا كان في اللهو والشراب الذي يديره ظبي يعرف مكانه ضعف الراضي ، وعيوبه فيخلق جوا أنسا ، مخمورا يجعل الراضي يقول (٣)

وعقار ذوب شمس	جمعت حسنا وطيبا
سلبت عقلي ختلا	وسرت في ديبها
قد سقانيها غزال	عالم مني عيوبها
حقق الريبة لحظ	منه خلاني مريبها
وترى الغصن لعطف فيه	إذا اهتز نسيبها

هذه الأبيات ليست إلا شيئا يسيرا من مظاهر الخلاعة عند الراضي وهو لا ينكر هذه المظاهر انما يصبها قوالب شعرية وكأنه ينفس بها عن همومه أو يعوض بها عن نقص كبير فيه .

(١) اخبار الراضي ١٥٨ .

(٢) نفسه ٤٣ . قام بحكم الصولي عن الراضي بعد وفاته « كان شديد الجبن يؤثر لذته وشهوته على رأيه » ويعلق الصولي على ذلك بقوله : « فنجبت والله من عقل بحكم ، جاء والله بعبية الذين ما كان فيه غيرها » .

(٣) اخبار الراضي ١٦١ .

(٤) نفسه ١٦٢ .

واذا كان عصره عصر شراب وغللمان فليس من حقه أن يكون أنموذجا ردينا لعصره لأن منزلته الدينية والاجتماعية يجب أن تحول دون سقوطه في هوة الانحرافات الزمنية ، لكن ما حدث حدث ، فالراضي ينهار أمام غلام « ناظر عن دعج محكم في المهيج » يدير كأسا فرجت هم الفتى بالفرج (١) يتخذ منه بؤرة يفرغ فيها همومه لينفرد معه يؤانسه ويسقيه و .. و يقول بعد كل هذا (٢) :

يا ربّ ليلٍ قد دنا مزاره يسترني ومؤنسي إزاروهُ
ساقٍ مليحٍ القدّ كد (٣) جاره سراجـه ووجهـه مناره
يشهد لي ببذله زنّـاره تاه بخد ظهـر احمراره
ماس من الحمرة جلّـناره أي كـثيب قد حوى إزاره
وأي غصن ضمنت أزواره طـوع الكؤوس ، غره عذاره
ويمكن بعد ذلك أن نتصور مدى ضعف الراضي أمام ملذاته وأمام غلـمانه
إذا عرفنا أن جسمه كان يصفر إذا ما تأمل محبوبه الذي يحمر خجلا « حتى
كأن الذي بوجنتيه » (٤) قد انتقل من دم الراضي الواله ، أو نتصور هذا
الضعف حينما نسمعه يقول (٥) :

ضللت في حيكـم فحسبي حتى متى اتبع الضلالا
إذا سمعنا ورأينا كل ذلك ثم إذا سمعناه يقول أيضاً (٦) :
بين الصرّاة وكرخايا (٧) تمردـه والعيش من نكبات الدهر معصوم

(١) اخبار الراضي ١٦٥ .

(٢) مروج الذهب ٤ / ٣٢٣ .

(٣) وتروى كز

(٤) المنتظم ٦ / ٢٦٧ .

(٥) نفسه ٦ / ٢٦٨ .

(٦) اخبار الراضي ١٨١ .

(٧) الصرّاة نهر في بغداد ينظر الاقاليم ٤٨ . وكرخايا نهر ببغداد يمر ببرائا . ينظر مراصد

الاطلاع ٣ / ١١٥٥ .

والغضب دين وشرب الراح مفترض والهتك مستعمل والصون مثلوم
أدركنا أي رجل غريب عن الخلافة والمسؤولية يحكم دولة مترامية
الاطراف ، ثم أدركنا لم تهرأت أركان هذه الدولة ، ورثينا بعد ذلك للمجتمع
المسكين الذي يحكمه خليفة ضعيف مثل الراضي المسرف في شهواته ولذائذه
(حتى أيام علته) ، المسرف في أموال دولته وابنتها « يهدم القصور ويصيرها
بساتين » (١) وينفق ما يجده في بيت ماله أو بيت مال المسلمين مسوغا كل
ذلك بقوله (٢) :

لا تكثرن لومي على الإسراف ربح المحامد متجر الأشراف
أجري كآبائي المكارم سابقا وأشيد ما قد أسست أسلافي
اني من القوم الذين أكفهم معتادة الاخلاف والاتلاف
ومن الطبيعي جدا أن يعتاد الراضي وأسلافه أو أخلافه اتلاف مال لم
يجهد به غير الصناع والفلاحين وسواهم من العامة المرهقين بالضرائب وسياط
الولة والجباة .

ان مجتمع الخلفاء وان أصابه الوهن والتفسخ لم يخل من نبضات إيجابية
سجلها لنا التاريخ : فبعد ذكر أن الراضي كان يتألم لما يراه من ضعف سطوته ،
وتخاذل هيئته أمام سيادة يحكم ، وابن رائق (٣) .
وذكر أن المطيع رفض أن يسمح للقاضي ابن أبي الشوارب بزيارته لأنه
ضمن القضاء (٤) وكان يظهر لبختيار استياء من تسلطه وانقراذه في السلطة (٥)
كما ذكر أن الخليفة القادر كان متعبدا « في أيامه تراجع وقار الدولة العباسية
ونما رونقها » (٦) .

(١) المنتظم ٢٦٧ / ٦ .

(٢) أخبار الراضي ٥٤ ، المنتظم ٢٧٦ / ٦ ، البداية والنهاية ١١ / ١٩٧ .

(٣) ينظر مروج الذهب ٤ / ٣٣٧ .

(٤) ينظر النبراس ١٢٤ .

(٥) الكامل ٨ / ٦١٨ .

(٦) الفخري ١٩١ .

القيمة الفنية :

يكاد شعر الراضي من حيث كثرته يوازي ما قاله بعض شعراء عصره ، وقد حظي باهتمام المؤرخين ورددوا في شاعريته الكثير من الاوصاف فقال المسعودي (١) : « إنه كان اديبا شاعرا ظريفا وله اشعار حسان في معان مختلفة وان لم يكن ضاهي بها ابن المعتز فما نقص عنه » .

وقال ابن الجوزي (٢) : إنه « كان ... اديبا شاعرا حسن البيان والفصاحة » وقال ابن تغري بردي (٣) : « إنه كان شاعرا محبا للعلماء وهو آخر خليفة له شعر مدون » .

وإذا عبرنا هذه الأقوال وغيرها ورأينا شعره بعين فاحصة تبين لنا الراضي شاعرا من الدرجة الوسطى ، ففي بعض قصائده ، أو أبيات من قصائده ومقطعاته ترسم رقة الشاعر وعذوبة الفاظه وطراوته وخاصة ما نظم في الغزل والخمرة ، وفي مقياس النقد آنذاك كان الراضي بارعا مثلا في قوله (٤) :

قالوا : الرحيل !! فأنشبت أظفارها في خدها - وقد اعتلقن خضابا -
فاخضرت تحت بناتها فكأنها غرست بأرض بنفسج عنابا
ففي البيت الأخير تشبيه - وان كان في مفهومنا ساذجاً - إلا أنه جيد وجنيل في مفهوم أهل عصره .

وإذا كان هناك نبضات شعرية عند الراضي تخوله أن يكون في عداد الشعراء ، فليس معنى هذا أنه شاعر متمكن فهو كما يبدو كان يقع في أغلاط بدليل قول الصولي (٥) « كان رضي الله عنه جمع شعره وأملأه عليّ فكتبته بحضرة الجلساء في يوم وليلة ، لا أقوم عنه إلا إلى الصلاة فوصلني على ذلك ، ونسخ الجلساء هذه النسخة وهي عندهم . فنظرت فيها فاذا فيها أشياء فقلت

(١) مروج الذهب ٤ / ٣٢٣ .

(٢) المنتظم ٦ / ٢٦٦ .

(٣) النجوم ٣ / ٢٧١ .

(٤) نهاية الأرب ٢ / ٩٥ .

(٥) اخبار الراضي ١٥٤ .

من حيث لا يسمعي أحد : يا سيدي هذا شعر يبقى على الأبد وقد بقيت فيه حروف تحتاج الى أن نغيرها ، فقد غير ابن المعتز شعره مرات وان أمرتني نسخته نسخة أخرى وعرضته على سيدنا ويأمر أمره . فقال : افعل وأنا أصلك للنسخ وغيره (١) ، فعملت نسخة كتبها ، وعرضتها عليه ، فسر بها وقال تأخذ نسخ أصحابنا منهم وتقرر النسخة على هذا » .

وهذا دليل واضح على مساعدة الصولي للراضي في تقويم شعره وتصحيح اغلاطه ، وهناك دليل آخر على هذا هو تغيير الصولي لبيت من إحدى قصائد الراضي وقبول الراضي بهذا التغيير (٢) .

ومع هذا فقد كان الراضي ذواقا للادب والشعر يؤكد ذلك لنا نقده لشعر ينسب الى المعتمد جاء فيه (٣) :

من قال اني اعشق لو صوروا الحب لكان رجلا أحـمق
ادور السطوح فلا أراه كأنني سينور أو أبلق
تمنيت من شوقي اليه أن أطلع عليه فأكون لقلق
هوى الناس مجتمع عندي وهواهم عليهم مفرق
فقد كتب تحت هذه الابيات :

لم يقل ذا الشعر الا جاهل بالشعر أحـمق
أو مصاب ذو جنون ضائع الفكرة أبلق
والراضي بعد هذا فيه روح استاذه ومربيه ابي بكر الصولي وهو وان كان اقصر منه نفسا فانه أكثر عفوية وأسلس لفظا ، ويثبت ما ذكرنا من تأثيره باستاذه قول الراضي نفسه (٤) :

« الصولي علمني الشعر وأنا أتبع الفاظه وأخو مذهبه » .

(١) تلاحظ كلمة غيره .

(٢) ينظر اخبار الراضي ٥٢ .

(٣) الديارات ٦٧ .

(٤) اخبار الراضي ٤٦ .

الخلاصة :

يمثل شعر الراضي حياة معظم خلفاء ذلك القرن وهو يبرز لنا المأساة الاجتماعية السائدة آنذاك ويبين بوضوح حياة البذخ والدعارة التي كان يحياها السادة على حساب عرق الناس ودمائهم التي كانت تبذل في سبيل أن ينال الخليفة وحاشيته المتعة والانس ، وكان هذا الشعر ايضا شاهدا نزيها يحكي صوراً حية للحياة السياسية المضطربة التي أذلت الخلفاء وأنهت سلطاتهم ، وقد انعكس وضعهم المزري هذا على روح الشعر فجاء كما رأيناه ضعيفاً ذليلاً خنوعاً .

وقد يكون معروفاً أن الخلفاء في القرن الرابع ضعفاء وأن لا سلطان لهم ولكن الذي دلنا عليه شعر الراضي شيء أكثر من هذا ، ذلك هو انغماس الخليفة في حياة الترف واللهو وما يصاحبها من سكر وغلمان وفجور ، ولم يحدث أن رأينا خليفة عباسياً صرّح بانغماسه في مثل هذه الميادين على هذه الصراحة والجرأة كما فعل الراضي .

وقد يكون في هذا ما يدل على استهانة الخليفة بما تحاط به الخلافة من أهبة هيبة وغير ذلك .

كما يمكن أن يدل على أن الناس لم يعودوا يستشارون لمثل هذه الأشياء التي يفترض أنها خارجة عن اطار الحشمة والعرف الديني أو الاجتماعي حتى كأنهم أمر معروف عن الخلفاء وحاشيتهم .

لقد أوضح شعر الراضي قضايا اجتماعية خطيرة ومع هذا لم ينتبه المؤرخون القدماء الى نواح عديدة مما سجله هذا الشعر وبخاصة فسق الخلفاء ودعارتهم ، واذا كان المؤرخون القدماء (١) يهابون تسجيل مثل هذه الامور

(١) ينظر مثلاً مروج الذهب ٤ / ٣٢٣ ، والمنتظم ٦ / ٢٦٥ ، وتاريخ الخلفاء ٣٩٠ وغير ذلك من كتب التاريخ القديمة ، ومحاضرات في تاريخ الامم الاسلامية (الخصري ٣٦٠ ط ١٠ مطبعة الاستقامة ، مصر) .

فلا ندرى لماذا لم يلاحظها ويهتم بها المؤرخون المحدثون (١) على علمية بعضهم ونظراته التاريخية الجيدة ؟

وأظن أن سبب إهمالهم هذه الأمور عدم تفحصهم بدقة اشعار هؤلاء الخلفاء لكي يستنبطوا منها حياتهم ويدرسوها في ضوء هذا التسجيل الذاتي ، الذي يعد خير ذخيرة للمؤرخ ودارسي المجتمع ، وكأنني بهؤلاء المؤرخين يستهينون بالشعر مصدرا للتاريخ .

الامراء :

منذ أن استبد الغلمان الاتراك زمن المعتصم وأمور الخلفاء في تضاؤل وأمور هؤلاء الغلمان في ارتفاع ، ولقد نالت الخلافة على يدهم الهوان والذل ، فقد قتلوا المتوكل والمعتز والمهتدي والمقتدر وسلموا القاهر والمتقي وعزلوهما ، وسلبوا ارادة الرازي (٢) بعد ان خلقوا منصب امرة الامراء (٣) وولوه لابن رائق ويحكم من بعده ثم توزون وغيرهم .

ولم يكن حظ الخلافة أحسن في عهد البويهيين الغزاة الجدد ، فقد جعلوا من امرة الامراء سلطة ملكية وراثية محصورة في آل بويه . لقد انتهى على ايديهم المستكفي وسلبت ارادة المطيع وخلع ، كما خلع ايضا ابنه الطائع وأهين وتفرد بهاء الدولة دون القادر بالسلطة (٤).

(١) ينظر تاريخ الاسلام السياسي ٣ / ٢٩ (حسن ابراهيم حسن ط ٦ مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٩٦٤) ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة للدوري ٣٢٣ . ومحاضرات في تاريخ الامم الاسلامية للخضري ط ١٠ مصر (مطبعة الاستقامة ص ٣٦٠) .

(٢) ينظر مروج الذهب ٤ / ١١٠ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ٣٠٥ ، وغيره من كتب التاريخ حوادث السنوات : ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٣٢٠ .

(٣) ينظر في الامارة (وخاصة امارة الاستيلاء) وشروطها ، الاحكام السلطانية : ٣٩ وما بعدها .

(٤) ينظر الكامل وغيره من كتب التاريخ حوادث السنوات : ٣٣٤ ، ٣٦٣ ، ٣٨١ .

ولم يكن للخلفاء خلال هذين العهدين من نصيب غير مباركة المنتصر من هؤلاء الأمراء واسبغ الالقاب أو يبيعها في سوق الذلة والجبن مما حدا بالخوازمي أن يقول في هؤلاء الخلفاء (١) :

ما لي رأيت بني العباس قد فتحوا من الكُنى ومن الألقاب أبوابا
ولقبوا رجلا لو عاش أولهم ما كان يرضى به للحش بوابا
قلّ الدارهم في كفّي خليفتنا هذا ، فأنفق في الأقوام ألقابا
وإذا كان هؤلاء الامراء «يجترئون على مقام الخلافة» فانهم لم يتورعوا
عن ارتكاب أبشع الجرائم ضد الناس ، وقد حدث هذا بالفعل فقد عبث
الامراء وجنودهم بمقدرات الناس (٢)، في مختلف الظروف السياسية المتقلبة ،
فانتهكوا حرمتها (٣) : وسلبوا أموالهم ولم يكن عند الناس من مقابل للحفاظ
على حياتهم غير الرشاوي والتدلل والاستعطاف بوساطة الدين الذي لم تعد له
تلك السطوة أو الهيمنة على عواطف هؤلاء الجند الاجلاف .

ومع هذا فقد اهتم بعض أمراء الاتراك - قبل العهد البويهي - بالادباء
والعلماء ، وكانوا ينطلقون في اهتمامهم البسيط هذا من نزعتهم المتعالية على
الناس ، ومن حب سيطرتهم على كل شيء حتى النواحي الانسانية التي يحس
بها قسم من الناس فيصوغونها شعرا أو نثرا يؤيد ذلك ما جاء على لسان بحكم
حين قال للصولي (٤) : « أنا انسان وإن كنت لا أحسن العلوم والآداب ، أحب

(١) اليتيمة ١ / ١٥٠ - ١٥٣ .

(٢) اخبار الرازي حوادث سنة ٣٢٧ هـ ، عبث أصحاب بحكم .

(٣) تنظر قصة الخياط والقائد التركي الذي انتهك عرض امرأة في (تشوار المحاضرة ١ /

١٥٠ - ١٥٣) .

وملخص هذه القصة أن قائدا تركيا حاول أن ينتهك عرض امرأة فاراد الخياط وجماعة معه
أن يمنعه فضرب القائد هذا الخياط وشج رأسه ، فقام الخياط وصعد المئذنة وأذن ، فانتبه
الخليفة والقواد فجاءوا الى الخياط وأخذوه الى الخليفة فقص عليه هذه الحادثة فكبس الجند
دار القائد التركي وأخرجوا المرأة منه ، وأمر الخليفة الخياط أن يؤذن كلما أحس بمظلمة ..
(٤) اخبار الرازي ١٩٥ .

ألاّ يكون في الارض أديب ولا عالم ولا رأس في صناعة الاّ كان في جنبتي ،
وتحت اصطناعي وبين يدي لا يفارقي . » .

وقد تكون هذه المشاعر المتساقطة تعويضا عن نقص نشأ عليه هؤلاء الامراء
سببه استرقاق العرب لهم أو لأبائهم فلذلك يحاولون أن يظهرُوا أنفسهم بمظهر
العلماء أو بمظهر الراعي للعلماء والادباء لكي يمنوا عليهم وعلى الناس الذين
يحترمون العلم والأدب ويبرهنوا بعد ذلك أنهم قادرون على أن يسبقوا العرب
حتى في لغتهم وآدابها وعلومها .

وقد زاد بنو بويه على الاهتمام بالشعر محاولتهم نظمه وقد يكون سبب
ولع آل بويه بالشعر قرب ايران - وطنهم الاصلي - من أرض العرب ،
وسبق دخول الاسلام مناطقهم ، إضافة الى أنهم حاولوا أن يبرزوا أنفسهم
عظماء في الحرب والأدب والعلم .. وقد يكون أهم الاسباب مرونة آل بويه
وانفتاحهم على المجتمع الجليل الذي حكموه بعكس الاثراك الذين انغلقوا
على انفسهم ولغتهم والتزموا جانباً واحداً من الحياة هو الجانب العسكري
المتسلط (١) .

وقد خلف لنا آل بويه نماذج من نظمهم فتمكننا من استخلاص كثير
من النواحي الاجتماعية وغيرها وقد جعلنا من هذا النظم منطلقاً لتصوير
حياة الامراء بمجموعهم ، فهو يعكس صوراً من حياتهم واهتماماتهم
وتطلعاتهم .

فاذا انغمس هؤلاء الامراء في حياة اللهو والبذخ برز ذلك في شعرهم
واضحاً جلياً (٢) . فقد كانت مجالس الشراب والأنس عادة سائدة في قصور

(١) ينظر في ابتعاد الاثراك عن الاندماج بغيرهم ، حضارة الاسلام ص ٢١٥ وما بعدها .
(٢) يصور الاستاذ الدكتور جميل سعيد اقبال الامراء على الترف واللهو مصاحباً للحياة
المضطربة ، وليس الامر كذلك لأن اللهو يحصل بحصول الفراغ والفراغ معناه وجود الهدوء لا
الاضطراب الذي يأخذ من وقت الامراء الكثير لازالته ومحاربة مسببه . (ينظر الوصف في شعر
العراق ٢٨٣) .

الامراء البويهيين ولذا نرى عز الدولة (بختيار) يقول (١) :

لأشرب على قطر السماء القساطر في صحن دجلة واعصر زجر الزاجر
مشمولةً أبدى المزاج بكأسها دراً نثيراً بين نظم جواهر
من كفّ أغيد يستبيك إذا مشى بدلال معشوق ونخوة شاطر
ويبدو أن آل بويه مغرمون بشرب الخمر مع سقوط المطر (وقد يكون
صوت سقوط القطرات المائية مؤثراً في نفوسهم المشبعة بروح النصف
والقساوة ...).

وكان من الممكن أن نعتبر هذه الظاهرة نزوة طارئة لو أن (بختيار)
انفرد بها لكن عضد الدولة جاء ليؤكد هذه الرغبة ويزيدها شيئاً من التعالي
والشعور بالعظمة في قوله (٢) :

ليس شربُ الراح إلا في المطر وغناء من جوارٍ في السحر
غانيات مبرزات للنهى ناغمات في تضاعيف الوتر
مبرزات الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاقَ البشر
عضد الدولة وابن (٣) ركنها ملك الاملاك غلاب القدر

وإذا كان عضد الدولة في هذه الأبيات يقدم سورة للهو المحتشم — نوعاً
ما — فإن عز الدولة (بختيار) يرسم لنا صورة مبتذلة للامير اللاهي الذي
ينسى منزلته ومسؤولياته وينغمس في موبقاته الكثيرة ... يقول بختيار (٤) :

(١) اليتيمة ٢ / ٢١٩ ، الدمية ١ / ٢٦٤ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٢١٨ ، الوفيات ٣ / ٢١٨ ، الكامل ٩ / ٢٠ ، البداية والنهاية ١١ / ٣٠٠ ، يتساءل الدكتور السامر فيها إذا كانت لبيتهم الاصلية المطرة وحنينهم إليها علاقة في هذا الشعر .

(٣) لا يستقيم الوزن الا باشباع حركة النون .

(٤) اليتيمة ٢ / ٢١٩ .

فيا حبذا روضتا نرجس تحيي الندامى بريحانها
 شربنا عليها كأحداقنا عقارا بكأس كأجفانها
 ومسنا من السكر ما بيننا نجرر ريطاً كقضبانها
 والصورة هنا جلية : ملك بأبهته وعظمته وقوته الجسمية (١) الخارقة تذهب
 الراح بعقله فيميس سكرها وابتدالا .

ويختلط الغزل الغلmani بالخمرة في شعر الامراء فيظهر لنا مقدار ولهمم
 بالغلman وحبهم لمعاشرتهم وقد مر قول بختيار يستحسن الخمرة : « من كف
 أعيد يستبيك ... البيت » . وليست قصة بختيار هذا وانهاره أمام أسر عضد
 الدولة لغلame بغريبة على هؤلاء الامراء (٢) .

وتاج الدولة بن عضد الدولة لا يختلف عن ابن عم أبيه بختيار في حبه
 للغلman السقاء - بخاصة - وهو يجاهر بما يفعله معهم مجاهرة لا تدع مجالا
 للشك في شذوذه وغلmanيته وقد لا يتصورها تاج الدولة لانه حين يقول (٣) :
 سقاني سحرا خمره وقد لاحت لي النره
 غزال فاتن الطرف ملىح الوجه والطهره
 انا ملك وقد ملكت روحي صاحب الوفرة (٤)
 وقد زرفن (٥) صدغيه على أبهى من الزهره
 اذا حاول ان يجهل أو تبدو له نفره
 أعان الشيخ ابليس عليه فأتى مكره

(١) المعروف عن بختيار قوته الجسدية الخارقة التي تؤهله لأن يصرع اكبر الثيران .
 (٢) وملخص القصة أن عضد الدولة أسر لبختيار عام ٣٦٦ غلاما كان يحبه بجنون ، فانهار
 بختيار وكتب الى عضد الدولة يتنازل له عن كل ما يملك في سبيل أن يسترد غلامه فسقطت هيئته في
 أعين جنده وأعين الناس .

(٣) اليتيمة ٢ / ٢٢٢ ، الدمية ١ / ٢٦٦ .

(٤) الوفرة : مجتمع الشعر في مقدمة الرأس ، تلاحظ عملية التفنن في تجميع الشعر .

(٥) زرفن : أي تفنن في عقص شعره .

ينطلق من اعتيادية هذا الشذوذ وصيرورته عملية لا تُعْجِل حين
يُجَاهَر بها ، قَالَ بويه مولعون بها ولهاً بيئاً وهم بذلك يجارون تيار العصر
الذي جرفهم في سيره مثلما جرف غيرهم من الحكام أو غير الحكام .
وفي قول تاج الدولة نلاحظ عند الغلمان عملية التفنن في الشعر :

(وقد زَرَفَنَ صُدْغِيه ... البيت)

ونلاحظ هذه العملية ايضاً في قول ابي العباس بن فيروز بن ركن الدولة
وهو يتغزل (١) :

أدر الكأس علينا	أيها الساقى لنطرب
من شَمُول مثل شمس	في فم النِلمان تغرب
فحككت حين تجلّت	قمرًا يلثم كوكب
ورد خلدیه جَنِيّ	لكن الناطورَ عقرب (٢)
فاذا ما لدغت فالريق	درياق مجرب

واذا تركنا ارتباك هذه الأبيات وضحالتها الفنية واهتمنا بنواحيها
الاجتماعية تبين لنا ما في تفنن هؤلاء الغلمان بشعورهم من اغراء لسادتهم
السكاري ، كما تبين لنا مقدار مهنية هؤلاء الغلمان ودعارتهم .

وفي الوصف الذي قاله امراء آل بويه نجد الالفاظ (الثمينة) — ان جاز
القول — منتشرة في ثنايا اشعارهم وهي تبين عن نفسيات قائلها وأحوالهم
الاقتصادية ونظراتهم المترفة حتى الى الامور الصغيرة .

فالامراء المخنوقون بالترف والنعيم وأنواع الطيب والحلى والمتع الجسدية
وغيرها لا يمكن أن يصفوا أكلة مثل (البَهْطَه) (٣) الا بمفهومهم الخاص
ونظراتهم الاميرية .

(١) اليتيمة ٢ / ٢٢٣ .

(٢) تلاحظ عملية قص الشعر على شكل ذيل عقرب .

(٣) البهطه : لحم سين وتوابل وأرز وزعفران وسكر الطبخ : ٣١ ، ويسمى صاحب
الطبخ « المهلبية » أيضا ، وقد قال عنها محقق اليتيمة محي الدين عبد الحميد خطأ « أنها الارز باللبن »
ويبدو أنه نقلها من اليتيمة ط الصاوي ١٩٣٤ .

وإذا أراد عضد الدولة أن يصفها وعجز - كما يقول الثعالبي - عن وصفها بعض الشعراء قال (١) :

بَهَظَّه تعجز عن وصفها يا مدعي الأوصاف بالزور
كانها في الحمام مجلدة - وآليء في ماء كافور
فالحام ، والآليء ، وماء الكافور لا يمكن أن تتبادر الى ذهن انسان أو شاعر بعيد عن معايشتها والتنعيم بها .

ومثل ذلك نلاحظه في وصف عضد الدولة الخبيري (٢) الذي يقول فيه (٣) :

يا طيب رائحة من نفحة الخبيري إذا تمزق جلباب الدياجير
كأنما رُشَّ بالماورد أو عبقت فيه دواخن ندى عند تبخير
كأن أوراقه في القد أجنحة صفر ، وحمرة ، وبيض من دنانير

ان هذه الكلمات مستأغة في مفهوم رجل يملك دولة ويعيش في جنان خلقتها سواعد المعلمين ، وهو بعد ذلك عضد دولة وتاج ملة لكنها لن تكون مستأغة لو لآكها شعراء مثل ابن لنكك أو الحيزأرزي أو الأحنف العكبري ، لأنها بعيدة عن حياتهم ، ولو أنهم شاهدوا جوا مترفا عند شخص منعم وحاولوا أن يدخلوا مثل هذه الألفاظ في أشعارهم نبت بها السنتهم وكبا جواد شعرهم فجاء هذا الشعر كاذبا متكلفاً .

وإذا عدنا الى تتبع روح الثعالبي التي لحظناها عند عضد الدولة (من فاق البشر ، وغلاب القلدر) نجدها أيضاً عنده حينما ارسل اليه أبو تغلب بن حمدان يعتذر عن مساعدته لبختيار ويطلب منه الأمان فأنشد يقول (٤) :

(١) اليتيمة ١٧/٢ ويبدو لي أن عضد الدولة لم يرتجل هذين البيتين كما يصور لنا ذلك صاحب اليتيمة ، فقد يكون عمل على احضار البهظ ليمتحن الشاعر الذي ذكره الثعالبي وعرف مسبقاً أنه سيعجز لذلك وضع البيتين سلفاً وحين عجز الشاعر قالها عضد الدولة ليظهر للناس أنه شاعر قادر على الارتجال ولا أظنه كذلك .

(٢) الخبيري نوع من النبات .

(٣) اليتيمة ٢/٢١٨ .

(٤) الكامل ٩/٢٠ .

أُفاقَ حينَ وطئت ضيقَ خناقه يبغى الأمان وكانَ يبغى صارما
فلأركبنَ عزيمةً عضديّة تاجية تدع الأتوف رواعما
أو نجدها في قوله (١) :

قتلت صناديد الرجال فلم أدع عدوا ولم أهمل على جيشه خلقا
وأخلّيت دور الملك من بعد عزهم فشردتهم غرباً وبددتهم شرقا
وقد يكون في واقع حياة عضد الدولة ما يسند قوله هذا فلقد كان شديدا
في حكمه مخنكا في سياسته .

ومثلما كان آل بويه يتوارثون الامارة أو الملك كانوا يتوارثون مظاهر
التعالي والعجرفة ، فقد استمر تعالي عضد الدولة في عقبه وبرز عند ابنه تاج
الدولة رغم ما لحقه من نكبات على يد أخيه أبي الفوارس .
ونجد عند تاج الدولة ميزة الفخر بآبائه وذويه وهو ما لم نجده عند عضد
الدولة التي كانت « الأنا » هي الغالبة على فخره .

فاذا أراد تاج الدولة أن يقول فخرا أشرك معه أباه وذويه وأنشد (٢) :
أنا ابن تاج الملة المنصور تـاج الدولة المرحو ذو المناقب
اسماؤنا في وجه كل درهم وفوق كل منبر لحاطب
واذا كان الفخر هم تاج الدولة في هذين البيتين فانه قد أرخ - من حيث
لا يدري - لظاهرتين سياسيتين خطيرتين هما ضرب دراهم عليها صور آل
بويه ، وذكرهم على المنابر أثناء الخطب ، ولم يكن شيء منهما للامراء قبل
القرن الرابع أو في أواه (٣) .

(١) تاريخ الاسلام العباسي ٤٨ / ٣ .

(٢) اليتيمة ٢٢١ / ٢ .

(٣) ذكر احد الخطباء مع الخليفة الراضي اسم ابن ياقوت فغضب الراضي وطرده الخطيب
وفي زمن الراضي ايضا ضربت دراهم عليها من جهة : انما العز فاعلم ، للامير المعظم ، سيد
الناس بحكم ، وهي مكتوبة حول صورة بحكم وهو شاك في سلاحه وفي الجهة الاخرى الصورة
بعينها وهو جالس كالمفكر المطرق ، المروج ٣٣٧ / ٤ .

ومن مظاهر التفاخر والثقة العالية بالنفس عند تاج الدولة قوله (١) :
 أنا التاج المرصع في جبين الممالك سالك سبيل الصلاح
 كتائبنا يلوح النصر فيها برايات تطرق بالنجاح
 تكاد ممالك الآفاق شرقا تسير اليّ من كل النواحي
 ولم تكن كل مظاهر التفاخر هذه دليل قوة عند تاج الدولة بقدر ما هي
 دليل على وجود نزعة فردية عند الحاكم البويهي بصورة عامة .

ان حياة اللهو التي كان آل بويه يخيونها مقتصرة على مجالس الشرب
 والتمتع بالغلمان ، فقد كانوا يخلقون لهم أجواء أخرى تزيل من حياتهم
 الرتابة والملل وتجدد حيويتهم ، وقد كان الطرد من مقومات حياة تاج الدولة
 البويهي سجل لنا ذلك في طردية جاء فيها (٢) :

صرنا مع الصباح بالفهود مردفة فوق متون القود
 قد وطئت توطئة المهود بالقُطُف (٣) والجلال واللبود
 فهي كقوم فوقها قعود قد ألبست وشيا على الجلود

* * *

وقطعت حبال المسود تفوت لحظ الناظر الحديد
 ركضا الى اقتناص كل رود فكم بها من هالك شهيد

* * *

جدنا بها واللود بالموجود فكثرت ولائم الجنود
 وشبت النيران بالوقود

وهنا نعرف - اضافة الى معرفتنا بولع تاج الدولة بالطرد وما يحصل فيه
 من متع ونزهة ، أن الفهود كانت موجودة في منطقة الأهواز وان الحيوانات

(١) اليتيمة ٢ / ٢٢١ .

(٢) نفسه ٢ / ٢٢١ .

(٣) القطف جمع قطيفة (والقطيفة دثار مخمل) وقيل : كساء له خمل اللسان ٨ / ٢٨٦ .

التي تستعمل لحملها كانت تجلجل بالنقطة واللبود ويشدّ عليها الصيد بحبال من الليف (المسود) .

ولم تكن حياة آل بويه المنعمة خالية من المنغصات والمشاحنات والاضطرابات ، فقد قتل بختيار على يد ابن عمه عضد الدولة ، وحصل صراع حاد خطير بين ابناء عضد الدولة بعد وفاته ادى الى سجن بعض وقتل بعض آخر (١) . وقد ظهر التدمير من اطماع ابناء عضد الدولة وابناء عمومته بعضهم على بعض في شعر تاج الدولة الذي يقول فيه (٢) :

أفكرُ في بني أبي	وفعل بعض اخوتي
تقنع بالاهواز لي	وواسط والبصرة
ان لم تزر بغداد بي	عمّا قليل كبتّي (٣)
وعسكر عرمرم	يملك كل بلدة
حشوا الجبال والفلا	مواكب من غلّمي

ولم تزر بغداد حملته الحربية وعسكره العرمرم فقد نكبه أخوه أبو الفوارس وحبسه وجعله يخنخ لليأس والتواكل ، فانهارت كلمات شموخه وجبروته وقال حينئذ (٤) :

حتى متى نكبات الدهر تقصدني	لا استريح من الاحزان والفكر
اذا أقول مضى ما كنت أحذره	من الزمان رماني الدهر بالغير
فحسبي الله في كل الامور ، فقد	بدلتُ بعد صفاء العيش بالكدر

وهكذا نرى أن اطماع المستغلبين لا تتغير في كل العصور والاماكن فالمستغل لا يعرف أخاه - بل هو يقتله - ان وقف في طريق أطماعه وهذا ما

(١) ينظر على سبيل المثال العبر ١ / ٣ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٢٢٠ .

(٣) الكبة الحملة في الحرب .

(٤) اليتيمة ٢ / ٢٢٢ .

رأيناه عند بعض الخلفاء والامراء وسنراء عند بعض الوزراء وغيرهم من عتاة ذلك العصر الموبوء .

القيمة الفنية :

شعر آل بويه قليل ، وهو على قلته لا يعدوان يكون كلمات مرصوفة في قوالب شعرية ممتة ، ولن تغرنا كلمات الدجل التي وصفها صاحب بن عباد بها شعر عضد الدولة حين قال (١) : « لا غرو اذا فاض بحر العلم على لسان الشعر أن ينتج ما لا عين وقعت على مثله ولا أذن سمعت بشبهه » .

ان هذا الاطراء يتنافى الذوق النقدي السليم وقد أورده الثعالبي على لسان أحد خدام آل بويه الذين يهيمهم أن يحافظوا على مراكزهم في الدولة ولو على حساب الحقيقة . اما الثعالبي نفسه ، فاذا ذكر عضد الدولة وشعره قال (٢) : « كان على ما مكن له من الارض ... يتفرغ ، للادب ويتشاغل بالكتب ويؤثر مجالسة الادباء على منادمة الامراء ويقول شعرا كثيراً » .

ولنلاحظ « ويقول شعراً كثيراً » فالثعالبي لم يجزؤ أن يفخّم شعر عضد الدولة أو يعطيه صفة شعرية معينة وقد نشمّ من قوله السالف وجهة نظر معناها : ان الشعر الذي يأتي به عضد الدولة السياسي ، الاداري هو فضل منه لأنه لم يكن يمتلك الوقت ولم يكن رجل شعر انما كان رجلاً محباً له مشجعاً لأهله .

وحين يصل الثعالبي الى تاج الدولة بن عضد الدولة يصفه بأنه أشعر آل بويه (٣) لكنه لا يعطيه صفة الشاعر التامة ، فشعره من شعر آل بويه الساسة ، يكتبونه حسب أوقات فراغهم ويمنون به على الناس يوهمونهم بشاعريتهم أو يجبرونهم - بما يمتلكون من سطوة ومال - على أن يقولوا بهذه الشاعرية الموهومة ويصفقوا لأصحابها دجلاً وخرفاً .

(١) نفسه ٢ / ٢١٧ .

(٢) نفسه ٢ / ٢١٦ .

(٣) اليتيمة ٢ / ٢٢٠ .

خاتمة :

قد يكون عسيراً على المؤرخين القدامى أن يثبتوا ما كان عليه الأمراء وبخاصة آل بويه الاقوياء من شذوذ وانحراف ، وما جبلت عليه نفوسهم من طبائع غريبة .

وقد عوضنا شعر آل بويه أنفسهم عما أهمله المؤرخون— عن قصد — فأظهر لنا آل بويه على حقيقتهم ، متعجرفين ، قساة ، قتلة ، أنانيين ، شاذين في خلقهم حكموا العراق اغتصاباً فساموا أهله الذلة ، وأذاقوهم مرارة الجوع ، وبثوا بينهم الاحقاد والفتن ، والبدع ، ليلهوهم عن مظالمهم ، فيصفوا لهم جو النهب والانغمار في الملمات .

الفصل الثالث

الوزراء

كان الوزير (١) في الدولة العباسية المدبر الأول للأمور السياسية والادارية لا تعلو على كلمته إلا كلمة الخليفة وقد ظلت سلطته التدييرية (٢) هذه بالرغم مما طرأ على الوزارة من اضطراب رافق التدهور العام لسياسة الدولة .
لقد صارت الوزارة أيام المقتدر لعبة بيد نساء دار الخلافة وخدمها ، تحجز لمن ينفذ متطلبات هؤلاء المتسلطين الشرهين ، وصار الوزير لكثرة ما عزل وعيّن من الوزراء موضع تنذر الناس والشعراء .
فحين يعزل ابن الفرات ويعيّن محله حامد بن العباس يقول ابن بسام (٣) :

يا ابن الفرات تعزّ
لما عزّلت حصلنا
قد صار أمرك آية
على وزير بدايه
واذا لم يستطع حامد هذا تدبير أمور الدولة وألهاه عنها جشعه وشهراته
دبرها عنه علي بن عيسى مع احتفاظه بصفة الوزير وفي ذلك قال الشاعر (٤) :

(١) تنظر شروط الوزارة في الاحكام السلطانية ٢٢ وما بعدها .

(٢) ينظر بروكلمان تاريخ الشعوب الاسلامية ١٠ .

(٣) تكملة الطبري ٢٠ .

(٤) التثميل والمحاضرة ١٤٥ .

أعجب من كل ما تراه أن وزيرين في بلاد
هذا بلا وزير وذا وزير بلا سواد

ومع كل هذا الاضطراب ظل الوزير في عهد الاتراك وزيرا للخليفة
(وان « لم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور (١) في عهد ابن رائق الذي
بدأ سنة ٣٢٤ هـ » ومن تولي امرة الأمراء بعده (٢) .

فلم يكن الوزير يقطع بشيء دون مشورة الخليفة ورأيه .
أما في العهد البويهي فقد بطلت وزارة الخليفة ولم يعد له وزير يعتمد في
تدبير أمور دولته « إنما يكون له كاتب على إقطاعه » (٣) .

وحين احتل معز الدولة البويهي بغداد عام ٣٣٤ صارت الوزارة له ،
يستوزر لنفسه من يريد وأول من كتب لمعز الدولة وقام مقام الوزراء أبو
الحسن علي بن محمد بن مقله ، وأول من وزر لمعز الدولة أبو جعفر الصيمري
الذي خلفه بعد ذلك الوزير المهلب .

حين أصبح الوزير تابعاً للملك البويهي نشأت بينهما علاقة جديدة فقد
معها الوزير كيانه الإداري الواسع الذي كان عليه قبل البويهيين وامرة
الأمراء ، وأصبحت الأوامر تصدر إليه من هذا الحاكم الجديد فيطيعها ذليلاً
وقد يلقي أهانات مرة (٤) .

ظهرت هذه العلاقة في الشعر الذي كان يرفعه الوزراء أو من جرى
مجراهم الى مقام الملك البويهي فحين يقدم عبد العزيز بن يوسف تهنئة الى عضد
الدولة يقول له بخنوع (٥) :

(١) الكامل ٨ / ٣٢٣ .

(٢) البداية والنهاية ١١ / ١٢ .

(٣) نفسه ٨ / ٤٥٢ .

(٤) الكامل ٨ / ٤٥٢ .

(٥) تنظر إهانة الوزير المهلب في تشوار المحاضرة ١ / ٧١ ، مجلة سومر ج ٢ س ١٩٥٤

ص ١٩٧ .

يفدى مقامك فيه الخلق قاطبة . ونحن نفديك بالأرواح والمقل
وحين ينظر عبد العزيز بن يوسف عضد الدولة يراه بمنظار يستصغر فيه
نفسه والآخرين فيبدو « كأن الناس زور ما خلاه » (١) أو كأن الدنيا لم تخلق
إلا له (٢) .

ألا يا أمير المشرقين ومن به تفاخرت الدنيا وكان له القعز
ولم تُخلق الدنيا لغيرك فانتظر فهذا هو الفأل المحقق لا الزجر
ومع أن هذه العلاقة لا تشرف الوزير كثيراً إلا أن منزلته عند الناس لم
تكن بالقليلة ، وبخاصة إذا كان شاعراً أو أديباً ، لأن اختيار أهل الأدب
والشعر للوزارة أو الكتابة منح الشاعر أو الأديب سمة جديدة فيها شيء من
الاحترام ، كما منح الوزارة صفة التفتح الذهني وسعة الأفق .

لقد وجدنا في القرن الرابع وزراء كثيرين ينظمون الشعر ، فابن الفرات
له شعر وعلي بن عيسى له أبيات شعر وأبو علي بن مقلة شاعر . وفي العهد البويهي
أصبح تقلد الشعراء للوزارة شيئاً مألوفاً ، فالمهلب شاعر قبل أن يكون وزيراً
وعبد العزيز بن يوسف ، وعبد الرحمن بن الفضل الشيرازي ، وعلي بن القاسم
القاتاني (٤) شعراء كان يحسب لهم المؤرخون حساباً شعرياً مثلما يسجلون
مسائلهم الإدارية .

ولقد كان شعر الوزراء بيتاً ، فهم يقولون الشعر في المناسبات الخاصة
أو ترجية لفراغ قاتل ، أو أرضاء لأمير ، أو تنفيساً عن هم أو إبرازاً لتزوة
طارئة . . ونظمهم يبين صوراً من حياتهم السياسية والاجتماعية والثقافية ، وإذا

(١) البيعة ٢ / ٣٢٣ .

(٢) نفسه ٣٢٤ .

(٣) نفسه ٣٢٥ .

(٤) ومثل هؤلاء كان صاحب بن عباد وابن العميد في فارس . وهذه سمة العصر فقد كان
أغلب الوزراء يختارون من الكتاب والكتابة كانت طريقاً إلى الوزارة ولما كان الكتاب هم مثقفو
العصر فقد كان عليهم أن يلموا باطراف الصناعات الكلامية ومنها الشعر (ملاحظة د. السامر) .

تسلسلنا تاريخياً في عرض شعر الوزراء وجدنا شطراً كبيراً من حياة كل وزير ملتصقاً بمفردات الفاظه .

فابن الفرات علي بن محمد (ق ٣١٢) حين يضيق به العمل في المصادرات والدسائس والتدابير الادارية يجلس للشرب فتغنيه (بَدْءَة) ثم ينتشي فينظم (١) :

إذا بَدْءَة جَوَدَتْ عودها تذلل في ضربها كلَّ صَعْبٍ
تُغْنِي فتُجني ثمار القلوب وتُهدي سرورا الى كل قلبٍ
ولم يكن غريباً على ابن الفرات أن يمتدح مغنية بعد أن حصل على الوزارة وهو مقيّد بمنة القهرمانات والجواري والخدم .

ووزير يصل الى الوزارة سالكاً مثل هذا الطريق يحاول ألاّ يضيع أوقاته سدى ، فهو ينعم بلذة اللهو مثلما ينعم بخيرات الوزارة ومواردها ، فاذا رأى أنه كدّ نفسه وأرهقها في العمل تبسّط في الأُنس وعقد مجالس الشراب وأنشد (٢) :

خليلي قد أُمِيتُ حيرانَ موجعا وقد بان شرحٌ للشباب فودّعا
ولا بد أن أعطي اللذّاذة حقّها وان شاب رأسي في الهوى وتصلعا
ذا كنت للأعمال غيرَ مضيع فما حق نفسي أن أكون مُضَيِّعاً

ويثبت التاريخ أنه كان حريصاً على الوزارة محاولاً اللحاق بدستها بأية وسيلة من الوسائل ، ويثبت هو أنه كان لاهياً لا يضيع من عمره دقائق ولو معدودة دون أن يجلس للهو يواصل صاحبات الهوى والعشق ويقول (٣) :

معدّتي هل ليّ إلى الوصل حيلةٌ وهل ليّ إلى استعطاف قلبك من وجهٍ
فلا خير في الدنيا وأنت بخيلة ولا خير في وصل يكون على كُرّه

(١) الوزراء ٢١٥ .

(٢) نفسه ٨٦ .

(٣) الوزراء ١٦٠ .

ان روح اللهو والتصابي التي نراها عند ابن الفرات نفتقدها عند الوزير علي بن عيسى الجراح (ت ٣٣٤) فقد ارتفعت نفسه عن أساليب الوزراء الآخرين في الدس الرخيص والمؤامرات والسرقات والمظالم لأنه كان يرى « أن ظلم الأتباع مضاف الى المتبوع (١) » لا محالة ولهذا استعفى أو رفض الوزارة أكثر من مرة (٢) .

وهو إذا قبل الوزارة أو أجبر عليها ورأى الناس يلتئمون حوله متملّعين مقدّمين ضروب الولاء والطاعة اشمازت نفسه وقال (٣) :

ما الناس الاّ مع الدنيا وصاحبها فكيفما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فإن وثبت يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا
ولإذا أعفي من الوزارة بدسياسة من تجارها لم يفت ذلك في عضده وجابه
شماته الأعداء والنكبات بقلب مؤمن صابر ولسان يقول (٤) :

ومن يلك عني سائلا لشماته لما نابني أو شامتا غير سائل
فقد أبرزت مني الخطوب ابن حرة صبوراً على أهوال تلك الزلازل
إذا سرّ لم يبطّر وليس لنكبة إذا نزلت بالخاشع المتضائل

ومع كل هذه الكبرياء والمشاغر الصلبة انهار علي بن عيسى حينما نكبه ابن الفرات فقبّل يده ورأس ابنه المحسن (٥) . لكنه مع ذلك يظل الوزير الذكي المترفّع عن الدنايا بالنسبة لذلك العصر في الاقل .

ولإذا انتقلنا الى الوزير ابن مقلّة محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٢٨) وجدنا كبرياءً من نوع آخر . كبرياء ممزوجة بروح الجرأة والمغامرة والتحدي والتصميم ، فحين أراده بعض أصحابه أن يلقي بعد نكبته الفضل ابن الفرات

(١) الاعجاز والايجاز ١٠٦ ، وينظر في حسن اخلاقه بالنجوم الزاهرة ٣ / ٢٨٨ .

(٢) ينظر الوزراء ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٤٠ .

(٣) المنتظم ٦ / ٢٠٥ .

(٤) نفسه ٦ / ٣٥٢ ، معجم الادباء ١٤ / ٧٠ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٨٩ .

(٥) الوزراء ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

وزير الراضي قال (١) :

وقائلة قد أضعت الصواب بترك هذا الوزير الجديد
فقلت لها لا عداك السرور ولا كان قولك إلا سديدا
أمثلي تطاوعه نفسه على أن يرى خاضعا مستريدا
ولا نريد أن نثبت ان كان صادقا في تعففه أو مدعيا ، فعصره المملوء
بالدجل واهدار ماء الوجه وبذل القيم العرفية من أجل المنصب يجد له العذر
ان كان مدعيا ، ويمنحه البطولة ان كان صادقا ، والصدق يمكن له أن يرجح ..
وحين يحاول جهده أن يحافظ على منزلة الخلافة من تسلط ابن رائق ينأمر
عليه الراضي ببجته السياسي ويخونه حيث أراد له ابن مقلّة المنعة ، فتقطع يده
ويحبس ويصور لنا هذه المؤامرة بقوله (٢) :

ما سئمت الحياة لكن توثقت بأيمانهم فبانت يميني
بعث ديني لهم بدنيائي حتى حرموني دنياهم بعد ديني
فلقد حطت ما استطعت بجهدي حفظ ارواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش يا حياتي بانت يميني فيميني
وتشير هذه القطعة بشكل ملحوظ الى خيانة الراضي وفساد تدبيره كما
تبين لنا جرأة ابن مقلّة أمام قسوة ابن رائق وتجرّبه هو وجنده .

وقد نمت هذه الشجاعة والجرأة المطامح الكامنة في نفس ابن مقلّة فكان
يتوسل بمختلف السبل من أجل أن ينال بعضاً من مطامحه ، ولأن أقصى أمنياته
نيل الوزارة والبقاء فيها ، اتبع كثيراً من الأساليب حتى ارتقى من كاتب

(١) الفخري ٢٨٢ ، الوفيات ٤ / ٢٠٠ .

(٢) المنتظم ٣١١ / ٦ ، الفخري ٢٧٢ مع اختلاف في الالفاظ ، وكان سبب قطع يد
ابن مقلّة هو تحريضه الراضي على ابن رائق وضمانه الوزارة . وبعد أن يوافق الراضي يمين
ويطلع ابن رائق على مراسلات ابن مقلّة فتقطع يد ابن مقلّة جزاء وفائه للراضي .

صغير إلى وزير ذي شأن وهو يصور لنا طامحه هذا بقوله (١) :
 وإذا رأيت فتىً بأعلى رتبة في شامخ من عزّه المترفع
 قالت لي النفس العروفُ بفضلها ما كان أولاني بهذا الموضع
 لقد كان واثقاً من نفسه متطلعاً إلى أعلى يمزج هذه الثقة وهذا التطلع
 بمغامرة دفعت به إلى الوزارة والموت .

ومع ما نجده عند ابن مقلة من صلابة ومغامرة نجد عنده أيضاً الصدق
 والوفاء ، فقد وعد بأن يقوم باصلاحات ان تولى الوزارة ففعل وأطلق
 المحبوسين حين تولاها بداية خلافة الرازي (٢) ، وكان يحاول ان يبتعد عن
 اسلوب المصادرات وهتك أعراض الناس مردداً « أنا في وزارتي أقدم على
 العظام كلها الا على اثنتين : إزالة النعم وهتك الحرم (٣) .

وإذا أراد أن يدلل على وفائه وحسن صداقته وإخلاصه قال (٤) .
 لست ذا ذلة إذا عضتي الدهر ولا شامخاً إذا واتاني
 أنا ناراً في مرتقى نقس الحاسد ماء جارٍ مع الاخوان
 ولا تغير صلابة ابن مقلة ومطامحه من صفته الانسانية ومشاعرة الابوية
 فحين يمرض ابنه يكتب له (٥) :

لقاك ربك صحة وسلامة ووقاك ربي طارق الأدواء

(١) ذكرها الثعالبي اليتيمة (١١٩ / ٣) على أنها لأبي الحسن بن مقلة ونقلها عنه ابن
 خلكان على أنها لأبي علي محمد بن مقلة ، والمعجب أن محقق الكتابين محي الدين عبد الحميد لا يعلق
 على هذا الوهم بشيء إنما يرجعنا في ترجمة أبي الحسن بن مقلة إلى ابن خلكان في ترجمته لأبي علي
 بن مقلة ، ولست أدري كيف فات الامر على المحقق فأبو الحسن هذا هو ابن أبي علي محمد ونجد
 له ذكراً في معجم الادباء ٢٨ / ٩ - ٣٤ ضمن ترجمة عمه أبي عبد الله الحسن بن مقلة ويقول عنه
 ياقوت إنه مات بالغالج والسكتة سنة ٣٤٦ ومولده « ٣٠٥ هـ » ، ص ٣٠ ولم يذكر له شعراً ..

(٢) ينظر الكامل وكتب التاريخ الاخرى حوادث سنة ٣٢٢ .

(٣) مطالع البدور ١١٤ / ٢ .

(٤) اليتيمة ١١٨ / ٢ منسوبة إلى أبي الحسن ، الفخري ٢٧٢ ، الوفيات ٢٠١ / ٤ .

(٥) الفخري ٢٧١ .

ذُكِرَتْ شَكَاتُكَ لِيْ وَكَأْسِي فِي يَدِي فَمَزَجْتُهَا دَمْعِي مَكَانَ الْمَاءِ
 وَمِثْلَمَا أَظْهَرَ لَنَا ابْنُ مَقْلَةٍ نَفْسَهُ شَجَاعاً وَفِيّاً يَبَيِّنُ لَنَا أَيْضاً أَنَّهُ « حَدَّثِي »
 فِي عِلَاقَاتِهِ ، صَرِيحٌ فِي تَعَامُلِهِ ، فَقَدْ كَانَ يَقُولُ « إِذَا أَحْبَبْتُ تَهَالَكْتُ وَإِذَا
 أَبْغَضْتُ أَهْلَكْتُ ، وَإِذَا رَضِيتُ أَثَرْتُ وَإِذَا أَغْضَيْتُ أَثَرْتُ (١) » وَكَانَ
 يَقُولُ أَمَامَ الشُّعْرَاءِ وَالْمَغْنِينِ « يَعْجِبُنِي مَنْ يَقُولُ الشَّعْرَ تَأْدِيباً لَا تَكْسِباً ، وَيَتَعَاطَى
 الْغِنَاءَ تَطَرُّباً لَا تَطْلُباً (٢) » . وَصَرَاحَتُهُ هَذِهِ الَّتِي جَعَلَتْهُ يَقُولُ لِابْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 يَحْيَى الْكَاتِبِ (٣) ، وَقِيلَ كَاتِبَ (٤) ابْنُ الْفَرَاتِ عَاتِباً عَلَيْهِ انْقِطَاعَهُ لِأَتَمِّ آيَاهُ
 عَلَى نَسْيَانِهِ (٥) :

تُرَى حُرْمَتُ كِتَابِ الْأَخْلَاءِ بَيْنَنَا ابْنُ لِيٍّ أَمْ الْقِرطَاسُ أَصْبَحَ غَالِيَا؟
 فَمَا كَانَ لَوْ سَاءَ لَتَنَا كَيْفَ حَالُنَا وَقَدْ دَاهَمْتَنَا نَكْبَةٌ هِيَ مَا هِيََا؟
 صَدِيقُكَ مِنْ رَاعَاكَ فِي كُلِّ شِدَّةٍ وَكُلُّ تَرَاهٍ فِي الرِّخَاءِ مُرَاعِيَا
 فَهَبْكَ عَدُوٌّ لَا صَدِيقِي فَرَبَّمَا تَكَادَ الْإِعَادِي يَرْحَمُونَ الْأَعَادِيَا
 إِنَّا نَعْجَبُ لَصَرَاحَةِ ابْنِ مَقْلَةٍ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الصَّادِقَةِ ، فَهِيَ تَرْسُمُ لَهُ
 شَخْصِيَّةَ رَجُلٍ مِتْفَائِلٍ مُتَطَلِّعٍ ذَكِيٍّ ، إِذَا نَكَبَتْهُ الْإَيَّامُ لَمْ يَلْنِ لِقَسَاوَتِهَا وَإِنْ شَدَّ
 زَمَنُهُ لَمْ يَعْجَبْ لَشِدُوذِهِ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْهُ وَأَذْكَى ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسَايِرَهُ مِنْ أَجْلِ
 أَنْ يَحْفَظَ لِنَفْسِهِ طُمُوحَهَا وَتَطَلُّعَاتَهَا وَلِهَذَا يَقُولُ (٦) :

جَرَّبَنِي الدَّهْرَ عَلَى صَرْفِهِ فَلَمْ أُحِرْ عِنْدَ التَّصَارِيفِ

(١) الإعجاز والإيجاز ١٠٩ ، مطالع البدور ١١٣ / ٢ .

(٢) الإعجاز ١٠٦ ، الوفيات ٢٠٢ / ٢ .

(٣) الفخري ٢٧١ .

(٤) الفرج بعد الشدة ١ / ٧٢ واحمد بن اسماعيل زنجي ، وفي النجوم الزاهرة ٣ / ٣٢٨

محمد بن اسماعيل زنجي .

(٥) الفخري ٢٧١ ، الفرج ١ / ٧٢ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٢٦٨ وقد تختلف هذه المصادر

في بعض أجزاء القطعة ولكن هذا الاختلاف لا يخل بالمعنى ولهذا لم نشر اليه هنا ولن نشير الى امثاله
 من الاختلافات الا اذا اخلت بجزء كبير من المعنى .

(٦) الفخري ٢٧١ .

أَلِفْتُ يَوْمِيهِ وَيَا رَبِّمَا يُولَفُ شَيْءٌ غَيْرُ مَأْلُوفٍ
انه يدلنا على أن عصره عصر لا يلائم المنطق الصائب للحياة ومع ذلك فقد
صبر على حادثاته ومصائبه لأنه يدرك أن « الصبر من فعل الألباء (١) » وان
« كل الحادثات اذا تناهت فموصول بها الفرج القريب » (٢) . ومع كل هذا
فقد غدر الزمن بمطامح ابن مقلة وشجاعته وصبره فكان ضحية من ضحاياه
الكثيرة ولكنه ضحية ثمينة على أية حال .

وليس كلامنا على ابن مقلة تنزيها أو تبرئة له من الانغمار باللهو والترف
على حساب مجاعة الآخرين . فقد كان يمتلك بستانا فيه كل أنواع الطيور
والحيوانات وقد منح من بشره بأن طائراً بحرياً وقع على طائر بري مائة
دينار (٣) .

وكان ابن مقلة مثل بقية الوزراء يجلس للشراب والغناء في مجالس عامرة
بكل أسباب اللهو ، فتراه يقول مثلاً (٤) :

لا يكن الكأس يوم الغيث في كفك لبث
للحاشي أو ما تعلم أن الغيث ساق مستحث
واذ ينتقل من الشراب الى الحب يبدو لنا انساناً رقيقاً ذليلاً لحبيبه
يقول فيه (٥) :

أدلّ فيا حبذا من مُدِلٍّ ومن ظالم لدمي مستحلٍ
اذا ما تعزّزَ قابلتُـه بذُلٍّ وذلك جهد المُقِلِّ
أو يقول له (٤) :

(١) المنتظم ٦ / ٣١١ .

(٢) الفرج ٢ / ٤٥٢ .

(٣) المنتظم ٦ / ٣١٠ .

(٤) من غاب عنه المطرب ٢٤٤ .

(٥) اليتيمة ٣ / ١١٩ لقد تجرأنا ونسبنا ما ذكره الثعالبي من شعر أبي الحسن ابن مقلة الى
أبيه أبي علي بن مقلة ذلك لأننا لم نجد من يذكر لأبي الحسن شعرا .

أنت يا ذا الخال في الوجنة مما بي خالي

أنا في الناس امامي وفي حبك غالي

وابن مقلة في غزله ومجونه يجاري عصره الذي امتلأ بمثل هذه الأفعال وصار من يستنكرها شاذاً وخاصة ان كان في موضع ابن مقلة من الطبقة الحاكمة المستغلة .

ولإذا انتقلنا إلى الوجوه الوزارية في العصر البويهي استوقفنا قبل كل شيء « شعر المهلي الوزير (١) » . والمهلي هو أبو محمد الحسن بن هارون الذي يقول فيه السري الرفاء (٢) :

أحوالُ مجدك في العلوّ سَوَاءٌ يومُ أغرُّ وشيمة غرَاءُ
أصبحتُ أعلى الناس قمةً سؤددٍ والناسُ بعدك كلُّهم ألفاءُ
وزر لمعز الدولة أحمد بن بويه سنة ٣٣٩ هـ وتوفي سنة ٣٥١ أو (٣٥٢)
« وكان قبل اتصاله بالسلطان سائحاً في البلاد على طريق الفقر والتصوف (٣) »
وكانت حالته ضعيفة فضجر منها مرة وقال (٤) :

ألا موتٌ يباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خَيْرَ فيه
ألا موتٌ لذيدُ الطعام يأتي يُخلِّصُنِي من العيشِ الكَرِه
إذا أبصرتُ قبراً من بعيدٍ ودَدْتُ لَو أني مما يليه
ألا رَحِمَ المهيمَنُ نفسَ حُرٍّ تصدَّقَ بالوفاةِ على أخيه
وهذا المتشائم الذي يفتش مرة عن الموت ليرتاح من فاقته وحرمانه ويسكن مرة أخرى « في حجرة تجلّ عن الوصف ويعمى البصيرُ فيها نهاراً (٥) »

(١) اليتيمة ٢ / ٢٢٤ .

(٢) الديوان ٩ .

(٣) زهر الآداب ١ / ١٣٩ .

(٤) اليتيمة ٢ / ٢٢٤ ، زهر الآداب ١ / ١٣٩ .

(٥) معجم الادباء ٩ / ١٣٥ .

حين ينال الوزارة ، وتفتتح أبواب الدنيا أمام مطامحه ورغباته ينسى همومه السابقة ، وينسى قساوة أيام الفاقة ، ويبرّيء زمنه مما فعله به فيقول (١) :

رَقَّ الزمانُ لفاقتي ورثي لطول تحرقبي
وأنا لى ما أرتجي وأجار مما أتقي
فلأصفحنَّ عما أتا هُ من الذنوب السُّبِقِ
حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرقي

وهذه القطعة تُثبت فقره قبل توليه الوزارة كما تثبت طموحه اليها والبيت الأخير يؤكد نيله لها في كبره .

وحين يستقبل الحياة المنعمة وفي غمرة من نشوانه و« اريحته » يتمنى لو أنه عاصر زمان عمه « أبي عيينه المهلبى » أيام كان يتشيب بصاحبة له اسمها « دنيا » ليمكنه منها ومن أرضها :

ويا فوزَ نفسي لو بَلَغْتُ زمانَه
فمكنتُه من أهلِ « دنيا » وأرضها
وبغيته « دنياً » وفي يديّ الدنيا
فجازَ بما يهوى وفوق الذي يهوى (٢)

وإذا كان ما يهواه أبو عيينه هو حبيبته « دنيا » فالذي قصده ابن أخيه « يفوق الذي يهوى » تلك الحياة الالهية التي يحياها ويغوص في ترفها وصخبها فينسى أثناءها كل علاقاته ومثله ومن المحتمل أنه ينسى عمه وحبيبة عمه .. أليس هو القائل ؟ (٣) :

إذا تكاملَ لي ما قد ظفِرتُ به
وقهوة لو تراها خلت رقتُها
من طيب مسمِحةٍ أو صوت رنانٍ (٤)
ديني ، ومن حاجز إن شئتُ أغناني
بغني الخصي ، وعصيان ابن حمدان

(١) اليتيمة ٢ / ٢٢٥ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٢٢٧ .

(٣) معجم الادباء ٩ / ١٤٢ .

(٤) في المعجم (وصوت رنان) .

وفضلاً عما تظهره هذه الأبيات من رقة دين المهلي ووهن علاقته بالخليفة وتنكره لروابطه وأعرافه توضح ما أصبح عليه خليفة المسلمين من منزلة وضعية جعلت خصيان داره يجترئون عليه ويتطاولون على مركزه ، كما جعلت ولاية الأمصار يستقاون في ديارهم ولا يحسبون له حساباً .

والمهلي الذي لا يجد غضاضة في الاعلان عن رقة دينه ، لا يجد بأساً في المجاهرة بلهوه مع جاريته « تَجَنَّى » فيقول (١) :

رُبَّ لَيْلٍ لَيْسَتْ فِيهِ التَّصَابِي وَخَلَعْتُ الْعِذَارَ وَالْعِذْلَ عَنِّي
فِي مَحَلٍّ يَحِلُّ لَذَّةَ الْعَيْشِ وَيُجَنِّي سُرُورَهُ مِنْ « تَجَنَّى »
و« تجني » التي ولع بها المهلي وخلع عذاره في مجلس تحله هي التي يقول فيها أيضاً (٢) :

مَرَّتْ فَلَمْ تَنْ طَرْفَهَا تَبْهًا يَحْسُدُهَا الْغَصْنُ فِي تَشَنِّيْهَا
تلك « تجني » التي جننت بها اعاذني الله من تجنيها
وهي بعد ذلك للمهلي « ذاك الصديق والرفيق » والعروس التي زفت اليه فأهدى اليها رقيقاً مكان المهور والحبيبة التي « ترعى الهوى وتواظب (٣) » وهي .. وهي .. لكنها لا تملأ عليه كل فراغه الجنسي فهو لا يقاوم اغراء تيار العصر في « الفسق الغلmani » فنراه ضعيفاً واهناً يخرّ أمام سيادة الغلام ويقول له (٤) :

يَا هَلَالًا يَبْدُو فَيَزِدَادُ شَوْقِي وَهَزَارًا يَرْنُو فَيَزِدَادُ عِشْقِي
زَعَمَ النَّاسُ أَنَّ رَقْلَكَ مِلْكِي كَذَبَ النَّاسُ أَنْتَ مَالِكُ رِقِّي
ان هذا الولع الغلmani عند المهلي يجعله عند فراق الغلام الذي يحبه « يبكي

(١) اليتيمة ٢ / ٢٣٧ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٢٣٧ .

(٣) اليتيمة ٢ / ٢٣٧ .

(٤) نفسه ٢ / ٢٣٩ .

عليه طول الطريق (١) « فيبدو لنا وكأنه مراهنق منحرف لا يؤثر في انحرافه ظهور لحة غلام أو كبر سنه بل هما يجددان حبه ويولعانه أكثر وهذا ما يدفعه الى أن يقول (٢) :

يا شادنأ جدد حبي لـه من بعد حب ، سالف (٣) ساجي
بلحية قد أوصلت جمّة مثل اتصال الطوق بالتاج

وينحرف بغزله الى درك أوطأ فيقول (٤) :

أتاني في قميص اللاذ (٥) يمشي عدو لي يلقب بالحبيب
فقلت له : فد يتك كيف هذا بلا واش أتيت ولا رقيب ؟
فقال : الشمس أهدت لي قميصاً رقيق الجسم من شفق الغروب
فثوبي والمدام ، ولون خدي قريب من قريب ، من قريب

ونلاحظ هنا مع المعنى الداعر الذي تضمنه هذا الشعر عادة استعمال الغلمان للثياب الشفافة ذات الالوان المغربية الصارخة .

لقد سجل لنا شعر المهلبي قضايا اجتماعية عديدة منها حادثة تدلل على ما حتله الغلمان من مراكز مرموقة في الجيش ، حتى صار لهم تأثير كبير في سير الحوادث .. فقد أرسل معز الدولة غلامه التركي الأمرد « تكين الجامدار » على رأس سرية لمحاربة بعض الولاة الخارجين وكان الوزير المهلبي يراه من أهل الهوى لا من أهل الحرب لذلك قال فيه (٦) :

(١) نفسه .

(٢) نفسه .

(٣) السالف : أعلى المنق ، اللسان ١٥٩ / ٥ .

(٤) معجم الادباء ١٥١ / ٩ .

(٥) اللاذ : ثياب حرير تنسج في الصين واحده لاذة ، اللسان ٥٠٨ / ٣ .

(٦) اليتيمة ٢ / ٢٢٦ ، الوفيات ١ / ٣٩٢ .

ظيبي الماء في وجناته ويرف (١) عـ وده
ويكاد من شبه العذارى فيه أن تبدو نهوده
ناطوا بمعقد خصره سيفاً ومنطقة تؤوده
جعلوه قائد عسكر ضاع الرعيل ومن يقوده

وتدلنا هذه الأبيات الجيدة في فنها على العقلية الضحلة التي كانت تحكم
العراق وعلى الانحراف المزري الذي وصل اليه حكام المجتمع العراقي في القرن
الرابع .

ومن المظاهر المترفة التي كانت في حياة الوزراء والكتاب وظهرت في
شعر المهلي استعمالهم للمصايف وتبريدها وفرشها بفرش يجلب الظل والبرودة
ويدل على هذا قوله للصابي (٢) :

برّد مصيفك وافرشه بميشرة (٣) فإنني لمقام الخل أرتحل

ولا تبدو مظاهر الترف في استعمالهم المادية فقط فهي تظهر في شعرهم
الوصفي الممتليء بعبارات والفاظ نفث فيها قائلوها روح الطبقة المترفة فجاءت
مشبعة بالاشارات المادية الميتة كما في قول المهلي (٤) :

الورد بين مضمخ ومضرج والزهر بين مكلّس ومتوج
فكان يومك في غلالة فضة والنبت من ذهب على فيروزج

(١) في اليتيمة ويرق وفي الوفيات ويرف والمعجب أن الكتّابين بتحقيق محي الدين عبد
الحميد ، والاعجب من ذلك تعليق المحقق في الوفيات وقوله « في أ ، ب ويعني مخطوطتين ،
ويرق عوده بالقاف وما اخاله الا محرفاً عما أثبتنا » والمعروف بعد ذلك أن الوفيات حققت قبل
اليتيمة فكيف أبقي (ويرق) في اليتيمة وهو لا يخاله « الا محرفاً !! »

(٢) اليتيمة ٢ / ٢٤٠ .

(٣) الميثرة : ثوب تجلجل به الشياح وملوها .

(٤) اليتيمة ٢ / ٢٣٨ .

أو في قوله (١) :

يوم كأنَّ سماءه مثلُ الحصانِ الابرش
فكأنَّ زهرةَ روضه فُرشتْ بأحسنِ مفرشٍ
فسماؤه دكنُ الخروزِ وأرضه خضيرُ الوشي

ولا نحتاج الى افراد الكلمات المترفة المكونة لهاتين المقطوعتين فهي واضحة وتشير الى ما وصل اليه المهلي وطبقته من النعيم الذي انتقل الى اللغة فصيحها بصغته .

ولم تكن حياة المهلي كلها مستغرقة باللهو والابتذال فهناك لحظات يخلو فيها الى نفسه يفكر بحياته فيزهد بالدنيا ويحاول جاهداً تصوير نفسه انساناً مؤمناً لم يترك حق الله وواجباته لذلك يقول (٢) :

أو في كلاً وقى قسطاً تأله وقسطَ هوى لا يستمر لمحرّم
ولذة وجدي من للذاة مطربي أسرّ إلى نفسي وأعذب في فمي
ومع محاولته الجاهدة هذه، يظل المهلي متعلقاً بأذيال الهوى وعالم اللذاة . ويتضاءل هذا التمسك ، ونكاد نتصوره زاهداً حينما نقرأ قوله :

هَبْ البعثَ لم يأتينا نُذره وجاحمةُ النار لم تُضرمِ
أليس بكافٍ لذي فكرةٍ حياءُ المسيء من المنعمِ ؟
أو قوله :

يا من يسرّ بلدة الدنيا ويظنُّها خلقت لما يهوى
لا تكذبُنْ فإنَّها خلقت لينالَ زاهدُها بها الأخرى

(١) اليتيمة ٢ / ٢٣٨ ، من غاب عنه المطرب ٢٦٤ . وقد زاد الثعالبي في من غاب عن المطرب قبل البيت الأخير بيتين لطيفين هما :

والشمس تظهر مــــرة وتغيب كالمتوحش
شبهت حمرة وجهها بخمار عين المنتشي

(٢) اليتيمة ٢ / ٢٤١ .

ويبرز المهلبي إيجابيا في اهتماماته العلمية والأدبية فيقول :
يا عارفاً بالداء مُطرح السؤال عن الدواء
العلمُ عندي كالغذاء فهل تعيشُ بلا غذاء ؟

ويبدو أن هذه المشاعر الدينية والعلمية كانت تراوده حينما يخلو الى نفسه في لحظات تأمل بعد « الاعمال الرسمية » وما يصاحبها من تعب واهانة أو بعد جلسات لهو صاخبة تحزّ في نفسه فيحاول ان يكفر عنها بزهد أو ايجابية مؤقتة تزول بانحسار التأمل .

وما كان المهلبي وحده يقول الشعر بين وزراء آل بويه ومن يجري مجراهم من الكتاب ، فهناك آخرون ممن كانوا بمنزلة الوزير نظموا الشعر في أغراض مختلفة ورسم لنا شعرهم صورا مهمة من حياة الوزراء ومجتمعهم .
فعبد العزيز بن يوسف اذا وصف السكر الذي بشيراز صورّ الوضع المشين الذي كانت عليه حالتهم وبين لنا كيف كانوا يحيون حياة لاهية مملوءة بالسكر والعريضة .. يقول (١) :

شربنا ذهباً يجري بشاطيء فضّة تجري
وما زلنا على السكر نداوي السكر بالسكر
درينا كيف أصبّحنا وأمسينا وما نلدري

وأبو القاسم علي بن القاسم القاشاني يبين لنا في شعره علاقات انسانية متحركة تتمثل في الوفاء للصديق والصبر على مكارهه وهذا يدل على أن حياة هؤلاء الحكام لم تكن خالية من العواطف الاجتماعية الجيدة .. يقول (٢) :
ولاني وإن قصرتُ عن غير بغضة لراعٍ لأسباب المودة حافظُ
وما زال يدعوني إلى الصدم ما أرى وآبى فتشيني اليك الحفائظُ
وأنظرُ العقبى وأغضي عن القذى ألاينُ طورا في الهوى وأغالظُ

(١) البيتة ٢ / ٣٢٥ ، والسكر حجارة نرصف في النهر على شكل سد ، ومثل هذا السكر موجود الآن في اعالي الفرات .
(٢) نفسه ٣٣٥ .

واستمطرُ الاقبال بالود منكُمُ وأصيرُ حتى أوجعتني المغايظُ
وجربتُ ما يُسلى المحبَ عن الهوى واقصرتُ والتجريبُ للمرءِ واعظُ

وفي شعر أبي أحمد عبد الرحمن الشيرازي نجد بعض العادات والاستعمالات
والعلامات الاجتماعية بارزة في قوله وهو يصف سحابة ممطرة (١) :

خرجتُ من عندكمُ فأدركتني سحابةٌ ذاتُ منظرٍ صَلفٍ
غمامةٌ كالعمامةِ ائثلقتُ فوقَ رؤوسِ المُشاةِ في السُدفِ
تنالها كفُّ من يزاولها تقولُ للمرءِ ويكُ لا تقفِ
يختطفُ الأرضُ وقعَ صبيها مثلَ اختطافِ المخالبِ العُقفِ
فوقعُها والكساءُ يدفعُها وقعُ سهامِ الاتراكِ في الهدفِ
كأنما كلُّ قطرةٍ وقعتْ عليه درٌّ بداحينِ الصدفِ
لو أن ما ذاب منه يجمدُ لم يصلحَ لغيرِ العقودِ والشفِ (٢)
فيها من الرعدِ كالذبذبِ (٣) والصنحِ (٤) إذا ما ضربن في شرفِ

وفي هذه الأبيات نلاحظ العمامة اللامعة ، وجودة الاتراك في اصابتهم
للاهداف بالسهام ، واستعمال الدر في العقود والاقراط ، وضرب الدباب
والصنح أيام احتفالات الكبار أو تشريفهم بمنزلة متقدمة في الدولة .

القيمة الفنية :

لم يكن غالب شعر الوزراء متفاعلاً مع الغواطف الصادقة التي تجيش في
صدر الانسان أو الشاعر ، لذلك جاء نظاماً ميثاقاً فيه كثير من الجناس والتشبيهات

(١) نفسه ٣٢٨ .

(٢) الشنف : ما علق في الأذن ... وقيل القرط اللسان ٩ / ١٨٣ .

(٣) الدبذباب : الطبل والدباب صوت كأنه دب ... دب وهي حكاية الصوت ، اللسان

١ / ٣٧٢ .

(٤) الصنح : هو الذي يكون في الدفوف ونحوه ... والصنح الذي تعرفه العرب هو الذي يتخذ
من صفر يضرب احدهما بالآخر .. اللسان ٢ / ٣١٦ .

المادية السمجة مما يدل على جمود قائله في دائرة محدودة من الحياة الباذخة ذات الوجه غير الانساني .

ان هذا الشعر لا يعدو أن يكون غزلاً مكشوفاً داعراً بفتاة أو غلام أو وصفاً مادياً مترفاً لمجالس الخمرة والتهتك ، أو شرحاً تقريرياً لحالة اجتماعية أو سياسية خانقة ، أو وصفاً عاماً محشواً بعبارات لا روح فيها ولا حيوية .

ان شعر الوزراء (وهو في الاكثر مقطعات قصيرة) تدفقات آتية ، أو تخيلات كاذبة بعيدة عن الالهام الشعري ، معدومة الحركة ، فاقدة للانفعالات على أن هذا لا ينفي وجود نبضات شعرية عند بعض الوزراء فقد كان الوزير « المهلي شاعراً في مرتبة أرقى من مرتبة الطبقة الوسطى (١) » نجد عنده ومضات للشاعر وانفعالاته الصادقة ، ولربما بردت هذه الانفعالات وقلّ توهجها بعد أن غزاها الترف الحضاري ، واللفظي ، ولكنها لم تفقد نهائياً سمة الشعر واحساساته الرفيعة بعض الاحيان ولنا من الأبيات التي قالها في غلام معز الدولة « ظبي يرق .. الأبيات » خير شاهد على ما يمتلكه من نبض شاعري رقيق .

خاتمة :

نخلص من كل ما ذكرنا الى أن شعر الوزراء دليل واضح على اضطراب العصر ، وسيادة استغلال الانسان للانسان ، فالشعر المترف قليل في مناسبات صنعت أدواتها ومآكلها ومشاربها من جوع الناس البسطاء وعرقهم ودمائهم . وقد نسي الوزير المهلي خلال هذه المناسبات مأساته القديمة وفقره الذي دفعه الى تمنّي الموت فقد انتهت عند تسلمه الوزارة مرحلة كفاحه الاناني وبدأ مرحلة جديدة من الحياة المنتشية بالبذخ والفراغ واللهو ومجالس الفجور المأجنة .

(١) الحضارة الإسلامية لمنز ١ / ٤٧٣ .

لقد اتضح أن الوزارة المرتبكة المهزوزة زمن الاتراك قد استقرت في العهد البويهي واتخذت طابعاً جديداً منعماً مطمئناً يدلنا على ذلك غلبة اللهو والترف اللذين يصاحبان الاستقرار دائماً ، كما اتضح لنا أن الوزير استسلم كما استسلم الخليفة الى سلطة الملك البويهي وتحكمه ، وصار عنصراً ادارياً ثانوياً في الدولة وفي حياته أوقات فراغ كثيرة آثر أن يملأها اضافة للهو بالشعر البارد المتحلل .

رجال الدولة :

نقصد برجل الدولة من أتت منزلته بعد منزلة الوزير والى أصغر موظف من موظفي الدولة .

ولقد أفردت لهم كلاماً خاصاً مع أن ذكرهم يأتي في اماكن متعددة من بحثنا ، ذلك لأنهم يمثلون جزءاً مهماً من الطبقة الحاكمة المستغلة .

ولقد كان بعضهم في الثلث الأول من القرن الرابع يلعب دوراً بارزاً في تسيير أمور البلد . ولا يمكن أن ننسى ما فعله مؤنس الخادم أو مفلح الأسود ، أو نصر القشوري وغيرهم من حاشية الخليفة في التناول على مقام الوزير أو الخليفة أحياناً ، ولا يعني هذا التسلط استقرار أوضاع هؤلاء ، فقد كانت التغيرات السياسية المفاجئة تسحق بعضهم كما حصل لمؤنس وبليق وابنه أو لابن رائق ولبجكم بعده (١) .

وقد ساعد في اضطراب أحوالهم تطلعاتهم الى مناصب أعلى من مناصبهم مما يدفعهم الى التوسل بمختلف الوسائل ومنها التآمر على من هم أعلى منهم منصباً فيؤدي ذلك الى اينائهم وكل هذا لهزال الخلافة ، وتدهور أمور الوزارة .

وقد اختلف أمر رجال الدولة في العهد البويهي ، فصاروا يتمتعون بنوع من الاستقرار ذلك لأن الملك البويهي أمسك بزمام القيادة العليا وحدث من

(١) وينظر ما فعله المحسن بن أبي الحسن بن الفرات مع علي بن عيسى وما جرى بين المحسن ونصر القشوري من حديث الوزراء ٣٢٣ .

مطامح هؤلاء « الموظفين » ، وحدد لكل منهم مجال عمله ، ومع كل هذا الاستقرار ظلّ الموظفون يعانون في الزمن البويهي خوفاً من قسوة الملك البويهي وغضبه .

ان كل علاقاتهم وأوضاعهم هذه تتفاعل في أغلب الأحيان مع مشاعرهم التي ينفثونها شعرا ، فترسم على هذا الشعر معالم كثيرة اجتماعية وسياسية ونفسية ..

فاذا عددنا أبا بكر الصولي - مربي الراضي ومربي أخيه - موظفاً في الدولة العباسية استطعنا أن نستنبط من شعره الذي رفعه الى سادته كثيراً من مظاهر علاقاته معهم .

فهو يسجل لنا ما عاناه وهو يقوم على رعاية الراضي وتوجيهه ابان امارته ويبين لنا من خلال ما ذكره وجود أعداء حاقدين على الراضي ، يتمنون زواله عن طريقهم . وبهذا يحيطون من يرعاه بجو مشبع بالرهبة والخوف يدفع الصولي الى أن يقول (١) :

عَلِمَ اللهُ مَا الَّذِي كُنْتُ أَلْقَى	فِيكُمْ مِنْ تَأَلَّمَ	وَامْتَعَاضٍ
لَمْ أَذُقْ مِنْهُ رَكِيبُ رَاحِلَةٍ	خَوْفٍ إِلَى الْآنَ لَذَّةَ الْإِغْمَاضِ	
لَا أَطِيقُ الدِّفَاعَ عَنْكَ وَلَا	أَمْلِكُ غَيْرَ الْهَمُومِ وَالْإِرْتِمَاضِ	
زَارْتَنِي أَسْوَدُ حَقْدٍ عَلَيْكُمْ	لَمْ تُغَيِّبْ بَغَابَةَ وَغِيَاضِ	

واذا كان الصولي قد لاقى مثل هذه المتاعب من أجل خدمته (التزينة) للراضي فلا ندرى لماذا كان يغري الراضي أيام امارته بالمتع ، والاخذ بها مما لا يمكن أن يتفق مع وضعه التربوي . فاذا أقبل النيروز نسي الصولي نفسه ونسي منزلته ، ومهنته ، وعادته طبائع النديم ، فحث (تلميذه) الذي يربيه على الشراب والأنس وقال (٢) :

بارك الله للأمير أبي العباس خير الملوك في النيروز

(١) اخبار الراضي ١٤ . والارتماض : الحزن .

(٢) نفسه ٣٢ .

فاقتبيل جدّة الزمان بعام
واقض حق النيروز فيه بكأس
بارز باللّجين والابرير
مزعج سقيها بكأس وكوز
بالزبيدية المشهرة الحسن
وحوز اللذاذة الماحوز (١)

* * *

ويقنع الصولي تلميذه فيمشي في دروب اللهو ، ويرتسم لنا صدق حدس
من اتهم الصولي بالاساعة في تعليم الراضي وتهذيبه ، واذا تركنا الصولي وأمسكنا
ببعض أبيات من الشعر قالها رجل دولة طمّاح الى نيل الوزارة توضّح لنا من
خلال هذه الأبيات مدى ما وصل الولاة من طمع في منصب الوزير ، فلقد
سعى محمد بن أحمد بن أبي البغل لنيل الوزارة وبذل من ماله للحاشية الكثير ،
واذا خاب مسعاه وذهبت أمواله هدرأ قال (٢) :

ولي همّة تعلو السماكين رفعةً وتسمو إلى الأمر الذي هو أشرفُ
وجدّي عثورٌ كلما رمت نهضة تقاعد بي يغتالني ليس ينصفُ
وتزداد حسرته ، ويزداد ألمه ، حينما تنتهي آماله في الوصول الى الوزارة
بالخيبة . فيجلس منفرداً ، يجتر أحلامه الي تتداعى صوراً سرابية يقول
فيها (٣) :

أمل كان كضوء الشمس في بُعد المكان
فإذا صار على قرب بلمس وعيان
استردته يد الدهر فعُدنا بالأماني
وندرك أن ابن أبي البغل لم يكن يرى في الوزارة صيداً سهل المنال ،
ولكنها وقد هزلت مكانتها ، وصارت سلعة ، اقربت من ناظره وغدا يراها
أملاً جميلاً سهل التحقيق ، يشجعه في الطموح اليه ليؤتة سمانرة الوزارة
(السلعة) وتهاوهم أمام المال .

(١) الماحوز : ضرب من الرياحين اللسان ٤٠٨ / ٥ .

(٢) الوزراء ٢٩٧ وتنظر أيضاً قصة خيبته .

(٣) الوزراء ٢٩٧ .

ويوم نال الوزارة حامد بن العباس صغرت الدنيا بعين ابن أبي البغل ،
خاصة أنه لاقى من حامد الحبس والاهانة والتعذيب ولم يفرج عنه الا بعد
وساطة ام موسى القهرمانة .

ويكتب علي بن عيسى الى ابن أبي البغل يبين له سروره للافراج عنه
فيجيبه ابن أبي البغل قائلاً (١) :

الصَّعْـوُـوْ يَصْفُرُ آمَنًا وَمِنْ آجِلِهِ حُبْسُ الْهَزَارِ لِأَنَّهُ يَتَرَنَّمُ
لَوْ كُنْتُ أَجْعَلُ مَا عَلِمْتُ لَسَرَفْتِي جَهْلِي ، كَمَا قَدْ سَاعَفَنِي مَا أَعْلَمُ
لَمْ أَسْتَفِدْ أَدْبِي لِدَوْلَةِ ظَالِمِي لَكِنَّهُ يَجْنِي عَلَيَّ وَيُظْلِمُ
ذَنبِي إِلَيْهِ ، عَلَى رَكَائِكَةٍ فَهَمِّهِ ، أَنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ
وهكذا تتضح لنا جوانب من شخصية حامد فيها ركافة فهمه ، وقلة
تدبيره ، وجشعه ، وهذا ما أدى فيما بعد الى انهيار وزارته وغضب العامة
وثورتها عليه .

ويمتليء العصر البويهي بالوجوه الشعرية الي تعتلي مناصب في الدولة ،
وتتقدم للملك البويهي ضروب الطاعة شعرا وذلة وامثال أوامر .
فالصابي اذا امتدح عضد الدولة أظهر له ولاء يعج بالدعاء والتمنيات ،
ويهتبل ، أو يصطنع المناسبات لكي يرفع له مثل هذه الآيات فاذا صام عضد
الدولة قال فيه (٢) :

يَا مَا جَدَّأَ يَدُهُ بِالْجُودِ مَفْطَرَةٌ وَفَوْهُ مِنْ كُلِّ هُجْرٍ صَائِمٌ أَبَدًا
أَسْعَدَ بِصَوْمِكَ إِذْ قَضَيْتَ وَاجِبَهُ نُسْكَأَ وَوَفَيْتَهُ مِنْ شَهْرِ الْعَدَدَا
وَفُزْ بِعَمْرِكَ مَمْدُودًا وَمَلِكُكَ مَوْطُودًا ، وَنَلَّ مِنْهُمَا الْخَدَّ الَّذِي بَعْدَا
حَتَّى تَرَى كُرَةَ الْأَرْضِ الْبَسِيطَةِ فِي يَمْنَاكَ مَمْلُوءَةً أَرْجَاؤَهَا رَشْدَا
وَحَوْلَكَ الْفَسَلَكُ الدَّوَارُ مُتَبَعًا أَوْ طَارَ نَفْسِكَ لَا يَأْلُوكَ مَجْتَهِدَا

(١) الوزراء ٣٨٢ ، والصعو : طير صغير يكثر في البراري .

(٢) / اليتيمة ٢ / ٢٧٧ .

ونذكر من هذه الأبيات أن الصابي مؤمن بكروية الارض ودوران
الفلك ولا أظنه يجرؤ على قول هذه الحقيقة العلمية لو لم تكن فكرتها سائدة
ومعروفة .

وفي مديح الصابي لعضد الدولة نستطلع ما آلت اليه حاله في نكبه من
ذلة وخنوع فإذا أراد أن يستعطفه كتب اليه متذللاً خائفاً (١) :

وحبسك لي جاه عريضٌ ورفعةٌ وقيدك في ساقِيّ تاجٍ لفرقي
وما موثقٌ لم تطرحه بِمُوثِقٍ ولا مُطلقٌ لم تصطنعه بِمطلقٍ
خلا أن أعواماً كَمَلْنَ ثلاثةً تعرقتِ البُقيا أشدَّ تعرّقٍ
وقد ظمِئت عيني التي أنت نورها إلى نظرةٍ من وجهك المتألقِ
فيا فرحتي ان ألقه قبلَ ميّتي ويا حسرتي إن متُ من قبلِ نلتقي
ونعرف أن الصابي بقي ثلاث سنين ، ونعرف أنه تصاغر كثيراً وتملق
كثيراً خلال السنين الثلاث هذه ، ولا نجد سبيلاً لشوق الصابي الى وجه عضد
الدولة غير الملق والخوف .

وإذا أطلق سراحه وساءت حاله استنجد بالصاحب بن عباد سالكاً اسلوب
العصر في الاستعطاف فقال (٢) :

لما وضعتُ صحيفةً في بطنِ كَفِّ رسولِها قبلْتُها لتمسَّها يُمنّاكَ عندَ وصولِها
حتى ترى في وجهك الـ ميمون غايةَ سولِها
ونلاحظ في مديح الشريف الرضي للطائع انحسار التعصب الطائفي أمام
المنصب ، فهو ينسى ما فعله العباسيون بأبائهم وأبنائهم العلويين من أفعال موجعة
فاجمة ويقول مخاطباً الطائع (٣) :

(١) معجم الادباء ٢ / ٤٦ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٢٧٦ .

(٣) الديوان ٢ / ٣٤١ ، اليتيمة ٣ / ١٣٨ .

لله ثم لك المحل الأعظم
ولك التراث من النبي محمد
تمضي الملوك وأنت طود ثابت
لله أي مقام دين قمته
فكأنما كنت النبي مناجزا
ويقرب من ذلك ما قاله القادر بالله (١) :

شرف الخلافة يا بني العباس اليوم جده أبو العباس
هذا الذي رفعت يده بناءها العالي ، وذاك موطن الأساس
لقد كانت علاقة الشريف بالطائع متينة مبنية على حب ووفاء تؤكدهما
قصيدته الحزينة التي قالها بعد أن خلع الطائع وأهين وجاء فيها (٢) :

لواعج الشوق تخطيهم وتصميني واليوم في الحب ينهاهم ويغريني
من بعد ما كان رب الملك ممتسماً إليّ أدنيه في النجوى ويدنيني
أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه لقد تقارب بين العز والهون

* * *

هيهات أغتر بالسلطان ثانية قد ضلّ ولاج أبواب السلاطين
واذا كان من يعرف وفاء الشريف لمن يصاحبه يعذر له أماديحه للطائع
فلسنا نجد ما يبرر ولوجه أبواب السلاطين ثانية ليمتدح القادر أو بهاء الدولة .
واذا كان المديح قد استغرق الكثير من شعر رجال الدولة فلا يدل ذلك
على نسيانهم الدنيا وما حولهم منها ، فلقد شهدوا اضطراب الحياة الاجتماعية ،
وانهيار قيمها ودموها ، كما ذموا الدهر الذي احتواها رامزين بذلك الى من
عاش في هذا الدهر من حكام ومحكومين فالقاضي ابن معروف يفقد ثقته
بالناس ، فيحذر من الاصدقاء قبل الأعداء ويطلقها حكمة يقول فيها (٣) :

(١) الديوان ١ / ٥٤٦ ، اليتيمة ٣ / ١٤٢ .

(٢) الديوان ٢ / ٤٤٤ ، اليتيمة ٣ / ١٤١ .

(٣) اليتيمة ٣ / ١١٤ ، المحاضرات ٣ / ٢١ منسوبة الى علي بن عيسى . وترجمة ابن

معروف ابو محمد عبد الله بن احمد في اليتيمة ٣ / ١١٢ .

إحذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضرة
ولم تكن هذه الحكمة وليدة انفعالات ذاتية إنما هي وليدة ظروف
اجتماعية قاسية خلقت في طبائع الناس انحرافاً وميئناً .

وسجل لنا القاضي محمد بن عبد الرحمن بن قُرَيْعَةَ انقلاب الوجه
الحقيقي للحياة ، وانحرافها عن خطها القويم حين قال (١) :

يا خالـسقَ الليلِ والنهارِ صَبْرًا على الذُّلِّ والصغارِ
كم من جوادٍ بلا حمارٍ ومن حمارٍ على حمارٍ
وهكذا يتكشف لنا على لسان هذا القاضي زمناً منحوساً ، لا يغير فيه
مجيء حاكم أو ذهاب آخر . فالبنية العامة له منهارة ، لأنه ممتليء « بالوصولية » ،
والزيف ، وهو في مسيرته الشوهاء يسحق كل من يحاول الوقوف في وجهه
أو يروم تغيير خط سيره .

ولقد مسّ الزمن بضره حتى أولئك الذين صفقوا لبعض جوانب زيفه
أو انغمسوا في « حفلات » انسه ولهوه .

فالصابي الذي سائر البوهيين ومالاهم ، وغنى لسطوتهم ، وكان له حظ
في دولتهم ، يفقد - اذ ينكب - ثقته باليدولة والناس فيقول (٢) :

أيارب كل الناس أولادُ علة أما تغلطُ الدنيا لنا بصديقٍ ؟
وجوه بها من مُضْمَر الغل شاهدٌ ذواتُ أديمٍ في النفاقِ صفيقٍ
وكأننا لا نعثر بالحقيقة عند الصابي وأمثاله إلا إذا ازدادت الحياة قسوة
عليهم وظلماً لهم ، ولهذا نرى الصابي إذا أصيب بمكروه ، شطّ به غضبه
ونسى جبروت الحكام وما لاقاه من سجن وحرمان على أيديهم وقال بألم (٣) :

(١) المنتظم ٩١ / ٧ ، وترجمة محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة ت ٣٦٧ هـ في ،
وفيات الأعيان ١٧ / ٤ .

(٢) المحاضرات ٢٠ / ٣ .

(٣) اليتيمة ٢٨٦ / ٢ .

ألا هلّ لأهل الدولة النذلة التي ثوى داؤها فينا وأعمى دواؤها
لقد كبت الدنيا على أم وجهها فنحن لها أرض وأنتم سماؤها
فلا تفرحوا بالخط منها ، فإنه قليل على هذا المّحال بقاؤها
وبهذا يسجل لنا الصّابي الوجه الصحيح للحكم البويهي ، ويلغي بكلماته
هذه كل أقوال النذلة والدجل التي رفعها الى عضد الدولة أو غيره من
رجال الحكم .

ولم يكن الصّابي منفرداً في النكبة ، واقعاً وحده بين أنياب الدهر
المسمومة ، فالمحسن ابن القاضي التنوخي مثله تنوشه يد الدهر ، وتنال
منه فيقول (١) :

أما للدهر من حكم رضي يدالُ به الشريف من الدني
ويستعلى الرؤوس من الذّنابي وينتصف الذكي من الغبي
وحين لا يجد ما يتمناه لا يركن لليأس والقنوط فبالرغم من قبض السلطة
على ضيعة من ضياعه وصرفه عن قضاء الأهواز يكابر ويقول (٢) :

لئن أشمت الأعداء صرّفي ورحلتي فما صرفوا فضلي وما انصرف المجد
مقامٌ وترحال ، وقبضٌ وبسطة كذا عادة الدنيا وأخلاقها التكدُّ
ولأنه يعرف أن القبض والبسطة ، والمقام والترحال مسائل عامة لا
يختص بفرد ، ولا تقف ثابتة بباب إنسان ، تسري على غيره مثلما سرت عليه ،
لأنه يعرف هذا يقول (٣) :

قل لمن أودى به الترحُّ كلّ همٍ بعده فرحُ
لا تضيق ذرعاً بنزالة وارمها بالصبر تنفسُ
غالط الأحداث مجتهداً كل ما قد حلّ منتزع

(١) الفرّج بعد الشدة ٢ / ٤٥٤ .

(٢) الفرّج بعد الشدة ٢ / ٤٥٤ ، واليعة ٢ / ٣٤٧ ، وينظر سبب عزله والقبض عليه عام

٣٧١ ، في الكامل ٩ / ١٥٠ .

(٣) الفرّج ٢ / ٤٦٨ .

وأزح بالسراح طارقها فجلاء الكربة القدح
وقد نجد مع التفاؤل نوعاً من الهروب ، أو نجد الهروب نفسه متمثلاً
بدعوته للانغمار في الشراب ، ورؤيته القاصرة لحلول المشكلات التي تواجه
الانسان .

ولا نعجب اذا سمعنا بقاض مسلم يدعو الى اللهو والشراب ، فقد كان
القضاء الى حد ما كالوزارة تحتق بالرشاوي والمظالم والمعاصي .

وإذا كان المحسن قد قال ما قاله فله في أبيه ودعواته الصريحة الى المجون
والشراب أسوة وقدوة .

فقد كان القاضي التنوخي ينسى منزلته الدينية ومركزه الاجتماعي ويقول
مجاهراً بدعوته للشرب (١) :

إسقي الراح في شباب النهارِ وانفِ همّي بالخندريسِ العقارِ
ولا يتوانى هذا « القاضي » أن يزوقها ويروقها ويشهيهما لسامعيه حينما
يصفها ويقول (٢) :

وراح من الشمس مخلوقةٌ بدت لك في قدح من نهارِ

* * *

إذا ما تأملتَها وهي فيه تأملتَ نوراً مُحاطاً بنارِ

* * *

كأنَّ المديرَ لها باليمينِ إذا مالَ للسقي أو باليسارِ
تدرَّعَ ثوباً من الياسمينِ له فردٌ كُـم من الجُلُنارِ
وينجرف القاضي مع التيار ، فيغوص في مستنقع الرذيلة ، يستخرج منه
ألفاظه الداعرة الماجنة ، فبعد هذا الوصف « اللذيد » (في مفهوم صاحبه)
للخمرة وساقيتها يذهب الى الكشف عن موبقاته فيرينا نفسه سكيراً ماجناً لا

(١) الأعجاز والایجاز ٢٥٠ .

(٢) الأعجاز ٢٥٠ ، اليتيمة ٢ / ٢٣٩ .

يحتشم في مجالس أنسه ، وكيف يحتشم من عاشر الوزير المهلبى ، وعربد مثلما
عربد ، وكيف يحتشم بعد ذلك من يقول (١) :

باتَ يَسْقِينِي وَيَشْرِبُ ذَهَباً لِلْهَمِّ مَذْهَبُ
شادنٌ يَحْمِلُ مَاءَ فِيهِ نَارٌ تَتْلَهُبُ

* * *

لو أدرناها على مِينٍ ت لكان الميتُ يَطْرَبُ
ليت شعري أسروراً أم مُداماً بت أشْرَبُ
صباً في الكاسات منها كالشهاب المتصوّبُ
قرأتُ الراحَ شَرْقاً ورأيتُ الهمَّ مُغْرِبُ
غصنٌ فوقَ كَثيبٍ ونهارٌ تحتَ غَيْهَبِ
لك منه مطربٌ يرضيك إن شئت ومضربُ
جنةٍ عذبتُ فيها بتجنن وتجنّب
هل رأيتم أحداً قبلي بالجنة عذّب

وحين تعبق رائحة الغلمان من هذه القصيدة ، لا يتسّر أو ينفي عن نفسه
مثل هذه التهمة الفاحشة ، بل يكشف عن ذاته ، رجلاً شاذاً ، منحرفاً نحو
أسوأ هوة وقع فيها المجتمع آنذاك .. فإذا لامه بعضهم على عشق غلام أمرد
جسيم ، قال متأففا مؤنباً (٢) :

قالوا: عشقت عظيم الجسم ، قلت لهم :
من أين استرُ وجدي وهو منهنك
أعشقُ لا عشقتُ أخاً نحول الذي سار فيه مواكبا تيار العصر (٢) :
إذا لمستَه كَفَيْني لم تلامس سوى جلدٍ على عظمٍ نحيفٍ

(١) اليتيمة ٢ / ٣٣٨ .

(٢) نفسه ٣٤٥ .

ان القاضي التنوخي وأضرابه كانوا يعلنون صراحة عن مجونهم وفسقهم ولا يرون في ذلك جناحا ولا عيبا ، فالعصر عصر لهُو ، ومن لا يغتنمه منهم ويغترف من مبادئه يندم ! فالصابي على تمسكه يدينه ، وأعرافه ، وعلى ترمته لا يثبت أمام مغريات هذا العصر ، الذي يدعي الثبات امام صراعه النفسي ولهفته الى المجون كما يظهر في قوله (١) :

حَمَتْنِي لَدَتِّي رَتَبُ المعالي وَضَتِّي بِالْمَرْوَةِ وَالْوَقَارِ
وَدِينُ ضَاقٍ فِيهِ مَجَالُ فَتَكَي لُخُوفِ عَقُوبَةٍ وَحَدَارِ نَارِ
فَوَا شَوْقاً إِلَى خَلْعِ الْعِدَارِ وَفَعَلِي مَا أُرِيدُ بِلَا اعْتِذَارِ
وَيَا لَهْفِي عَلَى حُلِّ الْإِزَارِ صَرِيحاً بَيْنَ سُكْرِ أَوْ خُمَارِ

ولكن الصابي المرتج في هذه الأبيات المشدود بين مثله وشهوته سرعان ما ينهار أمام اغراء الحمرة والغلمان فيفضح نفسه في قوله (٢) :

فاسْتَمْتِهَا خَمَـرةً تَأْسُو مِنْ اَلْهَمِ الْجَرَا حَا

* * *

يَا غُلَامِي مَا أَرَى فِيهَا وَلَا فِيكَ جُنَاحَا
ويظل الصابي أسمى من أقرانه رجال الدولة حتى بعد انهياراته الجنسية لأنه لم ينتجرف كثيراً مع الغلمان (٣) ، فقد اتجه اتجاهها جنسيا طبيعيا لذلك يقول (٤) :

(١) البيمة ٢ / ٢٤٣ .

(٢) نفسه ٢٥٨ .

(٣) هذا لا يعني أنه ابتعد عنهم فهناك ما يثبت ميله اليهم كقوله :

طِيبَ عَيْشِي فِي عِنَاقِكَ وَوَفَاقِي فِي فِرَاقِكَ

او غير ذلك من الاقوال لكنه مع هذا يطغى غزله بالمرأة وحبه لها على غلاتيته ، تراجع البيمة

٢ / ٢٥٧ وما بعده .

(٤) كتابات الثعالبي ٢٦ . والأحراج : الفروج .

الحاجة المرء في الأدبار إِدبار والمائلون إلى الأَحـ-راحِ أحرارُ
 كم من نظيف ظريف بات ممتطياً ظهر الغلام فأضحى وهو عطار
 انه يعبر عن نزعة تبدو غريبة ازاء ما كان متعارفا عليه بين رجال الدولة
 وصدورها من ميل جارف نحو الغلمان .

لقد كان الصابي مولعا - مقابل نفوره من الغلمان - بالمرأة يصرح بذلك
 دون استعمال ضمير المذكر كما يفعل غيره من الشعراء فتراه يقول واصفا
 لهوه مع احدها (١) :

أقولُ وقد جردتُها من ثيابها وعانقتُها كالبدْرِ في ليلة التَمِّ
 لئن آلمتْ صدري لشدةِ ضمِّها لقد جبرت قلبي وإن أوهنتْ عظمي
 أو (٢) :

جردتها اعتنقنا كلُّ لِكِلٍ وشباحُ
 باتت وكل مصون لي في حماها مباحُ
 واذا كان الصابي مترفعا عن الشذوذ الغلماني فهو لم يكن كذلك مع
 النساء لقد أخذه تيار الفجور في سيره ولم تحمهمه رتبته ولا مروءته ولا دينه ،
 فوصفه الذي رأيناه لا يدل إلا على رجل منغمر باللذات مدمِن عليها وعلى
 عكسه كان القاضي ابن معروف حين يتغزل ويقول (٣) :

فلما تصرّ منا وشطّ بنا النوى رَضِيتُ بطيفٍ منك يأتي مُسلّما

(١) اليتيمة ٢ / ٢٥٩ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٢٥٨ ، كتابات الثعالبي ١٢ . ويبدو أن الصابي مغرم بالعري فتراه يقول
 « وقد جردتها » ، « جردتها واعتنقنا » أو يقول « يا من بدت عريانة » « فرأيت كل الحسن
 فيها » أو « وأنت أحسن ما نلقاك عريانا » . وقد تكون هذه الأقوال دليلا على نزعة شاذة في
 نفس الصابي .

(٣) اليتيمة ٣ / ١١٣ .

أو حين يقول (١) :

لو كنتَ تدري ما الذي صَنَعَ الهوى والشوقُ في الجَسَدِ النّحيلِ البالي
لهجرتَ هجري واجتنبتَ تجنّبي ووصلتَ من بعدِ الصدودِ وصالي
انه يسمو في لفظه مدلاً على نظافة مشاعره وعلوها فقد كان بإمكانه أن
يستعمل لغة العصر أو لغة رفاقه رجال الدولة ، فيصف لهوه ومجونه ، أو
ينحط الى درك الأوصاف المادية المبتذلة فيستعملها لغة لشعره وغزله ، ولكنه
ترفع فاستعمل لغة مؤدبة توحى بصدق المشاعر ونبيلها ، قال مرة يصف علو
همته في الحب (٢) :

وما سرّ قلبي منذُ شَطَطتْ بك النوى نعيمٌ ، ولا كأسٌ ، ولا متصرفُ
وما ذقتُ طعمَ الماءِ إلاّ وجدتهُ سوى ذلك الماءِ الذي كنتُ أعرفُ
ولم أشهدِ اللذاتِ إلاّ تكلفاً وأي نعيمٍ يقتضيه التكلفُ
ونجد مثل الفاظ الحب والغزل والشوق النبيلة التي استعملها ابن معروف
عند الشريف الرضي ، فقد تعفف هذا الشاعر عن موبقات عصره ، فلم
ينحرف أو ينحرف ، ولم يشارك أهل ذلك العصر فجورهم ، ولم يجارهم
حتى في اللغة التي استعملها في شعره الغزلي أو الوصفي ، فاذا أراد أن يصف
أو يتخيل ليلة هو ارتفع بنفسه ولغته وقال (٣) :

يا ليلةً كَرُمَ الزما نُ بها لو أن الليلَ باقي
كان اتفاقاً بيننا جارٍ على غير اتفاقٍ
فاستروح المشتاق في زفراتِ هم واشتياقٍ
واقنص للحقّيبِ المواضي بل تسلفَ للبواقي
حتى إذا نَسَمَتَ ريباً ح الصبح تؤذن بالفرقِ
برد السّوارُ بها فأحْميتُ القلادةَ بالعِناقِ

(١) نفسه ١١٣ / ٣ .

(٢) نفسه .

(٣) الديوان ٧٧ / ٢ ، البيتة ١٥٤ / ٣ .

وقد يجاري الشريف الرضي مألوف عصره في استعارة ضمير المذكر عند الغزل فيقول (١) :

حبيبي ما أزرى بجمك في الحشَى ولا غضّ عندي منك أنك أعجمُ
بنفسي من يستدرجُ اللفظ عجمة كما يعضُّ الظبي الأراك ويغم
حتى إذا صدّقنا أنها غزل بغلام أعجمي كما يقول الثعالبي ، فهو غزل غفيف
نقي فيه سلاسة ورقة .

إن ما قاله ابن معروف والشريف الرضي وغيرهما من شعر أخلاقي
صادق دليل شجاعة وأخلاق سامية في زمن عزّت فيه الأخلاق الحسنة ،
والصفات النبيلة ، وسادت فيه المفاحش والمقاذر والمجون .

القيمة الفنية :

لا يختلف شعر رجال الدولة الاجتماعي كثيراً عن شعر الوزراء أو
الأمراء فهو « متطعات » أو قصائد قيلت في مناسبات معينة مفروضة ، ولهذا
فهو في الاضرب شعر مصنوع لا مطبوع ، لكننا مع ذلك نجد في أشعار رجال
الدولة الذاتية كثيراً من الانفعالات الصادقة والومضات الفنية الجيدة بخاصة
إذا كان قائل الشعر صادقاً بعيداً عن المؤثرات السياسية .

ففي شعر الصابي والشريف الرضي ، وابن معروف نجد معالم الشاعر
بارزة في أغلب ما قالوه من شعر ، وبخاصة ذلك الذي يحكي مشاعرهم
الشخصية وانفعالاتهم « الرومانسية » الرقيقة .

اننا نجد - بعد ذلك - في شعر رجال الدولة الاجتماعي ذخيرة لغوية
تفيد دارسي فقه اللغة ، ففيه ألفاظ وعبارات يمكن للباحث أن يلهمها ويفتش
عن منشئها فيغني الدراسات اللغوية والتراثية ببحث ملذ جديد .

(١) نفسه ، القيمة ٣ / ١٥٥ .

الخلاصة :

شعر رجال الدولة — كغيره — صورة تبرز فيها معالم حياتهم فهو يحكي علاقاتهم بأسيادهم وما جرت به هذه العلاقات عليهم من حزن أو مسرة ، كما يحكي نزعاتهم الفردية وتطلعاتهم الأنانية ويصف بشكل أو بآخر ما كانت عليه حياتهم من مظاهر باذخة مترفة ، وما صاحب هذه المظاهر من انحرافات أخلاقية جرّت معها أغلب رجال الدولة ، لم يسلم منها الا من كان يمتلك نفساً شجاعة أبية استطاعت بقوتها أن تحميه من هذا الاتون الفاجر المستعر .

ان شعر رجال الدولة يفيد دارسي التاريخ والاجتماع كما يفيد دارسي اللغة وفقهها ، ففيه معالم اجتماعية لا يمكن أن نجد مثل صدقها في أي خبر تاريخي لأن مصدرها شعر ذاتي يعبر تعبيرات اجتماعية واضحة المعالم إلى حد كبير ..



الفصل الرابع

المتبدلون والمجان

المجون قديم قدم المجتمعات البشرية يرافق تغيراتها وتطوراتها مدأً وجزراً ، والمجتمع العربي الجاهلي عاش فترات استفحل أمر المجون فيها بشكل خطير ، وقد أبطل الاسلام العادات الفاحشة التي كانت موجودة في الجاهلية (١) ووضع أعرافاً جديدة والتزامات تحترم كيان الانسان وكرامته ، كما أنه فرض على المسلمين عملاً متواصلاً في الفتوحات والفروض الدينية مما استغرق أوقات الناس وكاد أن يقضي على فراغهم ، وهذا ما سهل ضمور المجون والفسق أو اختفاءهما .

وحين بردت الالتزامات الدينية ، وانتهت الفتوحات ، أصبح المسلمون الفاتحون يتمتعون بالكثير من أوقات الفراغ ، يضاف إليها وفرة وسائل اللهو من مال ، وغلمان وجوار وخدم ، وقصور عامرة وتسلط . ولهذا بدأت بذور التبدل تنمو من جديد عند هذا الحاكم أو ذاك ، أو عند غير الحكام من تجار ، وأصحاب أراضي . وزاد من ظهور هذه البذور ونموها اتساع رقعة المملكة الاسلامية والامركزية التي يتمتع بها بعض الحكام .

(١) يراجع في عادات العرب في الجاهلية ، ونظراتهم تجاه المرأة والزواج والفجور ، بلوغ الارب للكلوسي ٢ / ٣ - ٨ ، ٥٢ ، ٥٥ ط ٣ شرح وتصحيح الاثري ، مطابع دار الكتاب العربي - مصر .

ولا ننكر ما للشعوب المتحضرة (الفارسية والبيزنطية) التي اختلط بها العرب من أثر في خلق مثل هذه الأجواء التي كانت تعتبرها هذه الشعوب من مقومات حياتها (١) .

وحين خلقت هذه الاجواء الباذخة ، كان لابد من وصفها بقول نثري أو شعري والحكام مولعون بالوصف والشعر ، والناس المحكومون لم يكن لديهم من اعتراض على هذا البذخ الذي يحصل غير الكلام على هذه المجالس

(١) يتساءل الدكتور احمد الحوفي في كتابه « تيارات ثقافية بين الفرس والعرب » وفي حديثه عن الأدب العباسي المكشوف في ص ٢٠٢ فيقول : « فهل كان نتيجة محتومة لتطور المجتمع في نظم ووسائل ترفه وراثته الواسع ؟ أو كان نتيجة خللاط الفرس بالعرب وكثرة الموالي والإماء ، وما نقله الفرس من ضروب اللهو والفساد .
ويجب الدكتور الحوفي :

« الحق كان نتيجة محتومة للأميرين معا ، ذلك أن تطور الحياة وتنوع الترف وكثرة المسال ليست السبب الوحيد في كثرة المجون والخلاعة ، والادب المكشوف ، لأن المجتمع في الاقاليم الاخرى كالشام ومصر وشمالى افريقيا والأندلس قد تطورت حياته لكنه كان أكثر جذا وأكثر حرصاً على التصون من المجتمع العراقي » .
ثم يعود فيجزم :

« وإذا فقد كان الفرس أهم بواعث الخلاعة والادب المكشوف لأن العرب لو لم يتخالطوهم لكانت حالهم أشبه باخوانهم في الشام ومصر » .
انتهى كلام الدكتور الحوفي وهو لا يعدو أن يكون خلطاً سطحياً ورأياً فيه الكثير من الاتهام والمذاجة .

ان المجتمعات في مصر والشام والأندلس لم تكن أحسن حالا من مجتمع العراق ، والا فكيف نفسر شعر ابن واسانه وابي الرقعمق ، أو رقص وزير اندلسي في مجلس عام أمام الملك ، أو ارتياح ولذة الحاكم بأمر الله وهو يشاهد شيخا يلاط به بأمره .. ثم لماذا نضع الوزر كله على الفرس ، ولماذا لا نقول أن التراكمات السياسية والاقتصادية على المجتمع وما تولده من اضطراب اجتماعي وأخلاقي قد ولدت عند مثقفيه عامة ، وشعرائه خاصة نزعة الاحتقار للمثل فكان الشاءو يقع في أتون هذه النزعة فينظم الادب المكشوف تعبيرا عن احتقاره للاوضاع الاجتماعية أو احتجاجا عليها أو هروبا منها أو تنفيسا عن ألم مكبوت سببته السلطة الجائرة المستغلة وما رافقها من مظالم اجتماعية ودعارة اخلاقية وسياسية عمت العراق مثلاً عمت الشام أو مصر أو الأندلس .

وما يدور بها من تبذل وشعر متدن ، وبعد أن كثرت هذه المجالس كثرت تناقل ما يدور فيها ثم صار الشعر المتداول وكأنه شيء اعتيادي لكثرتة وخفته وسهولة حفظه ، فلم يعد يستهجنه « العامة » ، وصار ملححة مجالس الخاصة ثم تطور الأمر حتى بدأ يقلد بعد أن كان يردد ، وغدا قوله مألوفاً ، وعدّ شيئاً من الظرف (١) والفكاهة (٢) ، فانتشر في العراق وفي الشام ، ومصر والأندلس في فترات وأشكال متفاوتة .

يمكننا أن نستشف في الشعر الماجن المبذل كثيراً من مقومات المجتمع بحكامه ومحكوميه ، ونطلع على عادات غريبة كثيرة بدت بأشكال وصور مختلفة وصارت وكأنها موجودة فيه أصلاً .

ومشاهداتنا لعادات المجتمع وطبائعه خلال الشعر الماجن (الظريف بلغة العصر) نتيجة منطقية لما يملكه هذا الشعر من سلطة عجيبة تمكنه من الإيغال في هذه العادات والطبائع ووصفها وصفا مجرداً عن أغلب مؤثرات الخوف والدجل .

(١) لقد احتلفت مقاييس ومفاهيم الظرف في هذا العصر عما كان عليه سابقا فقد قالوا فيه قبل هذا القرن : « الظريف الذي تأدب وأخذ من كل العلوم فصار وعاء لها فهو ظرف » . وقالت بعض منظرات القصور : من كان فصيحاً عفيفاً ، كان عندنا متكاملًا ظريفاً ، وما كان غنياً عاهراً ، كان ناقصاً فاجراً ، وقيل : الظرف في أربع خصال ، الحياء والكرم والعفة والورع . وانشد الشاعر :

ليس الظريف بكامل في ظرفه حتى يكون عن الحرام عفيفا
فاذا تورع عن محارم ربه فهناك يدعو الانام ظريفا

ينظر الموشى : ٥٣ .

(٢) يعلق الاستاذ بشار عواد معروف على ما وصلت اليه الفكاهة في العصر العباسي فيقول : « وقد امتزجت الفكاهة عند العرب في العصر العباسي بالمجون واصبحت الصقاعة والرقاعة والهاطقة والفكاهة تطلق على كل فكه تقريبا واصبح الماجن احقاً ورقياً بنفس الوقت » . « مجلة التراث الشعبي » ع ٦ س ١٩٦٤ شباط ص ٥٧ وما بعدها »
وليس الامر بهذا التعميم والا لأصبح الادباء ورجال الدولة الماجنون صقعاء رقعاء حقى فكهين في الوقت نفسه .

فالحسين بن الحجاج مثلاً « تتفكه الفضلاء بشمار شعره ، وتستملح الكبراء
 ببنات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط
 رفته . وقذعه ، ومنهم من يغلو في الميل الى ما يضحك ويمتع من نوادره (١)
 وهو لا يهاب حين يأتي بنواقص هذا الأمير أو ذاك الوزير أو غيرهما من
 رجال الدولة خلال مدحه لهم أو وصفه لمجالسهم ، لأنه يعرف كيف يدغدغ
 مشاعرهم ، ويرضي غرورهم ، يقول واصفاً حالة من يمتدحه (٢) :

قـِـرْمٌ إذا أنشدته شعري البديع تهلاً
 فحسبت أن أبا عبادة (٣) يمدح المتوكلاً

وليس هذا التهليل والانشراح الا نتيجة الشعور بالمتعة الحاصلة بسبب
 سماع الشعر الماجن المملوء بالمقازر اللغظية والمديح الذي ينبو عنه الذوق لتدني
 ألفاظه ، واغراقها في الغلو والذلة .

لقد أخذ هذا الشعر مكانه في المجالس والمناسبات وأستعير به أحياناً عن
 اللهو والغناء ، وعدّه ابن الحجاج ظرفاً ، وفضله على الغناء حين قال (٤) :

فان شعري ظريف من بابسة الظرفاء
 الذّ معني وأشهى من استماع الغناء

ومعنى هذا أن شعراً مثل شعر ابن الحجاج يخدش وجه الحياء ، ويلوث
 نصاعة المروءة ، صار اعتيادياً ، بل ثميناً ، ولم يعد للاحتشام في تداوله
 وترديده مكان ، فانتقلت عدواه الى الحكام وبدلاً من أن يستمعوا اليه فقط ،
 نظموا مثله ، وولعوا بكلماته فهذا ابن عباد وزير آل بويه في فارس يقف

(١) اليتيمة ٣ / ٣١ .

(٢) نفسه ٣٢ .

(٣) البحري ، وقد أكد الشريف الرضي أن شعره نوع من خفة الروح فقال حين رثاه :

ليبك الزمان طويلاً عليك فقد كنت خفة روح الزمان

(٤) اليتيمة ٣ / ٣٢ .

بباب الوزير المهلي ويطول انتظاره فيكتب اليه (١) :
وأتركُ محبوباً على البابِ كالخَصِيّ ويدخلُ غيري كالأيور ويخرجُ
أو يقول في مناسبة أخرى (٢) :

من عَمَلِي منَ عَمَلِي نيكُ الرجال البُزَلِ
ولنما أنيكُهُم لأنني معتزلي

أو (٣) :
فالصَّمي (٤) والمتر (٥) من بعد القشام (٦) به طيب الحياة فلا تعدل عن الطيب
ومثل هذه الأقوال ، وأقذع منها نجد عند أبي اسحق الصباني في هجائه (٧)
الذي سيأتي في كلام قادم .
وفي هذا أدلة أخرى على أن المجون والتبذل يشترك فيه العامة والخاصة ..

أهم الشعراء :

إذا ذكر شعراء المجون والتبذل تبادر الى الذهن شاعران من شعراء هذا
اللون هما : أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد بن سكرة الهاشمي (ت
٣٨٤) وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج (٣٩١) . فقد كاد شعرهما
يحصر في اطار السخف والاقذاع فقط ، وصارا يبدوان كأنهما ظاهرة شعرية
متميزة اجتماعياً وفنياً .

وحين يتساءل المرء لماذا هذه الظاهرة ؟ ولماذا انغمس هذان الشاعران في
هذا النوع من الشعر دون غيره ؟ مع أن اخلاقيهما كانت على نقيض ما ورد

(١) معجم الادباء ٦ / ٣٠٦ .

(٢) أخلاق الوزيرين ٢١٤ .

(٣) أخلاق الوزيرين ٢١٥ .

(٤) الصمى : الصهباء من الخمرة أو الشرب وهو من الفاظ المكدين .

(٥) والمتر : النيك وهو من الفاظ المكدين .

(٦) القشام : الطعام .

(٧) تنظر اليتيمة ٢ / ٢٨٥ .

في هذا الشعر من سخف ومجون (١) ، حين يلقي المرء هذه الأسئلة يأتيه جواب ابن الحجاج سريعاً واضحاً يقول فيه (٢) :

سَيِّدِي سَخْفِي الَّذِي صَارَ يَأْتِي بِالذَّوَاهِي
أَنْتَ تَدْرِي أَنَّهُ يَدْفَعُ عَنِ مَالِي وَجَاهِي
أو (٣) :

لو جَدَّ شعري رأيتَ فيه كواكبَ الليل كيفَ تسري
ولمَّا هَزَلْهُ مجونٌ يمشي به في المعاشِ أمـري

إذاً فالعملية لا تحتاج الى كثير من المسوغات والجدل فهذا الشعر الذي (سخفه لا بد منه) (٤) اختطه ابن الحجاج وغيره من الشعراء ، منهجاً في الحياة يدفع به عن المال والجاه ويمشي به في المعاش الأمر فنتبين من ذلك منزلة شاعر المجون والسخف ، ونتبين ما وصل اليه الحكام من ضحالة وانهار خلقي بحيث احتضنوا ألفاظ السخف والمقاذر وصاروا يدفعون لسماعها المال والمنصب

(١) جاء في وصف أخلاق ابن الحجاج قول أبي حيان : « وأما ابن الحجاج فقد جمع بين جد القاضي أبي عسر في جلسته ، وحديثه ، وقيامه ، وتخطئته مع حياء كأنه مستعار من الغانية الشريفة ، وبين سخف شعره الذي لا يجوز أن يكون لراويه مروءة به فكيف لقائله .. (الصداقة والصديق ٦٦) .

وكذلك الشأن مع ابن سكرة ينظر هامش الصفحة ٦٦ من الصداقة والصديق ، وينظر الامتاع والمؤانسة ١٣٧/١ ، وينظر في ترجمة الحسين بن الحجاج ت ٣٩١ ، المنتظم ٢١٦/٧ ، معجم الادباء ٢٢٨/٩ ، الوفيات ٢٤٦/١ ، العبر ٥٠/٣ ، معاهد التنصيص ١٨٨/٣ . وينظر في ترجمة ابن سكرة ، الوفيات ٤٠/٤ ، الوافي بالوفيات ٣٠٩/٣ ، العبر ٣٠ .

(٢) اليتيمة ٣٤/٣ .

(٣) نفسه ٣٣ ، وقبل البيت الأخير يقول صريع الدلاء :

فأعذوري إذا تحامقت يوماً

الديوان (١١ ب)

(٤) نفسه ٣٤/٣ .

ومثلما كان الحكماء يستطيعون هذا الشعر كان أغلب الناس أيضاً بدليل قول ابن الحجاج (١) :

لو لم أشب بشعر عانتها ما طاب للناس كلهم شعري
ولا بد أن نشير بعد هذا الى أن هناك شعراء آخرين غير ابن سكرة وابن
الحجاج ، مبعوثون في بغداد والبصرة وواسط وبقية مدن العراق في شعرهم
كثير من الفحش مما يجعلهم محسوبين في عداد شعراء التبذل والمجون ، منهم
صريع الدلاء (٢) ، والحبز أرزي (٣) والمفجع البصري (٤) وأبو عبد الله
الحامدي وأبو الورد (٥) ، إضافة الى عشرات الشعراء الآخرين الذين نظموا
في السخف بهذا المقدار أو ذاك .

وليس من مسوغ لكل هؤلاء الشعراء في قول مثل هذا الشعر غير ما
ذكره ابن الحجاج اضافة الى أنه غدا من مألوف العصر وأساليب ظرفه ومتعته
كما أنه يمنح بما يحمله من رقاعة وتحامق فرصة للتنفيس عن الهموم
والمصاعب (٦) .

-
- (١) نفسه ٧٩ / ٢ ، ومثله قول ابن الحجاج أيضاً :
بيضائع السخف الثمين تعوم بين الناس سوقي
ينظر درة التاج قطعة ٥٧٦ ، وتلطيف المزاج ورقة ٧١ .
(٢) صريع الدلاء : محمد بن عبد الواحد المعروف بصريع الدلاء وقتيل الغواني ت ٤١٢ ،
ترجمته في الاعلام ١٣٣ / ٧ .
(٣) نصر بن أحمد ت ٣١٧ هـ ترجمته في تاريخ بغداد ٢٩٦ / ١٣ ، معجم الادباء ١٩ / ٢١٨ .
(٤) محمد بن أحمد بن عبد الله المفجع البصري ت ٣٢٧ هـ ، معجم الادباء ١٧ / ١٩٠ ،
المحمدون ٣٢ ، الفهرست ٨٣ ، الوافي بالوفيات ١ / ١٢٩ .
(٥) اليتيمة ٣٧١ / ٢ .
(٦) يؤكد ذلك قول صريع الدلاء :

وليس دواء الهم الا رقاعة
الست بحمقي للملوك مجالاً

تميل بادخار الحقود على الحقد
الذ بطيب العيش في حمقي وحدي

الديوان ١٠ .

موضوعاته :

حين صار هذا الشعر مستساغاً مستملحاً ، وأبيح قوله في أغلب المجالس والمنتديات ، كثرت موضوعاته ، وتعددت أهدافه وقيل منه في كل غرض ، في المديح ، في الغزل بالمؤنث والمذكر ، في الالحاد والتجديف ، في الدعوة الى اللهو ، في الهجاء وفي كل ما يستدعي القول ويحلو للشاعر أن ينظم فيه ، فهو شعر سائر ، وهو شعر تجاري مريح .

الدعوة للأخذ باللذة ووصف أمانتها :

وعلى رأس الموضوعات التي وردت في شعر التبذلي والمجون الدعوة الى اللهو والأخذ بالملذات ، فالزمن القاسي ، المملوء بالويلات والمحن جعلت ابن التمار الواسطي يقول (١) :

قم فانتصف من صروف الدهر والنوب واجمع بكأسك شمل اللهو والطرب
ان هذه الدعوة ليست اعتيادية بقولها رجل يريد اللهو فقط فهي تحمل دلالات عميقة أخر ، تفسر بما كان في ذلك الزمن من ولادات لا شرعية لمآسي لا يمكن أن تصدق قساوتها أو غرابتها .

فاذا كان ابن التمار يدعو الى الثأر من مثل هذا الزمن المتحمل بالويلات بوساطة الشرب واللهو فانما يدل على وسيلة جديدة للهزيمة من هموم العصر ، واتخاذ سفينة المجون واللهو مركبا للابحار عبر الخيالات والاحساسات الآنية التي تبعثها لحظات اللهو والشراب .

ويكاد ابن سكرة يتفق في الدعوة للهروب مع ابن التمار الواسطي حين يقول (٢) :

خذ من الدهر ما صفا لك منه ودع الفكر في بنات الطريق
أي شيء يكون أطيب من كأس رحيق شيبت بريق عشيق

(١) اليتيمة ٢ / ٣٧١ .

(٢) اليتيمة ٣ / ٨ .

والكؤوس بضروبها والعشاق بأنواعهم ذكور وأنثى تعج بهم مدن العراق المختلفة ، ويكاد الانسان عند مطالعته أحوال المجتمع العراقي آنذاك يتصور هذا المجتمع ومجتمع بغداد بخاصة مؤلفا من عاشق ومعشوق يلفهما جو صاحب من اللهو والمتعة .

يا مجمع الحسن يا بغداد يا بلدي ما الصبر عنك وعنك فيك بالحسن
يا خير موطن هو كنت ألفسه لا زال مغناك تُسقى الغيث من وطن
كم من حبيب تركناه لديك وفي سكان دارك كم لي اليوم من سكن (١)
وليست بغداد وحدها موطن اللهو ومكانه ، فالبصرة وواسط والأنبار
وغيرها من المدن العراقية الأخرى كانت تفتح صدرها لكل طارق يروم
المتعة ، كما سرى ذلك في فصل قادم .

البغاء (٢) :

في عصر مثل القرن الرابع بلغ التبذل والاستغلال الطبقي والمجاعات حد
قاتلاً ، خانقاً ، لا بد أن ينتشر في وسطه البغاء — والبغاء ينتشر ويستفحل في
المجتمعات الطبقية وخلال المجاعات والنكبات — وقد ترك لنا شعر المجون
دلائل كثيرة على وجود البغايا داخل القصور وخارجها ، وتشم رائحة البغاء
من أشعار ابن الحجاج وأوصافه للنساء المتعهرات ، فاذا أراد أن يصف لنا
متعته مع فتاة جميلة صغيرة ، صورها لنا بألفاظ عاهرة وقال (٣) :

(١) حكاية ابي القاسم البغدادى ٢٥ .

(٢) يؤكد لنا وجود البغاء ما ذكره الصولي عن قوادين « تغابرا على قحبة » كل منهما
يريدها لصاحبه وكان صاحبها من كبار اللصوص فاعان هذان اللصان « كل واحد صاحبه
فجرت بينهما حرب وأمور قبيحة » ينظر اخبار الرازي ٢٧٧ . ويؤكد لنا وجود البغاء قصة
عصف الدولة مع اخت سيف الدولة ، وما كان من محاولته اجبارها على التردد على دار القحاب ،
وينظر في البغاء ما ذكره الجرجاني في المنتخب من كتابات الادباء ص ٣٥ .

(٣) الديوان مخ رقم ٤٣٧ / م ورقة ٥٨ .

وَعَلَى رَأْسِهَا وَقَايَةُ لَاذٍ (١)
 حَسَنَ الزَّيِّ مِنْ بَنِي هَرَّاذٍ
 عَقِيقٌ وَمُطَيِّقٌ وَبِجَازِي (٢)
 هَيْبَةُ الْكَسِّ بِنْتُ كَسْرَى قَبَاذٍ
 عَسَلٌ مِنْ مَجَاجَةِ النَّحْلِ مَاذٍ (٣)
 رَوَّقُوهُ فِي أَسْفَلِ الْخَرْدَاذِ
 خَرَجَتْ فِي قَمِيصِهَا الدُّرْبَازِي
 وَبَكَرٍ (٤) وَلَا عِمَامَةَ كَهْلٍ
 وَثَلَاثٌ مِنَ الْخَوَاتِيمِ مَا بَيْنَ
 فَتَوَهَّمْتُهَا وَقَدْ دَاخَلْتَنِي
 بِنْتُ عَشْرِ شَقَّ اسْتَهَا الْعَذَبُ فِيهِ
 رَيْقُهَا مِثْلَ نَصْفِ رَطْلِ شَرَابٍ

وفتاة إذا استهها نقرتها بالمخاضي تطن كالفلولاذ
 رب يوم حديثها فيه ينسبك أحاديث ليلة السندباد
 ترتبط الأبيات المتعهرة بلذة العملية الجنسية المختلطة مع الشرب والأنس
 وما يصاحب ذلك من جو فاحش . وقد ينسى الباحث ما في هذه الأبيات من
 معان اجتماعية أخرى تبرز في أسماء الملابس والحلي والمسميات الأخرى
 الموجودة في ثنايا المقطوعة (٥) .

لكن هذه الضجة لا يمكنها أن تغطي على ملاحظة مهمة تتبين في قول ابن
 الحجاج (بنت عشر ... البيت) حيث نستدل على أن البغاء بلغ حداً جعل
 الشاعر يتباهى بمزاولة طفلة (بنت عشر) ، مدربة وخبيرة في هذا الفن (رب
 يوم حديثها فيه ... البيت) ، فهي إذاً تعرف كيف تسامر المشتري عرضها
 بطريقة لبقة تسلب العتول وتؤثر في النفوس (٦) ، ومع هذا فهي ليست مثل

(١) لباس من الحرير ، اللسان ٣ / ٥٠٨ .

(٢) الكور : إدارة العمامة على الرأس ، اللسان ٥ / ١١٥ .

(٣) نوع من الحلي .

(٤) الماضي : العسل الأبيض ، اللسان ٣ / ٥١١ .

(٥) كالفلولاذ الذي يدل على شيوعه ، وليلة السندباد التي تدل على شيوع القصص الخيالية .

(٦) قد يكون تحديد ابن الحجاج للعمر مبالغاً ، لكن درجة هذه المرأة على الاغواء والاغراء

تبقى بارزة .

عاهرة ابن المطرز مبتدلة تدعو الى نفسها كل أحد (١) :

فقحةٌ مثل عجنّة الحواري حسنُها يترك الصحاة سُكاري
لفتاة لسانها أعجمي عبدة عندها الملوكة أساري
قربنتها من العيون ومالت فقلوب الزناة فيها حيارى
أبرزتها من الثياب وقالت : يا خواجه تشتهي قلت : آري (٢)

انها تشبه الى حد كبير بعيد في لطفها وخفة روحها تلك العيارة الماجنة
الظريفة التي قال عنها أبو الفضل الفضلي الكُسكُري (٣) :

يا لعيارة تقصّر للعاشق بالظرف والنوادر يومه
سئلت عن دواء الخمار فقالت : كومةٌ ثم نومة ثم عومه
ولا يقف وصفهن عند الظرف ، والصلافة بل يصل الى حد وصف
سهولة الحصول عليهن ، مما يدل على وفرتن ، وشدة امتهانهن .
وقد صور لنا ابن الحجاج حصوله على واحدة منهن بقصيدة ماجنة
نقتطف منها قوله (٤) :

جلست وبائي على مدرجة فمرت بنا ظبية مزعجة

* * *

(١) تنمة اليتيمة ١ / ٥٩ .

(٢) آري : كلمة فارسية بمعنى نعم .

(٣) نفسه ٨٦ .

(٤) الكشكول ١ / ١٣٠ ، وينظر في انتشار البغايا ما كتبه ابن الحجاج الى ابن صديق له
(يكنى أبا جعفر ، كان مستهتراً بالقحاب) ، اليتيمة ٣ / ٨٣ وما يدل على وفرتن أيضا قول
ابن الحجاج ، الديوان مخ ٤٣٥ ورقة ١٤ :

فيا اميرا كثير الفلّان والاصحاب
وجه الى سوق يحى منهم من لا يحايي
فسي خسان رآه متنكراً بالقحاب
وبالزنا والبلايا الكثيرة الاسباب
فأقبضه قبضا حلّالا طلقا بنير حساب

يرى خصرها وهو مستحکم
فسلمتُ وارتعتُ من رَدِّها
فأغضت على حنق طرفها
وقالت : أترني بُعِيدَ الشباب
على كفلٍ دائمٍ الرجزِ جَه
وبعض الجوابات مستسمجة
وحيث بأكله أدعجه
فقلت : فغربُتنا محورِ جه

* * *

فمالت كما مالَ غُصن الأراك
ودار الشرابُ فظلتُ تكيّلُ
إلى أن لوت جيدها وأنثنت
وقامت تغني على نفسها :
فجئنا إلى حجرةٍ مسرجه
عليّ وتشرّبها مزوجه
من السكر كالناقة المحدثه
متى تركبُ الناقةُ المسرجه

ان هذه الأبيات تبين لنا أيضاً انهن - ونظراً لكثرتهم - بدأن أسلوباً جديداً في امتحان أنفسهن ذلك هو سيرهن في الدروب مبرزات مفاتن أجسادهن بقصد الاغراء ، مستعملات في الفاظهن الحدة والخشونة أو غير ذلك من الكلمات التي تجلب الانتباه ، وتثير في نفس السامع نوعاً من المشاعر المتباينة التي تدفع الانسان الى التمسك بصاحبة الرد (وارتعت من ردها .. وبعض الجوابات مستسمجة) في محاولة للحصول عليها بأي ثمن .

ومع حصول الرجل على المتع الجسدية ، وما يرافقها من لهو وأنس لم يقنع أو يعتدل في تصرفاته وشبهه الكلامي ، فلقد أسرف في ايراد وذكر أعضاء الرجل التناسلية في الكثير من شعره ، كما فعل مثل ذلك بأعضاء المرأة وعوراتها ، فاذا أراد ابن الحجاج أن يدعو الى اللهو ويحسنه أمام أنظار مريديه ، وصف لهم عضو المرأة وقال (١) :

حره في الشتاء إذ وقع الثلج قريباً في الصيف من حراً آب
تحرق الزب نارُه كبل يوم فيشم الجيران لحم (٢) الكباب

(١) تلطيف المزاج مخ رقم ٤٣٦ / م ورقة ١٤ ، درة التاج مخ قطعة رقم ٥٥٦ ورقة

. ٣٨١

(٢) في درة التاج : ربيع .

وان أراد أن يهجو امرأة ويفضحها وينفر الناس منها ويريم موطن قبحها جاء الى عوراتها يكشفها فيصف عضوها قائلاً (١) :

يفتر عن صدغ مهزول ، به عجف وقد تفقأ عنها بظرها سمننا
يرغو ويزبد شدقاه إذا اختلفا كأنه شديق مفلوج حساً لبنا
وهكذا يصل الكلام اذل مراحل ، ومثلما يكون أصحابه مغمورين
بعض الفجور والفسق يكون هو فاجراً فاسقاً وضيعاً ، فيدل على مرحلة زمنية
كث فيها الشذوذ اللفظي مثلما كث الشذوذ الاخلاقي .

الغلمانية :

ليست عملية استعمال الغلمان أو اللواط بهم جديدة أو غريبة على المجتمعين العراقي والاسلامي دخلت اليهما « مع الأقوام الدخيلة على العرب من الفرس وغيرهم » كما يدعي بعض الباحثين (٢) ، أنها عادة تتحكم بها ظروف المجتمع (أي مجتمع) السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولا يغرب عن بالنا اتهام الكثير من سادة العرب ووجوهها - في الجاهلية و صدر الاسلام - بالآبنة أو اللواط (٣) ، وكذلك لا يغرب عن بالنا وجود المختئين أيام الرسول أو بعدها ، أو ولع أبي نواس والخليفة الأمين (٤) وغيرهما بالغلمان ولعاً غريباً ظل يلزم تاريخ حياتهم (٥) .

(١) نهاية الأرب ٢ / ١٠٥ ، وفي وصف الاعضاء التناسلية للمرأة ينظر كنايات الثعالبي ص ١٦ .

(٢) تنظر رسالة الشعر الشعبي في العراق في القرن الرابع رسالة ماجستير إعداد حميد الهيبي ص ٨٤ .

(٣) المحاضرات ١ / ٢٠٣ ، لطائف المعارف ٩٨ ، وقد ذكر الثعالبي كثيراً من هؤلاء السادة وقسمهم بين لوطي ومأبون .

(٤) وليس المأمون كما أثبت حميد الهيبي .

(٥) حاولنا أن نذكر أمثلة فقط ممن ولع بالغلمان ولو أننا عدنا من ركض وراء الغلمان لما تمكنا الحصر ولما خرجنا بنتيجة . وينظر في الابنة المنتخب ٣٥ .

ان استعمال الغلمان للخدمة أو المتعة موجود في كل المجتمعات الطبقيّة وبخاصة تلك التي تستفحل فيها الحروب والمجاعات والمظالم ، فقد انتشرت عادة اللواط مثلاً في المجتمع اليوناني زمن حرب طروادة . كما انتشرت في المجتمع الفارسي وبخاصة في جيش أبي مسلم الخراساني حين منع خروج النساء مع الجيش واستعيض عنهن بالغلمان للخدمة أولاً ثم استفحل الامر ففسق بهم (١) .

وكذلك كانت عادة اللواط مشهورة في بلاد الافغان في القرنين الثالث والرابع (٢) . وليس أدل على شهرتها عند العرب من ورودها في القرآن عادة مستفحلة في قوم لوط الذين ارسل لهم الله نبيه « لوطاً » كي يهديهم سواء السبيل فما اهتموا فعاقبهم الله على عصيانهم عقاباً شديداً (٣) .

واذا كان المجتمع العربي الجاهلي أو الاسلامي يعرفها فانه مع ذلك لم يعبرها تلك الأهمية ، لأنها لم تستفحل بين أفرادها وحدّ من انتشارها وإذاعة أسرارها فيه ، قيم وأعراف عشائرية ودينية .

أما وقد ألغى كثير من الأعراف ، والقيم والالتزامات ومال المجتمع نحو التدهور الاخلاقي - لتدهوره الاقتصادي والسياسي - فإنها قد بدأت تبرز بهذا الشكل أو ذاك ، وبنسب متفاوتة تبعاً لتفاوت الاوضاع الاقتصادية والمظالم الاجتماعية .

وحين حل القرن الرابع ، كان المجتمع العراقي قد وصل مرحلة من التناقض والتباين جعلت لكثير من المسائل الشاذة مكاناً بيّناً داخل اطار هذا المجتمع البائس ، وكان من هذه المسائل الشاذة الغلمانية .

وعلى هذا فمن الخطأ أن نلقي تبعة انتشار الغلمانية بما فيها عادة اللواط على الفرس أو غيرهم من الأقوام ، ونحن نملك نصاً يبيّن أن بغداد كانت أكثر

(١) الحضارة الاسلامية آدم منز ٢ / ١٦٠ .

(٢) الحضارة الاسلامية لمنز ٢ / ١٦٠ .

(٣) القرآن الكريم : الاعراف ٨٠ ، النمل ٥٤ ، العنكبوت ٢٨ .

تدعراً وغلمانية من منطقة فارسية هي أصفهان .

فقد جاء على لسان أبي القاسم البغدادي في حديثه الى أهل أصفهان موازناً بين مدينتهم ومدينة بغداد قوله (١) : « ما أرى والله على رأس أحدكم غلاماً نظيفاً غنّج الحركات حلّو الشمائل خنث الاعطاف بابلي الطرف » .

« ذو طرّة قاطرةٍ بالعنبرِ ومَلَثَمٍ يكشفه عن جوهر
وكفل يشغل فضل المئزر تُخبر عيناه بفسقٍ مضمِرٍ » (٢)

أما اذا كانت بعض مناطق بلاد فارس ، أو بعض البلدان الاخرى مبتلاة بمثل هذا الشذوذ الاخلاقي فلأنها مبتلاة قبل كل شيء بالمآسي الاجتماعية والاقتصادية التي تخاق الشذوذ الأخلاقي وغيره من أنواع الشذوذ .

ولإذا أردنا أن نرى أثر الحالة الاجتماعية في الناس وشذوذهم استطعننا ما كان عليه الأتراك أول ورودهم العراق (٣) ثم ما كانوا عليه بعد أن عايشوا مجتمع العراق وتطبعوا وتأثروا بأوضاعه المختلفة ، حيث وصل بهم الأمر مع ما يملكونه من سطوة إلى أن يغدو بعض غلمانهم ممتنعاً الدعارة شاذاً أيما شذوذ (٤) .

بعد كل هذا وجب القول بأن وجود الغلمان في مجتمع متهريء متحلل اجتماعياً ، متأزم اقتصادياً وسياسياً مثل مجتمع العراق في القرن الرابع ليس غريباً ، ولا يقع وزره على قوم أو ملّة ، فالوزر كله يقع على عاتق الطبقة المسيطرة المستغلة عربية كانت أم فارسية أو ديلمية أم تركية ، فقد كانت هذه الطبقة ترى من مصلحتها تحلل المجتمعات التي تحكمها « وتمييع » روح التمرد عندها ، لترتع بما يدره عليها هذا التحلل من سقوط اجتماعي يكون حصيلته

(١) حكاية أبي القاسم : ٦٥ .

(٢) نفسه ٦٦ .

(٣) تنظر رسائل الجاحظ ، رسالة مناقب الاتراك ص ٧٧ وما بعدها .

(٤) سيأتي إيراد الامثلة على ذلك ، وللتأكد من انتشار عادة اللواط ينظر ما كتبه الثعالبي في كنيائته ص ٢٢ ، ٥ و ٢ ، والجرجاني في منتخبه ص ٢٧ .

المال والنساء والغلمان .

كما يجب علينا ألا ننسى أن المجتمعات البشرية بما فيها المجتمع العراقي كانت في طريقها الى تحولات وتبدلات خطيرة من موقع اجتماعي الى موقع آخر لذلك فالتحول الذي حصل في المجتمع العراقي الزراعي العشائري خلق منه مجتمعاً جلبت له الحضارة الحديدية الصناعة - على بدايتها - ووطرت تجارتها ووسعتها ، ووطدت الاقطاع وثبتت أركانه ، كل هذا التحول كان لا بد أن يصاحبه انحرافات خطيرة في مسيرة أخلاقه وطبائعه .

وقد يكون لبعض التقاليد الاجتماعية أثر في الانحراف نحو الغلمان ويؤكد لنا ابن الحجاج (١) في محاوره شعرية مبتذلة وجود عادة الختان بين النساء ، مما يسبب برودتهن وملل الرجال من مزواتهن : جاء في هذه المحاوره الى لسان عضو المرأة :

ولكنني رأيتُ الحرَّ فينا يسامُ الحَسَفُ حالاً بعد حالٍ
فَيَقْطَعُ أنْفُسَهُ طفلاً ، وينثنو كبيراً وهو منتوفُ السبالِ

ولم يكن الأدب بعامة والشعر بخاصة بمعزل عن التشبع بالروح الغلمانية السائدة المألوفة ، بل ان من كان يقول في الغلمان ويقدمهم على الجوارى يوصف بالظرف وخفة الدم وقبل هذا القرن قال «الأدباء الظرفاء» في الغلمان فأحسنوا ، ووصفوههم فأجددوا وقدموههم على الجوارى في الجدل والهزل (٢) وفي القرن الرابع فعل الأدباء والشعراء ما فعل أسلافهم ، فأكثروا القول في الغلمان ، وتعددت أقوالهم وتنوعت وصارت نبرة شعرية اجتماعية طاغية ترسم لنا صورة مجتمع ذي اتجاهات وأطوار وعادات لا يصدقها عقل سوي . فالفرد في هذا المجتمع مثلاً لا يعدم اشباع رغبته الجنسية فاذا فاتته تحصيل ظبي مقنع فهمته تحصيل ظبي معمم (٣) .

(١) اليتيمة ٣ / ٧٤ ، والمحاوره بين عضو المرأة وعضو الرجل .

(٢) مفاخرة الجوارى والغلمان ٢٧ .

(٣) المحاضرات ٣ / ٢٤٤ .

وتحصيل ظبي مقنع أو معمم لا يكلف في مكان على شاطئ دجلة غير
درهمين (١) . :

مجلس" في فناء دجلة يرتاح اليه الخليل والمستور

* * *

ليس فيه إلا خمار وخمر وممات من نشوة ونشور

* * *

ولك الظبية الغريرة إن شئت وان عفتها فظبي غريسر
فتمتع بما تشاء نهارا ثم بت معرساً وأنت أمير
كل هذا بدرهمين فإن زدت فأنت المبجل المحبور (٢)

واذا كان الانسان يستطيع أن يلقي بنفسه المحملة بالهموم في مثل هذه
الاماكن يرتع بلهوها ويتمتع بمبازلها وفجورها ، فانه يعطينا صورة للبهاء
العلني الذي تبرز فيه صور الفسق والدعارة النسائية والغلمانية .

وحيث بلغ الامر هذا المبلغ فان بعضهم لا يتخرج من التصريح باغوائه
الغلمان مستغلاً العلم والدين والأدب مرة واحدة .

فاذا أراد المنفجع أن يصف مجونه وعبثه داخل جامع البصرة قال بلا حياء
أو احتشام (٣) :

ألا يا جامع البصرة	لا خربك الله
وسقى صحنك المزن	من الغيث فرواه
فكم من عاشق فيك	يرى ما يتمناه
وكم ظبي من الإنس	مليح فيك مرعاه
نصينا الفخ بالعلم	له فيك فصدناه

(١) الحفصة الاسلامية ١٦٢ / ٢ .

(٢) الأدب في ظل بني بويه ٢٥١ .

(٣) اليتيمة ٢ / ٣٦٤ ، الحمدون ٣٢ .

بقرآن — رأناه وتفسير رويناه
وكم من طالب للشعر بالشعر طلبناه
فما زالت يد الإيـام حتى لان متناه

* * *

وحتى ثبّت المـرجُ عليه فركبناه
واذا دهمه وهو في نشوة التعبير عن أعماله نوع من الحياء أو شيء من
الخوف ، وعاد الى وعيه لحظات قصيرة قال محاولاً تكذيب نفسه :
ألا يا طالب الامرـد كـذب ما ذكرناه
فلا يغـررك ما قلنا فما بالجد قلناه
ولكنه وهو يعود شاعراً بالذنب متحسناً نتانة لفظه يسقط ثانية في
« مستنقع » الغلمانية ، فيصف لنا طريقة أخرى نرى فيها امتهان الفجور
واضحاً جلياً .

فـزج الدرهمـ الضرب اليه يتلاقاه
فبالدرهمـ يُستنزل ما في الجوّ مأواه
وبالدرهمـ يستخرج ما في القفر مثواه (١)

ومهما يكن صدق المفجّع في أقواله الاولى ، ومهما تكن القيمة الفنية
لكلماته فأنها تظل معبرة عن شيوع الغلمانية بين أهل العلم والأدب والدين .
ولقد أيد لنا التاريخ هذا القول — وان كان أنبل مما رسمه المفجّع — فقد
ذكر أن محمد بن داود الاصبهاني الفقيه ت ٢٩٧ كان يهوى محمد بن جامع
ولأجله صنف كتاب الزهرة (٢) .

وعشق أبو بكر محمد بن السري السراج ت ٣١٠ مغنياً اسمه إياس وقال

(١) المحمودون ٣٢ ، اما اليتيمة فقد أورد محققها هذا الجزء مشوه المعنى .

(٢) تكملة الطبري ١٠ .

فيه الشعر (١) . وكان احمد بن كليب النحوي يهوى غلاماً اسمه أسلم وقد مات حين امتنع أسلم من لقائه (٢) . ومثل ذلك كان أمر الوراق الاديب الذي أحب فتى نصرانياً (٣) .

ولم تكن حظوة الغلمان عند محبيهم أقل من حظوة محمد بن جامع أو أسلم أو غلام الوراق أو غلام معز الدولة أو غلام بختيار ، فالحيز أرزي « وهو الذي » ما كشف قناع العزبة قط لقصور همته على المذكر دون المؤنث (٤) ، يقول بولاية غلامه عليه لأنه جاء اليه يوماً دون سابق وعد أو تنبيه ، يقول الحيز أرزي :

خَلِيلِي هَلْ أَبْصَرْتَمَا أَوْ رَأَيْتَمَا بِأَكْرَمِ مِنْ مَوْلَى تَمْشَى إِلَى عَبْدِ
أَتَى زَائِرًا مِنْ غَيْرِ وَعَدٍ وَقَالَ لِي : أَصُونُكَ عَنْ تَعْلِيْقِ قَلْبِكَ بِالْوَعْدِ (٤)
وبسبب هذا الحب العاصف ، وهذا الولع الغلmani لا يمكننا أن نستغرب إذا تجنى غلامه عليه فلقد « رأى منه ذلة (٥) فراضه بالأمان والتخويف ، وبالحصر المؤزر الذي يحكي قوة الشوق بالفؤاد الضعيف (٦) » حتى صار يهذي بذكره في الركوع والسجود (٧) ، ولم يعد يفرق حين يرى الهلال ووجه الحبيب أيهما الهلال لأنهما هلالان عند النظر (٨) .
وقد يأخذه وجده « الغلmani » هذا الى عالم لذيد من الانفعالات الوجدانية الصادقة فيكتب لنا قصيدة يضع فيها كل مشاعره تجاه غلام اسمه (مظفر) يقول (٩) :

-
- (١) المحمدون ٣٤٥ . (٢) معجم الأدباء ١٠٨ / ٤ .
(٣) تنظر القصة مع ترجمة احمد بن كليب في معجم الادباء ١٠٨ / ٤ وما بعدها .
(٤) اليتيمة ٣٦٧ / ٢ .
(٥) نفسه ٣٦٨ .
(٦) تاريخ بغداد ٢٩٧ / ١٣ .
(٧) المحاضرات ٥٧ / ٣ .
(٨) معجم الأدباء ٢٢٠ / ١٩ .
(٩) قصيدة للحيز أرزي مخ في المكتبة الظاهرية رقم (٣٣٢٣ شعر) ولدي نسخة مصورة منها ، وهي تقع في أربعة وثلاثين بيتاً أوردت ما رأيته مناسباً منها .

تَسِيمٍ عَيْرٍ فِي غِلَالَةِ مَاءٍ وَتَمثالُ نُورٍ فِي أَدِيمِ هَوَاءٍ

* * *

لقد رحيم الرحمن رقة جسمه بداء (١) ملكوت الحسن في جبروته
فمن نور نور في ضياء ضياء تسربل سربالاً من الحسن وارتدى
ردائي جمال طرزا بيهاء تحيرت فيه لست أحسن وصفه
على أنني من أوصف الشعراء فلو أنه في عهد يوسف قطعت
قلوب رجال لا أكف نساء

* * *

له حركات تنثر الشكل بينها تلاً كالدرد النقي بشاشة
وشرّب خداه عقيق حياء له غرة من تحت شعر كأنه
تبسّج صبح تحت جنح مساء فأحسبه من حور عين وإنما
أتى هارباً في خلصة وخفاء فلم أره إلا التفت توقفاً
لرضوان خوفاً أن يكون ورائي سيؤخذ منا ليس رضوان تاركاً
على الأرض حورياً ربيب سماء

* * *

فيا ميم مولاي ويا ظاء ظالمي ويا فاء فوزي ثم راء رجائي (٢)
فديتك من هذي الصفات صفاته من الحسن ليم يلقى بقبح لقاء؟
أمن أجل ذاك الوعد أظهرت حشمة ومن ذاك حتى تتقي وترائي؟

* * *

فيا نفس صبراً إن يعيش مظفري وإن مت وجدا كنت في الشهداء
إذا ما لقيت البؤس عند أحيي ترى عند أعدائي يكون رجائي؟
إلى الماء يسعى من يغص بأكلة فقل أين يسعى من يغص بماء؟

(١) في الاصل (بدى) .

(٢) عند جمع الحروف يخرج اسم « مظفر » .

وإذا كان غلام الخيزأرزي وهو بهذه الصفات الحسنة من الجمال ينزل
عن محله « السامي » فيأتي لزيارة (عبده) بلا وعد فيغمر هذا العبد بالفضل
والمنة فان غلام المفجع البصري أكثر عجرفة من غلام الخيزأرزي فهو لا
يلين ولا يرق لحالة عبده - المفجع - الا بعد أن يقول له (١) :

سيدي أنت إن عبدك أسمى خافقاً قلبه خفوق الجناح
فاغتم غفلة الرقيب وزره في رداء من الدجى ووشاح
ولا تقف هذه العبودية عند الاستعطاف فقط فلقد أوصلت صاحبها
العاشق حدّاً تسلب فيه ارادته وتنتهي قدراته أمام العشق الغلmani . فلقد كان
محمد بن الحسن الاقساسي العلوي ت ٤١٥ يقول لغلام اسمه بدر (٢) :

يا بسدر وجهك بدرُ وغنج عينيك سحرُ
أمرت عنك بصبر وليس لي عنك صبر
تأمرني بالتسلي مالي مع الشوق أمرُ

وقد يكون كل هذا الذل في العشق، وكل هذه العبودية للمعشوق مسألة
فردية ، تبرزها للقاريء هذه الأبيات أو غيرها لكننا لا نراها كذلك فلقد
أولع الناس بالغلman ، ولم يعد غلام فلان الفلاني حكراً عليه ، يتغزل به
أو يهواه فالناس الذين يرونه صاروا يحبونه ويتيمنون به ويتشهّونه حتى وان
لم ينالوه .

وابن سكرة حينما يحب غلاماً يعرف بابن برغوث وهو (من مشاهير
الملاح) يخاف التصريح باسمه ليلا يتعشقه الناس فهو يغار عليه غيرة تجعله ان
أراد أن يتغزل به يلغز فيقول (٣) :

بليتُ ولا أقولُ بمن لأنني
حيبٌ قد نفسى عني رقا دي
متى ما قلت من هو يعشقه
فان غمّضتُ أبقطني أبوه (٤)

(١) اليتيمة ٢ / ٣٦٥ ، المحدثون ٣٨ .

(٢) المنتظم ٨ / ١٩ .

(٣) اليتيمة ٣ / ٩ .

(٤) يعني البرغوث .

أما السلامي فغلامه جميل ، جماله إن برز أضرب بمن يراه . وجعله
مهموماً مشغول البال عاشقاً ، فاذا رام وصله ناشته سهام الحاظه القاتلة :

ظبي اذا لاح في عشيرته يطرق بالهَمَّ قلب من طرقة
سهام الحاظه مفرقة (١) وكل من رام وصله رشقه (٢)

لم تعد هذه المشاعر الغلمانية التي يترنم بها الشعراء فردية ، ولو كانت
كذلك لاقتصرت على شاعر أو عدة شعراء لكنها وهي تحيط معظم الشعراء ،
تدلل على ظاهرة اجتماعية وبائية ، تتفاوت في درجاتها بمقدار أخلاق الفرد .
تبلغ مثلاً عند أبي الفضل عبد الواحد التميمي حدّ النظر الى وجنتي غلامه
والتمتع برقعتها وجمالها (٣) ، وتبلغ عند ابن المطرّز حدّاً (عذرياً) يدفع به
الى الاحتشام من غلامه ، ولولا هذا الاحتشام لأفناه نظراً (٤) ، واذا كانت
هذه الغلمانية تبدو بشكل عفيف فيه شيء من الأحاسيس الوجدانية النبيلة –
في ذلك العصر – ، فلقد وصلت بأبي عبد الله الخامدي أن يبیت معه غلامه
ساقياً معانقاً .

سقاني وحياني وبات معانقي فيا عطف معشوق على ذلّ عاشق (٥)

ولذلك فقد فوّض له أمره لأنه عاشق (خانه الصبر) (٦)

كما وصلت بابن نبّانة السعدي درجة من الذلة قال معها (٧) :

وبدر تمام بتّ أَلَم رجَلَه وأكبره عن أن أقبلَ خدَه
وتتطور هذه المشاعر الذليلة ، والفاظها بتطور الغلمانية في المجتمع ، واذا

(١) أظنه يريد مفوقة .

(٢) تاريخ بغداد ٢ / ٣٣٥ .

(٣) تمة اليتيمة ١ / ٦٤ .

(٤) نفسه ٥٧ .

(٥) تاريخ بغداد ٢ / ٣٧٤ .

(٦) تاريخ بغداد ٢ / ٣٨١ .

(٧) ثمار القلوب ٤٨٧ ، الكنايات ٣٤ ، المنتخب في كنايات الادباء ٢٨ .

كانت عند من ذكرنا من الشعراء مصبوبة بقوالب لفظية مقبولة فانها تتحول حين يعم الولع بالغلman وتكثر مجالسهم وتنتشر معهم الرذيلة الى الفاظ وضيعة تهبط بصاحبها الى حضيض الرذائل والشهوات الحيوانية ، وتصل الى الوصف المبتذل لعمليات اللواط كما في قول أحدهم (١) :

قد حرتُ في وصف صديقٍ لنا مطرَزُ التُّكَّةِ بالعِجْدِ
في الحسنِ طاووسٌ ولكنَّه أسجدُ في الخَلْوَةِ من هدهدِ
أو في قول ابن سكرة وهو يصف شيخاً مأبوناً (٢) :

لنا شيخٌ يصلي من قعودٍ وينكحُ حين ينكحُ من قيامِ
صَمَوْتُ فهمِ أخو عِيٍّ ولكنَّ له دبرٌ يطفُلُ بالكلامِ

وحين تصل الغلمانية هذه الدرجة ، وينحط شعرها الى الوصف الهاوي الساقط اللفظ تتضح لنا كثير من المعالم الاجتماعية عند رواد « مستنقع » الغلمانية ، وتبدو لنا أيضاً مجموعة من طبائعهم ونزعاتهم في حبهم للغلمان وتمتعهم بهم فهناك من يشعر بلذة قصوى وهو يعيث بغلامين في آن واحد كما كان يفعل ابن سكرة الذي يقول (٣) :

من كمثلي وعن يميني شمسٌ تتجلى وعن شمالي بدرُ
بتٌ يجري عليّ من ريقِ هذين وكأسي شُهدٌ ومساكٌ وخمرُ

وهناك من يهيم جداً ، ويلتهب شوقه ، وتتأجج عواطفه الجنسية حين يواتيه الحظ فيتعرف على غلام بدأ الشعر يغزو وجهه ، فيزيده حسناً ، يغري الناظر المحب الذي ينهار أمام صبواته فيقول مثلما قال ابن سكرة (٤) :

وغزال لولا تيممة شعر ذكرته لقلتُ بعض الجواري

(١) اليتيمة ٣ / ١٩ .

(٢) اليتيمة ٥ / ٢ .

(٣) نفسه ٤ / ٢ .

(٤) تيمة اليتيمة ٦٣ / ١ .

شاربٌ أشربُ الصبابةَ منِّي وعِذارُ خلعت فيه عِذارِي
أو مثلما قال أبو الفضل التميمي (١) :

هام قلبي بحسن ذاك العِذارِ حين لاح اخضراره في احمرارِ
وقد يبلغ الشذوذ بعشاق الملتحين حدَّ كتمان هوى الصبي وهو أمر د
فاذا التحى أظهر حبه ، وبث شوقه ولوعته كما كان يجري مع ابن سكرة (٢) :
كتمت هواه زمان الصبا وصرحت بالحب حين التحى
وقد يصل هذا الشذوذ مرحلة تجعل جحظة يستمر في مزاوله غلامه حتى
بعد أن يصل الى الثلاثين من عمره ، وهو بعد ذلك يقول (٣) :

يقول لي يوماً وقد جئته : تلوط بي بعد الثلاثينا
فقلت : ان دمت كذا طيباً نكناك من بعد الثمانينا
وعلى عكس جحظة كان ابن سكرة ، فمع حبه للملتحين كان إذا كبر
غلامه ورأى فيه ما ينفر تركه وانتقل الى غيره مسوغاً هجرانه بقوله (٤) :

ما تركناه وفيه لمحِبٍ من طِبَاحٍ
هـدر الطير ومن عاداتنا أكمل الفِراخ
« والفراخ » بعد ذلك كثيرون ، مرد ، وملتحون ، كبار كما رأينا ، أو
صغار لم يبلغوا الحلم يستغلهم طلاب الشهوات لمتعهم الرخيصة .. ومنهم كان
غلام الخبز أرزي :

قالوا : عَشِقت صغيراً قلت : ارتع في
روض المحاسن حتى يُدرك الثمرُ

(١) اليتيمة ٥ / ٣ .

(٢) المحاضرات ٢٤٨ / ٣ .

(٣) اليتيمة ٤ / ٣ ، الكنايات للعلابي ٢٧ ، نهاية الأرب ٨٨ / ٢ .

(٤) اليتيمة ٣٦٧ / ٢ ، المنتخب من كنايات الادباء ٣٣ .

ربيع حسنٍ دعائي لافتتاح هوى
لما تفتح منه النور والزهر (١)
وقد يكون بعض هؤلاء الغلمان مجدراً يزيد ما خلفه الجلدري حسناً ،
ترداد معه هموم عاشقه كما كان غلام المفجع البصري (٢) أو يكون أعرج
يبرر صاحبه عشقه له بأنه يريد « للنوم لا للجري في الميدان » كما كان غلام
ابن سكرة (٣) .

ومن هؤلاء الغلمان من كان مختصاً بعاشق واحد ، ومنهم من كان يتكسب
ويؤجر نفسه لمن يدفع كالذي يقول فيه ابن سكرة (٤) :

سألتُه الوصل فلم يحتشم
وقال : قدّم نقدك الوافي
أو الذي يكتب على بكتته (٥) :

قفلت يا قوم على تكّتي لكنما مفتاحها الدرهم
ونستدل بعد ذلك على ما وصل اليه الغلمان من بيع أنفسهم بما قاله ابن
سكرة فيمن اكتسب مالاً بالإجارة فقطع عليه الطريق (٦) :

وضا من الاقوات والارزاق لا أفلحت دراهم البزاق
وكما كان الغلمان مختلفين في أشكالهم وأعمارهم وطبائعهم كانوا مختلفين
في مذاهبهم وانتماءاتهم وجنسياتهم ، فمنهم العباسي العربي الذي « لما التحى
أصبحت عمامته السوداء تجلى مخضرة الحبك (٧) » ، فما صبر السلامي على
جماله وما قدر أن ينسى حبه والهيمان به ومغازلته ومنهم العربي البدوي
الصلب ، الشديد المراس ، الذي يعلق به السلامي أيضاً فما يزال به حتى

-
- (١) اليتيمة ٣٦٧/٢ ، المنتخب من كُنَايَات الأدياء ٣٣ .
(٢) نفسه ٣٦٥ / ٢ ، المحدثون ٣٣ ، والابيات التي قالها المفجع في غلامه حين جدر نسبها
صاحب « المحدثون » أيضاً ص ٣٤٥ لأبي بكر السراج .
(٣) اليتيمة ٦ / ٣ .
(٤) اليتيمة ٦ / ٣ . ومثل ذلك ما قاله ابن الحجاج ، ينظر المنتخب ٢٧ .
(٥) المحاضرات ٢٤٦ / ٣ .
(٦) المحاضرات ٢٤٥ / ٣ .
(٧) اليتيمة ٤٠٥ / ٢ .

يغويه ويقول (١) :

تعلقته بدوي اللسان والوجه والزي ثبت الجنان
أعانق من قده صعدة ترى اللحظ منها مكان السنان
أدار اللثام على ثغره — فأهدى الشقيق إلى الاقحوان
ومنهم الفارسي الغنج ، الذي يمتحن نفسه ، ويبيعها لقاء دراهم ، فإذا
أراد ابن سكرة أن يواصله ، وعجز عن دفع ثمن الوصل وما نفعه شعره
وغزله أخذته الحسرة ، واشتدت لوعته وهمومه وقال (٢) :

إني بليت بشادن غنج حسن الشمائل وافزر الكفل
يبغي الدراهم وهي معوزة عندي فحيلي غير متصل
مستعجم الألفاظ ، أجهل ما يبدي ويجهل فهمه غزلي
وإذا مدحت فليس يفهمه والفارسية ليس من عملي
ومنهم التركي الذي يشرب معه ابن سكرة فيريد مواصلته لكنه يجبن أمام
بأس الأتراك وصواتهم فيقول هامساً (٣) :

أيها التركي ما عندك للصَّب النحيل ؟
هل إلى ما يستر القرطق غني من سبيل ؟
اشتهي ذاك وأخشى صولة الميث الثقيل

وندرك كيف كانت هيبة الأتراك ، ونعرف ما في نفوس الناس من خوف
منهم ، لكننا نرى بعد ذلك ان هذا الجبروت يذهب أمام جرأة السلامي
ومقدرته على الصيد فهو لا يتهيب مثلما كان ابن سكرة ، ولا يرتج عليه
منطقه الذي اعتاد الكلام في مثل هذه المواقف فإذا رأى (طرة تركي) (بطل
حمائله كعارضه ، وحاجبه الازج كقوسه المرنان) ألّفها ، ودفعته شهرته بعنف
نحو صاحبها فخادعه حتى انخدع وجره بعد ذلك الى ميدان الغواية وقال (٤) :

(١) اليتيمة ٤٠٣ / ٢ .

(٢) نفسه ١١ / ٣ .

(٣) نفسه ١٠ / ٣ .

(٤) اليتيمة ٤٠٧ / ٢ .

علقت مفترسَ الضراغم فارساً رجبَ المسدى والصدرَ والميدانِ
قمرٌ من الأتراك تشهد أنه الخود الحصان على أقبَ حصانِ

* * *

حييته فدنا وأمطرَ راحتي قبلاً فليت فمي مكان بناني
وخدعته بالكأس حتى ارتاض لي ودرأت عني الحدَّ بالكتمان
والمرء ما شغلته فرصة لذة ناسي العواقب آمن الحداث
ونتبين من خلال الأبيات وجود المغامرات الغامانية ، وما كان يتبعها ،
وتتوضح هذه المغامرات أكثر حينما نقرأ عن مغامرة أخرى للسلامي مع نوع
جديد من الغلمان المنتمين الى فئات صلبة الشكيمة شديدة البأس ، فهو يصف
لنا ما قام به مع غلام عيار بشعر يبين به بعض أحوال العيارين فيقول (١) :
يا مرهقاً في لحاظه مرهف ومخطف القلْدَ سهمه مخطفٌ

* * *

ومسرف الحسن لا يلام إذا جار على عاشقيه أو أسرف
عقف كلابه واراهفه فقلت : يكفيك صدغك الأعقف
ومال كفي على سؤالفه والموت من دون لمسها يسلف
فمرّ مرّ السحاب يسحب فضل الكُم عجباً وفاضل المطرف وقال والورد قد تعصفر في
ومثلك يلقي يداً عليّ ؟ أما خديه غيضاً وآن أن يقطف
لو مرّ بي الليث مات خوفاً ولو يخاف من ناظري أن يتلف
أبصر طيفي في النوم لم يطرف

* * *

فقلت : مهلاً فلست أول من اخطأ جهلاً من قبل أن يعرف

* * *

ولا تكلني إلى اليمينِ فلو شئت أكلت الزبورَ والمصحفُ

(١) نفه ٢ / ٤٠٤ .

فأفتر عن لؤلؤ وأسفر عن ورد وقبلته فما استكف
 وقال : ما تشتهي ؟ فقلت له : نقصف . حسادنا بأن نقصف
 فمال بي والظلام شملته وفجره في يمينه مرهف (١)
 إلى رياض يغازل القطر ما دبج من زهرها وما فوق
 ما بين فتیان لذة عرفوا العيش فنالوا نعيمه الألف
 هذا (٢) يحیی وذا يغار وذا یلثم كرهاً وذاك يستعطف
 برّد الثرى برّدنا وقد زرّر البدر علينا دواجه المحصف
 وبيننا خمرتان من ريقه الكرم وريق أشهى من القرقف
 ولطف الله لي بمدرجة أمثالها عند مثلي تلطف
 أنشدته شعر مكشف فأنسى يلثم تلك السطور والأحرف
 ومات سكرأ فمت من فرح وكاد سر الغرام أن يكشف

تظهر لنا هذه المغامرة أن للعامة حياة من اللهو أيضاً تتفق ومواردهم ،
 فمجالسهم في رياض بعيدة ، وبسطهم الثرى وأعطيتهم دجى الليل ، وغلماهم
 من بينهم ، يتمتعون جميعاً بلحظات أنس وطرب وابتذال .

ونبدو لنا من خلال لحظات المجون هذه كثير من النوازع الخنثية عند
 غلماهم ، فهذا يرمي التحايا أو ترمى له ، وذاك يغار من علام مثله ، والآخر
 يقبل كرهاً والرابع لا يلين إلا بعد أن ترجى له كلمات الغزل والاستلطاف
 وهكذا .

وكما تبين لنا هذه المغامرة السّلامية جزءاً من حياة اللهو عند العامة فهي
 تظهر أيضاً أن الشدة والبأس والسطوة ، أو الحسب والنسب والتعالي جميعها
 لا تقف صامدة أمام تيار التحلل الجنسي والأخلاقي السائد ، الذي عم مختلف
 طبقات المجتمع العراقي ولم يعد مقتصرأ على جنس أو فئة معينة .

(١) يعنى السيف .

(٢) يحیی يرمي التحايا أي طاقات الورد ، وقد تكون يحیی .

الكفر والتجديف :

حين لا يلتزم شاعر أو انسان بمبدأ اخلاقي يفرضه عليه دين أو عرف ، ينحرف بارادته أو بغيرها الى هاوية تعدّ في شرع دينه الذي يؤمن كفرةً وتجديفاً ، كما تعتبر في عرفه شذوذاً وانحرافاً .

وأكثر ما كان يسوء هؤلاء المجدفين والمنحرفين ويجرهم الى طريق الكفر هو تحريم الحمرة التي أدمنوا عليها وأغرتهم بمجالسها وملحقاتها ، فاذا جاء عيد المهرجان الفارسي ارتفعت أصوات اللهو والصخب والشراب ، وقال ابن الحجاج مجدفاً (١) :

يا خليلي قد عطشتُ وفي الحمرة ريٌّ للحائم العطشان
فاسقياني محضَ التي نطقَ الوحيُ بتحريمها من القرآن
واذا ما حرّمهم رمضان من ملاذهم وشربهم - ظاهرياً على الأقل -
أعلنوا عصيانهم له مجاهرة ، ولم يحتشم ابن الحجاج مثلاً حين قال (١) :
فاسقياني بين الدنان إلى أن ترياني كبعض تلك الدنان
اسقياني في المهرجان ولو كان لحمس بقين من رمضان
وقد تتأزم أخلاقهم وأنفسهم لهذه الالتزامات التي لا يؤمنون بها لكنهم
مضطرون أحياناً الى الأخذ بها زوراً أو دجلاً فما أن يذهب رمضان حتى
يتنفس السرى الرفاء الصعداء ويقول (٢) :

تصرّم شهرُ الصوم شهرُ الزلازلِ وشالَ به شوالُ شهر الفضائلِ

* * *

ودارت علينا الراحُ بين أهلة تضيء وأغصان رضاب موائل
فرحنا وفي أجسامنا سحرُ بابل يدبُ وفي إيماننا خمرُ بابل
ان وجود رمضان لم يكن الا حاجزاً متداعياً بين هؤلاء اللاهين وبين

(١) اليتيمة ٧ / ٣ .

(٢) المحاضرات ٤ / ٤٦ . وينسبها الثعالبي أيضاً لأبي الدرداء الموصلي تنمة اليتيمة ١ / ٥١ .

ملذاتهم ، فهم ينتظرون متلهفين نهاية أيامه ليصنعوا ما قاله الشاعر (١) :
ونسكر سُكرةً شنعاء جَهراً وننقر في قفا شهر الصيام
وعملية الصيام بعد ذلك واحدة من عمليات التروير التي كان يتقنها
الكثير من الناس آنذاك وجريء ابن أبي مرة المكي حين قال عند مقامه
ببغداد (٢) :

وأصومُ شهراً ثم أخرجُ غادياً نحو المصلى أقطعُ الأميالا
فيجر ذا ثوبي وأجذبُ ثوبَ ذا وأزاحمُ السقاطُ والأنذالا
شربي صَبوحاً واستماعي قينةً أولى بأن ألقى به شَوالا
والسقاط والأنذال بمفهوم هذا الشاعر هم الناس المتزاحمون للصلاة ،
الناس الذين لا يمتلكون ما يمتلكه ابن أبي مرة الذي يريد استقبال شوال سكران
منتشياً ، فهي مجاهرة بالعصيان لا تختلف كثيراً عن مجاهرة الخبز أرزي بعصيانهِ
واتيانهِ ما يأتي به العيارون (٣) :

أرى لي في شهر الصيام إذا أتى ليالي عيارٍ وأيامَ عابدٍ
أناسٌ بعَلاتٍ الصيام تفرّجوا وكانت أمورٌ بأعتلال المساجدِ
وما يأتي به العيارون كثير ومتنوع (٤) ، أقله المجاهرة بالمجون والفسق
شأنهم شأن غيرهم من الناس ، ومع هذا فالخبز أرزي يسبّتهم في هذا الفجور
يعلن عصيانهِ في شهر محرمٍ هو رمضان إضافة الى غمزه الاماكن المقدسة مثل
فالمساجد ،

(١) المحاضرات ٤ / ٤٦٠ .

(٢) تمة اليتيمة ١ / ٨٣ .

(٣) نفسه ١ / ٤٦١ .

(٤) ولكن مهما بلغت كثرته فانه لا يوازي ما كان يقوم به السادة الحكام من غسق وفجور
تحميمهم في ذلك سلطتهم وتسترهم المظاهر الزائفة ، وقد نجد لما يقوم به العيارون عذراً فنرى انه
تعبير عن تمردهم على القيم المشوهة والحياة المضطربة والاستغلال الانساني ، لكننا لن نجد عذراً
للحكام الذين كان الواجب أن يمثلوا الوجه الناصع للدين والمثل ، غير كونهم يمتنون الاستغلال
الذي يحرمهم بطبيعة الحال الى الانحراف .

ومثل هذا قال السلامي ايضاً (١) :

ونصلي على أذان الطنابير ونُصغي لنغمة الأوتارِ
بين قوم إمامهم ساجدٌ للكأس أو راعٍ على الزمـارِ
ومثلما تهون عند ابن الحجاج والسلامي الصلاة فيقرناها والأذان بأصوات
الطنابير ، ولذة الكأس وما تحويه ، يهون عندهما القرآن وسوره والكعبة
وربها .

فاذا أقسم السلامي بعلو منزلة الشريف الرضي خلط بين رب الكعبة ومشهد
النشوات واللذات وقال (٢) :

لاني حلفت بربّ أشرف كعبةٍ في مشهد النشوات والأطراب
وبكل مخلوع العذار مجزراً فضل الإزار مسح سحاب
وبمصرع الدّن الحريح وحرمة الوتر الفصيح وذمة المضرب
لقد ارتقت تبغي أبا الحسن العليّ يطمحن منه إلى الأبيّ الأبي
أما ابن الحجاج فاذا أقسم تجاوز القسم بالقرآن وسوره الى الحلف بأدوات
اللذة والمجون فقال (٣) :

فأقسمُ لا بياسينَ وطه ولا بالذاريات ولا بالحديدِ
ولكن بالوجوه البيض مثل الأهلّة تحت أغصان القُودِ
وشرب الرّي من خمر الثنايا وشَم المسك من وردِ الحدودِ
وتطفيّي حرارة الوجه يوم الفراق بمصّ رُمانِ النهودِ
وبالخمّر التي كانت لعاد ولكن بعدَ محنتهم بهودِ
مُدام في قديم الدهر كانت تُعدُّ لكل جَبّار عنيدِ
مدام ليس لي فيها امامٌ أصلي خلفه غيرَ الوليدِ (٤)

(١) نفسه ٤١١ / ٢ .

(٢) اليتيمة ٤١٥ / ٢ .

(٣) نفسه ١٠٣ / ٣ .

(٤) الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخليفة الاموي .

ان هذا القسم الماخن ما هو الا تحلل من كل القيود الدينية والأخلاقية ،
وفقدان الارتباط مع أعراف المجتمع وقيمه .

لقد ساعد على هذا التحلل الاخلاقي الحرية التي منحتها السلطة البويهية
لاصحاب المجون والدعارة كي تخلق مجتمعاً منهاراً تسهل عليها قيادته وحكمه .
ولست مع أستاذنا الدكتور غتاوي « بأنها وثنية فارسية قد رفعت رأسها
مشت على قدميها في هذا العصر بعد أن كانت تتململ وتحاول أن تنهض فلا
يسعها النهوض أيام كان للعرب سلطان في هذه الديار (١) » لأن مسألة الايمان
بالله وعدمه نابعة من ذات الانسان وتربيته وطباع مجتمعه وأخلاقه ، ونحن
نسأل هل كان الايمان عامراً حينما كانت الهيمنة للعرب ؟ وهل كان الامويون
أكثر تمسكاً بالدين من غيرهم ؟ وما نقول بظلمهم وقتلهم أحفاد الرسول ؟
وما نقول بمجون بعض خلفائهم وبخاصة الوليد بن يزيد ؟ وما نقول بعد
ذلك بتمزيق الوليد للقرآن واقتعاده مجالس الشراب ؟ ...

ولا أريد أن أنصب نفسي مدافعاً عن الفرس وأخلاقهم لكنني أريد أن
أكون موضوعياً كما يقتضي المنهج العلمي ، وعلى هذا أجد أن المسؤولية
الأخلاقية يتحملها الحكام عرباً كانوا أم فرساً ، فهم وحدهم — آنذاك —
القادرين على تغيير بنية المجتمعات التي يحكمونها وأخلاقها .

الهجاء :

لم تصل لغة الهجاء في أي زمن من الازمان الى ما وصلت اليه في القرن
الرابع ، فمع أن أسلوب الهجاء القديم قد بقي عند هذا الشاعر أو غيره ،
فقد غدت الروح الظريفة أو المبتدلة الفاحشة ميزة هجاء القرن الرابع ، ولم يعد
الناس يتداولون شعر الهجاء الا اذا تهاوت الفاظه وتردت معانيه .

وقد كان قسم من الشعراء الهجائيين الماخنين في حماية غريبة يلقيها
عليهم شعرهم الفاحش حتى وان تجرأ بعضهم وهجا أو عرض بأمر أو
وزير أو حاكم .

(١) الأدب في ظل بني بويه ٢٦٣ .

فالوزير المهلبى على كبر منزلته في الدولة والمجتمع ، يسكت على ابن الحجاج وهو يقول فيه (١) :

قيل إن الوزير قد قال شعراً يجمعُ الجهلُ شمله ويعمّه
ثم أخفاهُ فهو كاهِرٌ يَحْرِى في زوايا البيوت ثم يَطْمَه
ليتني كنتُ حاضراً حين يرويه فأفسو في راحتي وأشمه
وليس مستغرباً على ابن الحجاج أن يقول في المهلبى كلاماً مثل هذا ،
وليس مستغرباً أيضاً سكوت المهلبى واعتبار هذه الالفاظ نوعاً من الظرف
المستملح ، يردد للضحك والتسلية ، فالوزير المهلبى لم يكن وحده الذي
تعرض لأقذاع ابن الحجاج وفحشه ، فالملوك البويهيون على سطوتهم لم يسلموا
من لسان ابن الحجاج . فاذا أراد أن يقول لهم شيئاً من الشعر أو المديح لم يصبر
على لفظ مهذب انما يأخذه تيار الكلام الماجن فيقول لبختيار مثلاً : - (٢)
وقد علمنا بأن سيدنا الأمير ممن يقول بالبطر

* * *

إن الملوك الشباب ما خلقوا إلا صلاب الفياش والكمَرِ
وقد يتناول ابن الحجاج الى مقام الخليفة الطائع فيقول له هاجياً واصناً
عظم أنفه (٣) :

يا رب عبد النحر هوذا ترى	ما افضع الأمر الذي جرى
صلى بنا فيه إمام فسأ	في اول الصيف كما كبرا
خليفة في وجهه روشن	خربشته قد ظلل العسكرا
عهدي به يمشي على رجله	وانفه قد صعد المنبر

(١) البيتة ٣ / ٣٩ .

(٢) البيتة ٣ / ٤٨ ، معجم الادباء ٩ / ٢١١ .

(٣) نكت الهميان ١٩٦ ، والأبيات كلها من قصيدة طويلة أخذتها عن أوراق من مخطوط
« كتاب الأنبا من تاريخ الخلفاء » لمحمد بن علي بن محمد بن العمري ، والمخطوطة محفوظة في
مكتبة جامعة لندن ويقوم الدكتور قاسم السامرائي بتحقيقها البيتان الثالث والرابع فقط .

وقام يدعو إلى نفسه وذكر العباس واستفخرا
 بخطبة صنفها « باقل » قد كسر الناس لها دفتر
 نثرت بعراً من سروري وما نثرت لا لوزاً ولا سكر
 ولا يقف في تعريضه وهجائه عند الوزير المهابي أو غيره ، فلسانه أطول
 من أن يقصره بالهجاء على واحد أو اثنين ، فما ان يتولى أبو الفضل الشيرازي
 الوزارة ، حتى يأتي ابن الحجاج ليمدحه ، ويتوقع سامعه أنه لن يتعرض
 بأحد ، وأن كلامه سيكون للشيرازي فقط لكن طبعه يغلبه فيهبجو أبا الفرج
 بن فسانجس الوزير حين يقول للشيرازي مادحاً (١) :
 سعدك للحاسدين نحسُ وهم ظلامُ وأنت شمس

* * *

فأنت تحت الظلام تسمى وذاك تحت اللحاف يفسو
 واذا ما أراد أن يمتدح القاضي ابن معروف ، وكان هناك من يناوئه من
 الحكام ، عرض بهذا المناويء بالأفاظ مبتدلة وقال (٢) :
 يا أيها الحاكم الرقيقُ ذقنك في سلحتي نقيعُ
 إن ابن معروف في محل مرأته متعبُ منيعُ
 فضله الله واجتبهاه للأمر واختاره المطيعُ
 هذا له وحده فقل لي من أنت في الناس يا وضع
 واذا كان ابن الحجاج مشهوراً بشعره الماجن ، ولفظه الداعر ، فهناك
 شعراء عرفوا بألفاظهم العنيفة ، وشعرهم المحتشم نزلوا أيضاً - يجرفهم تيار
 العصر في هجائهم الى ميدان اللفظ المبذل ، والشعر الماجن ، فاذا أراد أبو

(١) في المخطوطة خربشة ويقول الدكتور حسين محفوظ ان اصلها حربوشه وكلمة
 حربوش فارسية معناها الخيمة الواسعة .
 (٢) اليتيمة ٤٢ / ٣ .
 (٣) اليتيمة ١١٣ / ٣ .

اسحق الصابي أن يهجو رئيساً أمرد ، لم يزن لفظه ، ولا نظر الى منزلته في الدولة والمجتمع ، وانما أخذته خفة اللفظ الماخن وقال (١) :

وأرعن من سكر الحداثة ما صحا دُفَعْنَا إِلَى تَعْظِيمِهِ وَهَوَّ مَا التَحَى
له همة لكنهنها في حِتَارِهِ فما يطلب العلياء إلا لينكحها
فلو أن ما قاسى من الابر دبرُهُ يقاسيه من سَيَّرَ المعلم أفلحها
ولا يقف هجاء الشعراء الفاحش أو تعريضهم عند الحكام وكبار رجال
الدولة ، فهو يتحرش بالشعراء والادباء وبالمرأة وبمختلف الناس .
فابن لنكك البصري يفحش في هجائه وينال به من أغلب البارزين في
ميدان الادب والشعر من أهل عصره .

فالمثني على منزلته الشعرية العالية لا يسلم من هجاء (٢) ابن لنكك
وشتائم وأبو رياش الذي كان « نابعة في حفظ أيام العرب وأشعارها » تناله
سهام ابن لنكك ويوغل في هجائه المقذع ، حتى يصل الى القول (٣) :

قل للوضع أبي رياش لا تبسل ته كل تُيهك بالولاية والعَمَلْ
ما ازددت حين وليت إلا خسةً كالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل
وربما تكون هذه الكلمات مؤدبة نوعاً ما بجانب هجائه لابي الهيثام كلاب

ابن حمزة الذي كان ابن لنكك « يتولع به ويبدع في هجائه (٤)
أو هجائه للشاعر الرملي الذي وصل به التدني الى أن يقول فيه (٥) :
لأم الشاعر الرملي صُدغ صبور ما علمت على الدُّبَاغِ
فرغت ولم تكن فرغت ورامت إدامة نيكها حتى الفراغ
ورب قائل يدعي أن الذين هجاهم ابن لنكك يستحقون الهجاء ، وأنه

(١) نفسه ٢ / ٢٨٧ .

(٢) معجم الادباء ١٩ / ١٠٤٩ ، وقد هجاه ايضا ابن سكرة ، ينظر ثمار القلوب ٦٠٤ .

(٣) اليتيمة ٢ / ٣٥٣ .

(٤) نفسه ٣٥٤ .

(٥) نفسه ٣٥٥ .

ما ظلمهم ، وعلى هذا فهو يبريء ابن لنكك من الفاظه الماجنة التي لا تليق
بشاعر مثله وقف أمام الجور فحاربه ، ولقي من وراء ذلك ما بقي من عنت
وفقر ..

ونظّل بعد ذلك نقول أنها سمة العصر وأن ابن الحجاج اذا عرض بشيخ
كبير السن ولم يستحي من أن يقول له (١) :

ولحية بيضاء كالقطن ناعمة في غاية الحسن
سرقتهما في الليل سرأ وقد نامت عيون الأنس والجن
فجاء شَيْخِي وهو في دهشة عظيمة ساء لها ظنّي
يصيح لي ما فعلت لحيتي فإنها قد سُرقت مني
قلت له بالرفق لا تتزعج فإنها مذ أُمس في بطني

اذا قال هذا فانما هو عنده كلام غير مستهجن ، لأنه لغة الهجاء ، وربما
كانت هذه الأبيات آدب الفاظ هذه اللغة .

ولا يخجل ابن الحجاج من شتم أهل بغداد ، اذا رأى بعضهم يسعى لنيل
الحسبة التي يتقلدها ، ولا ينسى أن يعرض بنفسه حينما يقول لهم (٢) :

يا أهل بغداد كما ترون وجهي فثبوا

وعفّروا خدودكم وبصبصوا وذذبوا (٣)

ترزّنوا توقّروا تعقلوا تأدّبوا
لا تخطّبوا الحسبة يا ويلكم فتتعبوا
فدّرّتي محشوة فيها الحصى والعقبُ
فيارة فيها الزجاج والنوى والخشبُ

(١) الديوان مخ رقم ٤٣٤ / م ورقة ٣ .

(٢) تلطيف المزاج مخ رقم ٤٣٦ / م ورقة ١٦ .

(٣) الكلمة غير مقروءة وكما اثبتنا يستقيم المعنى ، وقد تكون ودبدبوا اي هرجوا او
اضرّبوا الدبادب .

فليسُ ينجي أحداً مني ومنها الهربُ
أنا الذي نار آسته مضرمة تلتهبُ
ولمّا لحاكم لنار أستى حطب
وان أردتم فابعدوا وإن اردتم فاقربوا
ومن أين ذاك فما له سوى القرد أب
وأمه كلب استها على المخاصي كلبُ
جائعة على الحصى كما تراها تثب
في سرمها « قرطالة » يلقط فيها الرطب
يا ويلكم لحسبي للدفع (١) عنها سبب
عناية (٢) بالسعي والحيلة لا تكتسب

ويتضح لنا مع ابتذال ابن الحجاج ، وسماجة لغته ما جبلت عليه نفوس
بعض أهل بغداد من وضاعة ، فهي تسعى في رزق هذا أو تتحایل لعزل ذلك ،
وحين ننتهي من تتبع معالم هذه الصورة الاجتماعية نرى صوراً أخرى كثيرة
عند ابن سكرة وهو يرسم لنا صورة البخيل الحسيس .

عليلٌ لا يعاد من الخساسة له نفسٌ تحيدُ عن النفاسه
دخلتُ أعوده فازور عني كاني جثته لأدق رأسه (٣)
أو وهو يرسم لنا صورة الفاسق الفاجر الذي يتأنق في شراء سجادة صلاة
ليغطي على فجوره ويدجل على الناس متظاهراً بالورع والتدين :
يا جواً مردَ يا حليفَ البلادة لك في الفسق عادة أي عادة
أنت لا تعرف الصلاة فقل لي لم تأنقت في شيراً سجاده (٤)

(١) في الاصل وللدف مع الواو لا يستقيم الوزن .

(٢) في الاصل غاية ولا يستقيم الوزن معها .

(٣) اليتيمة ١٧ / ٣ .

(٤) اليتيمة ١٨ / ٣ ، وفي طبعة مصر ٩٣٤ يا جو أمرد .

ونرى مثل هذه الصور عند أبي اسحق الصبائي وهو يرسمها مجسمة لقاضي
يدج الزاني (١) ، وللرجل الذي يعيث بغلمان أبي الفضل الشيرازي الوزير
ويغويهم (٢) ، و للأبخر الوسخ (٣) أو لغيرهم .

وكما تعرض الرجال للهجاء تعرض النساء كذلك . فقد رأينا كيف عرض
ابن لنكك بأم الرملي ، دونما وازع من حياء ، بكلام مقذع فاحش ومثله
فعل ابن سكرّة الهاشمي بجارية اسمها خمرة حلف ألا يمر يوم إلا ويهجوها
حتى بلغت أبيات هجائه لها عشرة آلاف بيت من مجموع ديوان ضمّ خمسين
ألف بيت شعر . وفي الشعر الذي أورده له الثعالبي نجد ابن سكرّة وهو يرسم
لخمرة صوراً غريبة يبعث بعضها على الضحك والآخر على التفرز :

رُبَّ عَجُوزٍ مُسْتَعِينَةٍ سَلْقِيَةِ اللّونِ سَأُوقِيَةِ (٤)

* * *

هرمت حتى تناسيت اللحونَ معاً وصرت مُفْرَغَةَ الأَلْحَاطِ والمَقْلِ (٥)
قد قلت لما لاح لي ثغرُها ولاح منه الخُزْفُ الاخْضَرُ

* * *

وانتشر السّوسنُ من صُدغها وثار منها نَفَسٌ أَبْخَرُ
وشف قلبي نَتْنُ آبَاطِها يا معشرَ الناسِ قِفُوا فانظُرُوا (٦)
ومع التجني الواضح في هذا الهجاء فاننا نستدل على مسألة اجتماعية مهمة ،
تعبّر عن قيمة المرأة وأهميتها في المجتمع ، فلو لم تكن خمرة مهمة ، وذات

(١) اليتيمة ٢ / ٢٨٧

(٢) نفسه ٢٨٩ .

(٣) نفسه ٢٨٩ .

(٤) نفسه ٣ / ١٤ .

(٥) نفسه ٣ / ١٥ .

(٦) نفسه ٣ / ١٥ .

منزلة بارزة لما حسب لها ابن سكرة حساباً وأقسم أن يستمر في هجائها ، غرضه في ذلك الخط من قيمتها بشعره الممتليء بالكلام الفاسق ، المنفّر ، والشعر بعد ذلك عند ابن سكرة ومجمّعه آنذاك يرفع ويحط ، فهو ذو سحر وفاعلية يدلنا على ذلك قوله لأحدهم (١) :

تهت عاينا ولست فينا	وليّ عهد ولا خليفه
فتته وزد ما عليّ جار	يقطع عنيّ ولا وظيفه
ولا تقل ليس فيّ عيب	قد نقذف الحرة العفيفة
الشعر نار بلا دخان	وللقوافي رقي لطيفه
لو هجبي المسك - وهو أهل	لكل مدح - لصار جيفه

ونعرف منزلة الشعر ، ونستدل على أهميته الاجتماعية فهو نار بلا دخان ، نقذف به الحرة العفيفة زوراً وتجنباً مثلما نقذف به الزانية الفاجرة ، ويرمى به الانسان النبيل مثلما يرمى به الساقط ، والشاعر الذي يتجنّى أو يقول الشعر صادقاً لا يضيره شيء ، ما دام مقطوع الرفد والوظيفة .
ومع ما في الشعر من تجنّ وبتان ، فهو يظل معبراً دقيقاً في التعبير عن الكثير من المعالم الاجتماعية ، أبسطها هذا الشذوذ اللفظي والاخلاقي الذي رأيناه في الهجاء وغيره .

القيمة الفنية :

حين أصبح الشعر الماجن المبتذل مألوفاً مقبولاً وجب أن تتفق معه ألفاظه ومعانيه من حيث السهولة والعامية والابتذال ليكون سريعاً في تعلقه بالذاكرة ، مندفعاً في تداوله وتنقله من لسان الى آخر ، وقد جاء على شكل مقطعات وقصائد كثيرة - في الاغلب - ذات أوزان خفيفة الحركة سريعة النقرات ، وابتعد - الا ما قل - عن النفس الطويل والضربات الموسيقية الثقيلة .

(١) اليتيمة ٣ / ١٦ ، الوافي بالوفيات ٣ / ٣٠٩ .

كما جاء سطحياً عاماً — بالمعنى اللغوي الاجتماعي — يأخذ الكلمات المتداولة ويبتعد عن انتقاء ما سما منها ، لأنه شعر يعتمد المظاهر ، ويتحين السقطات ويسجل العورات ، وإذا كان قد أغنانا بكثير من المسائل الاجتماعية السائدة آنذاك ، فانه رسم لنا أيضاً المستوى الفني الهابط للشعر واللغة المتداولة ، فإن وجدنا بعض الأبيات الحميلة فهي تضع في غمرة هذا الهياج اللفظي الداعر المتحلل الغريب ، ولن يبرر كل هذا السقوط الفني قول ابن الحجاج (١) :

ألا أيها الاستاذ دَعَوَة شاعرٍ طريقة تُسه في الشعر لا تنبهرجُ

فالبهرجة الجديدة التي غزت هذا النوع من الشعر لا تختلف كثيراً عن بهرجة الالفاظ المتقعرة ، المتحجرة ، لأن الفاظاً مثل الفسا والضراط والخرأ والكلمات الدالة على الاعضاء الجنسية ، وخواجه وآرى والدرباذي وكثير من الفاظ المتناذر والشتائم ، لا يعقل أن تكون معبرة عن احساسات صادقة وانفعالات « رومانسية » جياشة ، انها الفاظ حشرت قسراً ، تعبر عن معنى آني أو غرض وضع يريده الشاعر أو سيده أو من يحيط به من مجتمعه .

ان شعر المبتذل والمجون مملوء بالالفاظ تشمئز منها النفوس وتعافها الاذواق البشرية النقية ، لما انحدرت اليه من درك واطيء ومستوى رخيص ، وقد دفعنا الى ذكرها بالرغم من صراحتها كونها كشفاً اجتماعياً لا يمكن الاستغناء عنه وبدون ذكرها تظل دراستنا ناقصة تفتقد الموضوعية والعلمية ، لأن من شروط الدراسات الموضوعية عدم ترك أي جانب يمكن أن يغني هذه الدراسة حتى وان كان هذا الجانب يؤذي الذوق العام فلا حياء في العلم كما يقول أسلافنا الطيبون .

وتنفع هذه الالفاظ أيضاً دارسي اللغة وفقهها ، ومنها يمكن أن تنطلق دراسة تبين تأثير هذه الالفاظ في اللغة العربية ونموها ومقدار معاشتها للناس وأحوالهم الاجتماعية خيرا وشرها ، بؤسها ونعيمها .

(١) اليتيمة ٣ / ٣٥ .

الخلاصة :

استفحلت روح المجون ، وانتشرت أماكن اللبؤ وتعددت أساليبها ، فغطى التبذل مساحات كبيرة من مجتمع العراق في القرن الرابع ، ومثلما كان الخلفاء والملوك ورجال دولتهم منغمرين في حياة لاهية ، متشبعة بالفسق والعفونة ، كانت هناك فئات اجتماعية كثيرة تلؤو بأساليبها الخاصة ، وتفحش وفق ما تسمح به مواردها ووقتها ، متناسية ، أو منهزمة عن ادراك ما يقع عليها من استغلال ومظالم من الطبقة الحاكمة وخدمها .

لقد وصل المجون ذروته في الربعين الثاني والثالث من هذا القرن خاصة أيام حكم بختيار وعضد الدولة ، ولا يعني هذا انعدام المجون والتبذل أو قلتها في الربع الاول أو الاخير من هذا القرن ، فالتحلل الاخلاقي مواكب للتحلل السياسي ، والاقتصادي ، وكل من السياسة والاقتصاد مضطرب متدهور ، والذي غطى على المجون - مع وجوده - في هذين الربعين الاضطرابات السياسية ، والاقتصادية التي كانت تعم البلد بعنف . ونجد صدى اللبؤ والمجون مع كل هذه الاضطرابات في شعر الراضي أول القرن أو شعر ابن الحجاج والسلامي وغيرهما في الربع الاخير من هذا القرن .



الفصل الخامس

المكدون

« أكدى الرجل إذا قل خير » (١) « والكُدِيَّة شدة الدهر .. والكُدِيَّة كل ما جُمع من طعام أو شراب .. أو نحوه .. والكُدِيَّة خوفاً للسائل (٢) » ويقال أكدى أي ألح في المسألة (٣) .

والكُدِيَّة بمعناها الشائع المعروف (٤) ظاهرة اجتماعية ترافق مسير المجتمعات الطبقيَّة كلِّها ، وتكثر أو تقلّ تبعاً لعمق التناقضات الطبقيَّة ، وما تجرّه من ويلات ومآس .

وفي المجتمع العربي أو الاسلامي - وهو مجتمع بدائي لم يتخلص بعد من النظام العشيري لإضافة إلى وجود الاقطاع المختلط بالقبيلة - ظهرت الكُدِيَّة بأشكال مختلفة نسبته المجتمع وقادته إليها .

فقد جاء في القرآن وصايا عديدة بأصحاب المسألة منها قوله تعالى : « وأما السائل فلا تنهر » (٥) وقوله : « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » (٦) .

(١) الصحاح للجوهري ٦ / ٢٤٧١ .

(٢) تاج العروس ١٠ / ٣١٠ ، والسان ١٥ / ٢١٦ .

(٣) اللسان ١٥ / ٢١٦ .

(٤) تعني المسألة والالحاح بها .

(٥) الضحى ١٠ .

(٦) الذاريات ١٩ .

واتباعاً لهذه الاوامر عالج المصلحون ورجال الدين أول انتشار الاسلام هذه الحالات بروح من العطف والرفقة والالتزام بأوامر الدين وحباً برضاء الله الذي آمنوا به .

وحين بدأ التأثير الاسلامي ينحسر عن المجتمع وخاصة عن الطبقة الحاكمة ، وحل الاستغلال والظلم محل التعاون والتآزر الذي جاء به أمر الاسلام كثرت حالات الكدية وزاد السؤال ، وأتسعت رقعة سؤاها باتساع وتطور الاضطرابات السياسية والاقتصادية وما كانت تسببه للبلاد من حروب وأطماع خارجية أو مجاعات .

كان من نتيجة هذه العواصف السياسية والمظالم الاجتماعية افتقار عشرات الالوف من الناس واضطرار قسم كبير منهم الى اتخاذ الكدية والسؤال طريقاً سهلاً للعيش ، ودرعاً حامياً من غوائل الجوع أو المصادرة أو الاغتصاب .

ويمكننا أن نعد الكدية والسؤال عملية انهزام وضعف وتخاذل أمام مصاعب الحياة وظروفها الشاذة القاسية .

كما ويمكننا أن نعد المكدين بعد أن صاروا يمثلون طبقة أو فئة - غير منتمين الى أي من طبقتي الخاصة والعامة (المستغلة والمستغلة) (١) فهم فئة اجتماعية طفيلية سرعان ما تنتهي حياتها إذا توفرت الظروف الاقتصادية الجيدة .

حين كثر أعضاء هذه الفئة الجديدة المتنامية . بدأوا يتكتلون فرقاً وجماعات ، يسيحون بالبلدان ، ويبتكرون وسائل الخداع التي تدر عليهم وتحميهم من عوادي الزمن .

وقد أصبحت الكدية شبه مهنة لها أصولها المقننة وشروطها المتبعة وقد سجل لنا الكتاب والمؤرخون كثيراً من هذه الأصول والشروط زيادة على حديثهم عن أحوال المكدين وطبائعهم .

(١) لانهم لا يرتبطون بشيء مع وسائل الانتاج السائدة آنذاك .

ففي كتاب البخلاء (١) للجاحظ والمحاسن والمساوي للبيهقي (٢) ونشوار المحاضرة للتنوخي (٣). نجد أقوالاً وقصصاً تثبت بشكل قاطع أن الكدية ظاهرة اجتماعية خطيرة منظمة ، أصحابها ذو خبرة وحكمة ودراية بمختلف الأساليب والحيل ، لهم عالمهم الخاص ونفسياتهم وأفكارهم المتفردة .

وفي الأقوال التي تعم بينهم مثل (٤) « الحياء يمنع الرزق » « ومن لم يحترف لم يعتلف » « والتميز شوم » « والحركة بركة » « وصفاقة الوجه رزق حاضر » « والكُدية ربح بلا رأسمال » « والروز جار (٥) رأس مال المكدي » وفي غيرها من الأقوال نجد تعبيراً واضحاً عن عالم المكدين وأذهانهم ونفسياتهم الخاصة ، المجبولة على الاتكالية والذل .

ومقامات الهمداني بعد ذلك سجل واضح لكل أساليب المكدين وطبائعهم ، ومجتمعهم (٦) ، فالمقامات الكثيرة (٧) التي كتبها بديع الزمان الهمداني تعرض لنا بأسلوب قصصي شائق ، مملوء بالمفاجآت الغريبة مدى ما وصلت اليه الكدية من حرفة وانتشار (٨) ، كما تعبر في الوقت نفسه عن سعة الافق الذي يمتلكه أدباء ذلك العصر ، وامكاناتهم اللغوية والادبية التي ساعدتهم على نقل الأجواء الشعبية نقلاً أدبياً يمزج الواقع الاجتماعي بخيال يعطي هذا الواقع صوراً أدبية متحركة تشوق القاريء ، وتدفعه الى متابعتها .

(١) ١١٨ وما بعدها .

(٢) ٥٨٠ / ١

(٣) ١٦٣ / ٨

(٤) التمثيل والمحاضرة ١٩٩ .

(٥) الروز جار - الحرفة والمهنة وهي كلمة فارسية أصلها « روزكار » أي العمل اليومي .

(٦) ينظر كتاب مجمع الهمداني من خلال مقاماته للدكتور مازن المبارك مطبعة الترقى دمشق

١٩٦٨ ، وينظر في الادب العباسي ٩٤ .

(٧) مثلاً المقامة القرظية ، والازاذية ، والبلخية ، والسجستانية ، والكوفية ، والاسدية ،

والاذريجانية ، وغيرها تنظر المقامات : ١٠ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٤٣ .

(٨) ينظر كتاب أهل الكدية أبطال المقامات في الادب العربي .

الكدية والشعر :

الكدية في الشعر العربي ليست جديدة وتكاد أساليبها تملأ هذا الشعر ، وما قصائد المديح التي رفعها الشعراء الى مقامات الرجال المتنفذين الا أسلوباً من أساليب الكدية واهدار ماء الوجه بالمسألة (١) .

وقد يكون شعر المديح نوعاً من التجارة ، أو يكون تجارة بالفعل ، لكنه على أية حال تجارة تشبه تجارة المكدين والسؤال ، والا ماذا نسمي تصاغر النابغة الذبياني ، والحطيئة ، وجريير والاخلط ، وبشّار وأبي نواس ، والبحري وأبي تمام أمام ممدوحهم ؟

وماذا نسمي تمسح أبي الطيب على أعتاب سيف الدولة أو كافور ؟ ثم ما الصفة التي يمكن أن نطلقها على فقدان القيم والطباع الانسانية عند السلافي وابن الحجاج ، وعبد العزيز بن يوسف ، حتى الصابي حينما كانوا يهدرون — كرامتهم ومثلهم أمام استجداء الرزق والعطف من عضد الدولة بالسجود له أو بتعظيمه ووضعه في مصاف الالهة ؟

أنها الكدية المتخفية ، أو الكدية المموهة ان جاز التعبير .. أن قصائد المديح بذرة من بذور الكدية والسؤال . وقد نمت هذه البذرة وتشعبت حتى وصلت إلى ما أصبحت عليه في القرن الرابع للهجرة ، حيث صار شعراء المديح يمتنون أنفسهم امتهاناً وضيعاً فيمدحون هذا ويستجدون من ذلك أشياء تبدأ بالذهب والفضة وتصل الى النبذ ورقع الشطرنج وغير ذلك .

ومع هذه الذلة وهذا الامتهان يعيش مثل هؤلاء الشعراء وهم محاطون بخوف دائم من غضب أمير أو سقوط وزير أو دسيمة غلام أو غانية ، وهذا ما جعل نفوسهم مشبعة بالتصاغر والانصياع ، وكلماتهم مهوَّمة في عالم الخداع والدجل .

(١) ينظر في الادب العباسي ٩٩ ، وينظر كتاب التكسب بالشعر للدكتور جلال خياط مطبعة دار الآداب بيروت .

واذا أراد أبو بكر الصولي مثلاً مدح الراضي ، هدر ماء وجهه وتنكب الحياء . ثم قال بكل ما أوتي من روح متمرغة متصاغرة (١) :

مالِي إذا لم أفز منه بمنزلة وعودة بالرضا في العيش من أرب
حتى يبيض وجهي مُذهِباً حزني بالبذل للفضة البيضاء والذهب
ويتصاغر أكثر ، ويحزن أكثر ، ويستجدي أكثر ، حينما يرى الدراهم
تنثر في زواج ابن المتقي من ابنة البريدي ولا يحصل هو على شيء منها فينصرف
كاسف البال « آسفاً خالياً من الكل صفراً » ويتأسى بأن يقول للذي نثر
الدراهم (٢) :

فأغنني كما عهدتُ عليه بعطايا أكرم الناس طراً
وغير الصولي شعراء كثار ، مدحوا فاستجدوا ، وقالوا في الكبراء
والاغنياء فتدللوا ، وهذروا بكلام كاذب المشاعر يحمل في ثناياه ذلة الطلب
ونغمات أغاني الكدية الغريبة الاصوات .

ان مدح ابن نباتة لصاعد بن مخلد (٣) واستجداءه منه ليتشابك مع
أماذبح المتنبي ، ومد يده للمدوحيه (٤) ، ومع تدني ووضاعة استجداءات
صريع الدلاء (٥) وابن سكرة وابن الحجاج ، ومع تهاوي كلمات مهيار (٦)

(١) أخبار الراضي ١٥٢ ، وينظر في استجدائه من الراضي قوله من قصيدة استجدائية ص ١١٦ « فأنلنا ما أنلتهم خمسة توفي على العدد » .
(٢) أخبار الراضي ٢٠٢ ، وينظر في استجدائه من الوزير ابن مقلة قوله من قصيدة يمدحه فيها ص ٩١ وما بعدها :

حرم الله أن يكون جنابي مجدياً من نداكم والحريم
أنصفوني في نظم ما قلت فيكم هل يدانيه لؤلؤ منظوم ؟

(٣) اليتيمة ٢ / ٣٩٠ .

(٤) تنظر قصيدته في كافور مثلاً الديوان ٤٤٦ .

(٥) يكاد يكون كل ديوان صريع الدلاء في المديح الاستجدائي وتكاد القصائد المدحية تنحصر في « فخر الملك » وزير بهاء الدولة البويهية .

(٦) الديوان ١ / ٢١ .

في الصاحب بن عباد فيتولد بعد ذلك ، التراث المخجل من الشعر التكسبي الاستجدائي الذي نستدل منه — وهو ابن المجتمع وصورته — على كساد القيم الروحية وميوعة ذلك العربي « البدوي المتعجرف » وانجرافه في تيار التزلف والدجل والمذلة .

وتصبح صورة التكسب الشعري وضیعة وتافهة حين يفتح باب الاستهداء بالشعر ، فتبدأ مرحلة متميزة من مراحل الكدية العلنية .

فاذا ما ظميء السّلامي الى النبيل ، بدا له أن خير طريقة يمكنه أن يحصل بها عليه هي أن يستهديه أو يستجديه فيكتب إلى أحدهم بقوله (١) :

أرسلتُ أشكو إليكم غدوةً ظمي
وما شككتُ بأنّي سوفُ أغتبي
أنت امرؤُ جوده غمر ، ونائله
همرٌ ، ووبلٌ نداه مسبلٌ غدقُ
فابعثْ إليّ بصفو الراح يُشبهه
متي قريضٌ ومنك العرف والخلقُ
أو يكتب إلى عبد العزيز بن يوسف رافعاً له آيات التعظيم والاحلال من أجل أن يجود عليه بالمدام نوصل به التدني الى أن يقول (٢) :

ومن عبد ابن يوسف صارَ لاسمي وصيرني الندى مولى السّلامي
ومثل السّلامي يفعل ابن سكرة ، ويزيد على ذلك بأن يصف نفسه صراحة بالمكدي ، مدركاً أن الاستهداء ماهو الاّ كدية ، نرى ذلك في قوله ليحيى ابن فهيد (٣) :

رسالةٌ من مُكَدِّ	وشاعري	وشريف
الى فتى مستبَدِّ	بكل فعل	ظريف
اليك يحيى اشتكائي	صحوي	بيوم طريف

(١) اليثيمة ٢ / ٤١٠ .

(٢) اليثيمة ٢ / ٤٠٩ .

(٣) نفسه ٣ / ٢١ .

ولستُ مضمرَ نِسكٍ ولا بعفیفٍ
ولو أسامُ بدیني لبعثهُ برغيفٍ
فامنن عليّ بضخمٍ من الدنانِ كثيفٍ
ويكثر ابن سكرة من كذبتِه ، فيطلب من أحدهم (قهوة أنفُ الحبيب
بها يعفر (١)) ويقول للآخر :

ان كنت تنشط للمد يح وللثناء عليك مني
ما بعث الي مع الرسو ل اذا أتاك بملء دن
أو يرجو من فتى الحصا ص ويستعطيه « شربة » من خمره الصافي ومن
ندة قطعه » .

واذا عرفنا أن ابن سكرة هاشمي « شريف » أدركنا ما وصلت اليه طبقة
الاشراف من فقر ومذلة وتأكد لنا ما ذكره الصولي وغيره من المؤرخين من
نفشي المجاعات بين الهاشميين - علويين وعباسيين (٢) - . كما ندرك من
شعر ابن سكرة كيف أن الشعر صار وسيلة رديئة ذليلة تستجلب الرغد
والعطف ، فيتهاوى بعد ذلك في درك الكدية الصريحة .. وتبرز صورة
الشاعر المكدي جليلة في بعض شعر ابن الحجاج مع أنه عاش حياته مدللاً في
قصور الامراء والرؤساء .

فان اضطرته ظروف طارئة الى بيع ثيابه في واسط تباكى وأظهر نفسه
فقيراً معدماً وبسط يده الى رؤسائه وهو يقول (٣) :

يا سادتي قول ميّت في مثل صورة حيّ
لم يبقَ في الخرج شيء أتأذنون بشي
واذا أراد أن يستعطف بختيار ويستلذ عطاءه ، خاطبه بلغة المكدين

(١) اليتيمة ٢٢ / ٣ .

(٢) أخبار الرازي ٦١ ، ٦٦ ، ٧٠ .

(٣) اليتيمة ٦١ / ٢ .

ووقاحة وجوهمهم وقال (١) :

نحن سنأنير أهل دولتيكم فأنصفونا من صاحب الغُدد
والله لولاك لم تَبَيَّتْ مرق اللحم تروي شحومهُ تُسَرِّدي
ولم يحوّر لِيَّ الدقيق ولا ، كانت تحوز المسلماتِ يدي

واذا يصل الامر هذه المنزلة أو المنزلة التي نرى فيها صريع الدلاء يكدي
جبة وعمامة (٢) وابن المطرّز يطلب رقعة شطرنج من ممدوحه (٣)، نتأكد من
شيوخ أنواع جديدة - ذليلة ووضيعة - من أساليب امتحان النفس ووضعها
في مكان لا تشعر فيه بالاحترام لصاحبها ، كما نتأكد من انتشار عادة الكدية
الشعرية ، مما يدل على أن المجتمع بدا يألف أو هو يألف وجود فئات تتمهن
الكدية ، وتعيش على ما تدره من رزق .

الكدية والاحتراف :

واذا جئنا شعر المكدين المحترفين نستنبط منه أحوال فئتهم ، وعلاقاتها
مع الفئات الاجتماعية الأخرى ، وجدنا أن هذا الشعر لم يترك شيئاً من حياة
المكدين إلا وضّحه ولم يهمل شيئاً من أساليبهم في معاينة الحياة إلاّ وبينه .
فلأنهم أناس فقدوا مسوغات الحجل ومعالم الحياء والاحتشام ، همهم
الوصول الى غاياتهم الارتزاقية بأية وسيلة كانت ، يقول شاعرهم (٤) :

ليس للحاجات إلاّ من له وجه قاوخ
ولسان ذو بيان وغدو ورواح

(١) اليتيمة ٦٢ / ٢ .

(٢) في قوله :

جد للصريع بحجة وعمامة

جرباً على العادات والأخلاق

(الديوان مخ ١٧ ب)

(٣) تنمة اليتيمة ٥٨ / ١ .

(٤) التمثيل والمحاضرة ٤٦٧ .

ان هذا الوجه الوقح الذي تحمله أرجل لا تكل من السير وينضوي بين أعضائه لسان ذرب يهذي بكلمات الاستجداء ويحمد أفضال الآخرين ويدعي ديمومة الفقر ، واستمرارية الجوع لا ينضح بماء الحياة إن قال (١) : الحمد لله ليس لي مالٌ ولا خلُق عليّ أفضالُ الخان بيتي ومشجي بدني وخازني والوكيلُ بقال

فالمكدي مشرد ومع تشرده يحمده ربه - كذباً - لان الآخرين لا فضل لهم عليه فهو قد اكتفى بما عليه من الثياب حتى صار جسمه وكأنه مشجب لها ، وهو يحصل قوته ومؤونته يوماً بيوم فصار البقال وكأنه خازنه ووكيله ، واذا كان هذا المكدي يحمده من الخان بيتاً فإن الأحنف العكبري «شاعر المكدين وظريفهم» «فرد بني ساسان في دار السلام (٢)» يصور لنا نفسه إنساناً مشرداً يذوب أسى وحسرة لأنه لا يساوي العنكبوت والخنفساء اللتين تمتلكان سكيناً تأويان اليه وتعتكفان فيه فهو يقول (٣) :

العنكبوتُ بنتٌ بيتاً على وهَنٍ تأوي إليه وما لي مثله وطنٌ
والخنفساءُ لها من جنسها سَكَنٌ وليس لي مثلها إلفٌ ولا سكنٌ
ويتحول هذا الأسى إلى ثورة عارمة على الزمان وأهله ، ويتحول ما يلقيه المكدي من صفعة وذلة إلى كلمات ساخطة متمردة بنفس العكبري المكدي عن نفسه آلام ذله ووضعاً مركزه الاجتماعي (٤) ، كذلك يصور لنا ما

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٠٠ ، المحاسن والمساوي ، كأنه مأخوذ من قول جعفر البرمكي الحمد لله ليس لي كاتبٌ ولا على باب منزلي حاجب (معجم الادباء ٢ / ٢٥٠) .

(٢) اليتيمة ٣ / ١٢٢ ، وبنو ساسان هم أهل الكدية .

(٣) اليتيمة ٣ / ١٢٣ ، خاص الخاص ١٧٢ .

(٤) يقول صاحب « الفلاكة والمفلوكون » ص ١٢٩ : « اعلم أن الفلاكة اذا استولت على شخص وسلبته القدرة على الافعال انتقل الى الاسترواح والتنفس بالاقوال وذلك لما أن في الكلام راحة وفرجا وتنقيصاً من ألم الباطن » .

في مجتمعه من مظالم ومداجاة وكذب ، خلقها التباين الاقتصادي الكبير في هذا المجتمع ، تبدو كل هذه الثورة ، وتبدو معها غربة الانسان الواعي عن مجتمعه في قول اللاحنف العكبري (١) :

عشت في ذلّة وقلة مال واغتراب في معشر أنذال
بالأماني أقولُ لا بالمعاني فغذائي حلاوة الآمال
لي رجلٌ تقول بالوقوف في الرأي ورجلٌ تقول بالاعتزال
وفي قوله (٢) :

رأيتُ في النوم دنيانا مزخرفةً مثلَ العروس تراءت في المقاصير
فقلت : جودي فقالت لي على عجل : إذا تخلصت من أيدي الخنازير
وقوله (٣) :

قد قسمَ اللهُ رزقي في البلاد فما يُكَادُ يدرك إلا بالتفريقِ
ولستُ مكتسباً رزقاً بفلسفة ولا بشعرٍ ولكن بالمخاريقِ
والناسُ قد عَلِمُوا أَنِّي أَخُو حَيْلٍ فليستُ أَنفَقُ إلا في الرساتيقِ
وان وجدنا في أقوال العكبري حقداً ظاهراً ، وألماً نفسياً متميزاً فقد حصل
ذلك بدافع مادي ، وشعور آني بالمأساة الاجتماعية التي ارتضاها المكدون أو
ارتضاها المجتمع لهم ، وبسبب هذا الدافع المادي والمشاعر الآنية كانت
مواقف المكدين مذنبذة وسخطهم انفعالياً سرعان ما يفتّر أو يبرد حتى يصبح
شيئاً تافهياً بجانب الحصول على لقمة العيش ، ولذلك فليس بعيداً أن نسمع
شاعراً من شعرائهم هو أبو دلف الخزرجي يأمرهم بالدجل والمخرقة
ويقول (٤) :

ويحكَ هذا الزمان زورُ فلا يغرّتكَ الغُرورُ
زوقَ ومَخْرَقٍ وكل وأطبق واسرقُ وطَبِّقْ لمن يزورُ
لا تلتزم حالة ولكن دُر بالليالي كما تدورُ

(١) اليتيمة ١٢٣ / ٣ .

(٢) اليتيمة ١٢٣ / ٣ ، خاص الخاص ١٧٢ .

(٣) نفسها .

(٤) المقامات ٩١ والبيت الثاني لم يذكره صاحب المقامات ، اليتيمة ٣ / ٣٥٨ .

وقد يكون ما قاله أبو دُلف احتجاجاً وربما هو طبع انتهازي عرضه على الناس ودعا للاخذ به لكنه يظل دعوة ذليلة لبيع النفس وهمتها من أجل لقمة العيش .

واذا ذكرنا هذه الدعوة الذليلة التي وردت على لسان أبي دلف وجب أن نوضح التباين الكبير بين نفسية هذين المكديين مع انهما في منزلة متقاربة من حيث قيمتهما الاجتماعية وحظوتهما عند بعض الرؤساء .

فالأحنف العكبري مرهف المشاعر ، مدرك منزلته ، عارف أنها منزلة يأبأها الانسان الشجاع لكنه مع ذلك يتجرعها غصصاً ، ويتجشم بسببها عذاباً نفسياً كبيراً ، أما أبو دلف فهو على العكس من صاحبه انسان مهزوز ، فَقَدَ مشاعره الانسانية ، وأضاع قيم مجتمعه واعرافه الاصلية .

نجد مثلاً مشاعر الانسان الحزين الذي انهار امام مآسي الحياة ومظالم المجتمع وطبقاته العليا المستغلة فسقط مجبراً في دروب الكدية يهدر ماء وجهه أمام كل الناس ، نجد مثل هذه المشاعر عند العكبري وهو يقول (١) :

لائِمٌ لأمني فطالَ التعدي لم يرد بالملام - إذ لام - رشدي
قال لي: أنت فيلسوفٌ أديبٌ شاعرٌ حاذقٌ بحلٍّ وعقْدٍ
هات قل لي، ولا تقل قولَ زور لِمَ تُكْدي؟ قلت: من ضعف جدي
قد طلبت الغنى بكل ارتياد واحتيال ما بين هزلٍ وجَدٍ
فأبى الله أن أكونَ غنياً ما احتيالي والنحسُ يطرد سَعدي
غير أنني لما طلبت لم أظفر بشيء ، وضعت للدهر خدي
أننا لنكتشف طعم الحيبة في الوصول الى منزلة اقتصادية محترمة ، كما
نتذوق الما حاراً ينز من كلمات العكبري التسويغية ، فهو يصارع ذاته
ومشاعره الممزوجة باللوعة والحرمان ، وتتوضح وتعمق هذه المشاعر
والانفعالات حين يقول (٢) :

(١) تاريخ بغداد ١٢ / ٣٠١ .

(٢) المنتظم ٧ / ١٨٥ البداية والنهاية ١١ / ٣١٨ .

أقضى عليّ من الأجل عدلُ العذول إذا عدلُ
وأشدّ من عدل العذول صدودُ إلف قد وصلُ
وأشدّ من هذا وذاك طلبُ النوال من السفلُ

إنه بكاء الانسان على كرامته المهدورة ، وحزنه على فقد ذاته وتلونه
حسب الظروف ، ولن نجد بكاءً وحزناً وصراعاً نفسياً أشدّ مما عند العكبري
وهو يعيش مأساته اليومية أثناء عملية الكدية والسؤال فنراه مثلاً يصف لنا
هذه المشاعر المتألّمة بعد أن ينتهي من جمع ما حصل عليه فيقول (١) :

فصرنا في حمى البيت كأننا وسط تنور
وصرنا من أذى الصفع كمثل العُمي والعُور
لقد أصبحت مخموراً ولكن أي مخمور

انه اذ يستشعر مأساته لا يجد غير الألم الذي يتراوح بين الثورة على الذات
والمجتمع وبين الاستسلام القاتل المشوب بالتبريرات والتخريجات الانهزامية
التي لا يمكن أن يتستر عليها رجل مثل الأحنف العكبري تزود بعدة المكدين
ومشى دروبهم ولهذا نجده يقول (٢) :

من أرادَ الملكَ والراحة من همّ طويلٍ
فليكن فرداً من الناس ويرضى بالقليلِ
ويسدري مرضَ الوحدة بالصبر الجميلِ
لا يماري أحداً ما عاش في قال وقيلِ
يلزمُ الصمتَ فإن الصمتَ تهذيبُ العقولِ
يذرُّ الكبر لا هليه ويرضى بالحمونِ
أي عيش لا مرىء يصبح في حال ذليلِ
بين قصدي من عدو ومدارة جهولِ

(١) اليتيمة ١٢٤/٣ .

(٢) المتظلم ١٨٥/٧ ، البداية والنهاية ٣١٨/١١ ، وفي المصدرين اختلاف لفظي لا
يؤثر على المعنى كثيراً .

واعتلال من صديق ونجس من مَلول

انه يكشف آلامه هنا على شكل نصائح مستسلمة متوجعة ، لكن استسلامه على أية حال لا يصل الى ما وصل اليه المكدون ذوو المشاعر الميتة ، استسلام العكبري يبدو في دعوته الى القناعة والصبر والابتعاد عن الطموح ، وعن الناس أيضاً ، فالزمن قاس والوصول الى المطامح يتطلب الذلة والمباراة والدجل .

ان في هذا الاستسلام تسامياً وترفعاً قلماً يصل اليه أغلب الناس الذين قال فيهم العكبري نفسه (١) :

دعينا من زمان ليس فيه سوى متشامت أو مستريب
وحاسد نعمة وصديق وقت إذا ما غيبَ ذمك في المغيب
فمن أولاك ودّاً من صديق ومن ذي قربة أو من غريب
فحب خديعة لمكان رفق متى ما زالَ ذمك من قريب

ان الأحنف العكبري كما يبدو من خلال أقواله ذو همة عالية ومشاعر مرهفة ونفس أكبر من أن تكون نفس رجل مكدي ، ولا أظنني أجاني الواقع ان قلت أنه أكبر من طبقته وأسمى منها ، فهو في الاقل بقي يشعر بانسانيته ووجوده ، ولم يدع مثلاً دعا أبو دلف الى الانسلاخ من عالم الوعي والشعور بالوجود ولبس وجه جديد ، فيه كل معالم الميانة والمخرقة والدجل .

فالفرد الساساني - وأبو دلف في المقدمة - يتوسل بسبل عجيبة للوصول الى مبتغاه ، ولو كان ذلك على حساب كرامته أو انسانيته فكان يتخذ من السخف مطية يصل بها الى هدفه مسوغاً ذلك بسخف الزمان وأهله ، فزاه يبتذل نفسه ويقول (٢) :

سَخَفَ الزمانُ وأهلُه فركبت من سخفي مطية

(١) تاريخ بدد ١٢ / ٣٠٢ .

(٢) المقامة المجاعية ١٢٩ .

أو يقول : (١)

ساخف زمانك جدّا إن الزمانَ سَخِيفُ
دع الحميّة نسبيّاً وعش بخيرٍ وريفٍ

وبسبب سخافة الزمان وسخافة أهله ومظالمهم ، ولأن الزمان نفسه — حسب رؤية أهل الكدية وغيرهم — مشوم غشوم بدأ أهل الكدية يتخذون أساليب عديدة تحميهم من مظالم دهرهم وناسه فصاروا يرون أن :

الحق فيهِ مليحٌ والعقل عيب وشومٌ (٢)

فكان همهم استنباط طرق ترويضهم تشبه في وضاعتها الزمان ، وتجاري ما أمكن مستنبيطها أهل هذا الزمان وجرائرهم ومظالمهم ... فالتلون بألوان مختلفة تتفق والبيئة التي كان يرودها أهل الكدية سيراً على المبدأ القائل : « خير الغناء ما شاكل الزمان (٣) » أو تمشيّاً مع من يرى أن « الغاية تبرر الوسطة (٤) » هذا التلون كان من صفاتهم المقدمة ، وقد جاء على لسان مكّد خبير نصائح كثيرة وأقوال عديدة تدعو الى مثل هذا التلون والتقلب ، يقول هذا المكدي وهو أبو الفتح الاسكندري بطل مقامات الهمداني (٥) :

أنا أبو قَلَمُونُ (٦) في كل لون أكون
أختر من الكسب دُوناً فإنّ دهرَكَ دُون
زَجَّ الزمانَ بحُمقٍ إن الزمانَ زَبُونُ (٧)
لا تكذبين بعقلٍ ما العقل الا الجنون

(١) المقامة الحمداة ١٥٦ .

(٢) المقامة الساسانية ٩٥ . ونسب صاحب الابانة عن سرقات المتنبي ص ٤٩ هذا البيت مع خلاف في اللفظ إلى محمد البجلي الكوفي . تنظر الامة ط دار المعارف ١٩٦١ .

(٣) خاص الخاص ٥١ .

(٤) الادب في ظل بني بويه ٢١٤ .

(٥) المكفوية ٨١ .

(٦) قلمون : وب كثير الالوان .

(٧) الزبون : الناقة التي تدفع حالها برجلها .

ويقول أيضاً (١) :

من بصحب الدهر يأكل فيه سميناً وغشياً
فالبس للدهر جديداً والبس لآخر رثاً

وأبو الفتح الاسكندري (٢) البطل الذي اختاره بديع الزمان الهمداني لمقاماته نموذج جيد للمكدي الذي يستقطب في شخصه كل صفات طبقته ، فهو ذكي يلبس لكل زمان لبوساً ، ويتخذ لكل دار فراشاً ، متحاشي ، دجال ، مخادع متحلل ، مبرر ، وهو إذ يدعو دعواته التخاذلية ، إنما يصور لنا مأساة مجتمعه وما بلغه من انحطاط اقتصادي وأخلاقي سلبت معه همم الكثير من أبنائه ، فاذا أراد أن يبرر دجله وتقلبه « وانتهازيته » وضعها في قالب اجتماعي وأوقع الذنب بعد ذلك على الأيام وقال (٣) :

الذنب للأيام لا لي فاعتب على صرف الليالي
بالحمق أدركت المني ورفلت في حلل الجمال

ويبدو من خلال كل « تبريراته » انهزامه ، ووضاعة تصرفه نوع من الألم النفسي الذي يتفاعل مع هذه التصرفات يظهر كأنه ألم نفسي مبعثه المادة وحدها ، فالمال ينقصه ، ويفتش عنه ، ويرهق نفسه في هذا التفتيش الدائب ، ويهلهر ماء وجهه ومع ذلك يظل يتحسر ويتألم ويقول :

والمال طيفٌ ولكن حول اللثام يحومُ

ومن هذا الشعور بالغبن ينطلق المكدي للانتقام من مجتمعه ، بطريقة جديدة مبتكرة ، تشعره بعد ذلك بوجوده ، وأهميته ، ولو كانت هذه الطرق المبتكرة ، والاساليب الجديدة ، حيلةً وأحاييل وكذباً ، فما دام الانسان

(١) الأرمنية ١٨٩ .

(٢) يرى الدكتور البصير ان أبا الفتح هو بديع الزمان الهمداني نفسه ، ينظر في الادب العباسي ٩٥ .

(٣) المقامة القردية .

المكدي ضحية مجتمعه ، فلينتقم وليفعل ما يقوله أبو الفتح (١) :
 الناس حُمْرٌ فَجَوَزَ (٢) وابرز عليهم وبرز
 حتى إذا نلتَ منهم ما تشتهيهِ فَفَرَّوْزَ (٣)

ان هؤلاء الناس الذين يصورهم أبو الفتح بهذه الأشكال الغبية التافهة هم
 حصيلة معرفة واعية - وان لم تكن نزيهة كلياً - استخلصها اثناء معاشرته لهم
 في القرى والرساتيق والمدن ، فهو من طبقة المكدين - المزروعة في مسامات
 الناس - عبيد الله الذين « أخذوا العمر خليطاً فهم يمسون أعراباً ويضحون
 نبيطاً » ولذلك فليس كثيراً على ذكي مثله أن يتمادى في استغفالهم ، وسلب
 أموالهم بالاحتيال والمخرفة .

ولم يقتصر اللون الذي صبغ طبيعة طبقة المكدين على جانب تلوني واحد ،
 فقد تعددت جوانبه وصار المكدي نموذجاً للحرباء البشرية « فهو ينبوع
 العجائب » في اختياله ذو مراتب يردد في كل مناسبة (٤) :

أنا في الحق سنـامٌ أنا في الباطل غاربٌ
 أغتدى في الدير قسيساً وفي المسجد راهبٌ

« وكذا يفعل من يعقل في هذا الزمان (٥) » .

ويبدو لي بعد كل هذا أنه لم يكن ببعض المكدين حاجة الى المال ، لكن
 دخوله هذه الحرفة وامتهانه اياها جعلها تنماسك مع كيانه وتصبح ولعاً مادياً
 يخلق فيه جشعاً مثل جشع التجار والمرابين ، يؤكد ذلك وجود أبي دلف

(١) لاصفهانية ٥٤ .

(٢) جوز : قاد والمعنى أن الناس حير تستطيع قيادتهم والتفوق عليهم .

(٣) فروز الرجل : مات والمعنى انك يجب أن تفعل شيئاً لتتقدم على الناس وتنال مآربك من
 الحياة منهم ، فإذا ما حصلت على ما ترومه ففارقهم ولو بالموت .

(٤) المارستانية ١٢٦ .

(٥) النحرية ٢٤٤ .

الخزرجي ، والعكبري (أحياناً) عند الصاحب بن عباد (١) أو عضد الدولة البويه (٢) واستملاحيهما لشعرهما ، ومداعبتهما وإيصالهما بالمال . ولا أظن أن هذين المكديين وهما في بلاط أكبر شخصيتين سياسيتين آنذاك يحتاجان الى كد أنفسهما من أجل لقمة العيش .

وإذا أردنا أن نتوثق أكثر من استفحال أمر الكدية وصيرورتها تجارة مربحة تحمل معها الجشع وشهوة جمع المال سمعنا أبا الفتح وهو يقول (٣) :
لا يغرنك الذي أنا فيه من الطلب
أنا في ثروة تشق لها بردة الطرب
أنا لو شئت لاتخذت سقوفاً من الذهب

وإذا صدق أبو الفتح في قوله هذا - ولا أظنه إلا صادقاً بعض الشيء ومبالغاً أيضاً - تأكدنا ، وزاد توثقنا من أن مهنة الكدية مربحة ومربحة للغاية ، ولهذا يصدق من يتهم المكدين في كل الأوقات بخزن الأموال وعدم الحاجة الى السؤال (٤) .

قصيدتا العكبري وأبي دلف :

من أجل استكمال الموضوع وجب الكلام على قصيدتين من قصائد أهل الكدية تعرضان صوراً اجتماعية حقيقية خالية من الانفعالات والعواطف مما يجعلهما تمتلكان قيمة كبيرة في عرض الحقيقة ، هاتان القصيدتان هما دالية العكبري ورائية أبي دلف .

(١) تنظر اليتيمة ٣ / ١٢٢ ، ٣٥٦ .

(٢) ينظر لطائف المعارف ٢٣٤ وما بعدها ، حيث ذكر مداعبة من مداعبات ومطايبات عضد الدولة مع أبي دلف .

(٣) عضد الدولة ٢٨ .

(٤) ويبدو لي أن الانتساب للكدية صار إضافة الى الكسب المادي ونوعاً من التباهي بالشذوذ يؤكد ذلك استعمال ابن الحاج وابن سكرة والصاحب لكثير من الفاظ المكدين وتلبسهم بطبائعهم ، ونرى الآن مثل هذا التباهي عند المتأثرين بالموجات الحضارية الغربية الشاذة .

فدالية العكبري تظهر لنا كثرة المكدين وأسلوبهم في جمع المال عن طريق السياحة من بلد الى آخر لا يخافون في سياحتهم هذه غزاة ولا سراقاً ، وكثيراً ما احتسب بهم أو باسمهم المسافرون من ذوي اليسار والنعيم أو الجاه والسلطان. ولهذا السبب قال مفتخراً (١) :

على أني بحمد الله في بيت من المجد
 باخواني بني ساسان أهل الجند والجند
 لهم أرض خراسان فقاشان الى الهند
 الى الروم الى الزنج الى البلغار والسند
 إذا ما أعوز الطرق على الطراق والجند
 حذاراً من أعاديهم من الأعراب والكرد
 قطعنا ذلك النهج بلا سيف ولا غمد
 ومن خاف أعاديه بنا في الروع يستعدي (٢)

ان العكبري في عرضه المتفاخر لأوضاع المكدين وسياحتهم يصور لنا ما وصلت اليه الأمور السياسية من اضطراب ، حيث انقطع حبل الامان على المسافرين جنداً كانوا أم غير جند ، وهذا يوضح بجلاء ضعف الدولة وشلل امكاناتها العسكرية التي تدبر بها أمن الناس وتحافظ على أرواحهم .

واذا كنا مع الدكتور محمود غناوي أن شعر الاحنف العكبري كان من باب الهزل والسخرية اللذين يصدران « عن سخط الشاعر على أنظمة الحياة القائمة التي عبثت بالانسان واستهانت به (٣) » فاننا نرى أيضاً أن العكبري كان جاداً في قصيدته هذه ، لأنه صادق في تعبيره عن سخطه وفي استهزائه

(١) اليتيمة ٣ / ١٢٢ .

(٢) ذكر الثعالبي تفسير صاحب بن عاد لهذا البيت حيث يقول « ولهذا البيت معنى بدیع وتفسيره : يريد أن ذوي الثروة وأهل الفضل اذا وقع احدهم في أيدي قطاع الطريق وأحب التخلص قال : أنا مكدي ، اليتيمة ٣ / ١٢٣ .

(٣) الادب في ظل بني بويه ٢١٦ .

من تفكك مجتمعه ، وانهيار الفئدة الحاكمة وضعفها .

ان ما وصل الينا من هذه القصيدة لا يزيد على عشرة أبيات فيها الكثير من الدلائل الاجتماعية ، وقد كانت هذه الابيات باباً واسعاً فتح أمام أبي دلف كي ينظم قصيدته الرائية التي جمع فيها ما جمع من فنون الشحاذة وضروب الحيل ولعل قصيدة العكبري كانت أكثر مما بين أيدينا الآن ضاعت كما ضاعت آلاف القصائد غيرها ، وعلى هذا نكون قد خسرنا سجلاً ربما احتوى على قضايا اجتماعية وفنية غنية .

واذا انتقلنا من دالية العكبري الى رائية أبي دلف المسماة « بالساسانية » تبين لنا أن هذه القصيدة « يمكن أن تعتبر من خير المصادر التي تلقي ضوءاً على أحوال العصر الاجتماعية (١) » وترسم بوضوح متناه صوراً بيئة لعادات المكدين وطبائعهم وأنواعهم وشذوذهم ولا يحتاج قارئها إذا فهم مفرداتها الى كثير من الشرح والكلام لأنها بحق « معلقة المكدين (٢) » ومعجم لغتهم وأحوالهم .

وقد ذكر الثعالبي خمسة وتسعين ومائة بيت وقال : (إذاً هذا هو ما اختاره منها مما يدل على أنها قصيدة طويلة ، وسنجزيء نحن منها ما يفي ببعض الغرض ، ونكتفي بشرح الألفاظ والتعليق على ما يستوجب التعليق مما يوضح المعنى ويزيل الابهام .

يقول أبو دلف (٣) :

جنونٌ دمعها يجري	لطول الصدِّ والهجر
لقد ذقت الهوى طعمين	من حلوى ومن مرٍّ
ولا سيما وفي الغربية	أودى أكثرُ العمرِ

(١) نفسه ٢٢٢ .

(٢) الظرفاء الشحاذون ١١٧ .

(٣) اليتيمة ٣ / ٣٥٨ . ولابي دلف قصيدة استجدائية نجدها في اليتيمة ضمن بزذونيات

الصاحب .

وشاهدت أعاجيباً وألواناً من الدهر
فطابت بالنوى نفسي على الامساك والفطر
على أني من القوم البهاليل بني الغمر
بني سامسان والحامي الحمى في سالف العصر (١)
تغربنا الى أننا تناءينا الى شهر
فظل البين يرمينا نوى بطناً الى ظهر
فطينا نأخذُ الاوقات في العسر وفي اليسر
فما ننفكُ من صممي وما نقتتر من متبر (٢)
فاحلى ما وجدنا العيش بين الكمد والخمر (٣)
فنحن الناسُ كل الناس في البر وفي البحر
أخذنا جزية الخلق من الصين الى مصر (٤)
إذا ضاق بنا قطر نزل عنه الى قطر
لنا الدنيا بما فيها من الاسلام والكفر
فنحن الميزقانيون لا ندفع عن كبر (٥)
فمنا كل كـمـاذ اللبوسات مع الهر (٦)
ومنا كل صلاّج بكسيند وافر نكر (٧)

(١) بنو سامسان : هم أهل الكدية وفي نسبتهم هذه أقوال كثيرة ، وهذا البيت يثبت ما ذهب إليه المرحوم الشيخ محمد عبده من أن سامسان هو ملك الفرس وأنهم نسبوا اليه ، بعد أن غلب على أمر وتشردت عائلته ، تنظر المقامات ٩٢ .

(٢) الصمي والمر : مر معناها في فصل سابق .

(٣) الكمد : العمل الجنسي .

(٤) يصور لنا ما يحصلون عليه من مال ورزق جزية كأنه بذلك ينتقم لوضاعة أسلوب ارتزاقه أو كأنه يرى أن ما يأخذه إنما يأخذه رغماً عن أصحابه .

(٥) الميزقانيون : المكدون وميزق : كدي .

(٦) الكماد : الفاعل ، اللبوسات : الفروج والهر : الدبر . ويصور لنا هذا البيت المرحلة الأخلاقية المنهارة التي كان عليها أهل الكدية ، ففي مجتمعهم تجد اللواطه والبغاء معاً .

(٧) الصلاّج : الذي يجلد ذكره مستعملاً العادة السرية أي أنه يستمني بيده ، والكيند : عضو الرجل .

قد استكفى بكفيه عن الثيب والبكر
 ومنا الكاغُ والكاغُ والشيشق في النحر (١)
 ومن دروزَ أو حرز أو كوز بالدغر (٢)
 ومن رعسَ أو كبس أو غلس في الفجر (٣)
 ومن شطبَ أو ركب للضربات والعقر (٤)
 ومن ميسرَ أو مخطر واستنفر للثغر (٥)
 ومن ناكذَ في القينون من جوف أبي شمر (٦)
 ومن ذلك أو فلك أو بلغك بالحر (٧)

دكك او فلك

(١) الكاغ ، والكاغ المتجانن والمتجاننة وهذا يدل على وجود المرأة ضمن أهل الكدية ، والشيشق ما يوضع من تعاويد أو رقي على المجنون . قال الجاحظ : « والكاغاني الذي يتجانن ويتصارع ويزيد حتى لا يشك أنه مجنون لا دواء له لشدة ما ينزل بنفسه ، وحتى يتمجب من بقاء مثله على مثل علته » البخلاء ١٣٤ ، وينظر المحاسن والمساوي ٤١٥ / ٢ .

(٢) دروز : دار على السلك والدروب وسخر بالنساء بوساطة التعاويد .
 حرز : عمل الاحراز (التعاويد) .

كوز : المكوز الذي يقوم في مجالس القصاص فيأمر القصاص أصحابه بأن يعطوه فإذا تفرقوا قاسمه القاص . والدغر : المقاسمة ، وهذا يوضح مدى استفحال أهل الأدب للناس .

(٣) رعس : اذا طاف على حوانيت الباعة وأخذ من هنا جوزة ومن هنا تمرّة وتينة .
 كيس اذا دار فان رأى رجلاً قد حل سفتجته كبسه وأخذ منه قطعة . غلس : خرج عند الفجر ، أي منا الذي يطوف على الحوانيت يكدي الاشياء الصغيرة أو الذي يتحين الفرصة لينهب مما يحمله الآخرون . وهذا هو النشال .

(٤) شطب : اذا عقر نفسه بالموسى وجعل يكذب على الاعراب والاكراذ والصوص ، وركب إذا طلى نفسه بالشيرج وأدعى أنه جلد أو لطمته الجفن وهؤلاء هم صانعو العاهات .

(٥) ميسر : اذا كدى على أنه من الثغر أي من المناطق التي يغزوها الروم بحراً ، مخطر : اذا بلغ لسانه وأوهم أن الروم قطوه وقد جازت هذه الحيلة على الجاحظ وخدع بها (البخلاء ١٣٣) .
 (٦) المناكذة : مقاسمة الآخرين ثيابهم وسلاحهم بعلقة الفزوة ، والقينون مكان المقاسمة .
 أبو شمر أول من كدى بهذه الصورة .

(٧) المالك : الذي يحتال لتطبيب من به وجع ، فإذا رأى من يشكو من ضرره وضع دود الجبن بين أسنانه ثم أخرجه وأدعى أنه شفاه ، فلك : اذا فك السلاسل على الطرق ، بلغك إذا جر الخواتيم بالابريسم الرقيق أي منا من يستغل الطب أو يستغل الناس أو يتشلمهم .

- ومن قصص لاسرائيل أو شبرا على شبر (١)
 ومن بشرك أو ذؤذك أو أشرك بالهبر (٢)
 ومن قدس أو نمس أو شؤلس بالشعر (٣)
 ومنا المصطبانيون من ميزق بالاسر (٤)
 ومن كدى على كيسان في السر وفي الجهر (٥)
 ومنا النائح المبكي ومنا المنشد المطري (٦)
 ومن ضرب في حب علي وأبي بكر (٧)
 ومنا سائر الانصار والاشراف من فهر
 ومنا قيم الدين المطيع الشائع الذكر (٨)

(١) أي منا الذي يروي حكايات الانبياء والحكايات القصار التي تسمى الشبريات ، وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه من وجود بذور للقصة وتطور خيال الناس .

(٢) بشرك : ليس زي الرهبان ترهدا ، نودج : كدى على أنه من الحجاج . اشرك بالهبر : قاسم رفقاءه ما يحصل عليه.. وهذا يدل على استغلالهم الأديان السماوية من أجل منافعهم الفردية .

(٣) قدس : أكل الكد المجففة في رمضان خاصة وأدعى أنه لا يفطر في الشهر الا مرة أو مرتين .. نمس : من الناموس وهو المكر والخداع ، وشولس بالشعر : أي كدى على أنه من الزهاد الذين يلبسون الشعر ، والشالوسة : الزهاد .

(٤) المصطبانيون الذين يدعون أنهم خرجوا من أيدي الروم بعد أن تركوا عندهم أهلهم رهائن ، فهم يجوبون الآفاق ليجمعوا الفدية ويدلون على ذلك بحمل الشعور والمصطبان الشعر الذي يحمله ذلك المكدي ،

(٥) -كيسان : الذي تنسب اليه فرقة الكيسانية وهم من الغلاة ولذلك كان المكدون يستغلونهم ويدعون أنهم منهم فيأخذون ما يريدونه .

(٦) أي الذي ينون على الحسين بن علي ويروي فضائله .

(٧) أي منا قوم يحضرون الاسواق فيقف واحد جانبا ويروي فضائل أبي بكر ويقف الآخر جانبا ويروي فضائل علي بن ابي طالب فلا يفوتها درهم السني أو الشيعي وبعد ان يتفرق الناس يتقاسمان الدراهم . (ينظر قصة مكديين أعميين اتبعوا هذا الاسلوب في بغداد ، نشوار المحاضرة ٢٨١ / ١) .

(٨) المطيع : يعني الخليفة المطيع .

يُسَكِّدَتِي مِنْ مَعَزِ الدَّوْلَةِ الْخَبِيرِ عَلَى قَدَرٍ

اننا اذ نقف عند هذه الأبيات من قصيدة أبي دلف لا نريد ان نطيل الكلام في فرق المكدين وحيلهم لكننا نشير الى أن هذه الظاهرة الشاذة ، الطاغية قد جرفت في تيار الولع بها وبطرقها كبار رجال الدولة كالمصاحب وعضد الدولة وغيرهما ، وهذا ما يدل على عمق تأثيرها وفعاليتها الاجتماعية .

لقد اتضح لنا في شعر أبي دلف العكبري طبائع كثيرة منحلة ، ووسائل لصوصية استغلالية عجيبة توصل بها المكدون لنيل أهدافهم المادية ، كما اتضح لنا من خلال الأبيات الاخيرة مدى غفلة الناس ، وانغماسهم في التعصب الديني والمذهبي ، والدرك الذي وصلت اليه قيادة هؤلاء الناس متمثلة بالخليفة المطيع الذي صار لعبة بيد السيد البويهى معز الدولة فوصل به الامر الى أن يصبح شأنه شأن المكدين ، فهو يستعطي رزقه من معز الدولة البويهى ، وقد أثبت لنا التاريخ صحة هذا القول فلم يكن الشاعر مبالغاً أو كاذباً ، فلقد ذكر أن « معز الدولة » خصص « للمطيع » مقداراً يومياً من المال يسد نفقاته (١) ثم عاد فقلصه ، ثم قطع عنه المال وأقطعه محله أرضاً تقوم ببعض حاجاته (٢) ، ولم يكن المطيع وحده الذي وقع تحت بلاء السلطة البويهية فكثير من سادة العرب « علويين أو عباسيين » أو غيرهم كانت حالهم اردأ من حال المطيع ، حتى لقد وصل بهم الأمر أن يسألوا أو يثوروا .

بعد كل ذلك فقصيدة أبي دلف سجل حي ناطق بكل ما تتصف به طبقة المكدين من طباع وأحوال (٣) ، وهي أنموذج اجتماعي متحرك يؤدي غرضه بيسر لأنه يعتمد الصدق في تقرير الواقع الذي عاشه الشحاذون والسؤال آنذاك .

(١) ينظر البداية والنهاية ٣١٤ / ١١ .

(٢) ينظر الكامل ٤٥٣ / ٨ .

(٣) ينظر في أصناف المكدين ايضا المحاسن والمساوي ٤١٣ / ٢ - ٤٣٦ .

القيمة الفنية :

إذا كان هناك من يمثل طبقته من الشعراء فإن الاحنف العكبري عقيل بن محمد ت ٣٨٥ وأبا دلف الخزرجي مسعر بن مهلهل ت نحو ٣٩٠ هـ كانا يمثلان طبقة المكدين خير تمثيل .

فالأول « شاعر المكدين وظيفهم ومليح الحملة والتفصيل فيهم (١) » وأما الثاني رجل « مشحوذ المدية في الكدية » « شاعر كثير الملح والظرف (٢) » لكنه في شعره « أبرد من تطرق الهموم فؤاده » سليط اللفظ سخييف العبارة .. وإذا كان شعر العكبري فيه شيء من الانفعال والصدق يجعله متحركاً مقبولاً فإن شعر أبي دلف لا يعدو كونه مجموعة من الكلمات والالفاظ الغريبة « مَقُولِيَّة » بشكل قصيدة تقريرية— وهذا يصدق على الساسانية — تشبه الى حد بعيد الشعر التعليمي .

لقد كان شعر الكدية عامة وشعر أبي دلف خاصة بعيداً عن الخيال والانفعالات الذاتية ، انه شعر اجتماعي وصفي يحكي مأساة الانسان وانزلاقه وجبنه .

ولقد حشا أبو دلف قصيدته الساسانية بكلمات كثيرة بعيدة عن روح الشعر ، تعافها الأذن وينبو عنها الذوق ، فجاءت تقريراً اجتماعياً مسهباً لا روح فيه ولا مشاعر ، وهذه القصيدة بما فيها من ألفاظ تفيد الى حد ما دارسي اللغة وفقهها .

على أننا يجب أن نبين قلة اغناء الفاظ المكدين التي وردت في هذه القصيدة للغة العربية ، لأنها ألفاظ وحشية منفرة ، وهي ترتبط بفئة اجتماعية طارئة لا تنعدها ، ولذلك رأيناها تموت وتنعدم بعد أن قلت سورة أهل الكدية ولا نكاد نسمع أنها وردت في لغة الأدباء أو المتأدبين اللهم الا بعض الاستعمالات

(١) القيمة ١٢٢/٣ .

(٢) نفسه ٣٥٦/٣ .

الوقتية التي أفاد منها صاحب بن عباد في اغراباته اللغوية التي اتخذها ابن الحجاج وابن سكرة للتفكه والتندر والارتزاق .

ولا بد أن أبين بعد ذلك أن من أسباب انتشار أشعار أبي دلف والعكبري اهتمام صاحب بن عباد وعضد الدولة وغيرهما من الرؤساء بشعرهما وولعهم بمفاكهاتهما ونواديرهما ، وحفظهم للالفاظ التي أوردوها واجزأهم العطاء لهما .

لم يكن العكبري وأبو دلف هما شاعرا الكدية الوحيدان ، فقد شاركهما بهذا المقدار أو ذاك ابن سكرة وابن الحجاج وبديع الزمان الهمداني لكنهما مع ذلك ظلاً الشاعرين البارزين المحترفين ، ولا يمكن أن نضع ابن الحجاج مثلاً في موازنة أحدهما لأننا نراه واحداً من أدعياء ومتشاعري الكدية وليس في شعره - وهو الموظف المترف - الروح التي نجدها في شعر العكبري أو أبي دلف ، ولذلك يخطيء من يرى أن « جل شعره في الكدية (١) » ويضعه موازياً لشاعريها المحترفين .

الخلاصة :

ظهر لنا من شعر المكدين كثير من العلامات المتميزة التي تدل على علاقات اجتماعية مهزوزة وبنیان مجتمع آيل للسقوط أو هو منهار فعلاً .. وليس أدل على هذا من وجود طبقة المكدين المهزومة باطارها الواسع وشكلها المخزي وتنظيماتها المنتشرة .

ولقد درسنا هذه الطبقة بشكل اجمالي فاستقرأنا شعراً لشعراء لم يسكنوا أو يستقروا في العراق كأبي دلف وبديع الزمان ، ولا نتصور هذا خروجاً على مألوف بحثنا انما هو رؤية واضحة لطبيعة هذه الطبقة المتغلغلة في كل المجتمعات المتشابهة جذورها المتشابهة الى حد بعيد بذورها ومسببات وجودها .

(١) ينظر الطرفاء والشحاذون ١١٢ .

ويساعدنا رؤيتنا في دراستنا لها بهذا الشكل المطلق كونها غير مقتصرة على بيئة العراق وحدها ، وليس لها استقرار دائم في بيئة معينة بعد ذلك ، فالمكدون كالغجر وطنهم الذي يعطيهم الخبز والدرهم والدفء (١) .

على أن منبعهم المصدّر يظل بغداد بخاصة والعراق بعامة ذلك لأن العراق أو بغداد مركز السلطان وبؤرة الفتن والاضطراب ، وعليها يتكالب الطامعون فيقع بسبب ذلك ما يقع من مجاعة وتشرد واذلال تؤدي كلها الى استمرارية توالد وتكاثر المكدين والسؤال .

(١) لقد تحطت هذه الفكرة الغجر والمكدين الى بعض الناس الذين استشعروا ثقل هموم الحياة ومظالم الحكام وارتباك كيان المجتمع وخلقه لذا نسمع محمد بن حماد البصري يقول :
إن كان لا يد من أهل ومن وطن فحيث آمن من أهوى ويأمنني
يا ليتني منكر من كنت أعرفه فلست أخشى اذى من ليس يعرفني
تمه اليتيمة ١ / ١٤ .

الفصل السادس

الزهاد والمتصوفون

الزهد :

ينشأ الزهد (١) عادة بسبب ما يكتنف الحياة من تعقد لا يستطيع مواجهته بعض الناس ، لذلك يلجأ إليه في محاولة للهرب (٢) والتخلص من المتاعب التي تنتظر من ينغمر بمثل هذه الحياة الصعبة مغطياً بذلك على هربه أو معلناً عن سخطه (٣) .

وفي الزهد الاسلامي برز سبب آخر لوجوده ، هو الايمان المطلق بالله وبعقابه وثوابه ، ولهذا أراد الزهاد أن يبتعدوا عن الحياة كي لا تصيبهم شرورها أو تنوشهم آثامها فيأخذونها معهم الى الدار الاخرى وينالون جزاءها نار الله الكبرى .

وقد كان الزهد الاسلامي أول أمره محدوداً يوازن بين العمل الدنيوي

(١) ينظر في الزهد قوت القلوب ١ / ٤٩١ - ٥٥٠ ، التصوف في الشعر العربي لعبد الحكيم حسان ١٦٩ - ٢٣٩ وفيه دراسة جيدة عن الشعر الزهدي وتطوره .

(٢) ينظر العقيدة والشريعة لكولدزهر ١٤٧ ، ويقول ان الشاعر الذي نقشوه على لواثهم « الفرار من الدنيا » .

(٣) نفسه ١٤٦ ، ويرى « أن الميل الى الزهد كان مرتبطاً بالثورة على السلطة القائمة » . ويستشهد بحادثة بترها من اسد الغابة ٣ / ٨٨ .

والواجب الديني ويمنع الى حد ما الانغمار في الغيبيات .. قال الله تعالى « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » (١) وقال رسوله « انما حجب اليّ من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة » (٢) ولا ننسى بعد ذلك الدعوات الكثيرة التي لهج بها القرآن والرسول والصحابة وهي تدعو الى العبادة والعمل الارترافي الخيّر أيضاً .

التصوف :

في نشأة التصوف آراء كثيرة ومتعددة منها ما يقول أن الصوفية هم من جملة الزهاد (٣) ومنها ما يرى أن التصوف تطور عن الزهد (٤) ومنها ما يقول أن التصوف كان معروفاً قبل الاسلام ، ومن هذه الآراء ما هو متطرف يرى (٥) « أن التصوف خليق بان يصحب كل نزعة شريفة من النزعات الوجدانية فيكون في الحب ويكون في الولاء ويكون في السياسة حين تقوم على مبادئ تتصل بالروح والوجدان » وهناك بعد ذلك آراء ترى ان التصوف لم يكن اسلامياً صرفاً ، فهو قد تأثر بالعقائد الهندية (٦) وقلد طرق الرهبان البوذيين (٧) كما أن العامل المسيحي هو من أقدم العوامل وأبعدها اثراً في التصوف الاسلامي ويشترك مع المسيحية في صفات أهمها التوكل الكلي على الله والحب الالهي ولباس الصوف الذي بالغ فيه متصوفة

-
- (١) القصص ٧٧ وتنظر الآيات الآتية في الدعوة للزهد أو العمل المنافيين ٩ ، الاعراف ٢٠٤ ، المائدة ٩٠ .
- (٢) وينظر في أحاديث تدعو الى الزهد والعمل أيضاً ، الاربعين في التصوف ص ١٣ .
- (٣) تلبس ابليس ١٦٠ .
- (٤) ينظر نصوص في التصوف الاسلامي البير نصري نادر ١٦ وما بعدها ، وينظر فلسفة التصوف .
- (٥) التصوف الاسلامي ١٩/١ .
- (٦) العقيدة والشريعة ١٦١ ، في ذكرى ابني العلاء طه حسين .
- (٧) تاريخ الفلسفة الاسلامية ١ / ٢٩٥ .

الاسلام (١) ، ولا تنسى هذه الآراء تأثير الفلسفة اليونانية (٢) أو المذاهب الفارسية (٣) في الذهنية الصوفية .

ان كل هذه الآراء وغيرها لا يمكنها أن تغير ما نراه من نشوء كيان جديد واطار مستقل للصوفية الاسلامية ، واذا كنا لا ننكر أثر الاقوام الاخرى في التصوف الاسلامي فاننا أيضاً نضيف قائلين بأن ما واكب الحياة الاجتماعية من شرور وموبقات أدى الى خلق العزلة عند بعض الناس ، هذه العزلة نمت فكر هذا البعض ودفعته الى الاطلاع الواسع ، فنشأ ما تعارفنا عليه بالتصوف الاسلامي ، ونريد بالتصوف الاسلامي ، التصوف المرتبط بالافكار الفلسفية والذهن الواسع .

أصل كلمتي صوفي وتصوف ونسبتهما :

عرف العرب الانقطاع لله وترك الدنيا قبل الاسلام وتمثل ذلك في رجال كثيرين لا يغيب عن ذهن واحد منا اسم ورقة بن نوفل وأمّية بن أبي الصلت وعبيد الله بن جحش وغيرهم من المتحنفين والعرفان والكهنة (٤) ، وكل هؤلاء لم يطلق عليهم ولا على مذاهبهم اسم يشير الى كلمة صوفي أو تصوف ، ويمكن الشك في أقوال من يرى أن العرب عرفت هاتين الكلمتين قبل الاسلام (٥)

(١) ينظر تاريخ الفلسفة الاسلامية ١ / ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، وينظر التصوف الثورة الروحية في الاسلام ٨١ ، ٨٢ .

(٢) تجديد ذكرى ابي العلاء ٧٨ ط ٦ .

(٣) تاريخ الفلسفة في الاسلام ٧٢ تأليف ج. دي بور .

(٤) ينظر بلوغ الأرب ٢ / ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦٩ ، واماكن اخرى .

(٥) اللع ٤٢ - ٤٣ وينقل الاستاذ مصطفى عبد الرزاق آراء الطوسي دون أن يرفضها أو يؤكد لها لكنه يرى رأياً لطيفاً في اسم الصوفية والمتصوفة مجمله أن زمن الرسول والصحابة والتابعين لم تكن حاجة لابتداع اسم للعابد غير كلمة صحابي أو تابعي « فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده » سمي من تعبد زاهداً أو عابداً ، « ثم ظهرت الفرق الاسلامية ... فانفرد خواص أهل السنة المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة » دائرة المعارف الاسلامية ٢٧٥ / ٥ .

أو أول أيامه (١) ، وإذا كانت كلمة صوفي قد قيلت بشكل عرضي لهذا العابد أو ذاك فهذا لا يسوِّغ التأكيد المطلق على معرفتها وشيوعها أو تداولها ، لأنها لم تأخذ شكلها المتعارف عليه الا قبل المائة الثالثة للهجرة بقليل ، انها « اسم محدث بعد الصحابة والتابعين » (٢) .

ومثلما اختلف الباحثون في تاريخ كلمة صوفي أو تصوف اختلفوا في نسبتها واشتقاقها وتضاربت أقوالهم الى أي أصل ترجع ، أترجع الى الصوف أم الى رجل اسمه صوفة أم الى الكلمة اليونانية « سوفيا » أي المعرفة أم الى الثمرة المعروفة باسم صوفانة أم الى غير ذلك (٣) ؟!

ولقد أبدى أبو الفتح البستي رأيه فقال (٤) :

تنازع الناس في الصوفيّ واختلفوا فيه وظنوه مشتقاً من الصوفِ
ولست أنحل هذا الاسم غيرَ فتى صافي فصوفي حتى لقّبَ الصوفيّ
ومهما تعددت الاستنتاجات والاقوال تظل النسبة الى الصوف هي الارجح
الاعمّ .

ما هو التصوف ، ومن هو الصوفي :

ليس كل من لبس الصوف وأظهر الرقة والتدين صار صوفياً عابداً مؤمناً ، فالصوفي من صفا من الكدر ، وامتلاً من الفكر ، وانقطع الى الله من البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر (٥) وهو الذي لا يتعبه طلب ولا يزعبه

(١) الاربعين في التصوف : ٧ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ٥ / ٢٧٥ .

(٣) التمرغ ٢١ - ٢٦ ، عوارف المعارف ٥٩ وما بعدها ، الرسالة القشيرية ٢ / ٥٥٠ وما بعدها ، زهر الآداب ٢ / ٨١٠ وما بعدها ، تليس ابليل ١٦١ ، ١٦٢ ، دائرة المعارف الاسلامية ٥ / ٢٦٥ ، التصوف الاسلامي ١ / ٤٩ وما بعدها .

(٤) زهر الآداب ٢ / ٨١٣ .

(٥) عوارف المعارف ٥٧ وينظر تعريف التصوف الكشكول ١ / ٨٠ .

سلب (١) لانه من (قوم آثروا الله على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء) فهم عباد مؤمنون (٢) (رضي الله عنهم ورضوا عنه) (٣) .
 قوم همومهم بالله قد علقتم فما لهم همم تسمو على أحد
 فمطلب القوم مولاهم وسيدهم يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
 ما أن تنازعهم دنياً ولا شرف من المطاعم واللذات والولد (٤)
 ان الصوفي يرى التصوف كما قال عنه سمنون : « أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء » (٥) لانه نزع عن نفسه رداء الحياة ولبس ثوب العبادة وانقطع بكله الى الله .

وكل هذه الاقوال وغيرها تبرز لنا طبقة المتصوفة ، وكأنها خالية من الشوائب والشور ، ولكن الملاحظ ان هذه الطبقة حملت في داخلها تناقضاً عجيباً ولدت أموراً غريبة وشاذة ، وسبب كل هذا اتساع حركة التصوف وتعدد طرقها وكثرة أعضائها وتفاوت ثقافتهم وصدقهم .

ومما يدل على وجود نوعيات صوفية رديئة برزت بعد هذا الشعب والاتساع قول الطوسي (٦) « واعلم أن في زماننا هذا كثر الخائضون في علوم هذه الطائفة ، وقد كثر المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون اليها والمجيئون عنها وعن مسائلها » .

ولهذا ظهرت نظرة شك وريبة الى بعض هؤلاء حتى ان قسماً من الناس بات يرى ان التصوف « ضرب من اللهو واللعب وقلة المبالاة (٧) » ولذلك

(١) اللع ٤٥ قاله ذو النون المصري ترجمته في حلبة الاولياء ٣٣١/٩ وما بعدها ١٠ / ٣ وما بعدها .

(٢) اللع ٤٥ القشيرية ٢ / ٥٥٥ قاله ذو النون .

(٣) التوبة ١٠١ ، المائدة ١٠١ .

(٤) التعرف ٢٦ ، عوارف المعارف ٥٧ .

(٥) اللع ٤٥ ، القشيرية ٢ / ٥٥٢ ترجمة سمنون حلية الاولياء ١٠ / ٣٠٩ .

(٦) اللع ١٩ .

(٧) نفسه ٢١ .

« يسرف في الطعن وقبح المقال » في الصوفيين « حتى ينسبهم الى الزندقة والضلالة (١) » .

ولقد سجل لنا الحلاج وجود مثل هذه النوعيات حينما نظر الى المتصوفة فعافت نفسه تهويمات وحيل ومخرقة بعضهم فقال (٢) :

ليس التصوفُ حيلةً وتكلفاً وتقشفاً وتواجداً وصياحُ
ليس التصوف كذبةً وتظالماً وجهالةً ودعابةً ومزاحُ
بل عفةً ومروءةً وفتوةً وقناعةً وطهارةً وصلاحُ

ان نظرة الحلاج هذه ، زيادة على أنها تبين بوضوح تداخل التصوف مع أعمال الدجل ، تبرز غيرة الحلاج على مذهبه ، وصدق مشاعره الدينية والانسانية (٣) .

ونظر طاهر بن الحسين المخزومي البصري (٤) الى جماعته الصوفية فهاله أن يرى مجموعة بائسة من لبسة المرقعات ، المتظاهرين زوراً ودجلاً بمظاهر الصوفيين ، العابثين في حياتهم عبثاً يبعث في نفس الشاعر الرثاء للتصوف الذي أثبت لهم بذلك قال معروفاً بالمتصوفين المخلصين ، فاضحاً وجود دعاة مشبوهين بينهم (٥) :

ليس التصوف ان يلاقيك الفتي وعليه من نسج النمس مرقع
بطرائق سود وببيض لفقت وكأنه فيها غراب أبقع
ان التصوف ملبس متعارف يخشى الفتي فيه الإله ويخشع

(١) نفسه ، وقد أكثر ابن الحوزي في ذم المتصوفة ونسبهم الى الضلالة والزندقة في مواضع كثيرة من كتابه تلبيس ابليس من ١٥٠ - ٣٩١ .

(٢) الديوان ٨١ .

(٣) تنظر الدراسات الحديثة المهمة التالية عن الحلاج (أ) شخصيات قلقة ٧٠ وما بعدها (ب) الفلسفة الصوفية في الاسلام ٣٢٥ وما بعدها (ج) دائرة المعارف الاسلامية ١٧ / ٨ (د) التصوف في الشعر العربي عبد الحكيم حسان ٣٣٨ وما بعدها .

(٤) ترجمة في تمة اليتيمة ٢٠ / ١ .

(٥) نفسه ٢٢ / ١ .

ولقد كثرت بوجود مثل هؤلاء الدعاة « الاحاييل الصوفية » وانتشرت حولهم تقولات لا تخدم حركتهم انما تسيء اساءات بالغة لما تعدده من حيلهم والاعبيهم .

وقد تبرأ ابو بكر العنبري المتصوف من هؤلاء المحتالين ونفى ان يكون كل من لبس الصوف صوفياً فقال (١) :

ليس التصوف بالقوط من قال ذاك فقد غلط
ان التصوف يا فتى صفو القواد من السقط
ومن الحيل التي كان يقوم بها بعض الصوفية وعظ الحكام وابتزوا الاموال منهم وقد جازت حيلة أحدهم على يحكم « فعرض على شفتيه وقال : انا لله حيلة تمت عليّ ، كلنا صيادون لكن الشباك تختلف (٢) » .

وقد اورد لنا الثعالبي كثيراً (٣) من التهكمات بالمتصوفة ووصفهم بأنهم « رقصة أكلة » كما أثبت نصوصاً تبين مدى نهمهم وانحطاط تصرفاتهم فقال مثلاً : (٤) وقد أفصح بعض الظرفاء عن حقيقة وضعهم وجليه حالهم ، فقال وما قال الا الحق :

صَحِبْتُ قوماً يقول قائلهم نحن على ذي الجلال متكلمه
فالوقت ، والحال ، والحقيقة والبرهان ، والرقص عندهم مسألة
فلم أزل خادماً لهم زمناً حتى تبينت أنهم أكلكه
وقال الثعالبي أيضاً :

« أنشدت لأبي عمر بن عبد الله الهرتد فيهم »

(١) نفسه ١ / ٦١ .

(٢) نشوار المحاضرة ١ / ٢٨١ وفي هذا الكلام اعتراف شخصي بفساد الحكام وكثرة مظالمهم .

(٣) المصانف والمنسوب ١٧٤ .

(٤) نفسه ١٧٦ ، وفي المعنى نفسه يورد ابن الجوزي قصيدة جاء فيها :
فلم أزل خادماً لهم زمناً حتى تبينت أنهم سفله
ان اكلا كان أكلهم سرفا أو لبسوا كان شهرة مثله
ينظر تلييس ابليس ٣٧٦ .

ديننا لدنيا مأكله	تباً لقوم جعلوا
صوفية	تستروا بأنهم
قمامة في ميزبلكه	وما يساوي نسلهم
منافقون أكلكه	وهم اذا فتشتهم

ونجد مثل هذا التحامل القاسي عند أبي العلاء المعري في مواضع عديدة من أشعاره وفي قوله مثلاً (١) :

أرى جيلَ التصوف شرَّ جيلٍ لقد جثم بشيءٍ مستحيلٍ
أقال الله حين عشقتموه كلُّوا أكلَ البهائم وارقصوا لي

ويتوضح لنا من خلال هذه الايات ولع المتصوفة بالاكل وشرهم عليه وانحراف الكثير من رجالهم عن طريق التدين الصحيح الى طريق الدجل والمخرقة والتظاهر الخبيث بأمور بعيدة عن جوهر الحقيقة الصوفية الاصيلية ، ففدا التصوف في القرن الرابع غربياً عما كان عليه أول أمره وهذا ما حدا بالشاعر أن يقول (٢) :

أهل التصوف قد مَضُوا صار التصوفُ مخرقةً
صار التصوف ضجّةً وتواجداً ومطبقةً

بعد هذه الأقوال التي قد تصدق كلها أو بعضها ، أو قد تكون تحاملاً وبهتاناً ، يجب أن لا ننسك بالجوانب السلبية من المتصوفة ونترك الجوانب الايجابية التي تمثلت في شجاعة بعضهم وصراحتهم ووقوفه بوجه التيار الزائف لحركة الصوفية .

يعدّ شعر الزهد المقياس الحقيقي الذي يمكنه أن يبين مقدار تغلغل الايمان في نفس الزاهد ، كما يمكنه أن يوضح مقدار ثبات الزاهد أو ضعفه ازاء مغريات الحياة وصعوباتها .

(١) تلييس ابليس ٣٧٧ .

(٢) (المع ٤٧ ، تلييس ابليس ٣٧٦ .

نجد مثلاً زهداً شامخاً ثابتاً قوي الإرادة امام الاغراء السافر للحياة عند الحسين الحلاج في قوله (١) :

دنيا تغالطني كأنني لستُ أعرف حالها
حظرتُ المليكُ حرامها وأنا احتमितُ حلالها
فوجدتها محتاجة فوهبت لذتها لها

ان في هذا الزهد سمواً وتعالياً وامسكاً شجاعاً بغرائز النفس لئلا تجمع ،
فهو استشعار للذة عن طريق الألم حيث ينبعث من خلال هذا الاستشعار سلوان
وفرح وكبرياء .

عليك يا نفسُ بالتسلي العز بالزهد والتخلي (٢)

وقد نجد عند آخرين استصغاراً للحياة الدنيا يولد بعد ذلك « زهداً
وجودياً » ان جاز القول فحينما يستشعر هؤلاء قرب الموت ويتذكر نهاية
الانسان وما يؤول اليه بعد العدم ، يغم وتصيبه سوداوية وتشاؤم ، فينفر من
المتشبهين بالحياة ويقول مثلاً قال ابو الحسن علي بن محمد البديهي (٣) :

لا تحسذن على تظاهر نعمة شخصاً تبيت له المنونُ بمرصدٍ
أوليسَ بعدَ بلوغه آماله يفضي الى عَدم كأن لم يوجدِ
لو كنت أحسد ما تجاوز خاطري حدة النجوم إلى بقاء سرمدي

وبهذه النظرة نفسها يضاف اليها الالم المتولد من رؤية المجتمع وهو نائم
لا يحس بوطأة المآسي التي تهبط عليه كل يوم ينظر ابن نبأة فيقول (٤) :

وتأخذ من جوانبنا الليالي كما أخذ المساء من الصباح
أما في أهلها رجلٌ لبيس يُحس فيشتكي ألم الجراح

(١) تاريخ بغداد ٨ / ١١٧ ، البداية النهاية ١١ / ٣٢٤ .

(٢) الديوان ٨١ .

(٣) المقاييسات ٢٩٨ ترجمة البويهي في اليتيمة ٣ / ٣٤٣ .

(٤) اليتيمة ٢ / ٣٨٥ ، المقاييسات ٢٩٦ .

أرى التشميرَ فيها كالتواني وحرمانَ العطية كالنجاحِ
ومن لبس التراب كمن علاه وقد تخذَعُكَ انقاسُ الرياحِ
وكيف يكدّ مهجته حريص يرى الارزاقَ في ضرب القيداحِ

ان زهداً مثل زهد ابن نباته هذا أو زهد الوزير المهلبى (١) أو غيرهما
مسبب بفعل تسلط عوامل ذاتية ونفسية وخارجية دفعت مثل هؤلاء المتنعمين
في الحياة الى التثبث بأذيال الزهد بعد أن اشتد بأس هذا التسلط وأخذ بخناق
هؤلاء الناس وضرب مصالحهم وترفعهم انه زهد وقى يزول بزوال مسبباته .
وان أردنا أن نعري نوعاً جديداً من الزهد ، وجدنا ذلك عند بعض العلماء
والفلاسفة ، ويمكننا أن نطلق على زهد هؤلاء اسم الزهد الحريص الواعي ،
ومثل هذا الزهد يتوضح في شعر ابي سليمان المنطقي محمد بن طاهر (٢) ت
نحو (٣٨٠ هـ) .

حينما قال (٣) :

بكيتُ على مفارقة الشباب وأيام البطالة والنصاي
وأيام التغازل والدلال وأيام التجني والعتاب
مضت فكأنها لما تولت معقبة نفيساً بالعقاب
لتبلى كل ملبوس جديد وتخرج كل معسول بصاب
يباض الشيب أعلام المنايا نُشرن نذيرة لك بالذهاب
هو الكفن الذي يبلى وشيكاً ويأتي بعده كفن التراب

اننا نجد مع حرص المنطقي ، ولوعته ، وأسفه على الايام التي قضاها ولم
يتمتع منها الا بالامور الدنيوية ديمومة في التفكير بالموت والنهاية ، وفي هذا
التفكير دافع آخر للزهد والعبادة .

- (١) مر الكلام على زهد المهلبى في الفصل الثالث .
(٢) ترجمته في الاعلام ٤١/٧ ويأتي ذكره في أماكن عديدة من المقاليات والامتناع
والمواساة .
(٣) المقاييس : ٢٩٩ .

ان شعر الزهد كثير وهو بمجموعه لا يعدو أن يكون تعبيراً عن بداية
لهزيمة الانسان من الحياة وقد يكون تعبيراً واضحاً عن هذه الهزيمة ومع هذا لم
يصل في التهويم والغيبية الى ما وصل اليه شعر الصوفيين الذي سيأتي تفصيل
احوال قائليه من خلاله .

أحوال الصوفية ومقاماتهم :

للسوفية أحوال ومقامات يختصون بها لا نجدها عند غيرهم من الناس ،
والمقام « معناه مقام العبد بين يدي الله فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات
والرياضات والانقطاع الى الله عز وجل (١) » ومن المقامات التوبة والورع
والزهد والتوكل والفقر والصبر والرضا (٢) وهذا يعني ان المقامات تعبير عن
« درجات العبادة (٣) » التي يتقنها الصوفي .

أما الحال فمعناه « ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب (٤) » قال الجنيد
والحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم (٥) « ومن الاحوال القرب والمراقبة
« السكر والصحو والمحبة والخوف والرجاء والانس والطمأنينة واليقين (٦) » ،
وهذا يعني أن الاحوال تواردت نفسية آتية تأتي الى الصوفي أثناء تخلصه من
عالم الواقع وتحليقه في عالم الخيال والتهويم .

إذاً فالحال زائلة والمقام ثابت « والاحوال مواهب والمقامات مكاسب
والاحوال تأتي من غير الوجود والمقامات تحصل ببذل المجهود .. وقالوا
الاحوال كاسمها يعني أنها كما بالقلب تزول في الوقت وأنشدوا :
لو لم تحل ما سُمِّيَتْ حالا وكسل ما حلَّ فقد زالا

(١) اللع ٦٥ . وتنظر القشيرية ١ / ١٩٩١ .

(٢) اللع ٦٥ . وتنظر الرسالة القشيرية ١ / ٢٥٣ وما بعدها .

(٣) التصوف في الشعر العربي ٦٣ .

(٤) اللع ٦٦ . وتنظر القشيرية ١ / ١٩٣ .

(٥) نفسه .

(٦) القشيرية ١ / ١٩٦ وما بعدها .

أنظر الى الفناء إذا ما انتهى يأخذ في النقص إذا طالا (١)
 ان هذه الاحوال والمقامات التي ترافق الصوفي أينما كان ، قد تكون
 تصرفات مفتعلة يمويه بها على الناس ليسبغ على نفسه هالة من الرهبة والتقديس
 ويستدر احترامهم وتقديرهم معوضاً بذلك عما يحس به من ضعف في مقدرته
 على خلق مكانة اجتماعية لنفسه بأسلوب حياتي طبيعي .

اننا نذكر قسماً من أحوال ومقامات الصوفية التي وجدناها ما يمثلها أو
 يفسرها من الشعر الصوفي أما الاحوال والمقامات التي لم نذكرها فهي كثيرة
 ومتشعبة وقد أكثر من ذكرها معظم مؤرخي التصوف الاسلامي القدماء ،
 حتى ان بعضهم أفرد عشرات الصفحات عن مقام واحد أو حال واحدة (٢) .

١ - الوجد والتواجد والوجود :

أما الوجد فقد تعددت الاقوال في ماهيته (٣) فقال قسم : انه المصادفة
 وقال قسم : انه المكاشفة ، وقال قسم : انه « لا يقع على كيفية الوجد عبارة
 لانها سر الله تعالى عند المؤمنين الموقنين (٤) » وأرى أن أحسن تعريف شامل
 للوجد هو ما جاء به الكلاباذي حين قال (٥) : « ومعنى الوجد : هو ما
 صادف القلب من فرع أو غم أو رؤية معنى من أحوال الآخرة ، أو كشف
 حالة بين العبد والله عز وجل » .

والشيلي بعد ذلك يرى أن الوجد هو المشاهدة كما في قوله (٦) :

الوجد عندي جحد ما لم يكن عن شهودي

(١) الرسالة القشيرية ١ / ١٩١ .

(٢) ينظر مثالا لذلك ما كتبه صاحب قوت القلوب عن التوكل ٢ / ٣ - ٧٥ ، ينظر في
 شرح الحال والمقام والفرق بينها . عوارف المعارف ٤٦٩ .

(٣) ينظر اللمع ٣٧٥ ، التعرف ١١٢ ، القشيرية ١ / ٢٠١ .

(٤) اللمع ٣٧٥ .

(٥) التعرف ١١٢ .

(٦) التعرف ١١٣ .

وشاهد الحق عندي يغني شهود الوجود
وأما التواجد فهو أضعف من الوجد لانه اظهاره « فمن ضعف وجدّه
تواجد (١) » .

وربما يكون التواجد على هيئة صياح أو اغماء أو تصرفات أخرى تدلّ
على فقدان سيطرة العقل الظاهر على المشاعر الروحية المتدفقة .

ذكر ان الشبلي تواجد يوماً فضرب يده على الخائط حتى عملت عليه
يده فعمدوا الى بعض الاطباء فلما أتاه قال للطبيب : ويلك بأي شاهد جئتني ،
قال : جئت حتى أعالج يدك ، فلطمه الشبلي وطرده ، فعمدوا الى طبيب
الطف منه فلما أتاه قال له : ويلك بأي شاهد جئتني ؟ قال : بشاهده ،
فأعطاه يده فبطنها وهو ساكت ، فلما أخرج الدواء يجعله عليها صاح وتواجد
وترك اصبعه على موضع الداء وهو يقول :

أنبئت صابئكم قرحةً على كبدي
بت من تفجّعكم كالاسير في الصفد (٢)

وأما الوجود فهو أعلى مراحل الوجد أو « هو بعد الارتقاء عن الوجد » (٣)
وقد أنشد شاعرهم (٤) :

وجودي أن أغيب عن الوجود بما يبدو عليّ من الشهود
وأحسن أنواع الوجود وجود ابن عطاء حين قال (٥) :

إذا ما وجود الناس فات علومهم فعلمي لوجدني صاحب قرين
ولأن الوجود هو أعلى مراحل الوجد قالوا : التواجد بداية والوجود

(١) نفسه ١١٢ .

(٢) اللع ٣٧٩ ويبدو ان تواجد الشبلي هو اخف انواع التواجد إذا قيس بما فعله ابن
الفارض فيما بعد - حين رقص وتعرى في السوق أمام الناس .

(٣) القشيرية ١ / ٢٠٣ .

(٤) نفسه ١ / ٢٠٣ .

(٥) طبقات الصوفية ٢٦٩ .

نهاية والوجد واسطة (١) ويرى ابن الجوزي في هذه الاحوال تلبساً بالغ فيه ابليس على الصوفية (٢) .

المحبة والشوق :

المحبة « هي ميل القلوب أي أن يميل القلب الى الله والى ما لله من غير تكلف » (٣) وهي « استهتار القلوب بالثناء على المحبوب وايتار طاعته والموافقة له » (٤) .

وتظهر هذه المحبة في الشعر الصوفي بقلب مادي فتبادو كأنها متوجهة الى انسان لا لاله ، سئل ابن عطاء عن الشوق (٥) فقال : « هو احتراق الحشا وتلهب القلوب وتقطع الاكباد من البعد بعد القرب » ، وقد أنشدوا له (٦) :
غرست لاهل الحب غصناً من الهوى ولم يكُ يدري ما الهوى أحدٌ قبلي
فأورقَ أغصاناً وأبنعَ صبوّةً وأعقب لي مرأً من الثمر المحلي
وكل جميع العاشقين هواهمُ اذا نسبوه كان من ذلك الاصل
وسئل ابو الحسن علي بن ابراهيم الحصري (٧) (ت ٣٧١) : هل
يحتشم المحب أو يفزع ؟ فقال : الحب استهلاك لا يبقى معه صفة وانشأ
يقول (٨) :

قالت : لقد سؤتنا في غير منفعة بقرعك الباب ، والحجاب ما هجعو

(١) الرسالة القشيرية ١ / ٢٠٣ .

(٢) ينظر تلبس ابليس ٢٥٠ وما بعدها .

(٣) التعرف ١٠٩ ، وينظر في المحبة والمحبين قوت القلوب ٢ / ٩٩ - ١٦٤ .

(٤) اللع ٨٧ .

(٥) عوارف المعارف ٥١١ .

(٦) القشيرية ٢ / ٦١٧ .

(٧) ترجمته في طبقات الصوفية للسلمي ٤٨٩ ، القشيرية ١ / ١٨٣ ، الشعراي ١ / ١٤٥

تاريخ بغداد ١١ / ٣٤٠ .

(٨) طبقات الصوفية ٤٩٢ .

ماذا يرّيبك في الظلماء تطرقنا ؟ قلت : الصباية هاجت ذاك والطمع
قالت : لعمرى لقد خاطرت ذاجزع

حتى وصلت ، فهلا عاقلك الجزع
فقلت : ما هو الا القتل أو ظفر بما يزول به عن مهجتي الهللع
وهو يقول أيضاً (١) :

إن دهرأ يلف شملي بسلمي لزمان يّهم بالاحسان
« وقيل : حبس الشبلي في (المارستان) فدخل عليه جماعة فقال : من
أنتم ؟ قالوا : إنا محبوبك يا ابا بكر ، فأقبل يرميهم بالحجارة فقروا ، فقال :
ان ادعيتم محبتي فاصبروا على بلائي (٢) » .
وقد أنشدوا له في الحب (٣) :

يا أيها (٤) السيد الكريمُ حبك بين الحشا مقيمُ
يسا رافع النوم عن جفوني أنت بما مرّ بي عليهمُ
« وقيل شوق أهل القرب أتم من شوق المحجوبين » ولهذا أنشدوا (٥) :
وأبرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الخيام من الخيام
اننا نجد في أقوال ابن عطاء والحصري وغيرهما علائم بارزة من العشق
المادي ، ولن يغطي هذه العلائم إلا بحاء بأن هذه الكلمات هي رمز للمحبة
الروحية الدفينة وقد نجد مثل هذه المحبة الروحية ظاهرة عند سمنون المحب
حين يقول (٦) :

(١) طبقات الصوفية ٤٩٣ .

(٢) القشيرية ٢ / ٦٢٠ .

(٣) القشيرية ٢ / ٦٢٠ .

(٤) في الاصل « أيها » ولا يستقيم معها الوزن .

(٥) الرسالة القشيرية ٢ / ٦٣٠ .

(٦) طبقات الصوفية ١٩٧ .

فلما دعا قلبي هواك أجابه فلست أراه عن فنائك يبرحُ
فان شئت واصلني وان شئت لا تصل
فلست أرى قلبي لغيرك ينـزحُ

أو الشيلي حين يقول (١) :

يحبك قلبي ما حييت وإن أمت يحبك عظم في التراب رميم
وقد « يفلسف » بعضهم شدة حبه وشوقه وسطوتهما عليه بكلمات
وأقوال متداخلة المعاني كما يظهر ذلك في شعر أبي عبد الله بن محمد الراسبي
(ت ٣٦٧) (٢) .

ولقد أفارقه باظهار الهوى عمداً ليسر سره اعلانه
ولربما كتم الهوى اظهاره ولربما فضح الهوى كتمانهُ
عبيّ المحبّ لدى الحبيب بلاغةً ولربما قتل البليغ لسانهُ
كم قد رأينا قاهراً سلطانهُ للناس ، ذلّ لحبه سلطانهُ
اننا نستقرئ كل ما قاله الصوفية في المحبة والشوق فنجده معبراً في
الاغلب عن مشاعر حاملة تشعرك بصدق الود وقوة الوشيجة بين الحبيبين ،
وقد يكون هذا الصدق منبعثاً عن قوة ايمان بالله أو لا يكون ، ولقد ذهب
بعضهم (٣) الى ان الايمان هو العشق (فحينما قلت آمناً فكأنما قلت عشقنا) ،
لان « الذي يشهد بكلمة لا اله الا الله أصبح عاشقاً » (٤) .

ولا يبعد أن تكون هذه المشاعر عواطف انسانية حييسة اندفعت غزيرة
تجاه حب الله الذي استعاض به الصوفي عن الحب الجسدي الملوث .

ان في خيال الصوفي وهو يستشعر هذه المحبة وهذا الشوق ويلتذ بهما

(١) الديوان ١٢٣ ، حلية الاليا ٣١٧/١٠ .

(٢) نفسه ٥١٤ . وترجمة الراسبي في الشعراني ٤٧/ ١ .

(٣) بين التصوف والحياة للتدوي ١٤١ .

(٤) بين التصوف والحياة للتدوي ١٤١ .

صورة مثالية للعشق الخالي من الشوائب والادران ، وهو بدافع من الغرائز المكبوتة في داخله يظهر هذا العشق على شكل كلمات يفرغ فيها كل ما يحمله من تأزم منفصلاً بذلك - دون علم أو ارادة - عن كبت جنسي حبيس .

التوكل :

التوكل في المفهوم الصوفي هو « الاستسلام لجرىان القضاء والاحكام (١) » وقال صاحب « قوت القلوب » : أنشدنا بعض العلماء لبعض الحكماء (٢) :
ولما رأيت القضا جارياً ولا شك فيه ولا مربة
توكلت حقاً على خالقي والقيت نفسي مع الجرية
وكان الصوفية يرون في التوكل على الله جزءاً من ايمانهم ولذلك قال بعضهم : « من طعن في التوكل فقد طعن في الايمان لانه مقرون به (٣) » .
وقد أحس بعض المتصوفة بما يسببه التوكل من ارتزاق فيه بعض الشعور بالتقصير فقال الشبلي مثلاً : « التوكل كدية حسنة » وقد يبلغ التوكل بأحدهم أحد القول :

أنا حامدٌ أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا نائع أنا عساري
هي ستة وأنا الضمين بنصفها فكن الضمين لنصفها يا باري
كما بلغ الاهتمام بالتوكل درجة قصوى أدت بالمؤلفين أن يضعوا له صفات واحكاماً مسهبة في شرحها والاستشهاد والتدليل على صحتها ، ويكفي ن نذكر بأن صاحب قوت القلوب قد خصص كلاماً للتوكل استغرق أكثر من سبعين صفحة (٤) .

(١) الرسالة القشيرية ١ / ٣٧٢ .

(٢) قوت القلوب ٢ / ٧٢ .

(٣) قوت القلوب ٢ / ٥ ، الرسالة القشيرية ١ / ٣٧٣ .

(٤) ينظر قوت القلوب ٢ / ٣ - ٧٥ ، وينظر أيضاً الرسالة القشيرية ١ / ٣٦٧ - ٣٨٢ .

السكر :

« السكر » هو أن نغيب عن تمييز الأشياء ولا نغيب عن الأشياء (١)
« والسكر لا يكون الا لاصحاب المواجهيد (٢) » لانه « غيبة بوارِد قوي (٣)
فمن يسكر بخمرة الحب الالهي يعيش حالة انفصام عما يحيط به ، فهو في
مرحلة طوفان روحي ، وفي هذا غاية التهويم ، ولذلك نرى الكثير من الذين
يعيشون حالة السكر هذه يفقدون معها الاحساس الجسدي ، فلا
يصابون بأذى بعض ما يصيبهم من العوارض الخارجية أو ان انفصامهم عن
الوجود (٤) .

قال الشبلي : ما أحوج الناس الى سكرة فقال له أحدهم : يا سيدي أي
سكرة ؟ فقال : سكرة تغنيهم عن ملاحظة أنفسهم وافعالهم وأحوالهم وأنشد
يقول :

وتحسبني حيا واني لميــــــــــــت وبعضني من المهجر ان يبكي على بعض (٥)
وقد تكون النوازع المادية الدفينة ذات تأثير فعال في نفوس الصوفية فحينما
تضطرم لا يسعها ضمير الصوفي فتطفو على شكل كلمات محملة بالرغبات
الحبيسة التي ان دلت على شيء فانما تبرز عملية تنفيس وافرغ وتعويض
مشروع لكل ما أصاب الفرد الصوفي من حرمان من المتع الحياتية بما فيها شرب
الخمر وما يصاحبها من سكر واعمال جنسية أيضاً .

قال شاعرهم (٦) :

(١ - ٢) التصوف ١١٦ .

(٣) الرسالة القشيرية ١ / ٢١٧ .

(٤) وهذا ما يفسر لنا قابلية بعض الدراويش من مختلف الاديان على ضرب انفسهم بالسيوف
أو المشي على النار أو ابتلاع أشياء كبيرة مؤذية أو غير ذلك من الخوارق التي يعجز عنها الانسان
العادي ، ويبدو أن هذه الحال إحدى احوال التنويم المغناطيسي الناتج عن الجو الصاخب والايحاءات
الذاتية المزوجة بالايمان المطلق .

(٥) حلية الاولياء ١٠ / ٣٧٢ .

(٦) القشيرية ١ / ٢١٨ ، ٢ / ٦٢١ .

فأسكر القومَ دورُ كأسٍ وكان سكري من المدير
 وكان ابو علي الدقاق ينشد كثيراً قول الشبلي (١) :
 لي سكرتان وللندمان واحدةً شيء خصصت به من بينهم وحدي
 وقال صوفي آخر (٢) :
 كفاك بأن الصحو أوجدَ أنتي فكيف بحال السكر والسكر أجدرُ
 فحالك لي حالان : صحوً وسكرة فلا زلت في حالي أصحو وأسكرُ
 وانشدوا أيضاً (٣) :

سكران : سكرُ هوى وسكر مدامة فمتى يفيقُ فتى به سكران
 ان هذه الاقوال تظهر من يفقد وعيه وعقله الظاهر ويغيب في عالم من
 الخيال وكأنه قد شرب مدامة حب الله وهي تؤكد ظاهرة موجودة عند الكثير
 من الناس الذين يؤمنون بوجود قدرة خفية تمكنت من خلقهم ووجب عليهم
 عبادتها ، ولا تقتصر هذه الحالة على المسلمين فقط فمثلما نجدتها عند صوفية
 المسلمين نجدتها عند بعض الرهبان البوذيين أو الفقراء الهندوس أو غيرهم
 وهذا يؤكد القول الذي يرى أن هذه الحالات ما هي الا عملية تنويم مغناطيسي
 عن طريق الايحاء الذاتي .

آداب المتصوفة :

آداب المتصوفة كثيرة ومتنوعة ، فهي تشمل آداب الديانة بأنواعها
 وأركانها ، وآداب الصحة ، والطعام والضيافة ، والسماع والوجود ، والسفر
 واللباس ، والجلوس والمجالسة والجوع ، وآداب المرضى في حالات مرضهم
 وغيرها من التصرفات التي يفترض أن يتأدب بها الصوفي المنتزعة عن الاحوال
 الدنيوية .

(١) القشيرية ١ / ٢١٨ ، ٢ / ٦٢١ ، ٦٥٨ .

(٢) التعرف ١١٧ .

(٣) القشيرية ١ / ٢١٨ .

ويغنيانا عن استعراض كل هذه الآداب ما سجله لنا الطوسي في لمعه (١) عنها وما فصله السهروردي بعد ذلك منها (٢) . على اننا نثبت هنا أنموذجين من هذه الآداب هي السماع والصحبة يوضحان بعضاً من تصرفات الصوفية واخلاقيهم وهذا الاثبات لا يغني على أية حال عن قراءة بقية الآداب واستخلاص ما فيها من روح متسامية عن الكثير من الامور المادية .

السماع :

« السماع استجمام من تعب الوقت ، وتنفس لا رباب الاحوال ، أو استحضار الاسرار لذوي الاشغال (٣) » ، والتجاء الصوفية الى السماع يدل على رقة في مشاعرهم ورهافة في احساساتهم ، ويبدو أن عزلتهم عن الناس وانغمارهم في الغيبيات واستمرارهم على تلاوة القرآن والحديث وما قيل في الله والرسول من الشعر ، كل ذلك أدى الى هذه الرهافة الحسية والشفافية الروحية الزائدة ، ولهذا صاروا يهتزون لاية نكرة موسيقية أو ترنيمة غنائية أو شعرية .

ولقد سجل لنا التاريخ حوادث وتصرفات كثيرة وغريبة للعديد من مشايخ الصوفية ورجالها يقومون بها لمجرد سماع أبيات أو ألفاظ فيها كلمات منعمة رتيبة ، فذو النون مثلاً حين سمع أحد القوالين (٤) ينشد (٥) :

صغير هواك	عَدَّ بَسْنِي	فكيف به	إذا احتنكا
وأنت جمعت	في قلبي	هوى	قد كان مشتركا
أما ترثي	لمكتسب	إذا ضحك	الخلي بكي

قام وتواجد ، ثم سقط على وجهه .

(١) اللمع ١٩٤ وما بعدها .

(٢) عوارف المعارف ٢٨١ - ٤٤٣ .

(٣) التعرف ١٦٠ .

(٤) القوال : هو الذي ينشد في حلقات الذكر .

(٥) اللمع ٣٦٢ ، عوارف المعارف ١٧٩ .

أما الشبلي فانه كان يرقص على قول لحظة (١) :
ورق الجوّ حتى قيلَ هذا عتابٌ بين جَحْظَةٍ والزمانِ
وسمع الشبلي قائلاً يقول :
أسائل عن سلمى فهل من مخبر يكون له علم بها أين تنزلُ
فزعم الشبلي وقال : لا والله ما في الدارين عنه مخبر (٢) .
« وكان أبو الوزير الصوفي القاطن في دار القطن عند جامع المدينة يطرب
على (قلم القصصية) » اذا غنت (٣) :
شبيهك قد وافى وحانَ اقترابُنا فهل لك في صوت ورطل مروق
وكان ابو سليمان المنطقي على جلالة قدره يطرب لغناء الصبي الموصلي
العيار الذي افتضح به أصحاب النسك والوقار (٤) ، وكان المعلم غلام
الحصري شيخ الصوفية يطرب اذا سمع ابن بهلول يغني في رحبة المسجد بعد
الجمعة وقد خف الزحام (٥) :
وقال لي العذولُ تسلّ عنها فقلت له أتدري ما تقولُ
هي النفسُ التي لا بدّ منها فكيف أزل عنها أو أحولُ
وكان أبو عبد الله البصري يطرب على ايقاع ابن العيصي اذا وقع بقصبيه
وغنّى بصوته وبسبب هذا ونظائره عابه البعض وقدح في دينه (٦) .
اما ابن فهم « الصوفي » اذا سمع « نهاية » جارية ابن المغني تشدو (٧) :

-
- (١) الاعجاز والايجاز ١٣٥ .
(٢) عوارف المعارف ١٨٤ .
(٣) الامتاع ١٦٧ / ٢ .
(٤) نفسه ١٧٤ / ٢ ، ١٧٥ .
(٥) نفسه ١٧١ / ٢ .
(٦) نفسه ١٧٥ / ٢ . وترجمة أبي عبد الله محمد بن احمد بن سالم في حلية الاولياء ١٠ /
. ٣٧٨
(٧) نفسه ١٦٦ / ٢ والبيتان في القصيدة المشهورة لابن زريق البغدادي .

استودع الله في بغداد لي قمرا بالكرخ من فلك الازرار مطلعته
ودعته وبودي لو يودعني صفو الحياة واني لا أودعه
ضرب بنفسه الارض وتمرغ في التراب ، وهاج ، وأزبد ، وتعفر شعره ،
وهات من رجالك من يضبطه ويمسكه ومن يجسر على الدنو منه ، فانه يعض
بنابه ، ويخمش بظفره ، ويركل برجله ، ويحرق المرقعة قطعة قطعة ، ويلطم
وجهه ألف لكمة في ساعة (١) .

وتروى غير هذه الحكايات ، حكايات أخرى كثيرة عن تجانن أو
موت بعض الصوفية أو دعايتها - لمجرد سماعه كلمات منغمة أو غناء عذبا .
حكى أن أحدهم سمع منادياً يقول « سعت برّي (٢) » فوقع مغشياً عليه
فلما أفاق سئل عن ذلك فقال كنت أحسبه يقول اسع تر برّي (٣) .
وحكى أن شاباً مر بقصر فسمع جارية تغني (٤) :

كبرت همةُ عبد طمعت في أن تراكا
أو ما حسب لعين أن ترى من قد راكا
فشهق شهقة ومات ...

وقد حلل السهروردي (٥) ذلك وقال انه « يتفق لبعض الصادقين وقد
يكون ذلك من البعض تصنعاً ورياء ، ويكون من البعض لقصور علم ومخامرة
جهل مزوج بهوى يلم بأحدهم يسير من الوجد فيتبعه بزيادات يجهل أن ذلك
يضر بدينه » .

(١) الامتاع ١٦٦ / ٢ .

(٢) سعت بري : نبات طيب الرائحة قصير الساق يشبه طعمه طعم البهار ينبت في باطن
الوديان والقرويون والبدو يخلطونه بعد أن ييبس ويدقونه ناعماً مع الملح ويأكلونه مع الخبز .

(٣) القشيرية ٦٥٣ / ٢ .

(٤) نفسة ٦٥٩ / ٢ .

(٥) عوارف المعارف ١٩٠ .

ويصف لنا ابو بكر العنبري حالة بعض الصوفية المدجلين عند سماعهم الغناء فيقول (١) :

وذو كلف باستماع السما ع بين البسيط وبين النشيد
ين إذا أومضت رنة ويزأر منها زئير الاسود
يخرق خلقانه عامدا ليعتاض منها بثوب جديد
ويرمي بهيكله في السعير لقلع الثريد وبلع العصيد
لقد اتخذ بعضهم من السماع أسلوباً يوحى به لنفسه كي تغيب في حاله من
حالات السكر ، ويظهر بعد ذلك تصرفاته الغريبة التي تخلق منه فيما بعد انساناً
مهيأ ، محترماً .

الصحة :

عرّف أحدهم الصحة فقال (٢) :

« الصحة مع الله بحسن الادب ودوام الهبة والمراقبة ، والصحة مع
الرسول بملازمة العلم واتباع السنة ، والصحة مع الاولياء بالاحترام والخدمة
والصحة مع الاخوان بالبشر والانبساط وترك الانكار عليهم ما لم يكن خرق
شريعة أو هتك حرمة » .

وفي هذا التعريف جمع شامل لآداب الصحة وأخلاق المصاحب
والمصاحب ، وبخاصة في صحة الاخوان ، وقد أكثر السلمي في كتابه
« آداب الصحة وحسن المعاشرة » من ايراد الشواهد الشعرية التي توضح
آداب الصحة وتصف نوعية الصاحب وأخلاقه وقد أورد - مثلاً - ما قاله
احمد بن يحيى (ثعلب) في صفات الصديق (٣) :

ثلاث خصال للصديق جعلتها مضارعة للصوم والصلوات

(١) تليس ابليس ٣٧٥ .

(٢) آداب الصحة ٤٣ .

(٣) نفسه ٦٢ ، وترجمة ثعلب في مقدمة كتابه « مجالس ثعلب » ونزهة الالباء ١٩٣ ،
وتاريخ بغداد ٢٠٤ / ٥ ، معجم الادباء ١٠٢ / ٥ وبغية الوعاة ١٧٢ .

.. مواساته والصفح عن كل زلة وترك ابتذال السر في الحلوات
وفي الخصلة الثانية وهي الصفح عن زلات الصديق والاغضاء عن مكارهه
كان يظهر جوهر الصوفي لأن من آدابهم « التغافل عن زلل الاخوان (١) »
« واحتمال الاذى منهم » وقد قال في ذلك عبد الحميد بن عبد الرحمن
القاضي (٢) :

صبرت على بعض الأذى خوف كله ودافعت عن نفسي بنفسي فعزّت
وجرّعتها المكروه حتى تجرعت ولو جملة جرّعتها لا شمأزت
فيا ربّ عز ساق للنفس ذلة يا ربّ نفس بالتذلل عزّت
ومن آداب الصحبة عندهم أن يقبلوا دعوة الصاحب ، وينهضوا لمؤازرته
والاخذ بيده وهم بعد ذلك :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائبات على ما قال برهانا (٣)
واذا كان الصديق الجيد والمصاحب الحير عند الصوفية يتغاضى عن زلات
صديقه ويساهم في حمل الاعباء عنه فهو جدير اذاً أن يتصف بصفة نبيلة
أخرى هي قبول اعتذار المعتذر اذا أخطأ ، صادقاً في اعتذاره أو كاذباً ،
وقد انشدوا قولاً لأبي الحسن ابن أبي العباس البيهقي (٤) :

قيل لي قد أساء اليك فلان ومقام الفتى على الذلّ عار
قلت : قد جاءنا وأحدث عندي دية الذنب عندنا الاعتذار
وغير هذه الآداب كثير ذكرها السلمي في كتابه « آداب الصحبة » كما
ذكرها غيره من الكتاب الصوفيين مبثوثة في كتبهم أو ملمومة في فصل أو أقل
أو أكثر (٥) .

(١) عوارف المعارف ٤٣٧ .

(٢) آداب الصحبة ٤٠ .

(٣) عوارف المعارف ٤٤٠ .

(٤) آداب الصحبة ٦٧ وقيل الشعر لابن المعتز .

(٥) ينظر الرسالة القشيرية ٧٤/٢ وما بعدها ، عوارف المعارف ٤٣٧ .

ويؤلف لنا مجموع هذه الآداب النموذجاً إنسانياً لتعامل الصوفيين فيما بينهم
أو مع غيرهم .

التفاعل الحياتي عند بعض الصوفية :

إذا كنا قد بينا أن للصوفية طبائع ورغبات مكتوبة يظهر منها على شكل
كلمات منظومة أو منشورة تكون مجاهلهم لتفريغ كتبهم والتنفيس عن تأزمهم ، وان
التصوف في الأساس عملية سلبية وهروب واضح من مواجهة الحياة ومشكلاتها ،
فلا بد من أن نؤكد نقطة مهمة وهي أن التصوف قد يكون عند بعض من
اعتنقه رد فعل لما كان سائداً في المجتمع من فجور وتحلل ، ولكننا لا يمكن
أن نجعل هذا القول قانوناً ثابتاً يشمل كل من اعتنق التصوف ، وحتى ان
كان رد الفعل هذا من عوامل التصوف فانه يعني أيضاً هروباً وتحاذلاً أمام
مصاعب الحياة ، فقد أعرض الصوفية عن واجبه الديني الذي يفرض عليهم
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانغمروا بالغيبيات والبحث عن اسرار
الوجود وطرق الاتحاد بالذات الالهية ، ولكن هذا لا يعني اننا نفتقد وجود
الصوت الشجاع الذي أحس بوطأة الاستعباد الانساني السائد آنذاك .. فقد
ظهرت شخصيات صوفية وقفت بوجه المظالم ونددت بالمظاهر الزائفة التي
كانت تغطي حياة المجتمع ، فزابعة العدوية ، والحلاج ، وابن عطاء « وأحياناً
الشبلي » كانوا نماذج صوفية تتفاعل مع الحياة وتنظر اليها نظرات عميقة مدركة
ولكن الحلاج يظل رمزاً للشجاعة والثبات على الرأي — أكثر من أي
صوفي آخر — ومن أقوى المسائل التي دلت على شجاعة الحلاج ، تصريحه
بعلمية جدوى الحج الى الكعبة ، وان كانت رابعة العدوية قد سبقته الى مثل
هذا القول (١) على أن الحلاج يبقى أكثر جرأة وأقوى مجاهرة وهذه المجاهرة
هي أهم الاسباب التي أدت الى قتله .. يقول الحلاج (٢) :

(١) رابعة شهيدة العشق الالهي ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) الديوان ٨٥ .

للناس حجٌ ولي حج الى سكني تُهدى الاضاحي وأهدي مهجتي ودمي
تطوف بالبيت قوم لا يجارحة بالله طافوا . فأغناهم عن الحرَمِ
وليس هذا هو المظهر الوحيد لشجاعة الحلاج ، فقد تمرد على الصوفية
ورمى الخرقه « كيما يتكلم بحرية مع أبناء الناس (١) » حول شؤونهم
المعاشية مما حرض عليه رجال الدولة وبخاصة الوزير « الاقطاعي » المحتكر
حامد بن العباس وحاشيته الذين ملوا نصائح الحلاج وارشاداته (٢) .

ويأتي أبو العباس احمد بن محمد بن عطاء (٣) بعد الحلاج شجاعة ،
فلقد شايع الحلاج في آرائه وأصر على عدم تكفيره فأدى به هذا التأييد والاصرار
الى التعذيب والموت ، كما ان علو همته وسمو نفسه وتواضعه تدلل على أنه
انسان ابتعد عن طريق الخنوع والمذلة .. يبدو هذا في قوله (٤) :

أسامي بنفسي ذلةً واستكانة الى الخلة العلياء من جانب الكبير
إذا ما أتاني الذل من جانب الغنى سموت الى العلياء من جانب الفقر
فهو يتخذ اذاً من التصوف طريقاً لحفظ كرامته وصيانة ماء وجهه من
الاهدار فيسمو بذلك الى علياء ركائزها مثبتة في نفس مرهفة شاعرة .

العمق الفكري عند الصوفية :

من عادة بعض الصوفية وبخاصة مشايخهم الاطلاع الواسع على الكتب
الدينية والفلسفية ، وهذا ينمّي عندهم سعة الافق وقوة التفكير وعمق
الادراك ، ولذلك كان يخالط أقوالهم وأشعارهم كثير من الالفاظ المعماة
والرمزية وكان أبرز قضاياهم الفكرية هي قضية الله ووجوده وحلوله ،
ووحدانيته وقدراته ، فقد كانوا يجمعون « على ان القرآن كلام الله وأنه ليس

(١) شخصيات قلقة ٦٦ .

(٢) شخصيات قلقة ٧٨ - ٨٠ وفي هذه الصفحات تحليل جيد لمقتل الحلاج .

(٣) ترجمته طبقات الصوفية للسلمي ٢٦٩ ، القشيرية ١ / ١٣٥ تاريخ بغداد ٥ / ٢٦ ،
المنتظم ٦ / ١٦٠ ، الفلاكة والملكون ١٢٧ .

(٤) طبقات الصوفية ٢٦٩ .

بمخلوق ولا محدث ولا حدث « (١) كما يجمعون « على أن الله يرى بالابصار في الآخرة ، يراه المؤمنون دون الكافرين « (٢) ويجمعون على « الايمان بكل ما يجري لهم من خير وشر وانه من الله ولا يحق لهم الاعتراض أو التأفف » (٣) « كما يجمعون على مقدرة الله وهيمته « (٤) .

وكما شغلهم هذا الاجماع شغلهم الاختلاف على قضايا كثيرة فقد اختلفوا في أن « الله لم يزل خالقاً » (٥) « وفي المعرفة وتفسيرها » (٦) « وفي أيهما أفضل الرسول أم الملائكة » (٧) وغير ذلك من الامور التي لا تمت الى الحياة المعاشية بصلة قوية .

وكانت هذه المسائل الالهية تخلق لديهم تهويمات فكرية ممتدة ترسو بهم تارة في بر الايمان وتدفعهم تارة أخرى الى الابحار وسط أمواج الشك القاتلة .

قال بعضهم في مسألة التفكير بالله (٨) :

من رامه بالعقل مسترشداً سرّحه في حيرة يلهبو
 وشاب بالتلبيس أسرارهِ يقول في حيرته هل هو
 وتبدو هذه الحيرة التي يرتمي الصوفي في أتونها واضحة في قول الحلّاج (٩):
 يا موضع الناظر من ناظري ويا مكان السرّ من خاطري
 يا جملة الكل التي كلها أحبّ من بعضي ومن سائري
 تراك ترثي للذي قلبه معلق في مخلبي طائر

(١) التعرف ٢٩ .

(٢) التعرف ٤٢ .

(٣) التعرف ٥٠ .

(٤) التعرف ٤٤ ، ٤٦ .

(٥) نفسه ٣٧ .

(٦) نفسه ٦٦ .

(٧) نفسه ٦٨ .

(٨) نفسه ٦٣ .

(٩) الديوان ١٨ .

مدلّسه حيران مستوحش يهرب من قفر الى آخر
 في لجج بحر الفكر تجري به لطائف من قدرة القادر
 اننا نجد في هذه الايات فكراً مرتبكاً وصراعاً متشابكاً بين الشك والايان
 فالخلاص في البيتين الاولين يحكي ايمانه بتوحيده مع الذات الالهية وتداخلها في
 جسمه وفي البيتين اللذين يليانها يعود الشك فيهب فكر الخلاص ويرجه ، فيبدو
 لنا انساناً شاكاً محتاراً ، أما البيت الاخير فعودة الى الايمان بقدرة الله وبلطائف
 هذه القدرة التي تمكنت من أن تقود سفينة ايمان الخلاص في لجج بحر فكره
 الهائج .

وقد يحنج الخلاص في أقواله وأفكاره الى القطع بتأله الانسان والقول بأن
 الظن في وجود الله تهويس وخروج عن الدين فهو يقول (١) :

جنوني فيك تقديسُ وظنّي فيك تهويسُ
 فما آدمُ الاكُ ومن في البينِ إبليسُ

وكان لهذا السبب ، يرى نفسه متوحداً بالله غارقاً في بحر الوهيته ممتزجاً
 مع كليته يقول مؤكداً هذا التوحد (٢) :

جُيِلَتْ رَوْحُكَ في رَوْحِي كما يجبل العنبر بالمسك الفتقُ
 فاذا مسك شيءٌ مسّني واذا أنت أنسا لا نفترقُ
 ويقول : (٣) :

يا كلّ كلي ويا سميّ ويا بصري يا جملي وتباعضي وأجزائي
 ويقول (٤) :

(١) نفسه ٦٥ .

(٢) الديوان ٧٧ . البداية والنهاية ١١ / ١٣٣ .

(٣) الديوان ١٤ .

(٤) الديوان ٩٣ ، اللع ٤٣٨ ، عوارف المعارف ٥٠٨ .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدننا
 فاذا أبصرتني أبصرتك واذا أبصرتك أبصرتنا
 ومثل الحلاج في تأله كان بعض الصوفية أيضاً أنشدوا لاحدهم (١) :

يا منية المتمني أفنيتني بك عني
 أدنيتني منك حتى ظننت أنك أني

وقد يتصور البعض أن هذه الأقوال الناتجة عن شطحات تحدث للانسان الصوفي لا يدرك فيها ما يقول ، وقد يتصور بعض آخر انها اقوال نابعة عن فكر سطحي ساذج انها في الحقيقة انسيابات فكرية عميقة تدلل على سعة أفق صاحبها وقوة ادراكه ، فالحلاج مثلاً عرف بثاقب بصره أن الانسان بقدراته الخارقة وحدة متمكنة من خلق أشياء تنفع وتضر ، وبما أن الله متمكن خالق ، فالانسان جزء من هذا الإله الخفي الذي يسيّر الكون ويخلق الكائنات .

القيمة الفنية :

يحبس قارئ الشعر الصوفي - في الاغلب - بثقل وطأة هذا الشعر وتحجر كلماته لما فيه من تكلف صباية واغراق في الرمز ، ولما لوضع الشاعر النفسي من تأثير بالغ في جعل التناول الشعري لدى الصوفي متقراً جافاً . ولا يمنع هذا القول وجود أبيات رقيقة صادقة مبثوثة في ثنايا هذه القصيدة أو تلك القطعة الشعرية ، تأتي للشاعر الصوفي متدفقة معبرة عن مشاعر دفيئة ، لكن هذه التدفقات الشعرية سرعان ما تكتم بهالة من الرهبة اللفظية يسحبها الشاعر مبرقعا بها احساسه خوفاً من كلام المجتمع ، أو محاولة لكبح جماح النفس وعصمها عن الانجراف وراء العواطف الانسانية .
 وحين نجد شعراً صوفياً محملاً بالمعاني المادية ، يرفض الصوفيون الآ-

تأويله بالمعاني الروحية ، ولكننا - أحياناً - (لا نستطيع التمييز بين قصيدتين احدهما يتغنى صاحبها بالحب الانساني والاخرى بالحب الالهي) (١) لأن مادتهما اللفظية واحدة .

لقد أكثر الصوفيون من لغة الحب ورموز المحبين في شعرهم لا لانهم (لم يجدوا وسيلة أقوم ولا أقدر على التعبير عن مواجدهم وأحوالهم من الشعر) ولا هو (شوق الروح الى الله قد عبر عنه الصوفية بهذه العبارات) (٢) ولكن لان هذه الالفاظ والعبارات ترضي حاجة غير مشبعة في نفوس الصوفيين المأزومة بالكبت والحرمات ، اي ان هذه الكلمات والعبارات المادية افراغ لمثل هذه الأزمات العنيفة التي يعيشها معظم الصوفية .. وبمثل هذا التعليل يمكن أن يفسر اكثارهم في ذكر الفاظ الحمرة والسكر والصحو في أشعارهم وتأملاتهم .

واذا كان في هذا التعليل بعض الجرأة فان فيه علمية لم يستطع نيكلسون مثلاً أن يصرح بها ، وقد تهرب منها حين تكلم على الرمز في الشعر الصوفي وقال (٣) :

« ويتوقف نوع الرمزية التي يفضلها الصوفي على خلقه وجبلته ، فان كان ديناً فناً - أعني شاعراً روحياً - فأفكاره كذلك .. تتشح تلقائياً ثياب الجمال والصور المشتتة للحب البشري ، فوجنات الحبيب الموردة تمثل عنده ذات الاله منكشفة في صفاته ، وغدائره الليلية تصور (الواحد مجحوباً بالكثرة) . ولو أيدنا نيكلسون في منطقته القائل بتوقف الرمزية على خلق الفنان وجبلته ، فاننا نعرض عليه اضعافه المعاني على المفردات المادية فما دام الشعر الصوفي يمثل جانباً في نفس صاحبه الظاهرية فلا بد أن يكون ايضاً صريحاً للمعززون من الرغبات في عقله الباطن .

(١) في التصوف الاسلامي ٩٠ .

(٢) نفسه .

(٣) الصوفية في الاسلام ١٠١ ، ١٠٢ .

ومهما يقل أصحاب الصوفية بأن شعرهم يؤدي الأغراض الحقيقية التي يرمون إليها يظل شعرهم يدور في محور من التكلف والصنعة ، لان الشاعر الصوفي يحاول دائماً صوغ افكاره وآرائه بقالب فلسفي ، وإذا دخلت الفلسفة الشعر قتلتها ، وجردته من قيمه الفنية ، التي من مقوماتها مقدرة الشعر على اثاره شيء حسّي انفعالي في نفس السامع أو القاريء .

الخلاصة :

حين ابتعد معظم الزهاد والمتصوفة عن الحياة واتخذوا المواقف السلبية طريقاً لهم ، أغرقوا أنفسهم في عالم الروحانيات والتهويمات العقلية والفلسفة المثالية .

لقد أخذوا ينظرون إلى الحياة على أنها بؤرة مملوءة بالموبقات تلوث من يقترب منها ولم يحاولوا أن يجدوا البديل الحسن لهذه الحياة بالأسلوب الطبيعي ، أسلوب المجابهة الشجاعة لانحراف الحياة ، انما اختاروا لانفسهم طريقاً فيه كثير من معالم الهروب والمخاتلة ، فابتعدوا عن الناس وسكنوا ، الربط ، وبدأوا يبتدعون طرقاً للعبادة لا تمت الى الاسلام بأية صلة .

وكان ابتعادهم عن الناس واتخاذهم الدين لباساً يتسترون به على ما في نفوسهم قد أكسبهم نوعاً من الهيبة والاحترام ، ورأى الناس فيهم رجالاً ورعين قد زهدوا في الدنيا وملأوها ، فكانوا يتبركون بهم ويرفعون مشايخهم الى مصاف القديسين والاولياء ، وهذا ما دفع الصوفية الى مزيد من الجنوح الى عالم الغيبيات ، والبحث عن حياة جديدة يملؤها الحب المثالي الذي رأى فيه الصوفية تجانساً أو تماسكاً مع حب الله ...

وقد جربوا أنواعاً عديدة من أساليب الترويض النفسي ، فاتخذوا لهم غلمان مرد يصاحبونهم ، وبدأوا يستشعرون لذة من خلال هذا التعذيب النفسي ، ولم تكن هذه اللذة الا التعويض الطبيعي لما في نفوس الصوفيين من كبت ..

وكان من الطبيعي أن تنحرف بعض فئات الصوفية عن هدفها الذي جاء به الصوفيون الاوائل وهو الزهد في الحياة والانتقطاع لله ، بعد أن كثّر المريّدون وتعددت الطرق .

وقد انغمز بعض الصوفية في مختلف الملاذ وبدأوا يستغلون صفاتهم الدينية من أجل متع دنيوية رخيصة .

ولم يمنع ابتعاد الصوفيين عن مشكلات الحياة وانغلاقهم على أنفسهم ومذاهبهم ، ظهور بعض الآراء الصوفية الشجاعة ، أو وقوف بعض الصوفيين بصمود أمام انحرف القيم الاخلاقية والاجتماعية ، ولكن هذه الاصوات لم يتردد صداها مدة طويلة ، فسرعان ما تغلبت عليها القيم الفاسدة الطاغية على مجتمع الحكام ومن شايعهم من رجال الدين فحكم عليها بالاختناق والموت .

الفصل السابع

الساخطون والمتمردون

إذا ارتفعت طبقة من طبقات المجتمع وامتألت خزائنها فمعنى هذا أن طبقة أخرى وقع عليها الحيف والجور وأن حالتها الاقتصادية والاجتماعية قد تدهورت ، ويحصل لذلك خلل اجتماعي وتخلخل طبقي يؤديان في أحيان كثيرة الى تمرد الطبقة المستغلة على مستغليها ، ويكون هذا التمرد نسبياً يتفاوت بمقدار وعي الطبقة المستغلة لحالتها وبؤسها بمقدار المظالم الواقعة عليها .. كما أن هذا التمرد يكون فردياً أو جماعياً حسب مواتاة الفرص واتساعها أمام الأفراد والجماعات .

لقد برز في العراق عهد من أسوأ عهود الاستغلال وظهر بصورته المجسمة الرهيبة خلال القرن الرابع للهجرة .

فلاضطرابات السياسية والاقتصادية وما رافقها من ويلات ومآس اجتماعية عمقت - ملتحمة - التناقض الطبقي في المجتمع العراقي وزادت من اظهار الروح الاستغلالية للطبقات المتسلطة والمنفعة .

ولقد رافق هذا الاستغلال وهذه المظالم مظاهر سخط وتمرد نراها عند من لم يبيع نفسه للسلطان من الشعراء الذين أحسوا بعظم نكبة مجتمعهم ، فصاغوا آلامهم كلمات سخط وانتقاد لازعة ، تناقلها الناس لشعبيتها وصدقها في محاكاة أوضاعهم وأحوالهم .

ان بعض هذا الشعر كان نابعاً من احساسات فردية ومشاعر ذاتية أنانية ، فلأن الشاعر لم يصب من المنافع ما أصابه غيره ، يستجمع غضبه ويرميه على الزمان وأهله ، ويصدق هذا القول على أغلب الشعراء ممن ربط نفسه بالسلطان ووضع له خده ، لكنه على أية حال لا يشمل الشعراء الذين تمردوا على تطلعاتهم الذاتية ومنافعهم الخاصة ، فلم يطرقوا باب خليفة ، ولم يتمرغوا على عتبة أمير أو وزير .

وتبدو هذه الظاهرة واضحة متميزة عند قسم من شعراء البصرة وأفراد منهم ابن لنكك الذي يعتبر ظاهرة نادرة في جرأته وشجاعته ، ومشاعره الغاضبة .

ويبدو لي أن جرأة ابن لنكك وبعض شعراء البصرة وشجاعتهم في مجابهة السلطة بحقيقتها وحقائق المجتمع الذي تُسيّرهُ يرجع الى قرب البصرة من « هجر » مركز القرامطة وأول بلد في التاريخ يضع الاشتراكية موضع التطبيق (١) .

فالحوف من السلطة العليا في بغداد أو من ممثليها في البصرة يزيله عند شعراء هذه المدينة وجود عدالة اجتماعية في (هَجَر) يستطيع الانسان البصري اذا ما ضايقته هذه السلطة اللجوء اليها والتفويض بظلمها .

قال أن الخبز أرزي بعد أن هجا « البريدي » ، « هرب من البصرة ولحق بهجر والاحساء بأبي طاهر بن سليمان بن الحسن صاحب البحرين (٢) » وقد يؤكد لنا هذه العدالة التي تنعم بها « هجر » ما سجله له المؤرخون القدماء والمحدثون - برغم تحامل بعضهم - للقرامطة من ذهنية عالية وسعة افق حربي واجتماعي يظهر في مروءة قادتهم وعدم استئثارهم بالسلطة والرأي ..

(١) ينظر ما كتبه الدكتور عبد العزيز الدوري عن اشتراكية القرامطة في العراق وهجر (دراسات في المصور العباسية المتأخرة ٢٦ ، ١٧٨) .
(٢) مروج الذهب ٤ / ٣٥٣ .

يقول أحد زعمائهم وهو الحسين بن احمد بن سعيد الجنتاني (ت ٥٣٦٦ هـ) (١)
 اني امرؤ ليس من شأني ولا أربي طبلٌ يرن ولا نايٌ ولا عودُ
 ولا اعتكافٌ على خمرٍ ومخمرٍ وذات دِلٍّ لها غنجٌ وتقنيدُ
 ولا أبيت بطين البطن من شيع ولي رفيق خميص البطن مجهودُ
 ولا تسامت بي الدنيا الى طمع يوماً ولا غرتني فيها المواعيدُ

انها القيم الاجتماعية العالية التي نشأ عليها هذا الزعيم القرمطي فجعلته بهذا التسامي الاخلاقي ، وبهذه الروح الشاعرة بمسؤولياتها تجاه الرعايا (٢) .

ولا تعني أشعار ابن لنكك أو هزيمة الخبز أرزي الى البحرين أو وقوف أحد رجال البصرة أمام ولايتها مدافعاً عن أبناء مدينته (٣) ، إن أهل البصرة يعتمدون كلياً في شجاعتهم على قربهم من دولة القرامطة فقد كان « للامركزية » التي تتمتع بها البصرة لضعف هيمنة السلطة في بغداد على أطراف الدولة تأثير الغ في تنمية شجاعة هذه المدينة .

وتركيزنا على البصرة وشجاعة أهلها لا يلغي وجود أناس ساخطين أو بمتمردين في بغداد أو واسط أو الأنبار فلقد تأثر مجمل أهل العراق بالحركات

(١) البداية والنهاية ١١ / ٨٧ وأين هذا القول من أقوال الرازي أو عز الدولة أو عضبها ؟
 (٢) واذا كنا في ذكر القرامطة وشعور قادتهم بالمسؤولية لا بد أن نثبت شعراً فيه الكثير من التحدي والثورية جاء على لسان ابي سعيد القرمطي في كتاب وجهه الى مؤنس أواخر سنة ٣١٥ هـ أو أوائل ٣١٦ هـ عند ورود القرمطي الكوفة وانتصاره على ابن أبي الساج .. يقول أبو سعيد :

قولوا لمؤنسكم بالراح كن أنسا واستتبع الراح سر نايسا ومزمارا
 وقد تمتلث عن شوق تقاذف بي بيتا من الشعر للماضين قد سارا
 « نزرركم لا نؤاخذكم بجفوتكم ان الكريم اذا لم يستزر زارا
 ولا نكون كأنتم في تخلفكم من عالج الشوق لم يستبعد الدارا »
 تكلمة الطبري ٥٥ ، وقد ذكر صاحب قوت القلوب البيتين الاخيرين ونسبهما للعباس بن الاحنف وأجدها ديوانه .
 (٣) ينظر الهفوات النادرة ٢٩٦ .

الثورية التي توالى في بلدهم أو بالقرب منه ، كثورة بابك الحرمي ، أو ثورة الزنج أو ثورة القرامطة ، أو تحركات العيارين والعامّة ضد مظالم السلطة أو استقلال عمران بن شاهين في البطيحة (١) واستعصائه على البويهيين وارغامهم على مصالحته .

يضاف الى ذلك تدهور الحياة المعاشية والاجتماعية واستفحال المظالم واحساس الانسان العراقي بثقل تراكمها حتى لقد أصبح العراق « بيت الفتن والغلاء وهو كل يوم الى وراء ومن الجور والضرائب في جهد وبلاء (٢) » . لقد تجمعت هذه العوامل فولدت السخط والتمرد الذي سنعرضه مرتسماً في شعر أهل العصر .

المشاعر الذاتية :

أول مظاهر السخط والتمرد تلك الآلام الفردية الموجهة التي انبعثت عن حيف يُحس به الشاعر بسبب حرمانه من تطلعاته في الحياة ورغائبه الخاصة :

والدهرُ من جفائه يلبس لي جلد النمرِ
فماء عيشي كدرٌ ونجم حالي مُنكدرٌ (٣)

هذه المشاعر مع كونها فردية في مظهرها العام فهي ذات دلالات اجتماعية أيضاً ، لأن الحيف الفردي من الممكن اعتباره حيفاً إجماعياً في ظروف مملوءة بالقهر الاجتماعي والاهتزاز السياسي كما هو حاصل في عراق القرن الرابع للهجرة ..

ان الاشعار الفردية وحتى الانانية منها يمكن أن تُعبّر عن وجهة نظر اجتماعية ، ربما تكون سارية على المجتمع كله أو على جزء منه .
فاذا خاب الشاعر في بلوغ مآربه - وكثيراً ما ينخب الآخرون أيضاً - يقول (٤) :

(١) ينظر في عصيان عمران بن شاهين ، الكامل ٨ / ٤٨١ ، ٦١٠ .

(٢) احسن التقاسيم ١١٣ .

(٣) ثمار القلوب ٣٩٩ .

(٤) ثمار القلوب ٢٧٤ .

سَمِيتُ العِيشَ حينَ رأيتُ صرفَ الدهرِ يرهقني
صعوداً والصعودُ اليه يُعجزني فيقلقه—ني

والصعود في مثل هذا الزمن لا يحالف الا من داجى ودجّل ، لأن الحياة
ضعبة وقاسية ، والامور بيد غير جديرة بأن تمسكها ، والذي يقف بوجه هذا
الواقع المر يكون نصيبه من الحياة الكفاف ان سلم من التشريد أو الموت .

فأبو حيان وهو من هو في عالم الأدب والفلسفة يبلغ به الجوع والتشرد
حدّاً أكمل الحشائش مع هوام البرية ، والاستنجد الدليل بأبي الوفاء المهندس
لينقذه من هذا الوضع البائس فتراه يقول له : « خلّصني أيها الرجل من
التكفف ، انقذني من لبس الفقر ، أطلقني من قيد الضر ، اشترني بالاحسان ..
اكفني مؤونة الغداء والعشاء .. الى متى الكسيرة اليابسة ، والبقيلة الذاوية ،
والقميص المرقع ... الخ » (١) .

ولهذا كان من حق هذا الانسان الذي غدر به صدقه وصراحته وأحياناً
صلافته أن يتشاءم وأن يحرق كتبه وأن يقول في دنياه (٢) :
دُنِيَا دَتَّتْ من عاجز وتباعَدَتْ عن كلّ ذي لب له خطرُ (٣)
سلمتُ (٤) على أربابها حتى إذا وصلتُ اليّ أصابها الحَصَرُ
ويبلغ اليأس والتشاؤم بأبي حيان حدّاً يتمنى معه أن يجد في زمانه واحداً
يؤكل خبزَه فاذا ردد قول جحظة (٥) :

(١) الامتاع والمؤانسة ٢٢٦ / ٣ .

(٢) معجم الادباء ١٥ / ٥١ ، أبو حيان التوحيدي لعبد الرزاق محي الدين ، شخصيات
القدر .

(٣) في هامش محقق معجم الادباء حجر وكذلك نقلها الدكتور عبد الرزاق محي الدين وفعل
مثل ذلك اصحاب شخصيات القدر .

(٤) ذكرها الدكتور عبد الرزاق محي الدين سلحت لأن المعنى فيها يستقيم ، ولا يستقيم
مع سلمت كما لا يستقيم الوزن مع سلمت .

(٥) البصائر والذخائر ١ / ٥٤ .

أنا في قوم أعاشرهم ما لهم في الخير عائده
جعلوا أكلي لحبزهم عيوضاً عن كل فائده

إذا ردد هذا القول على متأسفاً « ليت في زماننا من يؤكل خبزه » .
واذ يرد اسم جحظة هنا فلا بد من الإشارة الى تأمله من زمنه الذي لم ينصفه
ووضع أناساً ضحليين قصيري النظر في أماكن أكبر منهم ، فهم لقصورهم
العقلي يتباهون بأشياء زائلة لا تحقق مجداً ولا فخاراً ، فحين يرى جحظة أحدهم
يفخر ببناء مسنة يهزأ منه ويتألم ثم يقول (١) :

لقد أصبحت في بلد خسيس أمصُّ به ثمارَ الرزق مَصّاً
إذا رُفِعَتْ مسنةٌ لوغدي توهمَ جودةَ ما ليس يُحصى
رأيتُ المجد احساناً وجوداً فصار المجدُ أجراً وجِصّاً (٢)

وبدافع مما يصيب جحظة من أوقات عسر يتأثر ويزداد ألماً وحزناً ، وقد
يستفحل هذا الألم فيكاد يصل حد الانفجار حينما يظل القصور العقلي
ملازماً لأصحاب المناصب ، والترف ، فاذا أبصر جحظة مثل هذه المشاهد
الاجتماعية المعيبة ضربه سوط المأساة وقال (٣) :

قلبت لما رأيته في قصور مشرفات ونعمة لا تعابُ :
ربَّ ما أبينَ التباينَ فيهِ منزلٌ عامرٌ وعقلٌ خرابُ
ولم يكن جحظة أو أبو حيان أسوأ حالا من الآخرين فابن نباتة السعدي
« حظه من العيش أكل كله غصص مرّ المذاق وشرب كله شرق (٤) »

(١) البصائر والذخائر ١ / ٦١ .

(٢) نتبين استعمال الأجر والحص مادتين رئيسيتين في البناء .

(٣) الاعجاز والايجاز ٢٦٠ وفي أدب الدنيا والدين ذكر البيت الثاني فقط ١٤٤ .

(٤) اليتيمة ٢ / ٣٨٣ ، يؤكد ذلك ما ذكره صاحب الوفيات ٤ / ١٩٠ من أن ابن نباتة
قصده ابن العميد ومدحه وأطال الوقوف بيبابه فما منحه شيئاً ، وحين نفذ صبره دخل اليه وكلمه
كلاماً فيه حدة ومطالبة بالجائزة فامتنع ابن العميد فما كان من ابن نباتة الا أن خاطبه بكلام آخر
أكثر خشونة وصراحة «فثار ابن العميد مغضباً وأسرع في صحن داره الى أن دخل حجرته =

وقد تكون مشاعر هؤلاء وغيرهم ناتجة عن الشعور بالغبن الفردي الآتي ومع هذا تظل دلالة اجتماعية بارزة .

ذم الزمان :

لقد كثر القول في ذم الزمان ، وتعداد سؤاته ، ومظالمه حتى ان هذا القول لو وقع على « ظهر جبل لقصمه » ، ولا بد أن يكون ذلك ظاهرة اجتماعية تستحق الاهتمام والتسجيل ، فهي تعبير رمزي عن امتلاء الزمن بالمظالم ، حتى كأن الزمان غدا هو الظالم الجائر .

فإن أراد ابن لنكك أن يعبر عن سخطه على الحياة ومآسيتها قال مندداً بالزمان رامزاً بذلك الى وضع هذه الحياة المشحون (١) :

نحن والله في زمان غشوم لو رأيناه في المنام فزعنا
يصبح الناس فيه من سوء حال حق من مات منهم أن يهنأ
ولقد كان هذا الزمان يقف وقفة قاتلة بوجه المطامح النبيلة التي كانت
تملأ نفوس بعض أهل العلم والأدب ، وتدفعهم الى أن يجدوا سبلاً نظيفة
للحياة ، فهو كما قال جحظة « لمن تقدم في النباهة منقلب » (٢) لا يرتفع
فيه غير الممخرقين الدجالين الذين يبذلون كرامتهم ويتذللون أمام أصحاب
السلطان ليصلوا بعد ذلك الى أماكن لا يستحقونها أو ليحصلوا على أموال

= وتقوض المجلس وماج الناس وسمع ابن نباته وهو في صحن الدار ماراً يقول : والله ان سف
التراب والمشي على الجمر أهون من هذا ، فلن الله الادب اذا كان بائمه مهيناً له ، وبشره بما
كسا فيه . ينظر أيضا الفلاكة والمفلوكون ٩٦ . وينسب أبو حيان هذه الحكاية الى شاعر آخر
من الكرخ شاهده بنفسه يدعى « مويه » . ينظر أخلاق الوزراء ٣٣٤ .

(١) البيتامة ٢ / ٣٥٠ .

(٢) معجم الادباء ٢ / ٢٥٦ والابيات التي جاء فيها هي :

لا تمجيني يا هند من .. حالي فما فيها عجب
ان الزمان بمن تقدم في النباهة منقلب
فاثقل يضطهد الحسنى .. والرأس يملوه الذنب

ليست من حقهم وقد سبق ابن جرير الطبري غيره الى وصف هذه الحال فقال (١) :

ولو أني سمحتُ ببذل وجهي لكنت الى الغنى سهلَ الطريقِ
وعلى هذا فليس هناك محل للعجب من أفعال هذا الدهر ، فهو دهر شاذ
غريمه الانسان الذكي التزيه ، والاديب انسان ذكي حتماً ، فاذا وجه ذكاه
نحو الحق وقف له الزمن موقف العدو ، وابن لنكك واحد من هؤلاء الأدباء ،
ولهذا كان عليه أن يعرف زمنه والا يقول (٢) :

عجبتُ للدهر من تصرفه وكل أفعالِ دهرنا عَجَبُ
يعاند الدهرُ كلَّ ذي أدب كأنما ناك أمه الأدبُ

ان من الطبيعي لزمن مثل هذا أن يرفض وجود وعي بين أبنائه ، يخلق
منهم عملة حسنة خالصة ، فزمن هذا شذوذه لا بد أن تسود فيه العملة
الرديئة . والرجال الدجالون أو الاغنياء هم عملة القرن الرابع التي غمرت
أيامه ، وراجت في قصور أصحاب السلطة ، لقد شذت الحياة حتى صارت
الامور فيها مثلما قال جحظة (٣) :

فالجهل يضطهد الحجي والرأسُ يعلوه الذنوب
والحجي السليم يمتلكه أكثر من أي واحد آخر أهل العلم والأدب ، ومن
أحاط بهم ممن تنزه عن موبقات الحياة وسفسافها ، فاذا كان الزمان آنذاك
مثلما وصفه ابن لنكك (٤) :

(١) وفيات الأعيان ٣ / ٣٣٢ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٣٥٠ .

(٣) معجم الادباء ٢ / ٢٥٦ ومثل ذلك قول المتنبي :

(ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم)

الديوان ٢١٨ .

(٤) اليتيمة ٢ / ٣٥٠ ، معجم الادباء ١٩ / ١٧ ، بغية الوعاة ٩٤ .

زمانٌ قد تفرَّغ للفضول يسود كل ذي حمق جهول
فلا بد بعد ذلك ، أن يكون ديدنه « حرمانٌ ذي أدب وحظوة جاهل »
وأن يكون فيه :

الأردلون بغبطة وسعادة والأفضلون قلوبهم تفرط (١)
وإذا كان التعجب من أفعال الزمان دليلاً على نوع من المخاتلة والخوف
فانه يغدو أحياناً سجلاً رسمياً لأحداث كانت تجري فتجلب معها المآسي
والمجاعات ، فإذا أراد ابن الحجاج - في لحظة من لحظات شعوره بالحياة
الانسانية - أن يسجل ما كان يجري في ذلك الزمن من المصادرات والسلب قال
مقنعاً كلامه بالتعجب (٢) :

عجبتُ من الزمانِ وأي شيء عجيب لا أراه من الزمان
بصادر قوتَ جيرذان عجاج فيجعله لأوعال سيمان
وتؤكد لنا هذه الحقيقة إذا استعرضنا ما سجله لنا المؤرخون من مصادرات
كثيرة عجيبة وقعت في القرن الرابع يكون الرابع فيها أبداً القوي الغني .
ولا يقف الزمان عند المصادرة والافقار أو معاناة أهل الحجي والأدب
فهو كذلك ضد كل حر يشعر بنفسه ويحافظ على كرامته ، وقد وقف له ابن
لنكك وقفة شجاعة - وإن كانت مقنعة - فقال له متهماً مقرأ (٣) :

دنيا تأبت على الاحرار عاصية وطاوعت كل صفعان وضراط

يا زماناً ألبس الأحـ رارَ ذلاً ومهانـ
لست عندي بزمان إنما أنت زمانه
كيف نرجو منك خيراً والعلل فيك مهانـ

(١) بنية الوعاة ٩٤ ، معجم الادباء ٢٢٦ / ٩ .

(٢) معجم الادباء ٢٢٦ / ٩ .

(٣) الليثيمة ٣٥٠ / ٢ ، معجم الادباء ٧ / ١٩ .

أجنوناً ما نراه منك يبدو أم مهانة (١)
 ان اتخاذ الفاظ الزمن والدهر ستاراً للحقد المعتمل في النفوس كان درعاً
 يحمي هؤلاء الذين ينفسون عن همومهم وآسيهم بهذا الشعر الساخط .
 انهم يدركون جيداً ان ما يرونه في هذا الزمن ليس جنوناً او مهانة منه ،
 ولعلمهم حاولوا ان يفسروا هذه الطاهرة التي حيرتهم فلم يستطيعوا ايجاد جواب
 مقنع ، ولم يتمكنوا من تحديد معالمها ومسبباتها تحديداً علمياً شافياً ، ولذلك
 وضعوا اللوم كله على الزمان وقالوا بكلام تغلب عليه السذاجة (٢) :

الدهر دهر عجب فيه الوليد يشيبُ
 العيرُ فوق الثريا وفي الوهاد الأريبُ
 ان ثقافة العصر - وكذلك ثقافة الشعراء - لم تكن من الشمول والعمق
 بحيث تساعدهم على وضع تفسير علمي للمظالم الاجتماعية يبين ان مسبباتها
 الرئيسة تلك التراكمات الاقتصادية السياسية المضطربة .

وعدم رؤية هذا التفسير العلمي لم يمنع الاحساس بثقل وطأة هذه المظالم
 التي جعلت الزمن ينحرف شاذاً عن مسيره الحقيقي يقوده في سيره اناس
 غريبون عن الوجه الطبيعي للحياة ، وقد تمكن ابن دريد ان يجد تفسيراً لفساد
 الزمان ولكنه جاء به مقلوباً مشوشاً حين قال (٣) :

الناس مثل زمانهم قدُ الحذاء على مثاله
 ورجالُ دهرِك مثل دهرِك في قلبه وحالِه
 وكذا إذا فسد الزمانُ جرى الفسادُ على رجاله
 ولقد كان ابن لنكك ، وهو الشاعر الذي تلبسه الألم ، فيحمل راية
 التمرد ، أكثر ادراكاً ووعياً من ابن دريد لاسباب شذوذ الزمان وانحرافه عن
 الصواب فلقد رأى في زمنه العجائب ، ورأى كيف «أصبحت الأذئاب فوق

(١) خاص الخاص ١٤ ، معجم الادباء ٧/١٩ . والزمانه الافه .

(٢) بغية الوعاة ٩٤ .

(٣) أدب الدنيا والدين ١١٣ .

الدوايب « (١) فأحس ان ما يحصل في الزمن لا لقصور منه ، لكنه ناتج عن خطأ كبير في المجتمع نفسه ، لذلك لم يصبر على هذا الهذر الكثير الذي حبه الناس على الزمان فقال بشجاعة من يعترف بالذنب (٢) :

يَعِيبُ النَّاسُ كُلَّهُمُ الزَّمَانُ وَمَا لَزِمَانُنَا عَيْبٌ سِوَانَا
نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَا وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ إِذَا هَجَانَا (٣)
ذُنَابُ كُلَّنَا فِي خَلْقِ نَاسٍ فَسَبْحَانَ الَّذِي فِيهِ بَرَانَا
يَعَافُ الذُّبُّ بِأَكْلِ لَحْمٍ ذُبَّ وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عِمِيَانَا

إنها الصراحة المتناهية والصرخة الباسلة تلك التي هدر بها ابن لنكك ماسكاً خيطاً سميكاً من خيوط الانحراف الزمان ، مسجلاً في شجاعة نادر شذوذ مجتمعه فكان بذلك علامة مضيئة من علامات الكفاح الانساني في زمن عز فيه الشجاع ، وندر فيه الغيور ونجد من الشعراء من يقف موقف ابن لنكك من اهل زمانه ، فلا يضع وزر الانحراف على الزمان رافزاً ، إنما يجاهر بشكواه من اهل الزمان ، فأبوا احمد بن حماد البصري يقول بصريح اللفظ (٤) :

لَا أَشْتَكِي زَمَنِي هَذَا فَاظْنَمِهِ وَإِنَّمَا أَشْتَكِي أَهْلَ ذَا الزَّمَنِ
وَقَدْ سَمِعْتُ أَفَانِينَ الْحَدِيثِ فَهَلْ سَمِعْتُ قَطُّ بِحَرٍِّ غَيْرِ مَمْتَحَنِ

هذا صوت واضح يؤيد ما قلناه من ان الشكوى من الزمان كانت عملية مجتألة ورمز ، وان الشجاع وحده هو الذي يستطيع مجابهة اهل الزمان او

(١) القيمة ٣٤٩ / ٢ .

(٢) بغية الوعاة ٩٤ ، معجم الإدياء ١٩ / ٨ .

(٣) ذكر صاحب المحدثين البيتين الاولين في ترجمته للامال الشافعي واثبتتهما بهذا الشكل :

نَعِيبُ زَمَانُنَا وَالْعَيْبُ فِينَا وَمَا لَزِمَانُنَا عَيْبٌ سِوَانَا
وَنَهَجُوا ذَا الزَّمَانِ بِغَيْرِ جَرَمٍ وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ إِذَا هَجَانَا

ينظر المحدثون ١٤٠ .

(٤) تشمة اليتيمة ١٤ / ١ .

حكامه بحقيقة زيفهم ، وقسو مظالمهم لذلك جازت له الاشادة بابن لنكك ومن تبعه من الشعراء الساخطين .

السخط والسلطة :

نظلم المجتمع العراقي اذا نظرناه بمنظار قائم لا يظهر الا الجانب السلبي منه ، وقد نكون - الى حد ما - مع من يرى فيه مجتمعاً مفككاً ، تسوده الشكوك وبعضه اليأس ، لكننا نؤمن ابدأً أن المجتمع لن يموت وأن « بوراً ثورية » واصواتاً شجاعة لا بد أن تظهر معلنة سخطها وتمرداها على من كان السبب في صنع الظروف الشاذة التي اوصلت المجتمع الى هذه المرحلة .

ولقد كان ابن لنكك وبعض من شعراء العصر أصواتاً منبهة ، وعلامات كبيرة من علامات السخط والتمرد .

فاذا ما أحس أحد هؤلاء الشعراء بوطأ الظلم ولم يجد في نفسه شجاعة كافية تجعله يواجهها اختزن مشاعره وقال (١) :

كم نفحة لي على الايام من ضجر تكاد من حرّها الايام تحترق
أما اذا كان شجاعاً ، مغامراً بحياته او رزقه كابن لنكك فانه يتمرد ويعلن بأسه من صلاح الامور الفاسدة لذلك فهو يقول (٢) :

مضى الاحرارُ وانقرضوا وبادوا وخلّفتني الزمانُ على علوج
وقالوا : قد لَزِمَت البيت جِداً فقلت : لفَقْدِ فائدةِ الخروجِ
فمن ألقى إذا أبصرتُ فيهم قروداً راكبين على سروج ؟

ولا بد ان يكون القروود والعلوج ، هم اهل السلطة او من تبعهم وانفع منهم ، ويكون قريباً من هذا الوصف ، متفقاً معه الى حد بعيد في المعنى والقصد ما قاله محمد ابن عبد الواحد التميمي عن بعض متقدمي مجتمعه من حكام او اغنياء (٣) :

(١) اليتيمة ٢ / ٣٥٠ .

(٢) نفسه ٢ / ٣٤٩ .

(٣) تنمة اليتيمة ١ / ٦٥ .

كم حمار هو أولى بشهيق ونهيق —————
يكتسي في الشتوة الخرز وفي الصيف الديقي

واذا كان رؤساء الزمان واهل سلطته جهالاً ، او اغبياء ، يسحبون بأذيالهم مظالمهم ، كان من الطبيعي أن يفقد الناس الثقة بهم ، فالسلطان — وقد يقصد بهذه اللفظة الخليفة او الملك البويهي لم يكن مؤتمن الجانب ، حتى لقد نظره رجاله نظرات كلها ريبة وتشكك فقال الصاحب بن عباد احد وزراء آل بويه (١) :

اذا أولاك سلطان فزده من التعظيم ، واحذرده وراقب
فما السلطان الا البحر عظماً وقرب البحر محذور العواقب
وأسوأ من هذه النظرة ، نظرة العامة الى السلطان ومن يوليه السلطان ، فلقد كانت تراه وباءاً يجب الابتعاد عنه وعمن يمسه حتى بلغ بها الامر الى ضرب الامثال فقالت : « من ولاه السلطان فقد صبّعه (٢) الشيطان » (٣)
والى مثل هذا المعنى اشار الشاعر بقوله (٤) :

قد كنت أزم صاحب وأبرّه حتى دهتك أصابع الشيطان
جذّ الإله بنانها فأبانها كم غيرت خلقاً من الانسان
وعلى هذا الاساس ، وانطلاقاً من هذه النظرة المتشككة سحب الناس ثقتهم بأصدقائهم وقطعوا صلاتهم باخوانهم حالما رأوهم من اصحاب السلطان وولاتهم مؤمنين ايماناً قاطعاً بالمثل الشعري السائر آنذاك والذي يقول (٥) :

(١) التمثيل والمحاضرة ١٤٣ .

(٢) صبّعه : مسه بأصابعه أو أشار اليه بأصبعه .

(٣) التمثيل والمحاضرة ١٥١ ، ثمار القلوب ٧٤ .

(٤) نفسهما .

(٥) التمثيل والمحاضرة ١٥١ .

هذه الثقة الميتة بالسلطان وولائه هي حاصل منطقي لما كان يقوم به هؤلاء من ظلم وتجن وتكبّر حالما تأخذهم نشوة السلطة والحكم .

ان هذه الثقة من النوازع البشرية التي تتعرض للضمور والموت ، ولا بد أن تموت ثقة الناس بحكامهم عموماً وبملوكهم خصوصاً ، فالملوك - وهم عماد السلطة - لم يعودوا ذلك الرمز الخيّر الذي يقتدي بسيرته لأنهم بدأوا يلعبون لعبة الزيف والدجل ، فاتخذوا لأنفسهم قضاة وولاة مشبوهين في اخلاقهم قاصرين في افكارهم وعلمهم ، وقد ابعدوا في الوقت نفسه عن مسامعهم نصائح رجال العلم والخير وسدوا ابوابهم بوجوههم في حين فتحوها امام اهل الرقاعة والسخافة والمخرفة ، وقد ادى كل ذلك الى تشوية معالم الحقيقة وتدنيس الصورة النبيلة للحياة وهذا ما جعل ابن لنكك يغضب ويردد بشجاعة (١) :

يا طالباً بالعلم حظاً مُسعداً	من ذا الزمان، رأيت رأياً مخرقاً (٢)
انفاق عليم في زمان جهالة	ترجو، ودهر عمى، وسخف مطبق
كن ساعياً ومصافعاً ، ومُضارطاً	تنل الرغائب في الحياة وتنفق
او ما رأيت ملوك عصرك أصبحوا	يتجملون بكل قاضٍ أحرق
لا تلق أشباه الحمير بحكمة	موه عليهم ما قدرت ومخرق

ان كلمات ابن لنكك هذه تحدّ لأكبر واقوى عناصر السلطة ، وهو الملك وقد يقصد بالملك الخليفة ، او الملك البويهي ، وأرى أنه قصد الثاني وفي هذا غاية الشجاعة لأنها اول مواجهة صريحة ابيّة لآل بويه الذين اخذوا يضمّنون القضاء لأناس لا يمتلكون من مقوماته غير المادة ، وهي غاية في الشجاعة لأن آل بويه قساة لا يهمهم - في سبيل مصلحتهم - ان يقتلوا او يشرّدوا او

(١) البتيمة ٢ / ٣٥٢ .

(٢) يقول محقق البتيمة ان هذه الكلمة ربما تكون « مخرق » . وهذا هو الاصوب ، ينظر

لسان العرب ١٠ / ٣٣٩ ، ٧٨ .

يسجنوا ، وتبلغ شجاعة ابن لنكك حداً كثيراً حين لا يتردد في قوله للحكام زمانه (١) :

لُعْنَمُ جميعاً من وجوه لبلدة تكنفهم جهل ولؤم فأفرطاً
وان زماناً أنتم رؤساًؤه لأهل بأن يُخري عليه ويضرباً
الى كم تعيبون اللثام وأنسني أراكم بطرق اللؤم اهدى من القطاً
وهو حين يشتمهم بهذه الجراءة فلأنه مدرك صدق قوله وواثق من ان
هؤلاء الحكام ما هم الا صورة مشوهة للانسان وهم كما قال فيهم (٢) :
لا تخدعنك اللحي ولا الصورُ تسعةُ أعشار من ترى بقرُ
تراهم كالسحاب منتشرأ وليس فيه لطالب مطرُ
في شجر السرو منهم مثل له رواء وماله ثمــــرُ
وعلى هذه الرؤية الجيدة للحكام عصره ، القى براقع الخوف عن نفسه ،
وواجه هذه العناصر الطارئة الشاذة التي تحكمت برقاب الناس وليس لها في
الحكم معرفة ولا دراية .

الوزراء والسخط :

إذا لم يسلم الملك او السلطان من التعرية وتبيان النقائص فلا يمكن للوزير
ان يتخلص من السن التشهير والتنديد ، وقد كان الكلام على رذائل السلطان
ولؤمه وجذب تفكيره يأخذ طابعاً شاملاً ولكنه حين وصل الى الوزراء بدأ
يحدد ، ويشير ويشخص بالاسماء .

وفي الثلث الاول من القرن الرابع اشتدت حملة التنديد بالوزراء بشكل
يلفت النظر ، يعود ذلك الى كون امور الدولة كلها بيد الوزراء ، ولهذا فهم

(١) البيهقي ٣٥١/٢ ، خاص الخاص ١٤٠ ، ثمار القلوب ٤٨٤ . وفي هذه المصادر
اختلاف في بعض اذلغاف لا يغير المعنى كثيراً .
(٢) البيهقي ٣٥١/٢ .

الحدار الذي تتجمد على صفحته نظرات كل المتطلعين الى المال أو المنصب أو الجاه أو الحياة المستقرة المطمئنة .

واذ مر العراق في عهد وزراء هذه الفترة بأسوأ وضع اقتصادي وسياسي كان من الطبيعي أن نجد تدمراً وتألفاً وسخطاً يصل حد الشتيمة يصدر من هذا الشاعر أو ذاك في حق أغلب هؤلاء الوزراء .

وحين ينظر ابن بسّام ، وهو شاعر صريح مرهف ، الى أوضاع المجتمع ويلتفت الى الوزارة المسؤولة عن هذه الاوضاع فيراها حكراً على بني الفرات ، يستغلونها ويملأون خزائنها من عطائها ورشاواها وينهبون بحمايتها الاقطاع والعقار فيذلوا الانسان بعد أن يسلبوه ، حين يرى كل هذا يقول (١) :

يا ربّ انك عدل	على البريّة شاهد
بنو الفرات ثقال	وكلهم لك جاحد
ثلاثة ليس فيهم	الاّ ثقل وبارد
يا ربّ ان كان لا بدّ	من ثقل فواحد

ومثلما كان هؤلاء الثلاثة (الابناء) يرمون بثقلهم على كاهل المجتمع العراقي جاء الى الوزارة في فترة متداخلة مع فترة آل الفرات حامد بن العباس وزير اقطاعي تاجر يحمل معه كل غباء الاقطاع (٢) وجشع التجار ، فسام الناس ظلماً ، واحتكر خبزهم فنشر المجاعة والموت ، وما قدر بعد ذلك على تدبير أمور الوزارة فأوكلت الى رجل حصيف هو علي بن عيسى ، وظل حامد يجمع المال ، ويسلب الناس فهجي وشتم ، وقال الشاعر يخاطب علي بن عيسى (٣) :

(١) الوزراء ٨٦ .

(٢) ينظر عن بلادة حامد بن العباس ما روى عنه في الهفوات النادرة .

(٣) الفجري ٢٦٩ .

قل لابن عيسى قوله يرضى بها (ابن مجاهد)
أنت الوزير وإنما سخروا بلحية حامد
جعلوه عندك ستره لصالح أمير فاسد
مهما شككت فقل له : كم واحداً في واحد ؟

ومن خلال هذه الكلمات المستهزئة بالوزير حامد يظهر لنا مقدار انهياء السلطة وفساد أمرها ، وإذا سخر من جعل ابن عيسى وكيلاً للوزارة بلحية حامد ، فقد سخر الناس أيضاً بصاحب هذه اللحية فتناقلوا أخبار مطامعه ونوادر غبائه ، وثاروا عليه ورجموه بالحجارة سلاحهم العتيق في كل أزمان غضبهم ، فسقط حامد ، وانتهى كما ينتهي أي غبي ظالم مخادع ، لكن الوزارة لم تنتزه ، فلقد صعد إليها وزراء كثيرون أغلبهم ضعيف أو غبي أو دجال مرتش .

ومن الطبيعي ألا يسكت بعض الناس على وجود الوزراء غير الشرعي ، فحين يتولى الوزارة الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وهو رجل « لم يكن بارعاً في صناعته ، ولا شكرت سيرته في وزارته » (١) يتذمر جحظة البرمكي من وجوده واختلال الأمور في زمنه ويقول هاجياً (٢) :

إذا كان الوزير أبا الجهم — سال — ومحتسب البلاد « الدانيالي »
فعدّ عن البلاد ، فعن قليل ترى الأيام في صور الليالي
تقضت بهجة الدنيا وولت وأذن كل شيء بارتحال
وقد يكون مبعث هذه الأبيات مشاعر أنانية فردية مؤطرة بالغيرة والحسد لكنها مع ذلك تسجل وقفة جريئة أخرى بلحظة وشهادة واضحة على انحطاط الوزارة والمناصب الادارية الاخرى .

(١) نفسه ٢٧٤ .

(٢) نفسه .

ومثل جرأة جمحظة في نقده اللاذع كانت جرأة أبي الفرج الأصفهاني وهو يهجو البريدي حين تولى الوزارة ويقول (١) :

يا سماء اسقطي ويا أرض ميدي قد تولى الوزارة ابنُ البريدي
ومهما تبلغ شجاعة نقّاد الوزارة ووضوح صورهم عنها فأنهم لا
يستطيعون أن يعبروا مثلما عبّر ذلك الشاعر الذي هزّه الألم وهو يرى الخيول
الكثيرة في اصطبلات وزير المستكفي الضعيف أبي الفرج محمد بن علي
السامريّ (٢) تعامل معاملة لا يحلم بها كثير من بني الانسان آنذاك ، كما أحزنه
أيضاً أن يجد مثل هذا الوزير الابله وهو يملك الخيول والترف والسلطة بينما لا
يجد غيره ممن يملكون العقول المفكرة مركوباً أو أجرة ركوب ، وبهذه الدوافع
الذاتية المتفاعلة مع المشاعر المتألمة لما تجده من شذوذ ينطق الشاعر فيقول : (٣)

الآن إن كَفَرَ الْمُقْتَرُ رِزْقُهُ قالوا : كَفَرْتَ فَخُفِّ عَذَابَ النَّارِ
أَكُونُ رَجُلِي مَرْكَبِي وَجَنِّي خُفِّي عَلَى ذُلِّ بِلْدَاكِ وَعَارِ
وَالسَّرِّ مِنْ وَرَائِي فِي لِصْطَبِلِهِ مَائِثًا عَتِيقَ فَارِهِ مَخْتَارِ
كَلْبٌ حِمَارٌ بِالْخَيْلِ ، وَكَاتِبٌ فَطِنٌ يَضِيقُ بِهِ كِرَاءَ حِمَارِ
أَنَا قَدْ دَهِشْتُ فَعَرَّفُونِي أَنْتُمْ هَذَا مِنَ الْإِنْصَافِ فِي الْأَقْدَارِ ؟

وهكذا كانت المشاعر الفردية الحاقدة تتلاحم مع الامتعاض السائد من
الوزراء بخاصة والسلطة بعامه فتتكون لنا من هذا التلاحم صور نقدية لاذعة
تبرز أهم المعالم الاجتماعية والسياسية التي عمت العصر .

(١) نفسه ٢٨٥ .

(٢) أبو الفرج أحمد بن محمد وترجمته في الفخري ٢٨٧ . وذكره ابن الاثير في الكامل
٨ / ٤٢١ ، ٤٤٧ ، ٤٦٨ وفي تبعه قال الساري والسرراني والسرمن رأيي ، أما صاحب المروج
فقال السامري وقد ذكر ميخائيل عواد أن اسمه احمد بن محمد السامري ، ينظر أقسام ضائعة من
الوزراء ص ٢٥ .

(٣) الفخري ٢٨٧ .

ما قيل في القضاة :

حين بلغ الامر بالقضاة أن صار يضمّن لمن يبذل مالا أكثر كان من المتوقع أن تنهار كل الاعتبارات الأخلاقية التي كانت متمثلة في القضاة (١) .

فبعد أن كان القاضي شخصية مستقلة مهيبة لها سمعتها الطيبة ، وحرمتها لمصونة ، نزل به الامر ، وصار جزءاً من كيان الدولة العباسية المتحور الممتليء بالعيوب والجهل والتردي الأخلاقي (٢) .

وكان لا بد للقاضي - وهو يشتري منصبه بمبالغ طائلة - أن يغدو سوطاً قاسياً وبدلاً غاصية ، فبدأت نفسيته تهبط ولعبت بأهوائه الرشوة ، حتى وصل ظلمه حدّاً لا يطاق فاستغاث الناس من القضاة ورجلهم ومظالمهم وقال شاعرهم مبيناً ما بين القضاة الاوائل وقضاة القرن الرابع من فرق (٣) :

كنا نقرّ من الولاة الجائرين الى القضاة
فالآن نحن نقرّ من جنود القضاة الى الولاة

واذا كثر النهب واستمرّ القضاة أسلوب الرشوة في تقرير الاحكام ، وحرفها الى جانب الراشي ضج الناس من هذه الافعال الدنيئة التي بدأ القضاة يجترئون بها على مقام العدل والانصاف وكثرت الاقوال الناقدة والالفاظ المستهزئة ، وصار اسم القاضي مرتبطاً بلفظ الرشوة والظلم ، ووصف الشعراء هؤلاء القضاة المرتشين بصور شعرية واضحة حادة فقال شاعر هضم حقوقه أحد القضاة (٤) :

إذا ما صُبّ في القنديل زيتٌ تحولت الحكومة للمقنذل

(١) من الشروط التي يجب أن تتوفر في القاضي ان يكون صادق اللهجة ، ظاهر الامانة عفيفاً عن المحارم متوقياً المآثم ، بعيداً عن التريب ، مأموناً في الرضا والغضب ، ينظر في شروط القضاء الاخرى الاحكام السلطانية ٦٥ وما بعدها ، نهاية الارب ٦ / ٢٤٨ وما بعدها .

(٢) ينظر في أمية بعض قضاة هذا القرن الهفوات النادرة ٣٢٧ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ١٩٣ .

(٤) التحف والهدايا ١١٩ .

وعند قضائنا حكمٌ وعدل وبذر حين ترشؤهم بسبل
وقال آخر يصف أساليبهم المحبوك في استلاب أموال الناس بالقوة
والرشوة (١) :

فلا تجعلني للقضاة فريسة فان قضاة العالمين لصوص
مجالسهم فينا مجالس شرطة وأيديهم دون الشصوص شصوص

• • •

أو :
قضى لمخاصم يوماً فلماً أناهُ خصمه نقض القضاء

• • •

أو :
إذا كان القضاء الى ابن آوى فتعديل الشهود الى القروء
انها نغمات تحمل مع طابعها الاستهزائي روح تحذل لقضاة شدوا - مثل
بقية رجال الحكم - عن الاسلوب الصائب في معالجة أمور الناس وقضاياهم
الدينية والدنيوية .

ويبلغ التحدي مرحلة شجاعة حينما يواجه فلان بن فلان من القضاة
فيهزأ به ويبين عيوبه وشدوده فاذا ما مات الراضي عزل ابو نصر يوسف بن
عمر الأزدي عن القضاء وعيّن محله محمد بن عيسى المعروف بابن موسى
الضرير تألم غاية التألم وشدته مصلحته الشخصية المضروبة الى جانب الحق
فقال (٢) :

يا محنة الله كُفّي	إن لم تكفي فخفّي
ما آن أن ترحمينا	من طول هذا التشفي
نورٌ ينال الثريا	وعالم متخفي

(١) التثيل والمحاضرة ١٩٣ .

(٢) نزعة الالباء ٢٠٩ .

وإذا كان في هذه الأبيات كثير من الالم الذاتي ، والمشاعر الانانية فإن ذلك لا ينفي صدق تعبيرها عن زمن ضاعت فيه معايير الحياة ومنها معايير القضاء .

وقد يكون ابن سكرة أكثر شجاعة وجراءة حينما انتقد القاضي أبا السائب وأظهره مرتشياً جائراً لا يرفعى للحق حرمة ، ولا للعدل منزلة أمام المال .. يقول ابن سكرة (١) :

ان شئت أن تبصرَ أعجوبة من جور أحكام أبي السائب
فاعمد من الليل الى ضرة وقرّر الأمر مع الحاجب
حتى ترى مروانَ يُقضى له على عليّ بن أبي طالب
ولم يكن أبو السائب منفرداً في أخذ الرشوة والانحراف عن طريق القضاء
الصائب ولم يكن وحده الذي ساقه ابن سكرة بلاهب النقد ولاذع الكلام ،
فلقد واجه ابن سكرة مثل هذه الجراءة والصراحة قاضياً آخر أكثر من أبي
السائب شذوذاً وانحرافاً ورشوة ، ذلك هو ابن أبي الشوارب واحد ممن كان
يضمن القضاء (٢) ويتهم بالرشوة ، ولقد رسم ابن سكرة صورة مخزية
تدل على خسة هذا القاضي ووضاعته ، وتشير الى مدى ما وصلت اليه سلطة آل
بويه من انحراف اخلاقي وديني ، هذه الصورة تظهر ومعها علامات اجتماعية
أخرى في قوله (٣) :

نُوبٌ نُنوبك بالنوائب وعجائبٌ فوقَ العجائب
وغرائبٌ موصولـة في كلِّ يومٍ بالغرائب
مما جنى قاضي القضاة حد ندلُّ بنُ أبي الشوارب
قاضيٌ تولّى بالصّبـو حـ وبالطبول وبالبدابـ

(١) المنتظم ١٨٦ / ٧ وابو السائب هو عتبة بن عبد الله الحمداني ت ٣٥٠ ولي القضاء في بغداد ٣٣٤ هـ وصار قاضي القضاء ٣٣٨ هـ ، المنتظم ٣٤١ / ٦ .

(٢) هو محمد بن الحسين ترجمته في المنتظم ٣٨٩ / ٦ والبدابة والنهاية ٣٣٣ / ٨ توفي

٣٤٧ هـ

(٣) تكملة الطبري ١٨٤ .

ومناديان يناديان عليه في وسط الكواكب (١)
 هذا الذي ضمن القضا مع الفروج بغير واجب
 هذا قدار زمانه وأخو المثلث والمعائب (٢)

إنها صورة ساخرة تظهر مع معائب هذا القاضي وجنباياته حدائة انحراف
 القضاء عن طريقه القويم (٣) وما جلب هذا الانحراف معه من المظالم العجيبة
 والافعال الشاذة الغربية، والاستغراب ليس مبعثه انفعالا وقتياً أحس به ابن
 سكرة بل هو ناتج عن انسلاخ القضاة من لبوس الحق والصواب واتخاذهم
 شذوذ بقية حكام العصر ملبساً ومجاهرتهم بوضعهم الرديء الجديد .

في منصب يلفه الشذوذ ويستحصل بالضمان والرشوة لا بد أن يحدث
 الاهتزاز الدائم والتغيرات المستمرة السريعة ، ولذلك غدت الوجوه التي
 تذهب وتجيء الى مركز القضاء كثيرة ومتعددة ، وصار اسلوب العزل والتولية
 في القضاء مبعث تندر واستهزاء وضحك فاذا صرف أبو الحسن محمد بن عبد
 الواحد الهاشمي عن قضاء البصرة عام ٣٥٦ هـ وولي مكانه رجل لم يكن عند
 أهل البصرة بمنزلة محترمة اكثروا من الضحك عليه والنقد له وللقضاء الذي
 يتولاه . وقد رسم له ابو القاسم ابن بشر الآمدي صورة (كاريكاتيرية)
 مضحكة حين قال (٤) :

رأيت قلنسية تستغيث من فوق رأس تنادي خذوني
 وقد قلقت فهي طوراً تميم ل من عن يسار ومن عن يمين
 فقلت لها أي شيء دهاك فردت بقول كئيب حزين :
 دهانى أنى لست فى قالبى وأخشى من الناس أن يبصرونى

(١) أظن أن هذه الكلمة في (المواكب) وهذا ما يقرب به المعنى .

(٢) الصحيح معائب .

(٣) يذكر التوخى أن أول من وضع منه وأدخل فيه قوماً بالضمانات هو ابن الفرات .

ينظر نشوار المحاضرة ١ / ١١٤ .

(٤) نشوار المحاضرة ١ / ١٨٥ ، وفي الكناية للشعالي ص ٤٥ نسب بعض هذا الشعر لابن

سكرة قاله في القاضي ابن قريمة والتوخى أثبت لأنه أقدم .

وأن يعبثوا بمزاح معي وإن فعلوا ذاك بي قطعوني
فقلت لها : مرض تعرفين من المنكرين لهذي الشؤون
ومن كان يشفق أما رآك ويخرج من جوفه كالرنين

* * *

ويسلح ملاك كليل التمام إماً على صحة أو جنون
ففارقها ذلك الانزعاج وعادت الى حالها في السكون
واذا كنا قد رأينا من خلال هذه الصورة ما عليه هذا القاضي من صغر
وتفاهة فاننا نرى أيضاً لباس رأس القاضي قلنسوة كبيرة تبعث على الهيبة لو
أن صاحبها كان يملك زمام نفسه وأطماعها وكرامتها .. ولا تنتهي مرحلة
التقلب والتبدل (القضائي) كما لا تنتهي معها كلمات الهزء والسخرية ، فاذا
حلت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة صرف قاضي البصرة أبو عمر بن عبد الواحد
وتقلد مكانه أبو الحسن بن أبي الشوارب فقال فيها الشاعر العصفري
متندراً (١) :

عندي حديث طريف	يمثله	يتغنى
من قاضيين يعزى	هذا	وهذا يهنأ
فلذا يقول اكرهونا	وذا	يقول استرحنا
ويكذبان ونهذي	فمن	يصدق منا ؟

وهكذا نجد أن القضاء منذ السنوات الاولى للقرن وحتى سنواته الاخيرة
يبقى ملتصقاً بالشبهات والمظالم والرشاوى ، ويظل القاضي الجيد في هذا العصر
نوعاً من الاعجوبة ، لا يصدق مجيئوه وينظر الناس سرعة عزله ان تسلم مثل
هذا المنصب .

ويشبه القضاء في فساد و رداءة حاله الفقه أيضاً ، فلم يكن حال بعض

(١) المنتظم ٢٤٤ / ٧ ، الكامل ٢١١ / ٩ وابن أبي الشوارب هذا هو احمد بن محمد
ابن عبد الملك بن أبي الشوارب ت عام ٤١٧ هـ وترجمته في المنتظم ٢٥ / ٨ والبداية والنهاية
٢٠ / ١٢ .

الفقهاء ومدّعيه بأحسن من حال القضاة في ابتداع أساليب السطو والاحتيال
وبهذا يقول ابن لنكك (١) :

أقول لعصبة بالفقه جالت وقالت ما خلا ذا العلم باطل
أجل لا علم يوصلكم سواه الى مال اليتامى والارامل
أراكم تقلبون الحكم قلبا اذا ما صب زيت في القنادل

وقد يقصد ابن لنكك هنا أهل الفقه فعلا ، وقد يقصد القضاة الذين
يستغلون الفقه الاسلامي لسلب الناس ، وهذا فهو يسجل صورة مظلمة
لاستغلال الشرع الاسلامي من أجل المصالح الفردية والاطماع الانانية النافهة .

السخط السليبي :

مثلا كان هناك شجعان ذوو ارادة وصراحة يقولون ما يستشعرونه من
الامهم أو آلام الآخرين بكلمات تفيض بالسخط أو التمرد وتمتليء بالعزم
والثبات كان بالمقابل - وهو الأغلب الأهم - أناس يشسوا من الحياة وعدوا
مجابهة العنف بالعنف شيئا لا يجدي الانسان نفعا في زمن رخصت فيه قيعة
الانسان وأبتذلت كرامته وقد يكون قسم من هؤلاء المنهزمين غير مفكر على
الاطلاق بالمجابهة مقتنعا اقتناعا كليا بوضعه المزري المشين .

على أن بعض هؤلاء سجل لنا مع انهزاميته الجانب المظلم لحياة المجتمع ،
ووضع اشارات واضحة لما كان يسوده من أجواء مشحونة بالرعب والموت
فالشاعر الذي يقول (٢) :

قد أصبح الناس في غلاء وفي بلاء تداولوه
من يلزم البيت يود جوعا أو يشهد الناس يأكلوه

(١) معجم الادباء ١٩ / ٨ والبيت الاخير كأنه مأخوذ من قول الشاعر (اذا ما صب في
القنديل ... البيت) .

(٢) الادب في ظل بني بويه ٤٨ .

أو الذي يقول :

لا تخرجن من البيوت حاجة أو غير حاجة
والباب اغلقه عليك موثقاً منه رتاجه
لا يقتنصك الجائعون فيطبخونك شور باجه

هذا الشاعر وان لم يقدم لنا حلاً لهذه الأحوال والأهوال والمجاعات وان يبين لنا ضعفه وهروبه فانه سجل جانباً من حياة المجتمع العراقي عاشها وقتاً ليس بالقصير ، فلقد تراكمت عليه المجاعات حتى اضطر بعض الناس الى أكل الجيف والكلاب والقطط والاطفال .

ومثل هذا الشاعر في هزيمته وسخطه السليبي كان الكثير من ابناء بلده واتباعه الشعراء ، وقد كان منهم من يقابل الأوضاع الشاذة هذه بالحسرة والأسف ويغمر إحساسه بوضاعة مركزه الاجتماعي واندحار مبادئه الاخلاقية بجو من اللهو ينسى فيه هموم زمنه ، مثل هذا الانسان كان يقول (١) :

أصبحت من سفلى الانام اذ بعث عرضي بالطعام

الى أن يقول :

حي القدور الراسيات وان صممن عن الكلام
لهفي على سكباحة تشفي القلوب من السقام
يا عاذلي أسرفت في عدل الخليع المستهام
دع عدل من يعصي العذول ولا يصيخ الى الملام
خلع العذار وراح في ثوب المعاصي والأثام
سلس القياد الى التصابي والملاهي والحرام
اننا نجد في الأبيات الأولى سخطاً وحرماناً وألماً ونجد في الأبيات الأربعة الاخيرة بخاصة تغليفاً بارزاً للهزيمة أمام سبببات هذا الالم والحرمان .
وان كان هذا الشاعر يعوض عن تصاغره ومذلته بالهروب « اللهوي » ان

(١) الامتاع والمؤانسة ٢ / ٥٠ .

جاز التعبير فهناك من يهرب بصورة أكثر اتزاناً وحفظاً للكرامة بأن يبتعد عن الناس ، ويقتعد بيته أو يشل فاعليته في المجتمع ولا يشترك بأية عملية من شأنها أن تؤثر على مركزه أو تقلق باله فيرتاح أبو حيان لنغمة الهروب وهو يسميها شجواً في ليبب كره المقام في هذه الدار التي قد امتلأت بالذئاب فقال (١) :

نظرت فلم يعلق بقلبي سوى القذى وجلت فلم أجلب لنفسي سوى الأذى
ولم أر وجهاً مستحقاً « لمرحبا » ولا وجه أمر مستحقاً لـ « حبيذا »
رأيت شرار الناس يمحضون حكمهم على الجانب الأدنى الى الشر منفذا

* * *

فحمد نائبا عن سمتهم متحرزا وسر بينهم من شرهم متعوذا
وعش هكذا طول الحياة فرما سلمت عن الاشرار ان عشت هكذا
ولم يسلم أبو حيان مع تحرزه وتعوذه من شرور الحياة ومآسيها ولهذا فان محمد بن عمر العنبري (٢) حين يرى اختلال الزمان وتدهور القيم عند أهله يقبع بعيداً بعد أن ينسل من زحام الحياة خوفاً من أن ينوشه ضرره مثلما فعل بأبي حيان ثم يقول مسوغاً هذا الابتعاد (٣) :

اني نظرت الى الزمان وأهله نظرا كفاني
فعرفته وعرفتهم وعرفت عزّي من هواني
فلذاك أطرح الصديق فلا أراه ولا يراني
وزهدت فيما في يديه ودونه نيل الاماني
فتعجبوا لمغالبي (٤) وهب الاقاصي للأداني
وانسل من بين الزحام فما له في الغلب (٥) ثاني

(١) الاشارات الالهية ٨٨ .

(٢) ت ١٢٤ ترجمته في المنتظم ٨ / ٤ ، البداية والنهاية ١٢ / ١٢ .

(٣) نفسها .

(٤) في المنتظم لمقالة ولا يستقيم معها المعنى .

(٥) في المنتظم الخلق .

لقد أصبحت الهزيمة علنية وأسبابها واضحة وأخذ الناس يحسبونها نوعاً من الشجاعة ، فما كان يتسنى لكل واحد أن ينهزم لأن في الهزيمة آنذاك حفاظاً على الكرامة الذاتية والقيم الفردية وهي كشف عن الجوانب السيئة التي دعت الى سلوك سيئها ، ولهذا يمكن ان نعلها نوعاً من الشجاعة « المهزوزة » التي تخدم المجتمع بما تقدمه له من صور مظلمة لقساوة الزمان ومن أمسك بزمام الزمان .. نجد مثل هذه الهزيمة الساخطة في قول ابي النصر الهزيمي الايبوري (١) :

أما رأيت الزمان نكسا	وفيه للرقعة اتضاع
كل رئيس به ملال	وكل رأس به صداد
لزمت بيتا وصنت عرضا	به عن الذلة امتناع
أشرب مما اقتنيت راحا	ومن قراقيرها سماع
وأبجتي من عقول قوم	قد اقفرت منهم البقاع

ان في هذه الايات والتي قبلها أكثر من دليل صريح يشير الى أن المجتمع بات مرتجأ مهزوزاً ، الانسان الشجاع فيه من يستطيع — وهذا يحصل نادراً — أن يحافظ على كرامته ويصون عرضه ولو كان ذلك باقتعاد البيت أو الابتعاد عن الناس ، ومن ثم وأد المشاعر والاحساسات الانسانية بالشرب والسماع واللهو .

ان مثل هذا الشاعر يمثل بالقياس الى الطبقات الاعتدائية أو الذليلة وجهاً انسانياً ايجابياً من وجوه الحياة آنذاك « ففساد الوقت وتغير أهله يوجب شكر من كان شره مقطوعاً وان كان خيره ممنوعاً (٢) » .

وقد يعلل مثل هذا الانسان في القرن الرابع عدم ايجاد الحل الشجاع لمثل انحرافات زمنه بعدم جدوى الحياة وبفناء عمر الانسان السريع يسير بعد ذلك

(١) خاص الخاص ١٨٠ وتنسب هذه الأيات أيضاً الى ابي نصر الفارابي ينظر عيون الانبياء في طبقات الاطباء ٣ / ٢٢٩ .
(٢) أدب الدنيا والدين ١٥٠ .

على قول سعيد التستري (١) :

مالك قد هيمك الهم وضل منك الخزم والفهم
لورمت أن يبقى الأذى ما بقي لا فرح دام ولا هم
وعلى هذا الاساس ، يغرق أغلب أهل العصر أنفسهم بالشراب لينسوا
همومهم ومآسي عصرهم وكأنهم في ذلك يقتدون بابن نباته السعدي حين
يقول (٢) :

يا خليلي ليس للهم شاف نجم القبح واستسر الجميل
وأرانا من الشقاء خلقنا في زمن تضر فيه العقول
فاسقيا في مفيلة الجهل حتى تريا في ما السفاه أميل
علاني فكل جد وهزل وعناء وراحة تعليل
وقد نجد نوعاً آخر من الهزيمة الناقدة أو الهروب الساخط ان صبح القول
متمثلاً بالدعوة للقطيعة الكلية ، فحين تشتد أزمات الحياة وتعدد نكباتها
يتشامم الشريف المرتضى ويأس فيقول (٣) :

شد غروض المطي مغتربا فلم يفر طالب وما طلبا
لا در في الناس در مقتصد يأخذ من رزقه الذي قربا
وما مقام الكريم في بلد ينفق فيه الحياء والادب
وقد يتألم بعضهم اذا اضطرته الظروف الى مثل هذه الهزيمة والمقاطعة ،
وقد يحس ان في عمله هذا اضرارا ومرة له ولبلده يفعلوه ويقول مثلما قال
ابن نباتة السعدي (٤) :

ونبت بنا أرض العراق فما مخناها بمحنة
غير الرحيل كفي البلاد بنقلة الفضلاء هجنة
ان كل هذا التخاذل والانهازية تسجيل وتعداد لمعايب الحياة آنذاك ،

(١) شعراء النصرانية ٣ و ٩ / ٢٥١ .

(٢) مختارات البارودي ٤ / ١٣٨ .

(٣) الديوان ١ / ٥٥ ، تنمة اليتيمة ١ / ٥٦ .

(٤) اليتيمة ٢ / ٣٨٤ ، نهاية الارب ٣ / ١٠٥ .

وهو بالتالي سخط « متفاوت السلبية » .

ان حياة محزنة عاشها المجتمع العراقي خلال ثلاثة قرون لم يتنفس في سنة منها عدلاً الا انهارت عليه سنون كثيرة محملة بالمظالم والموت ، لا بد أن تبعث اليأس من الصلاح وبالتالي الهزيمة ، وشيء كبير أن نجد في مثل هذا المجتمع رجالاً غاضبين ، أو ساخطين ايجاييين أو سلبيين يبرزون بهذا الشكل أو ذاك جوانب هذه الحياة الشريفة ويشيرون في أغلب الاحيان الى المسؤولين عن التسبب في خلق مثل هذه الحياة .

القيمة الفنية :

يختلف شعر التمرد والسخط اختلافاً كبيراً عن الشعر الذي تناولناه في فصول سابقة فهو شعر وجداني صادق في التعبير عن مشاعر قائله واحساساته المتألّمة ، ولهذا فقد جاء خالياً من التقرع والتكلف ، سلساً ، قصير الجملة لا يحتاج من يقرؤه الى سبر أغوار الفاظه أو الشعور بغرابتها .

لقد كان يحكي مأساة الفرد أو المجتمع ، وكانت هذه المآسي طافية على سطح الحياة ، فجاء الشعر الذي يعبر عنها مفتوحاً ليس فيه ما يوحي بالملل والضيق .

انه شعر عاطفة حزينة - في الأغلب - لذلك وجدنا كثيراً من الفاظه وكلماته تدور في قالب الالم والظلم ، والفساد ، والزور والبكاء والموت ولا تختلف بقية الالفاظ في معانيها عن هذه الكلمات والالفاظ الكثيرة .

ولا تعني عاطفية هذا الشعر ووجدانيته علوه الفني أو خلوه من الكلام التقريري الجامد فكثيراً ما نجد هبوطاً فنياً وكلاماً ثرياً متلاصقاً على شكل قطعة منظومة كما نرى ذلك في قول الشاعر :

(لا تخدعك اللحى ولا الصور ... الابيات)

أو قول الآخر :

(قل لابن عيمى قوله ... الابيات)

أو في أقوال شعراء آخرين يمكن ملاحظة هبوط الجانب الفني في شعرهم .
إن الشاعر الساخط آنذاك لم يكن يشغله الجانب الفني بقدر ما كان يهيمه أن
ينفعل مع الأحداث ويعبر عنها بما يتسنى له من الفاظ وكلمات وردت في
ذهنه ولذلك تأرجحت القصائد بين جيدة تارة ورديفة تارة أخرى ..

الخلاصة :

سادت مجتمع العراق في القرن الرابع قيم تعدّ في العرفين الديني والاخلاقي
شاذة ، وسيادة القيم الشاذة منطوق طبيعي للشذوذ الاقتصادي وما يتبعه ويرتبط
معه من شذوذ سياسي .. على أن هذا المجتمع الذي هزمته مثل هذه القيم لم يكن
خالياً من عناصر ناهضة واعية جابهت أو نقدت شذوذ الحياة بأشكال وصور
مختلفة ، ولو وصلت اليها أشعار ابن لنكك كاملة لكانت كافية لتبعث في
نفوسنا الثقة بحيوية بعض العقول آنذاك ولتجعلنا بعد ذلك نضع مثل هذه
الاشعار في منزلة اجتماعية أعلى من كل ما قاله « الشعراء الفحول من مديح
ودجل .

ان شعراً مثل شعر ابن لنكك وأصحابه يجب أن يقرن الى الحركات التي
وصفها الدارسون المحدثون بالتقدمية ، كانتفاضة الحلاج على قيم عصره
المنحرفة وثورة القرامطة وحركات العيارين وحركة الشيعوية من حيث كونها
ضد العنصرية فهي على هذا الاساس حركة تقدمية وعودة الى ثورة الاسلام
نفسه على العصبية (١) .

اننا نقرأ كتب التاريخ قديمها وحديثها فلا نجد الا اهتماماً بجمع النصوص
النثرية والاشارة الى النصوص الشعرية دون النفاذ الى ما تبصمه من أحوال
سياسية واجتماعية واقتصادية .

(١) قال ذلك الدكتور صلاح الدين المنجد في كتابه الحركات التقدمية في العراق ٢٤ .

وحتى الدكتور عبد العزيز الدوري كتب عن هذا القرن بروح
عامية وموضوعية ودرس الحركات « التقدمة » آنذاك لم يشر الى مثل هذه
النصوص الشعرية ، ومثله فعل كثير من الدارسين المحدثين ولم ن لم يصلوا
موضوعيته (١) ، وكأن لم يكن الشعر مادة للمؤرخ أو مصدراً للتأريخ .
ان نصاً شعرياً واحداً مما أوردناه يتأكد الدارس من صحته ونزاهته يغني
عن كثير من الكلام السردى والتهويم بين النصوص التاريخية التي كتبت
مشبعة بالاهواء والخوف .

(١) ينظر في دراسات الدكتور عبد العزيز الدوري كتاب الحالة الاقتصادية في العراق في
القرن الرابع ودراسات في العصور العباسية المتأخرة .
عن القرامطة ٢٦ - ٢٨ ، ١٥٥ - ١٨٢ ، والاسماعيلية ١٢٦ - ١٥٥ واليارين ٢٨٢ -
٢٨٦ وغيرها من الحركات .

الفصل الثامن

مظاهر حضارية واجتماعية

اللهو .. أما كنهه ومجالسه :

لم تكن حصيلة اضطراب المجتمع العراقي مظالم اجتماعية واقتصادية فقط ،
نما أدى ذلك إلى انهيار في القيم الخلقية لهذا المجتمع فانتشر اللهو والمجون بين
طبقاته المختلفة ، وهذا أمر متوقع جداً ففي المجتمعات الطبقيّة عموماً وتحت
ثقل الاستغلال الطبقي تتحلل القيم والاعراف الاجتماعية والدينية فتفسد كثرة
المال عند الطبقة المترفة أخلاق أفرادها ، وتحمل الفاقة والحرمان افراد الطبقات
المعدمة على الشذوذ الخلقي اما لكسب القوت اليومي أو تسييراً عن السخط
وتنفيساً عن الهموم ، او تقليداً للطبقات الحاكمة والمترفة وتشبهاً بها .

ولقد انتشر اللهو والفساد في العراق وعم مختلف مدنه ، ولكن بغداد -
وهي مركز الثقل - وضواحيها كانت أكثر أما كن اللهو ازدحاماً وشيوعاً .
لقبده أحصى ابو حيان وجماعة معه في الكوخ المغنين والمغنيات الذين عرفوا
في بغداد فوجدوا « اربعمائة وستين جارية في الجانيين ، ومائة وعشرين حرّة ،
 وخمسة وتسعين من الصبيان البدور » سوى من لم يظفروا به ولم يصلوا اليه
« لعزته وحرسه ورقبائه (١) » .

(١) الامتاع والموانسة ٢ / ١٨٣ .

وكان في بغداد صبي موصلي «فتن الناس وملأ الدنيا عيارة وخسارة وأفتضح به أهل النسك والوقار (١) » .

وكانت في الكرخ ومناطق أخرى تتردد كثيراً على السنة الناس حينما يحنون الى أماكن اللهو ، ومواخير الشراب والغناء ، فإذا غاب أحدهم عن حياة بغداد الصاخبة هزه الحنين اليها وردد في وله واشتياق قول الشاعر (٢) :
يا ليالي بالمطبرة (٣) والكرخ ودرب السُّوسِيَّ (٤) بالله عودي
كنت عندي انموذجات من اللجنة لكنها بغير خلود
وإذ يتذكر هذه المناطق لا يهزه الحنين اليها لأنها منتجع صباه ومواطن أهله إنما يذكرها ويحن اليها لان فيها متطلبات الانسان الفاحش ، اللاهي لذلك يردد مرة أخرى (٥) :

وسلام على مواخير بصرى (٦) وأوانا (٧) والقفص (٨) والبردان (٩)
ليت شعري مذ غبت عنها على كم قرر البائعون سعر الدنان
بين خمر تباع في دار روم كل يوم بأوفر الأثمان
وقيان لها جذور ثقال مفردات بالحسن والاحسان

(١) نفسه ١٧٤ / ٢ .

(٢) حكاية أبي القاسم ٧٥ وفي معجم البلدان ينسب هذا الشعر لابن المعتز ٦٧٢ / ٢ .

(٣) المطبرة قرية في نواحي سامراء كانت من متنزهات بغداد وسامراء ، معجم البلدان ٩٠ / ٨ .

(٤) في معجم البلدان دير السوسي وهو بنواحي سامراء بالجانب الغربي ، معجم البلدان ٦٧٢ / ٢ .

(٥) حكاية أبي القاسم ٤٨ . والأبيات لابن الحجاج قطعة من الديوان رقم ٤٤٢ / م ورقة ٩٥

(٦) بصرى من قرى بغداد قرب عكبرا ، معجم البلدان ٤٤١ / ١ .

(٧) أوانا : بلدة كثيرة البساتين والشجر من نواحي دجيل بغداد . وكثيراً ما يذكره الشعراء الخلفاء في أشعارهم معجم البلدان ٢٧٤ / ١ .

(٨) القفص : قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قريب من بغداد وكانت من مواطن اللهو والطرب ، معجم البلدان ٣٨٢ / ٤ .

(٩) البردان من قرى بغداد ، معجم البلدان ٣٧٤ / ١ ، تقويم البلدان ٣٠٠ .

ونعرف من خلال هذا الكلام كثرة المواخير والحانات في هذه المناطق، ونعرف أيضاً ان خصور هذه الحانات قد تسلم أمرها نصارى الروم وأن القيان والمغنيات قد كثرن وتنوعن ، وتنضح المسألة أكثر حينما يقول عن أوانا (١) :

حفظ الله أواناً كنت فيها « بأوانا »

* * *

بلدة تجمع خمراً وقحاناً وقياناً كتاباً
وهنا نجد دليلاً آخر على شيوع البناء ، وكثرة البغايا ، واتساع رقعة وجودهن .

ومثل بغداد وضواحيها كانت الاماكن الاخرى من العراق ، فحين يشرب ابن سكرة « بالغمر » من واسط يقول (٢) :

لبلي « بالغمر » دهري أو يقضي العمر عمري
مرّ بي في العمر يوم لا أجازيه بشكر
بين غزلان النصارى أمزج الريق بخمر

وفعل ابن الحجاج في « عمر واسط » الذي يبعد عن واسط مقدار فرسخ مثلما فعله ابن سكرة فقال « وقد خلا قوله من الفحش » ذاكراً متعه منذ كراً أحبته (٣) :

في العمر (٤) من واسط والليل ما هبطت فيه النجوم وضوء الصبح لم يلمح
بيني وبينك ود لا يعيّرهُ بعد المزار وعهد غير مطرح
فما ذكرتكَ والأقداح دائرة إلا مزجت ، بدمعي باكياً قدحي

(١) حكاية ابي القاسم .

(٢) البيتة ٣ / ١٩ وأعلن أن المقصود هو (العمر من واسط لا « الغمر ») كما أثبت محقق البيتة .

(٣) ينظر معجم البلدان ٤ / ١٥٥ وعمر واسط هو عمر كسكر .

(٤) العمر : الدبر .

و مثل بغداد وأوانا وواسط وغيرها كانت الاديرة وملحقاتها ، فلقد كانت هذه الاديرة مبثوثة في الكثير من مناطق العراق ، وكان لكل منها يوم يخرج فيه الناس اليه ، لا يفرقهم في الانس ، واللذة دين أو قومية ، يلبسون أجدر الثياب ويتمتعون أطيب المتع .

من هذه الاديرة كان دير أشموني الذي يقول فيه جحظة (١) :
سقيماً لأشموني ولذاتِها والعيش فيما بين جناتها

* * *

إذا اصطباحي في بساينها وإذ غبوقي في دياراتها
ومنها دير الثعالب الذي يقول فيه الشاعر (٢) :
دير الثعالب مألَفُ الضَّلَالِ ومحل كل غَزَالَةٍ وغَزَالِ
ومنها في الحيرة دير (حنّة) ودير (حنظلة) الذي يقول فيه الشاعر (٣)
بساحة الحيرة دير حنظله عليه أذبال السرور مسبله
ومنها دير (سمالو) في رقة الشماسية والذي يقول فيه احمد بن عبد الله البليهي (٤) :

الدير دير سمالو للهوى وطر بكر فان نجاح الحاجة البكر
وهناك أديرة خاصة بالنساء (٥) منها دير (الخوات) - جمع أخت -
وهو بعكبرا وأكثر أهله نساء وعيده الاحد الاول من صوم النصارى « وفي

(١) ينظر الديارات ٤٦ ، معجم البلدان ٢ / ٤٩٨ ، مراصد الاطلاع ٥ / ٥٥٢ ، الاوراق

٦٥ .

(٢) الديارات ٢٤ ، معجم البلدان ٢ / ٥٠٢ ، مراصد الاطلاع ٢ / ٥٥٥ ويقع هذا الدير على بعد ميلين أو أقل من بغداد في قرية تسمى الحارثية (ينظر الاوراق ٤٤) وأظن أن هذه القرية هي الحارثية التي صارت ضمن بغداد الآن .

(٣) معجم البلدان ٢ / ٥٠٧ ، مراصد الاطلاع ٢ / ٥٥٧ ، الاوراق ١٤٥ .

(٤) الديارات ١٤ ، معجم البلدان ٢ / ٥١٦ ، مراصد الاطلاع ١٤ / ٥٦٣ ،

الاوراق ٦١ .

(٥) ينظر في أديار النساء كتاب الديارات النصرانية في الاسلام ٢٤ .

هذا العيد ليلة الماشوش وهي ليلة يختلط فيها الرجال والنساء فلا يرد أحد يده عن شيء » وفيه يقول ابو عثمان الناجم (ت ٣١٤ هـ) (١) :

آح لقلبي من الصبا بـ آح من جوارى مزينات ملاح
أهل دير الخوات بالله ربتي هل على عاشق قضى من جناح
وهناك عشرات من الاديرة تبدأ من سامراء وحتى مشارف البصرة لهج الشعراء والمؤرخون بذكر أيام لهما ، ونوادر أنسها ومجالس شرابها .

ويرى حبيب (٢) زيات أن الحاق الحانات بالديارات النصرانية كان بعد الاسلام فقد « انشئت على أثر اعتياد المسلمين ابتياع الخمر من الرهبان « والتزول عليهم في أماكن عباداتهم فلم يكن هؤلاء الرهبان والقسسة مجال للرفض لان الاسلام « أوجب على النصراني في جملة الرسوم الا يمنحوا كنائسهم من المسلمين ان ينزلوها في الليل والنهار ... فلم يكن من ثم بد من وجود مواضع في الديارات لمبيت الزوار وعابري السبيل ، ثم كثر الاضياف والمنتزهون في الديرة لمعاقرة الخمر والتبسط في القصف والطرب ، وتفاقم الداء بصحبة الجوارى والغلمان والحظايا لفريق من الأمراء والمتطرفين وأهل البطالة .

وتأذى الرهبان بمثل هذا الاختلاط ، فأعزت الحال الى بناء دور وحجر لهم خاصة الى جانب الاديار ينزل فيها كل من يغشاها من الناس والمسافرين وتقام لهم الضيافات على أقدار كل منهم (٣) .

ومهما تكن قوة دفاع حبيب زيات عن أسباب وجود أماكن الملهو والانس ملحقة بالاديرة ، فالذي شاع عن هذه الأماكن انها كانت مواطن لهُو ولا يتبادر الى الاذهان غير أنها مخصصة لذلك فقط لان كثرة ما روي عن أعيادها

(١) تنظر الديارات ٩٣ ، معجم البلدان ٥٠٨ / ٢ ، الأوراق ٨٣ ، ويكذب حبيب زيات ما روى عن ليلة الماشوش هذه ، ويبدو انها قصة مختلفة وهي تلتصق بفرق دينية كثيرة كالنصيرية والدروز وغيرهم .

(٢) ينظر الديارات النصرانية ٦٢ .

(٣) الديارات النصرانية ٥٨ .

وأيام لهُوها طمس الصفة الدينية التي وجدت الاديار من أجلها .
ولا بد أن نذكر في حديثنا عن اللهو واماكنه محلاً مهماً من محلاته ذلك
هو دجلة وشواطئها ، وقد سجل ذلك ابو القاسم في حكايته (١) حين بين
كيف كانت تشحن دجلة أيام اللهو وساعات الأُنس بالمراكب والزواريق تحف
بالقصور والجواسق « يرتفع ما بينها أصوات الأغاني وخفقات النايات والسواني
وأصوات الملاحين » وعلى هذا قال حين تذكر في ذلك غربته (٢) :
يا أهلَ بغدادِ فرقي لكم يا سادتي غربي عن الناسِ
يهنكم لذةُ التعميمِ على دجلةَ بين السَّماعِ والكاسِ

الدعوة للهو :

في مثل هذه الاجواء الصاخبة ، تعالت مشاعر مادية ضالة تدعوا الى الاخذ
بمتع الحياة والتلذذ بمبازلها ، وتجسم فوائدها ومباهجها .
ولقد تطوع ابن بسام (وهو شاعر توفي في بداية القرن) فقال داعياً الى
اللهو والشراب (٣) :

ألا بادر فلا تأن سوى ما عهدت الكأس والبدر التمام
ولا يكسل برؤيته ضباباً يظن به الحديقة والمدام
أما الوزير ابن مقلة فقد صور لنا العقلية الحاكمة كما فعل خليفته المقتدر
فقال (٤) : « أمهات لذات الدنيا أربع ، لذة الطعام ، ولذة الشراب ، ولذة
النكاح ، ولذة السماع » وبهذا المعنى قال شاعر العصر (٥) :

-
- (١) حكاية أبي القاسم ٢٣ . وينظر في اماكن اللهو قصيدة صريع الدلاء التي قالمها في مديح
فخر الملك . الديوان مخ ٧٦ ، ٧٦ ب .
وقصيدته الطويلة في المفاصلة بين بغداد والبصرة والتي بلغت أبياتها مائتين وسبعة وثمانين بيتاً .
الديوان ورقة ٦٣ أ وما بعدها .
(٢) حكاية أبي القاسم ٢٤ .
(٣) مطالع البدر ١ / ١٥٣ .
(٤) برد الاكباد للشمالي ١٣٠ .
(٥) خاص الخاص ٦٣ .

وجدت رئيسة اللذات أربعة إذا تُحسبُ
فمنها لذةُ المنكحِ والمطعمِ والمشرَبِ
ويبقى بعدها أخرى من الصوت الذي يَطربُ
وهذي قد تُفِيدُ النفس ابهاجاً ولا تنضبُ

وتغدو هذه الشهيات دعوة ناضجة صريحة على لسان ابن الحجاج حين
يقول (١) :

اعدل إلى الكأس والندامى والأكل والشراب والسماعِ
وأمرِدِ حامع لشرط العناقِ والبوسِ والجماعِ
أو يقول داعياً لشرب الخمرة (٢) :

ويحكم يا كهول أو يا شيوخ الفسق أو يا معاشر الفتیانِ
اشربوها خمراً مما اقتناها آلُ « دبر الفنون » للقربان (٣)

* * *

في ليال لو أنها دفعتني وسط ظهري وقعت في رمضان
وتظل الدعوة الى اللهو تدور على اللسن ، حتى تصل المجالس فترى
أحدهم داعياً الى التمتع بجميع اللذات ضارباً بالاعراف والالتزامات لصاحبه
قول الشاعر (٤) :

كل دجاجا وفراخا وجدا	واشوق حملانا صغاراً رُضعا
واشرب الراح التي في دنها	شاهدت عاداً ولاقت تبعا
والغنا الطيب فاسمع منه ما	يحضر التحصيل ألا تسمعا
ونمتع بالصبايا لا تكسن	من أناس يحظرون المتعا

(١) اليتيمة ٣ / ٨٤ .

(٢) مطالع البدور ١ / ١٦٠ .

(٣) صدر البيت غير موزون ويمكن أن يصلح باضافة واو أمام « ما » .

(٤) حكاية ابي القاسم ٢٠ .

ان الدعوات الى اللذات كثيرة ومتنوعة ، صريحة ومرموزة ، داعرة فاحشة ولبقة خبيثة وكلها تعطي دلالات بينة على انتشار اللهو وشيوعه وتعدد أساليبه .

مجالس اللهو :

كانت تقام مجالس اللهو استجابة للدعوات اللهو ومغرياته ، ومن اجل التنفيس عن الآلام السياسية والاجتماعية أو قتلا للفراغ « وكان للعامة كما كان للخاصة مجالس غناء وشراب يحضرها الناس ويغني فيها العلما والقيان (١) » فقد كان هناك مغنون ومغنيات يختصون بأماكن معينة من بغداد ويجتمع عليهم الناس (وسيأتي الكلام على ذلك في حديثنا عن الغناء) .

وعلى شواطئ دجلة كان العامة والخاصة يلهون ، ولكل جماعة مجلس خاص بها يتفق وقدراتها المادية وكان باستطاعة الفرد أن يتمتع في مجالس العامة بدرهم معدودة يبين ذلك قول الشاعر (٢) :

مجلس في فضاء دجلة يرتاح اليه الخليل والمستور
ليس فيه الا خمّار وخمر وممات من نشوة وجبور
وحديث كأنه زهر المد ثور حسناً أو لؤلؤ منشور
وجريح من الدنان تسيل الرا ح من جرحه وقدر تفور
ولك الظبية الغريرة إن شد ت وإن عفتها فظي غريب
كل هذا بدرهمين فإذن زد ت فانت المبعجل المحبور

أما بيوت الخاصة ومنتزهاتها فقد كانت عامرة بمجالس اللهو والشراب والانس (٣) ، وفي هذه المجالس كانت تدور زيادة على مسببات المتعة ، الاحاديث الادبية والمسامرات الطريفة ، ومجالس الراضي الخليفة شاهدة على ذلك (٤) .

(١) الوصف في القرن الرابع ٢٢٤ .

(٢) الادب في ظل بني بويه .

(٣) ينظر في وصف مجالس اللهو ، زهر الآداب ١ / ٥٦٦ .

(٤) ينظر اخبار الراضي ٥٥ ، ٥٦ ، مروج الذهب ٤ / ٣٢٨ .

وقد تتخذ مجالس اللهو عند بعض الخلفاء أسلوباً للتسرية والترويح عن النفس من الهموم السياسية التي تحيط بالخليفة والخلافة كما كان يحدث في مجالس الراضي والمتقي والمستكفي .

فاذا رأى الراضي تسلط « بَجْكَم » على الحكم عمل مجلساً للأُنس والمسامرة الادبية (١) واذا ضاقت الدنيا بالمتقي ، وتبين هبوط قيمته السياسية طلب رجلاً اخبارياً يتفرج اليه في خلواته ويستريح به في الاوقات وعمل مجلساً لذلك (٢) . واذا فرغ المستكفي من أن يلي المطيع الخلافة ويوقع عليه المكروه ضاق صدره ، وشكا همومه لاصحابه وعمل مجلساً تناشد فيه مع جماعته أشعار كشاحم الكثيرة في الاكل وأحضر الطعام الذي يرد في قصائد كشاحم ، فأكله مع جماعته ونفّس عن همومه ، ودلل على جبنه ، وانهار خلافته (٣) ، ومظاهر الترف الزائفة التي احاطت بنفسه بها .

ومثلما كان الخلفاء العباسيون (قبل البويهيين) يقيمون المجالس كان وزراؤهم وامراء جندهم .

ومن هذه المجالس مجلس أقامه أبو الحسن علي بن الفرات أحضر فيه من المغنيات ما لا يحصى كثرة ، واستعمل أواني الذهب والفضة ، وقد حضرت هذا المجلس (بدعة) المغنية وغنت فيه ، فعمل فيها بيتين من الشعر قال فيهما (٤) :

إذا « بدعة » جودت عودها تدلل في ضربها كل صعب
تغنني فتجني ثمار القلوب وتهدي سروراً إلى كل قلب
وكانت هذه المجالس الالهية تؤثر بعد ذلك في فاعلية ادارة شؤون الدولة ،

(١) مروج الذهب ٤ / ٣٢٨ .

(٢) نفسه ٤ / ٣٤٣ .

(٣) نفسه ٤ / ٣٦٢ .

(٤) ينظر الوزراء ٢١٤ .

فحامد بن العباس يأتي بعد ليلة ساهرة ، مخموراً الى ديوان وزارته فيحاول أن يحول الديوان الى حديث عن الخمر والخمار (١) .

وفي العهد البويهي كانت المجالس تأخذ طابعاً متميزاً عما كانت عليه في السابق ، فاذا كانت مجالس الخاصة قبل البويهيين تعمل بسبب من هموم الخليفة وقلقه أو ملل وزيره من عمله ، ولم تكن تحدث بانتظام واستمرار فقد أصبحت في الزمن البويهي من الكثرة والاستمرار كأنها عادة من عادات المجتمع الحاكم .

فأمراء آل بويه كانت لهم مجالس خاصة بهم يحضرها الندماء وتحاط بكل مظاهر الترف والأبهة وقد دلت على هذه المجالس شعر آل بويه أنفسهم (٢) . وقد وصف الشعراء الذين عاشوا في قصور البويهيين وتحت حمايتهم مجالس أسيادهم وتفننوا في تصويرها وذكر ما يستعمل فيها من أدوات ، وشراب ، وآلات ، وزينات ، ولقد ذكر لنا عبد العزيز بن يوسف احد هذه المجالس في شعره فقال (٣) :

فيا مجلساً عز الخلافة محققُ بأقطاره والند والنور والخمرُ
وقد أرجتُ أرجاؤه وتعطرت بساطعٍ نشرُ ما يقاس به نشرُ
وفتّح فيه الرّجس الغضّ أعيناً محاجرُها بيضٌ وأحداقُها صفرُ

وكان من شدة تعلق البويهيين بالمجالس الالهية اذا هزتهم أبيات شعرية معينة تركوا ادارة دولتهم وعملوا مجالس الشراب والغناء ، وقد حدثنا ياقوت عن مجلس من هذه المجالس أمر به عضد الدولة بعد أن سمع بيتين من الشعر قالهما الصابي في غلام (٤) .

ولم تكن هذه المجالس وفقاً على ملوك آل بويه وأمراءهم ، فقد كان

(١) تنظر القصة في لباب الالباب ٣٣٩ .

(٢) ينظر الفصل الثاني من هذا البحث .

(٣) البيتة ٢ / ٣٢٥ والمجلس كان من مجالس عضد الدولة .

(٤) ينظر معجم الادباء ٢ / ٥٦ .

وزراؤهم (وبخاصة الوزير المهلي) مولعين بها مكثرين منها .

وقد ذكر صاحب بن عباد كثيراً من هذه المجالس ، ووصف ما كان يحدث فيها من مسامرات وغناء وشراب .. قال يصف مجلساً من مجالس الوزير المهلي (١) :

« قد حضرنا حجرة تعرف بحجرة الريحان ، فيها حوض مستدير ، ينصبُّ اليه الماء من دجلة بالدواليب ، وقد مدت الستارة ، وفيها (حُسن العكبراوية) فغنت :

سلام ايها الملك اليماني لقد غلب البعاد على التداني (٢)
فطرب الاستاذ أبو محمد أيده الله تعالى بغنائها واستعادها (٣) الصوت مراراً وأتبعته أبياتاً هي :

هلاً أقمت ولو على جمـر الغضا قلبت أوحداً الحسام الصارم
وتبعته جارية ابن مقلة ولا غناء أطيب وأطرب وأحسن من غنائها فغنت بيتين للأستاذ وهما :

يا من له رتبٌ ممكنةُ القواعد في الفؤاد
أجل أخذ الماء من متلهَّب الأحشاء صادي ؟
ففتنت الجميع ، ثم انبسطنا في الشرب ، واشتغل في الشدو ، وارتفع الامر عن الضبط ، والاصوات عن الحفظ ، واتفقت في أثناء ذلك مذكرات ومناشدات ومجاوبات وافترقنا » .
ويصف مجلساً آخر فيقول (٤) :

(١) ينظر معجم الادباء ٥٦ / ٢ .

(٢) البيئمة ٢٢٩ / ٢ .

(٣) يلوح لي أن هذه المجالس كانت تمويضاً عن الاهانات والاستصغار الذي يعامل به هؤلاء الموظفون من قبل الملوك البويهيين ، ففي هذه المجالس يجد الموظف والوزير التعظيم الذي يسليه وينسيه احتقار ذاته .

(٤) البيئمة ٢٣٠ / ٢ .

« وعلى ذكر عكبرا حضرنا مع الاستاذ أبي محمد - أيده الله تعالى - بها فاستدعى دنأ للوقت ، وخماراً من الدبر ، وريحاناً من الحانة ، واقترح غناء من الماخور وأخذنا في فن من الانخلاع عجيب ، بطريق من الاسترسال رحيب ورسم أن يقول من حضر شيئاً في اليوم فاستنظروا ، وركبت فرسي ، فاتفقت أبيات لم تكن عندي مستحقة لأن تكتب لكن رضاء القوم حمل لدي صورتها ، ولولا حذري من توبيخ مولانا لطويتها وهي (١) :

تَرَكْتُ لِسَانِي الرِّيحَ بَانَةً عَرَعَرَا	وَزَرْتُ لِسَانِي الرَّاحَ حَانَةً عَكْبَرَا
وَقُلْتُ لَعَلَّجَ يَعْبُدُ الْخَمَرَ : زَفَّهَا	مَشْعُشَعَةً قَدْ شَاهَدْتُ عَصَرَ قَبْصَرَا
فَتَنَاوَلْنِيهَا لَوْ تَفَرَّقَ نَوْرُهَا	عَلَى الدَّهْرِ نَالُ اللَّيْلِ مِنْهَا تَحْيَرَا
وَأَوْسَعَنِي آسَاءً وَوَرْدًا وَنَرَجَسَاءً	وَأَحْضَرَنِي نَايَاً وَطَبْلًا وَمَزْهَرَا
هَنَالِكَ أُعْطِيتُ الْبَطَالَةَ حَقَّهَا	وَالْفَيْتُ هُنَاكَ السَّرَّ مَجْدًا وَمَفْخَرَا
كَأَنِّي الصَّبَا جَرِيًّا إِلَى حَوْمَةِ الصَّبَا	أُنَاغِي صَبِيًّا مِنْ (جَلْنَدَا) مَزْتَرَا
فَعَانَقْتُهُ وَالرَّاحَ قَدْ عَقَرْتُ بِنَا	فَكَرَرْتُ تَقْبِيلًا وَقَدْ أَقْبَلَ الْكَرَى

• • •

فَكَانَ الَّذِي لَوْلَا الْحَيَاءُ أَذَعْتَهُ وَلَا خَيْرَ فِي عَيْشِ الْفَتَى إِنْ تَسْتَرَا
وهكذا نجد أنفسنا أمام مسائل اجتماعية مهمة ، فالانخلاع العجيب كان عند رواد المجالس فناً ظريفاً ، والصبيان المزنون يناغون رجال الدولة الكبار بلا احتشام ولا تهيب ، وسهولة الحصول على مقومات مجالس اللهو تدلل على انتشار أسباب الفساد كما تدلل على وجود الخمارين في الاديرة ، وشيوع الحانات والمواخير وانبثاؤها في اماكن التزهة مثل عكبرا وأوانا وغيرهما .

ولا تقاس المجالس التي وصفها الصاحب بن عباد بالمجالس الاخرى التي كان يقيمها الوزير المهلبى نفسه بانتظام (في الاسبوع ليلتين) ويحضرها

كبار رجال الدولة ومنهم قضاة معروفون يجتمعون على أطراح الحشمة والتبسط في القصف والحلاعة فاذا عملت فيهم الحمرة رقصوا ، وغمسوا لحاهم في الحمرة ورش بها بعضهم على بعض (١) وقد وصف السري الرفاء هذه المجالس فقال :

مجالس " ترقص القضاة " بها إذا انتشوا في مخانق البرم (٢)
وصاحب يخلط المنجون لنا بشيمة حلوة من الشيم
تخضب بالراح شبيه عبثاً أنامل مثل حمرة العنم
حتى تحال العيون شيبته شيبة فعلان ضرجت بدم
واذا كان حديث الرقص في المجالس قد جرننا الى الانغمار في الخيال
فيجب ألا ننسى مجالس صاحبة غير مجالس الوزير المهلبى وملوك آل
بويه .

فالوزير ابن بقيّة كانت له مجالس يحضرها رجال الأدب أيضاً يدلنا
عليها قول ابن الحجاج حين حجب عن أحدها (٣) :

بحق رأس الأمير مثلي يظماً في دولة الأمير
فما لكم تشربون دوني ولست في جملة الحضور

ومثل مجالس ابن بقية كانت مجالس أغلب رجالات الدولة الكبار وقد
تكون مجالس ابي اسحق الصابي أنموذجاً واضحاً يدلنا على شيوعها بينهم
وولعهم بها ويؤكد الصابي في وصفه لمجالس من هذه المجالس ما ذهبنا
اليه من أن بعض هذه المجالس كانت مجالاً واسعاً لتفريغ الهوموم الكثيرة
التي كانت تحيط برجال الدولة بسبب التقلبات السياسية العنيفة . يقول ابو

(١) تنظر اليتيمة ٣٣٦ / ٢ .

(٢) مخانق البرم : اطواق تؤخذ من نوع من النبات ويطوق بها اثناء الشرب وقد أخطأ
محقق لليتيمة بقوله ان البرم نوع من الثياب ، وقد انتقل الرقص الى الأندلس وفي مجالس ملوكها
تنظر الخزانة الشرقية ٦٨ / ١ .

(٣) اليتيمة ٩٣ / ٣ .

اسحق مشبهاً مجلس الانس بالمعركة (١) :

ألاقي همومي في جحفل	لها من مقامي فيه قرارُ
دبادبه من طوال القيان	والنايُ بوق له مستعار
ومجلسنا حومة أرهجت	لرحف الندامي اليها بدارُ (٢)
كأن الكؤوس بأيدي السقا	سيوفُ لها بالدماء احمرارُ
كأن مناديلَ اكتافهم	حمائلُها إذ عليهم تدارُ
كأن رجومَ تحاياهم	سهامُ على الجيش منها نثارُ
كأن المجامر خيل جرت	وقد ثار للند منها غبارُ
كأن السكارى رجال الوغى	وقد عقرتهم هناك العقارُ

• • •

فيالك من مأقطٍ لي به	بلاءٌ وقول اليه يشارُ
ولما برزت إلى الهم فيه	ولي بالسرور عليه اقتدارُ
جرى الضرب مختلفاً بيننا	فمات وعشتُ وقد نيلَ ثارُ

ويبدو أن رجال الدولة كانوا ينهزمون من مواجهة مشكلاتهم باغراق أنفسهم في بحر من اللذات والموبقات ، ينتقمون لأنفسهم من أنفسهم ويحسبون أن الانسان ابن يومه وكل امر مستعص (موصول به الفرج القريب) .

وزيادة على ما في أقوال الصابي من مسائل ذاتية نجد وصفاً كاملاً لما يجري خلال المجالس فالغناء والشراب من مقومات المجلس ، ولئلا هذا المجلس آداب يجب ان تراعى فعلى من يحضره أن يلبس ملابس خاصة فيضع المنديل على كتفه ويتقلد مخانق البرم ، ويرمي بالتحايا (٣) ،

(١) اليتيمة ٢ / ٢٦١ .

(٢) البدار : السرعة .

(٣) التحايا : الورود يستعملها المترفون في مجالسهم ويرمي بها أحدهم الآخر (وأكثر ما تطلق على الطاقة من الأزهار والرياحين التي يحيا بها الندماء وتزين بها مجالس الشراب) ينظر فصل التحايا في كتاب الديارات النصرانية ٤٤ وما بعدها .

وغير ذلك من المسائل التي تعرف الآن (بالانكيت) .
 وكانوا يشربون في هذه المجالس والارض ملأى بالزهور وعلى
 رؤوسهم أكاليل الورد وفي ذلك يقول السلامي (١) :
 أفنطرة النوبندجان وديرها وحور منى لا تألف الحور غيرها
 شربنا بها والروض يخلع زهره على الشرب والأشجار تنثر طيرها
 وإذا أردنا ان نستكمل صور هذه المجالس ونؤكد استمرارها وتجاوزنا
 المجالس التي وصفها ابو اسحق الصابي وجدنا في وصف مهيار لمجلس
 قامه احد اصدقائه في بيته خير دليل على ذلك . يقول مهيار (٢) :

نديمي وما الناس الا السكارى أدرها ودعني غداً والخمارا
 وعطل كؤوسك الا الكبير تجد للصغير أناساً صغارا
 وقرب فتى مائة أو يزي سد قد أكمل الشيب الا الوقارا

• • •

وبيت إذا الدهر ضام الشتاء تعوذ فيه به فاستجارا
 صحبت الخريف به في المصيف وذكرني الليل فيه النهارا
 ويستمر في هذه القصيدة التي تستغرق ثمانية وسبعين بيتاً وهو يصف الدار
 وما حوت والانس وما جر من مداعبات وملاعبات ، فيوضح لنا في
 قصيدته هذه صورة للبيوت المترفة المشبعة باللهو والفجور ، الغارقة في
 مجالس الشراب والغناء والعهر ، ونتبين من هذه القصيدة أيضاً ما كانت
 عليه هذه البيوت من فن عمارة وتصميم .

وبسبب من انحسار سلطة الخليفة في العصر البويهى لم تصل اليها اخبار
 مجالسه ، ولربما لم تكن هناك مجالس للخليفة ، لان ظروفه المعاشية - وقد
 رتب له معاش قليل - لا تساعده على اقامة مثل هذه المجالس ، الباذخة .

(١) البيهقي ٢ / ٤٠٩ .

(٢) ديوان مهيار ١ / ٣٤٨ .

الخمرة :

تدخل الخمرة في المجالس التي ذكرناها وفي الحياة اليومية عنصراً رئيساً مهماً ، فلا نكاد نفتقد ذكرها في قصيدة شاعر ما جن حتى تبرز لنا واضحة في قصيدة ناسك صوفي ، وهذا يدل على أن وجودها أصبح مؤثراً في حياة الناس يستغرق العابد والخليع ، ورجل الدولة وابن العامة .

فالصابي لا يتخرج على هيئته من القول (١) :

ما زلت في سكري ألمعُ كفّتها وذراعها بالقرص والإثار
ولم يكن هذا السكر ناتجاً إلاّ عن خمرة عراقية ذات مفعول ساحر
مغر أسالت مرة لعاب ابن سكرة وجعلته يصرّح بشهواته ويقول (٢) :
أربعة " ما مثلها أربعة " النوم في الصيف على البرذعة
والشرب بالكأس على مزرعه " وقينة " مُحسنة " ممتعه
وأغرت مرة أخرى ابن الحجاج ، فتزهت نقاوتها لسانه من الفحش والاقذاع وقال (٣) :

قوما اسقياني قهوة رومية من عهد قيصر دنّها لم يُمسَس
صرفاً يضيف إذا تسلّط حكمها موت العقول إلى حياة الأنفس
وهي التي كان قليل منها يصرع « سيدوك الواسطي » ، فاذا شرب أثر
فيه الشراب ، وقد يبالغ فيقول (٤) :

فديتُك لو علمت بضعف شرّبي لما جرّعتني إلا بمسعط (٥)
وحسبك أن كسرماً في جواري أمرُ يبابه فأكادُ اسقطُ

(١) أخلاق الوزيرين ٤١٥ ، معجم الادباء ٢ / ٩٠ .

(٢) برد الاكباد للشمالي ١٣٥ ويبدو ان ابن سكرة أخذته النشوة فنسي اللذة الرابعة .

(٣) الاعجاز والايجاز . ٢٣٤ .

(٤) نفسه ٢٠٨ ، وينسبها الشمالي نفسه في كنياته ص ٥١ لابن لنكك .

(٥) المسعط : إناه يوضع فيه السعوط .

وهناك دلائل عديدة على شيوع الحمرة بشكل يوحى باباحتها ، فلقد غرق شعر العصر بوصفها وامتداحها ، وامتلاّت كتب الادباء بذكر أوصافها وما قيل فيها ، وقد صارت مسألة طبيعية جداً ان يستنهد بها من لا يملكها من اصداقائه ليقام بها للضيوف والزوار والاحباء .

كتب ابن الحجاج الى صديق له يقول (١) :

يا سيدي قد جاء زوّاري فظَلَّت في نارٍ وفي عـارٍ
فامننّ بخمر أو فوجه بمنّ يخرجهم بالصفع من داري
وقال جحظة لصديق له (٢) :

قد زارني اليوم نور عيني وكان بالأمس صدّ عني
وليس عندي له نبيل وليس يرضى بذلك منّي
فجد علينا بنصف دن بربع دن بثلت دن
لا تنكرن كُديتي وشحي (٣) فإنني شاعر مُغنّ

وهكذا تكثّر الدلائل على شيوع الحمرة حتى لتدخل أحياناً ضمن الوجبات اليومية ولا سيما لدى افراد الطبقة المترفة .

ان الاشعار التي تفننت في وصف الحمرة وفعلها وانواعها وصفت أدواتها وآلاتها فوضحت جانباً آخر من جوانب الاستعمالات اليومية :
ومن آلاتها المهمة : الدن الذي يقول فيه السري الرفاء (٤) :

(١) المحاضرات ٦٩١ / ٢ .

(٢) مطالع البدور ١٥٠ / ١ .

(٣) في الكتاب كفي وشحي .

(٤) المحاضرات ٧١٢ / ٢ وما بعدها . ومن أدوات الشراب ، والمزير والراوق والباطية والحام وغيرها وكلها مذكورة في شعر ابن الحجاج وصرير الدلاء وغيرها من شعراء العصر . وقد أجمل ابن الحجاج بعضها في هذا البيت :

وخلفك عن يمين الدن عس وبين يديك باطية وجام

قطعة من الديوان رقم ٤٤٢ / م ورقة ٤٢ ، ٩٠ ، ٩١ ، وينظر أيضاً درة التاج ورقة ٣٣٢ وما بعدها .

وشعث دنان خاليات كأنها صدورُ رجال فارقتها قلوبُها
الابريق : وفيه يقول ابن بسام :

ابريق صفر كأنه قبس يشبه لوني بفرط صفوته
الكؤوس بأنواعها : فمنها الزجاجية التي يقول فيها الصاحب :
« رقّ الزجاج وراقت الخمر » .

والمزينة بالرسوم التي يقول فيها الرفاء :
وموسومة كاساتها بفوارس من الفرس تطفو في المدام وتغرقُ

الغناء :

وكما انتشرت الخمر في أجواء العراق انتشر الغناء أيضاً فهما مثلاً زمان
لا يكاد يفارق احدهما الآخر ، وقد رأى عشاق الطرب أن الغناء يستكره
بلا شراب ولذلك كانوا يرددون قول ابي نواس (١) :

وليس الشربُ إلّا بالمسلاهي وبالحركات من بم وزير
وكان الغلمان يتعاطون الغناء كما يتعاطاه الجوّاري ، فهناك « المطرب
المعرب الرخيم الصوت الذي يأخذ بمجاميع القلوب اذا غنى » (٢) :

يا نسيم الشمال من نحو بصرى بأبي أنت لا نسيم الجنوب
أنت لَمّا اعتللت داويت قلبي يا نسيم الصبا بريح الحبيب
وهناك المطربة البغدادية التي (كأنها شمس الضحى (٣)) تعجب من
يراها وتطرب من يسمعها ، وقد قال في مثلها ابن الحجاج (٤) :

إذا تثنت وغنت خلعت قامتها غصناً عليه قبيل الصبح شحورُ

(١) ديوان ابي نواس ، المحاضرات ٢ / ٧٢٦ . ويقول ابن الحجاج : (صحيحة الاسماع
تستطلق الأوتار بين البم والزير) ، درة التاج ١٦٤ .

(٢) حكاية ابي القاسم ٤٩ .

(٣) حكاية ابي القاسم ٥٠ .

(٤) مطالع البهور ٨ / ٢٥٨ .

والغناء بعد ذلك أنواع فمنه الغناء الحلو الذي (يهزم جيش الكروب) (١)
ويستطاب معه الشراب فيقول الخبز أرزي في مُنشده (٢) :

ولو ان البحور خمر لدينا وتغنيت لارتشفنا البحورا
ومنه الغناء الذي نشزت نغماته فعاثته النفس ، وهرب منه السامع ولما
يستكمل انسه كالذي يقول فيه جملة (٣) :

وانصرفنا لما تغنت عطاشاً والقناني كما دخلنا ملاء
أو الذي يحشو له أبو الفضل بن العميد مسامعه صمماً ، لنبوه وقبح
مخرجه (٤) .

وللمغنيات الجيدات سجل بارز عند أبي حيان التوحيدي فقد ذكر لنا ن
كل مغنية لها درب أو محلة تغني فيها وقد يكون لها شخص تختص بالغناء
عنده أو له .

(فعَلَوَة) كانت تطرب الناس اذا تغنت في (درب السلق) ببغداد (٥) :
بالورد من وجنتيك مَنْ لطمك* ومن سقاك المدام لِم ظلمك ؟
وكانت (رَوْعة) تغني في الرّصافة (٦) و (دُرّة) تغني في درب
الزعفراني ولا تقعد في السنة الا في رجب (٧) ، وكان ابن صبر القاضي
قبل توليه القضاء يطرب عليها أيما طرب حينما تشدو :

(١) نهاية الأرب ٥ / ١١٩ ولابن الهجّاج في المعنيين الجيدون شعر نجده في درة التاج ورقة
١٦٣ وما بعدها .

(٢) المحاضرات ٢ / ٧١٩ .

(٣) المحاضرات ٢ / ٧٢٠ .

(٤) المحاضرات ٢ / ٧٢٠ . ولابن الهجّاج شعر في ذمّ المعنيين غير المجيدين نجده في
درة التاج ورقة ٦٢٠ ، ٦٢١ .

(٥) الامتاع ٢ / ١٦٥ .

(٦) الامتاع ٢ / ١٧٦ .

(٧) الامتاع ١ / ١٧٢ .

لستُ أنسى تلكَ الزيارةَ لَمَّا طرقتنا وأقبلتُ تنثنى
 طرقتُ ظبيّةَ الرصافةِ ليلاً فبني أحلى من جسّ عوداً وغنى
 كم ليالٍ بتنا نلذّ ونلهو ونسقي شرابنا ونُغنى
 هجرتنا فما إليها سبيل غير أنّا نقول : كانت وكنّا
 فاذا بلغت (كانت وكنّا) زلزلت الأرض فرأيت الحبيب مشقوقاً ،
 والدمع منهلاً ، ومكتوم السر باديّاً (١) .

ومثل هذا الطرب كان يحصل لابن الحجاج حين تغنيه معشوقته ومطربته
 (قنوة البصرية) (٢) . ولابن نباتة حين يسمع غناء (الخاطف) (٣)
 ولغيرهما من رجال الادب والدولة .

ويرتضي أصحاب الجوّاري غناء جواربهم في المحال العامة أو في بيوتات
 غيرهم أو في بيوتهم أمام حشد من الناس المدعوين .
 ولعل هذا يعود إلى ضالة قيمة الجارية ، وعدم إحساس صاحبها بالغيرة
 التي يستشعرها تجاه محرماته ..

وقد يكون لكثرة المغنيات والمغنين وامتثالهم الدعارة مع الغناء أثر كبير
 في الخط من قيمة المغني أو المغنية الاجتماعية ، فان حاول المغني اظهار
 مشاعره أو برز نفسه عيّر بكونه مغنياً واستُخِف به . قال أحدهم لمغن
 حاول أن يتطاول عليه (٤) :

من استخفّ بقـلـدي قـم يا مـخـنـثُ غـنـي
 ولا تطاول عـليّ تطاول المتغـنـي
 فلو بلغت الثريا ما كنت الا مغـنـي
 كما يمكن أن يعود هذا الاحتقار الى ارتباط الحياة الاجتماعية والفكرية

(١) نفسه ١٧١ .

(٢) نفسه ١٧٠ .

(٣) نفسه ١٧٢ ، والخطاف اسم جارية .

(٤) حكاية ابي القاسم ١٣٤ وينظر في الغناء وجماله وفي صفات القيان زهر الآداب / ٢

وتشابه الغز والحضاري مع الروح البدوية .

آلات الغناء :

ومثلما سجل لنا شعراء القرن الرابع ما كان عليه الغناء والمغنون والمغنيات ومستمعهم سجلوا ايضاً اسماء الآلات الموسيقية التي استعملت لترافق عملية الغناء، والاشعار التي ذكرتها كثيرة تقتصر في ايراد بعض الايات التي اشتملت على اكبر عدد منها .

فمن الآلات الموسيقية المشهورة والتي تتكرر على السنة الشعراء العصر :

١ - الطبل والبوق :

يقول صريع الدلاء : (١)

ومهرجان زائر وافاك يشكو السفرا
في عسكر من الشتا ء حوله قد عسكرا
اصوات بوقاتهمو وطبلهم إذ نقرا

٢ - العود والرباب والطنبور : قال صريع الدلاء (٢) :

اصبحاني بها ثلاثاً رحيقاً قبل ان تصبحا بماء الشعير
بين عود مدمدم لاصطخاب ورباب تمرُّ مع طنبور

٣ - الدُفّ والمزمار ، يقول صريع الدلاء (٣) :

انا بوق السرور طبل الحماقا ت ودُفّ اللذات والمزمار

٤ - الناي ، يقول ابن الحجاج (٤) :

قينة طنبورها مستعمل طيب الصوت صحيح الهندمه

• • •

ولها زامرة حاذقة أحسدُ الناي إذا ^{بها} باست فمه

(١) الديوان ورقة ٢٦ ب .

(٢) نفسه ورقة ٩٢ أ ، والطنبور : (آلة طرب ذات عنق طويل لها أوتار من نحاس) .

(٣) نفسه ٩٠ ب .

(٤) درة التاج ورقة ١٦٦ .

ويقول صريع الدلاء (١) :

خالطوا لهم - ان تعرض - بالرا ح ورهج النيات والتطيل
هذه هم آلات الموسيقى آنذاك و هناك آلات أخرى ليست بأهمية ما
ذكرنا آثرنا عدم ايرادها (٢) .

المآكل :

كان القرن الرابع يعج بأنواع عديدة من المأكولات تبرز التباين الاجتماعي والاقتصادي ، وتبدأ هذه المأكولات بالخبز اليابس ، ولا تنتهي عند نوع جيد معين ، لان الاطعمة الجيدة دائمة الابتكار والتجدد ما دامت موادها متوفرة وما دام طلابها راكبين .

ولقد سجلت لنا اشعار القرن الرابع (٣) العديد من هذه الاطعمة كما رسمت صوراً كثيرة لآكلها ، فكما نجد الانسان الملتزم بأداب المائدة الذي يصغر اللقمة ويتجامل عن الشره (٤) والنهم نجد الانسان الأكل الذي هو (٥) :

مصممٌ إن رأى خيواناً شَدَّ على جانب الخِوانِ
فأنزلَ الويلَ بالقلايا وبالجِدِّ الرضْعِ السَّمانِ
ولا يكتفي بذلك لأنه :

أكلُ خلقِ الله للغضايِدِ ويمضغُ اللحومَ بالترايِدِ
ومن أبسط انواع الاطعمة الخبز وهو انواع عديدة منها خبز الحشكار

(١) الديوان ٣٠ ب .

(٢) منها الصنوج والديباب والمزامير وغيرها .

(٣) ورد في شعر صريع الدلاء أنواع كثيرة من المأكولات نجدها في الاوراق ١٨ ب ، ٣٤ ب ، ٦٦ أ ، ب ونجد أنواعاً أخرى عند ابن الحاج في ٤٤٢ / م ورقة ٦٣ وما بعدها . وفي درة التاج في أماكن عديدة لا تحصى .

(٤) ينظر الموشى ١٦٧ ، ١٧١ .

(٥) حكاية ابي القاسم أو والخوان : المائدة ، مطالع البدور ٢ / ٣٧ .

الذي جاء في قول جحظة لابن مقلة الوزير (١) :

قل للوزير أدامَ اللهُ دولتَه أذكرُ منادمي والخبزُ خشكار

ومنها خبز الابازير الذي ورد في قول ابن الحاج (٢) :

يا سيدي هذي القوافي التي وجوهها مثلُ الدنانير

خفيفةٌ من نضجِها هشةٌ كأنها خبزُ الأبايرِ

ومن أطعمتهم الحارة (الجزورية) (٣) وهي انواع جيدة وردية مثل

أي مطبوخ آخر . قال ابن سكرة في جزورية لم تعجبه (٤) :

أكلتُ بالأمس جزوريةً تُخبر عن حسنة أربابها

اللحمُ فيها أثرٌ دارسٌ كأنما مرَّ على بابها

ومن المأكولات الاخرى (المضيرة) (٥) وهي متنوعة فمنها الرديء

الذي تأذى بأكله جحظة البرمكي في بيت أحد البخلاء فقال (٦) :

ولي صاحبٌ لاقدس اللهُ سره بطيئة عن الخيرات غير قريب

أكلت عصبياً عنده في مضيرة فيا لك من يومٍ عليَّ عصب

(١) المحاضرات وينظر في انواع الخبز التلخيص ٣٦٥ ، والخشكار نوع من الخبز فيه بعض الحرارة وهو أسرع انحداراً في المعدة لاجل النخالة التي فيه لان فيه جلي الممي وهو يولد الحكمة واكله بالادام الدهن يدفع ضرره ، مطالع البدور ٤١ / ٢ .

(٢) اليتيمة ٣ / ٣٣ وخبز الابازير من جملة الاطعمة التي أخذها الصليبيون عن الشرقيين وقد ترجموا اسمه بالحرف الواحد وهو عجينة يتخذ من الدقيق والفصل وبعض الابازير غاية في الحسن والطيب ... تنظر الخزانة الشرقية ١٢٢ / ٢ ، وينظر الطيخ ٧٩ . ومن أنواع الخبز ما ذكره صريع الدلاء في قوله (قد نسيتم خبز الذراي والدخن وخبز الشعير والهرطمان) الديوان ٦٦٦ .

(٣) وهي أكلة حارة رطبة تحرك الباء وتدر البول ، واصلاح ما كانت باللحم السمين والخل والحدرد (ينظر مطالع البدور ٥٣٠ / ٢) .

(٤) مطالع البدور ٥٣٠ / ٢ .

(٥) المضيرة : خليط من اللحم السمين والبصل والتوابل والبن (الطيخ ٢٣) ، مطالع البدور ٥٤ / ٢ .

(٦) بخلاء البغدادى ١٤٨ ، تنظر المقامات المقامة المضيرة .

ومنها الجيد الذي يقدم مع المأكولات الفاخرة كالذي يقول فيه الهمداني (١) :
 عندي فديتك جدي شويتته ومضيره
 ومن الاطعمة الاخرى (الطباهجة) (٢) التي تعد من الأكلات الدسمة
 وقد وصفها الشاعر فقال (٣) :

قد أقبلت دولة القلايا في عسكر اللحم والبنود
 تسير زحفاً على المقالي بين برام إلى حديد
 قد أنضجوها حتى تهرت وها هنا موضع السجود

وهناك اطعمة أخرى أجملها الشاعر فقال (٤) :

إن الهريسة (٥) أهواها وتُعجني وبالبهطة قلبي جد مفتون
 وللأرزة (٦) عندي موقع عجب إذا قصدت لنا بيضاء في لين
 والزيرباج (٧) طعام ليس ينساه من البرية إلا كل مجنون
 وهناك أنواع أخرى من جيد الطعام وردت على لسان كشاجم الشاعر
 الطباخ وقد أمر المستكفي الخليفة بعملها واحضارها في أحد مجالسه .

قال كشاجم يذكر هذه الاطعمة المختارة (٨) :

متى تنشط للاكل فقد اصلحت الجونة (٩)
 فجاءت وهي من أطيب ما يؤكل مشحونة
 فمن جدي شويناه وعصبنا مصارينه

(١) الديوان ٣٩ .

(٢) الطبخ ١٤ ، تاج العروس ٧٠ / ٢ .

(٣) حكاية ابي القاسم ١٠١ .

(٤) نفسه ١٩٢ .

(٥) الهريسة أكلة معروفة ، الطبخ ٥٢ .

(٦) الارزة أظنها هريسة الارز ، ينظر الطبخ ٥٢ .

(٧) الزيرباج أكلة حمضية يخلط فيها لحم سمين وحمص وخل وسكر ولوز ، الطبخ ١٣ .

(٨) مروج الذهب ٤ / ٣٦٢ وما بعدها .

(٩) الجونة : المائدة اللامعة .

- ونضمدنا عليه نمنع البقل وطرخونه (١)
وطيهوج وفروج أجدنا لك تطجينه (٢)
وسنبوسجة مقلوة في إثر طردينه (٣)

• • •

- وبا ذنجان بوران به نفسك مفتونه
وهليون وعهدي بك تستعذب هليونته (٤)
ولوزينجة في الدهن والسكّر مدفونه (٥)
وعندي لك رستيجة مطبوخ وقنينه (٦)
وساق وعدت بالوصل منه عطفة النونه (٧)

وكانوا فضلاً عن تمتعهم بهذه المأكولات ، يأكلون أنواعاً عديدة من الفواكه والخضروات وهي بمجموعها لا تتعدى ما نعرفه الآن ، وكان من أهم هذه الفواكه والخضروات التمر بأنواعه والعنب بأصنافه والمشمش والخوخ والتماء والبطيخ والنبق والاترج والنانج ، وقد وصفوا كل ذلك في اشعارهم (٨) .

- (١) طرخونه : من الطريخ وهو السمك المقلي ينظر الطبيخ ٦٣ ، التنعن : نبات ينظر شرح أسماء العقار ٢٨ . ومن أنواع المشويات « الكباب » وقد ورد في شعر ابن الججاج أكثر من مرة .
(٢) طيهوج : طائر ، اللسان ٢ / ٣١٧ ، تاج العروس ٢ / ٧٠ وتطجينه : طبخه .
(٣) السنبوسج : نوع من الحلويات ، الطبيخ (٥٨) .
(٤) هليون : الهليون نبات طبي ذو منافع مختلفة كان يحمل الى المعتصم من دمشق ، ينظر رسوم دار الخلافة ١٨ ، وينظر شرح أسماء العقار ١٤ .
(٥) اللوزينج والفالودج نوعان من الحلوى الطبيخ ٧٦ .
(٦) رستيجة : لم أجد لها معنى ، وأظن أنها تصحيف لكلمة « دستجة » وتعني الاناء الكبير من الزجاج ، ينظر الامتاع والمؤانسة ٨ / ٨ .
(٧) دليل آخر على استعمال الفلجان للواط بهم ، والعطفة رقى تؤخذ من عروق الشجر الملثوي وترمي على المرأة الفارك فتحب زوجها .
(٨) ينظر نهاية الارب ١١ / ١٤٣ وما بعدها وأماكن أخرى متعددة ، نشوار المحاضرة : ٨ / ١٠٥ ، وينظر في مختلف الاطعمة كتاب التلخيص ٣٦٥ - ٣٨٢ .

الملابس والحلي :

في المجتمعات الطبقية يقاس الانسان ببريق مظهره الخارجي كلما كان زيه مترفاً ، ومظهره أنيقاً ، كان أجدر بالتقدير والاحترام ، ولفت انظار الناس اليه .

لقد كان الناس في القرن الرابع يهتمون بمظهرهم الخارجي لينالوا الخطوة والوجاهة عند اصحاب السلطة والاحترام والتقدير عند العامة .

وكان لكل فئة من الفئات الرسمية ، والشعبية زي تختص به (١) ، فللخليفة لباسه ، وللأمير لباسه ، وللوزير لباسه ... وكذلك لكل فئة من العامة لباسها الخاص بها .

وللظرفاء لباس يميزهم ويستحسنون به عند سروات الرجال (٢) وللمتظرفات لباس مخالف لزي الظرفاء في التكك والخفاف والنعال والخواتيم (٣) . وقد أولع الظرفاء والظريفات بالكتابة على تككهم ونعالهم ومناديلهم وبسطهم ورافقتهم ومقاعدهم وخواتيمهم ، وعلى الستور والجلدران والابواب وعلى أماكن معينة من اجسادهم (٤) .

وقد أمر عضد الدولة أن تنقش على خواتيم الجوارى أبيات السلامي (٥) :

مرقومة الجنات بالبدع التي	لم يهددها قط الربيع لروضة
كتمت روائحها فلما عدت	بالنار فاح نسيمها فأقرت
وكانما الملك الأجل السيد	المنصور عضد الملك تاج الدولة
أذكي مجامرهما بنار ذكائه	وغدا الدخان على علو الهمة

وقد حفظ لنا الشعر أسماء الكثير من ملابس القوم آنذاك ومن أهمها كانت العمامة .

(١) ينظر رسوم دار الخلافة للصابي ٩١ وما بعدها فيها يلبسه الخلفاء في المراكب ويلبس الداخلون عليهم من الخواص وجميع الطوائف .

(٢) الموشى ١٦٠ .

(٣) الموشى ١٦١ - ١٦٥ .

(٤) نفسه ٣٣٦ .

(٥) البيضة ٤١٨ / ٢ .

والعمامة تختلف باختلاف مركز الشخص الرسمي أو الاجتماعي .
فهناك العمامة الجميلة المطرزة التي يقول فيها السلامي (١) :

حسناء صافية بيضاء ضافية كأن رنقتها في صارم ذكر
يزين أطرافها طرز كما رقت على المجرة طرز الأنجم الزهر
وهناك العمامة القبيحة المنظر ، المضحكة التي يقول فيها الشاعر (٢) :

في رأسه عمامة ملفوفة مرفله
كانتها في رأسه قدر على سفرجله

ومن البسة الرأس التي عرفت في العراق ايضاً الطرطور وقد جاء ذكره
على لسان ابن الحجاج عندما قال يهجو المتنبي (٣) :

يا شاعراً لا يساوي طرطوره نصف جبّه
وعن الالبسة الاخرى الدّراعة ، التي تلبس معها عمامة الخبز لزيادة
الأبهة والوجاهة وفي ذلك يقول السلامي بعد ان ارتطم فتلوّث ملابسه (٤) :

لبست درّاعي وعمّي الخبز فصارا كما ترى حبرا
ومن الالبسة الرجالية الاخرى السراويل والقمصان والقلائس والملابس
الزاهية الاخرى (٥) .

ويصف لنا ابو القاسم جارية بلباسها وزينتها فيغني عن الكثير من الكلام
على البسة الجوّاري المتقلّصات في القصور ، يقول (٦) :

« تدخل المجلس تعطره من نسيمها بالمسك الأذفر والكافور والعنبر
يَقْضُلُ عنها قميصٌ لاذٍ معصفِرُ اللون جُلناري

(١) اليتيمة ٢ / ٤٢٠ .

(٢) حكاية ابي القاسم ٩ .

(٣) تلطيف المزاج ورقة ١٠ .

(٤) اليتيمة ٢ / ٤٢٠ .

(٥) الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع ١١٣ .

(٦) حكاية ابي القاسم ٥٣ ويلاحظ استعمال الملابس الشفافة .

تحت عطُف بنفسيّ سكَبَ حفيفٍ مثل الغبارِ
أو تجميء عليها غلالة تجري الماء وسراويل شق المرارة ، وتكة ابريسم
خضراء سلقية ... وهي معتمرة برداء قصب عودي دقيق الاعلام والطرز ،
عليه تزاين أحسن والله من تحاسين الصين ، مطوياً اربع طاقات ... وفي
عنقها سبحة عنبر شحري ، وصندل مقاصيري ... والحواري يحملن ثيابها
ويشeln ذبولها وهي كالمبهورة .

ومن الاشياء التي استعملها الناس في بيوتهم وخارجها ، الستور المطرزة
وغير المطرزة وقد ذكر المؤرخون كيف كانت قصور الخلفاء تحوي
الآلاف الكثيرة من مختلف انواع الستائر (١) ، كما نقل لنا الشعر عادة
بعض الاغنياء في استعمال الستائر اثناء خلواتهم ، يقول جمحظة واصفاً
حياة أحد هؤلاء الاغنياء البخلاء (٢) :

دخلتُ على باخلٍ مرةً وجناتُ بستانه زاهره
وقد قابل الذوارُ نقشَ الستور فأعين زواره حائره
جنان تعجل للباخلين ونحن نؤجل للآخره

الطور وأدوات الزينة :

ومثلما تفنن الناس في البستهم وأقمشتهم تفننوا أيضاً بزيتهم وطورهم
فاستعملوا مختلف أنواع الطور وأدوات الزينة ، وقد وصف هذه الاشياء
شعراء العصر ، فقال الصابي في شمامة كافور (٣) :

-
- (١) ينظر تجارب الامم ١ / ٥٣ في الكلام على قصر الشجرة المقتدي .
(٢) بخلاء البغدادي ١١٦ وينظر في الألبسة والمفارش وما ينتقل به في التلخيص ١ / ١٩١ -
٢٤٨ . وقد وردت اساء البسة عديدة في شعر صريع الدلاء اهمها العمامة والبزة والبرنس والحية
والقميص والصدر والوقاية ، ينظر الديوان الاوراق ١٦ أ ، ١٤ ب ، ٢٠ ب ، ٢٦ أ ، ٨٠ أ
أما شعر ابن الحجاج فاساء الالبسة مبثوثة في ثنياه وبخاصة شعر الهجاء والاستهداء ينظر مثلاً درة
التاج ورقة ٤٤٨ ، ٦٠٧ ، ٦١١ ، وقطعة الديوان ٤٤٢ / م ورقة ١٨ ، ٤٠ .
(٣) اليتيمة ٢ / ٢٦٤ .

كافورة جعلتها لأسود العين غرض
حتى وددت أنها من أبيض العين عوض
ويقول في عتيبة الطيب (١) :

وعتيبة للطيب إن تستدعها تبعث إليك أمامها ببشيرها
يلقاك قبل عيائها أرج لها فكأنه مستأذن لحضورها
وفي الغالية يقول السلامي واصفاً أساليب التزيين الاخرى (٢) :

مذ نقبوه وزرنفوا أصداعه ختموا بغالية على اقفاله
وفي الكحل يقول السلامي أيضاً (٣) :

يغض الغزال جفون الغزل وقد فصّح الكحل فيها الكحل
ولا وجّتى الورد من وجنتيه ما أوجب اللثم ذاك الخجل
وفي استعمال الحناء يقول ابو الغوث بن نحرير المنيجي (٤) :

كان حناءها براحتيها دماء من قتلت بهجرتها
وهناك أنواع أخرى من أدوات الزينة كالزعفران والمسك والرايك
والعبر وغير ذلك (٥) .

الطبيعة والمدن والاستعمالات البيتية واليومية :

لقد كثر الشعراء في وصف الطبيعة وما فيها من جمال وقبح ، فاذا
أذاهم حر الصيف ، ومجيء رمضان وسط أشهره قالوا مثل قول ابن
لنكك (٦) :

حزيران وتموز وآب ثلاثة أشهر فيها العذاب

(١) البيتية ٢ / ٢٦٤ .

(٢) البيتية ٢ / ٤٠٦ . والغالية مسك وعنبر يعجنان بالبان التلخيص ٣٨٥ .

(٣) نفسه ٢ / ٤٠٦ .

(٤) تمة البيتية ١ / ٧٤ .

(٥) ينظر في أنواع الطيب التلخيص ٣٨٣ - ٣٩٠ .

(٦) برد الاكباد ١٢٤ ، الوصف في القرن الرابع ١٢٦ .

فان قُرنت بشهر الصوم صِرنا سبائكَ في بواتقها تذابُ
وحين يريد ابن لنكك هذا أن يصف لنا جو البصرة يقول (١) :
نحن بالبصرة في لـو ن من العيشِ ظريف
نحن ما هبَّت شمـالٌ بين جناتٍ وريفٍ
فإذا هبَّت جَنوبٌ فكأنّا في كنيفٍ
ولا تقتصر اقوال الشعراء على الجو وتقلباته ، فهي تصف الرياض
والمتنزهات (٢) وما فيها من أرواد وأزهار (٣) ، وحيوانات وطيور (٤)
وأثمار متنوعة .

ويتعدى الوصف هذه الاشياء فيبرز لنا المدن الكبيرة بجمالها وحيويتها ،
وتناقضاتها وما فيها من منغصات ايضاً .

لمدينة مثل بغداد ، عظيمة واسعة ، تحتضن الخير والشر ، الغنى والفقر ،
الترف والكدية ، لا بد أن تستأثر باهتمام الشعراء ، فيصفوها كل شاعر
بحسب تفاعله مع جانب من جوانبها .

فهناك من حب بغداد ورضي عنها مثل بي سعد محمد بن علي بن
خالد احمداًني : (٥)

فدى لك يا بغداد كل قبيلة من الارضِ حتى خطي ودياريا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها وسيّرت رحلي بينَها وركابها

- (١) اليتيمة ٢ / ، معجم البلدان ١ / ٤٣٧ .
(٢) الامثلة على ذلك كثيرة نجدها في من غاب عن المطرب ٢٤١ ، نهاية الارب ١ / ٢٦٥ ،
٢٧٠ ، المحاضرات ٤ / ٥٧٠ ومن الامثلة وصف السلامي لشعب بوان اليتيمة ٢ / ٤١٣ وكذلك
وصف المتنبي له ، ينظر ديوان المتنبي .
(٣) مثل وصف النيلوفر ديوان الشريف الرضي ٢ / ٨ ، ديوان مهيار ١ / ٨ ، ينظر ايضاً
من غاب عن المطرب ٢٤٧ ، المحاضرات ٤ / ٥٧١ ، ٥٧٥ .
(٤) ينظر وصف ابن نباتة للفرس في مختارات البارودي ٤ / ١٣٨ ، اليتيمة في وصف
الطيور ٢ / ٢٦٩ والبراغيث ، معجم البلدان ١ / ٤٦١ .
(٥) تاريخ بغداد ١ / ٥٢ .

فلم أرَ فيها - مثلَ بغدادٍ منزلاً ولم أرَ فيها مثلَ دجلةٍ وادياً
ولا مثلَ أهليها أرقَ شمائلًا وأعذبَ ألفاظاً وأحلى معانيها
أو مثل ابن زريق الكوفي الذي يقول (١) :

سافرت أبغي لبغداد وساكنها مثلاً ، فحاولت شيئاً دونَه اليأسُ
هيئات بغداد الدنيا بأجمعها عندي ، وسكان بغداد هم الناسُ
ومنهم من ينظر الى بغداد بعين الناقد التزيه البصير فيراها بغداد الطبقية
الحانية على الغني ، الجائرة على الفقير يقول (٢) :

سقى الله بغدادَ من جنة غدت للورى نزهةَ الأنفُسِ
على أنها منيةُ الموسرين ولكنّها حسرةُ المفلسِ
وبسبب هذا ومع معرفة أبي نصر المالكي بحسن جانبيها يخرج عنها فلقد
ضاقَت عليه برحبها « ولم تكن الارزاق فيها تساعف » (٣) .

أما السري الرفاء فانه يتمنى العيش فيها على تناقضاتها فيقول (٤) :
يا حبّداً صحبةَ العلومِ بها والعيش بينَ اليسارِ والعَدَمِ
وهناك من يجد بغداد المؤذية ، فلا يصف غير حرها وبعضها ،
وبراغيتها وتراها (٥)
قال أحدهم (٦) :

هل الله من بغداد يا صاح مخرجي فأصبح لا تبدو لعيني قصورها
وميدانها المذري علينا ترابها إذا سحجت أبغالها وحميرها

-
- (١) لطائف المعارف ١٧١ ، معجم البلدان ١ / ٤٦١ .
(٢) لطائف المعارف ١٧٢ . وشبيه بهذا قول ابن المطرز ببغداد . تنظر التتمة ١ / ٥٦ .
(٣) تنظر دمية القصر ١ / ٢٩٧ ، ينظر الفلاكة والمفلوكون ٦٣ .
(٤) الديوان ٢٤٦ ، تاريخ بغداد ١ / ٥٢ .
(٥) مثل ابن المعتز ينظر الديوان ٢٩٣ ، معجم البلدان ١ / ٤٦٥ .
(٦) معجم البلدان ١ / ٤٦٥ وينظر المنتخب من كُنَايات الادباء ١٢٠ ، ١٢١ ، فيه
أشعار كثيرة في بغداد وأهلها .

وقال بعض الأعراب (١) :

لقد طال في بغداد ليلي ومن بيت ببغداد يصبح ليله غير راقد
بلاد إذا ولي النهار ، تنافرت براغيثها من بين مثنى وواحد
ومع كل هذه الصفات تظل بغداد اذا ما قورنت بالبصرة جنة طيبة الجو
والمسكن فاذا ذهب الصابي الى البصرة ، وشرب من مائها تذكر ترفه
وترف طبخته وتفننهم في تبريد مائهم فيقول (٢) :

لهف نفسي على المقام ببغداد وشربي من ماء كوز بثلج
نحن بالبصرة الذميمة نسقى شر سقيا من مائها الأترجي
أصفر منكر ثقيل غليظ خائر مثل حقنة القولنج
كيف نرضى بمائها وبخير منه في كنف أرضنا نستنجي

والبصرة الذميمة بجوها ، والتي ملها ابن لنكك فلم يعد يرى فيها غير
« نشاب ونخل وسماذ » (٣) كانت لا تعلم محبين وعشاقاً شأنها شأن أي
مدينة أخرى في العراق .

وكما وصف الشعراء البصرة وبغداد وصفوا غيرهما من المدن ثم انتقلوا
من وصف المدن الى ذكر استعمالهم البيئية واليومية من ذلك ما فعله
الصابي حين وصف المدخنة التي توضع فوق مجمرة البخور (٤) :

ومحرورة الاحشاء تحسب أنها متيمة تشكو من الحب تبريحا
تُناجيك نجوى يسمع الانف وحيها وتجهله الأذن السمعية إذ يوحى

(١) البيتة ٢ / ٢٦٩ .

(٢) البيتة ٢ / ٣٥٨ . وفي المقارنة والمفاضلة بين بغداد والبصرة تنظر قصيدة صريع الدلاد الطويلة التي أشرنا اليها في صفحة سابقة الديوان ٦٣ أ وما بعدها . وفي هذه القصيدة قضايا اجتماعية ومظاهر حضارية عديدة .

(٣) نفسه ٢ / ٢٦٥ .

(٤) نفسه ٢ / ٢٦٧ .

ومنه وصفه الشمعة قال (١) :
 غُصْنٌ من الذهب الابريز أثمر في أعلاه يا قوتسة صفراء تستعر
 ومن ذلك أيضاً وصف ابن نباتة للسكين (٢) :
 مرهفةٌ تعجيزُ وصفَ اللسانِ للسيفِ معنى ، ولها معنيان
 تخلفه في حده تارة وتارة تخلف حدَّ السنَّانِ
 ما أبصرَ الراؤونَ من قبلها ماءً ، وناراً جمعا في مكان
 ومنه وصف ابن سكرة الهاشمي لحمام دخل اليه فسرق نعله (٣) :
 البك أذمُّ حمامَ ابنِ موسى وإن فاقَ المني طيباً وحرّاً
 تكاثرت اللصوصُ عليه حتى ليحفى من يطيف به ويعرى
 ولم أفقد به ثوباً ولكن دخلتُ محمداً وخرجتُ بشراً
 وهناك أوصاف عديدة لكل ما يستعمله الانسان آنذاك كالسيف (٤) ،
 والدفتر (٥) ، والشطرنج (٦) والاسطربال (٧) والقوس (٨)
 والمنشار (٩) ، والقوارب والزبازب والسميريات وغير ذلك (١٠) .
 المرأة :

تحولت المرأة في العراق وبخاصة في مدنه الكبيرة منذ العصر العباسي

-
- (١) نفسه ٣٩٣ / ٢ .
 (٢) نفسه .
 (٣) المنتظم ١٨٦ / ٧ ، وخرجت بشراً ، أي بشر الحافي ، وينظر في حمامات بغداد رسوم
 دار الخلافة ١٩ .
 (٤) ينظر ديوان مهيار ٢٨١ / ٢ .
 (٥) ديوان مهيار ٥٣ / ١ .
 (٦) نفسه ١٠٣ / ٢ .
 (٧) نفسه ١٢٧ / ٢ . زهر الآداب ٣٩٠ / ١ .
 (٨) نفسه ١٥٧ / ٢ .
 (٩) نفسه ١٤٥ / ٢ .
 (١٠) ينظر في اساء المراكب النهرية ما ورد في شعر ابن الحجاج قطعة الديوان ٤٣٥ / م
 ورقة ٢٤ ، ٢٦ ، ٨٠ وينظر ديوان صريع الدلاء ورقة ٧٣ ب .

الاول الى عنصر خامل لا يسهم الا في تقديم المتعة الجسدية والخدمة البيئية للرجل ، وصار الرجل السيد المطلق ، وانزوت المرأة في بيته يحميها ويحيطها برقابة شديدة وبخاصة اذا كانت حرة أو أمة أم ولد (١) .

ان انتشار رقعة الدولة الاسلامية وكثرة وارداتها من الغلمان والحواري وامتلاء أسواق النخاسة بأجناس مختلفة من الرقيق ، وتداخل الحياة الحضرية بالطبائع البدوية ، أرخص قيمة المرأة وجعلها مبدولة ، مهانة ، ولهذا صان الغيور حريمه ، وأغلق المتزمت الباب على أهله ، وانعدمت الثقة بالمرأة عموماً .

على أن رخص المرأة وسوء الظن بها لم يمنعا ارتفاع منزلة بعضهن السياسية أو بروز بعض آخر في ميادين الادب والغناء والدين .

فلقد برز في القرن الثالث وأواخره الكثير من الحواري وكانت لهن جولة في عالم الغناء والسياسة والشعر منهن عنان بنت عبد الله جارية الناطقي (٢) وفضل الشاعرة اليمامية جارية المتوكل (٣) ، وبنان جارية المتوكل (٤) وجاريته الاخرى « محبوبة » التي ضرب بها المثل في الوفاء لسيدها بعد مقتله (٥) ، ومنهن (نبت) جارية المعتضد وغيرهن (٦) .

أما في القرن الرابع فقد ظهرت على مسرح الحياة السياسية « شغب » أم المقتدر وقهرمانتها أم موسى ، وقهرمانتها الاخرى « ثمل » التي أجلستها للقضاء عام ٣٠٦ (٧) .

(١) والأمة اذا كانت أم ولد لا يجوز بيعها ونصبح حرة بعد موت زوجها مثز ٢٧٨ / ١

(٢) جهات الأئمة ٤٧ .

(٣) جهات الأئمة ٨٤ .

(٤) نفسه ٩١ .

(٥) نفسه ٩٢ .

(٦) نفسه ١٠١ .

(٧) كانت أم موسى تؤدي الرسائل من المقتدر واهه الى الوزير ، وقد خافها ابن خاقان ، وتدخلت بشؤون الوزارة أكثر من مرة ، ينظر الكامل ٨ / ٦٢ ، ٦٤ .

أما « خمرة » مولاة المقتدر وام ولده عيسى فقد كانت خاملة الذكر
« كثيرة البر والمعروف والعطاء للفقراء والمحاويج » (١) .

ويبدو ان هذه السلطات التي حصل عليها بعض الجوارى دفعت بنساء
أخريات الى المطالبة بمناصب ادارية كبيرة في الدولة مما حدا بابن بسام الى
أن يقول (٢) :

ما للنساء وللكتاية والعمالة والخطابة
هذا لنا ، ولهنّ منّا أن يبيتنّ على جنابيه

ومن النساء البارزات في الميادين الادبية والدينية ظهرت عائدة بنت محمد
الجهينة زوجة عم الوزير ابن شيرزاد وهي « امرأة فاضلة ، كاتبة ،
كانت تناشد الاشعار وتنشد لنفسها كل شيء جيد » ويبدو أنها كانت
ذات هيبة ومشورة قالت تهجو أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي لما تولى
الوزارة وتعييه بقصر قامته (٣) :

شاورني الكرخي لما بدا النيروز والسنُّ له ضاحكه
فقال : ما نُهدى لسلطاننا من خيرٍ ما الكفّ له مالِكُه
قلتُ له : كلّ الهدايا سوى مشورتِي ضائعة هالِكُه
أهدِ له نفسك حتى إذا أشعل ناراً كنت دوبركه (٤)

ومن العالمات بالفقه وتدريسه والحديث امة الواحد ستيتة بنت القاضي أبي
عبد الله الحسين بن اسماعيل المحاملي توفيت سنة ٣٧٧ وكانت تفقي مع

(١) نساء الخلفاء ١٠٦ - ١٠٨ .

(٢) صبح الاعشى ١ / ٦٤ نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ١٩٦٣ القاهرة .

(٣) ينظر نشوار المحاضرة ١ / ٢١٦ .

(٤) الدوبركه : لفظة أعجمية . وهي لعبة كبيرة يحملها أهل بغداد على سطوحهم ليالي
النيروز المتضدي ويخرجونها في زي حسن من فاخر الثياب وحلي يحملونها بها كما يفعل بالمراسم
وتتحقق بين يديها الطبول والزمور .

العلماء وكتب عنها الحديث (١) . ومنهن أم الفتح بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن خلف توفيت ٣٩٠ هـ (٢) وغير هاتين كثيرات جمع تراجمهن الخطيب البغدادي في آخر جزء من كتابه تاريخ بغداد .

والشيء الملاحظ ان الحرائر من النساء لم يبرزن في ميادين السياسة ولم تكن هن سطوة في بيوت الوزراء ودار الخلافة كما كان للاماء والجواري ، وسبب هذا عزوف الخلفاء عن الزواج بالحرائر واقتصارهم على التسري بالاماء .

ويبدو أن سبب هذا التفضيل يعود الى سهولة الحصول على الجارية الجميلة وسعة أفق الجواري ومعرفتهن بمتطلبات الزواج وأمزجتهن لاهتمام النخاسين بهن ولكثرة اختلاطهن بالمجتمعات المختلفة ، ويرجع الجاحظ سبب علو حظ الامة على الحرة عند الرجال الى أن الرجل قبل أن يملك الامة قد تأمل كل شيء فيها « ما خلا حظوة الخلوة » فاقبل على ابتياعها بعد وقوعها في نفسه ، اما الحرة فانما تحصل بمشورة النساء والنساء لا يعرفن ما يعرفه الرجال من مواطن الجمال ودوافع الرغبة (٣) .

على أن هذه الحظوة ، وهذا الارتفاع الاجتماعي للجواري ، قد آذى المجتمع ، فقال الشاعر (٤) :

إذا لم يكن في منزل المرأة حرة تدبره ضاعت مصالح داره

وغدا هذا القول حقيقة بينة بعد أن بدت بشكل واضح أعمال الجواري وتدابيرهن الخطيرة فلقد صرن مصلر مؤامرات عزل وموت لأقرب الناس هن ، وهذا أمر متوقع جداً من هؤلاء النساء المملوءات « عقداً » واحقاداً بسبب تكوينهن التربوي والنفسي . انهن يفتشن عن السبل المختلفة

(١) تاريخ بغداد ١٤ / ٤٤٢ .

(٢) نفسه ١٤ / ٤٤٣ .

(٣) ينظر ما نقله متر عن كتاب الفصول للجاحظ ٢ / ١٧٤ .

(٤) المحاضرات ٣ / ٢٠٠ .

للاتنقام من هؤلاء الناس الذين استعبدوهم وأذلّوهم في سوق النخاسة والعبودية .

ولهذا نرى الجوّاري يحاولون ارتقاء أسوار ذهن للوصول إلى مراكز أعلى في المجتمع ، وليعوضن ان وصلن بتسلطهن عن ماضيهن المؤلم ، ولا يهمهن بعد ذلك ما يبذلنه للوصول حتى ولو كان شرفاً وكرامة أو حياة الآخرين .

لذلك خافهن الرؤساء ، وحاذر منهن أصحابهن ، وتملقهن الكثير واطاعتهن رجال الدولة ، وبسبب هذا قال الشاعر (١) :

شيئان يعجزُ ذو الرياسة عنهما رأيُ النساءِ وإمـرةُ الصبيانِ
أما النساء فميلهن إلى الهوى وأخو الصبّا يجري بغير عنانِ
وقد نظر الشريف الرضي الى المرأة فرأى أن الرجل لا يمكنه أن يتغلب عليها وهذا ما دفعه الى القول (٢) :

معاداة الرجال على الليالي أطيع ولا معاداة النساء
ومن هذه النظرة انطلق يهنيء أخاه بمولودته ويرثي أمه عند وفاتها ويقول (٣) :

لو كان مثلك كلُّ أم برّة غني البنون بها عن الابناء
كيف السلو ، وكل موقع لحظة أثرٌ لفضلك خالد بأزائي
ان هذه المشاعر النبيلة التي يحملها الشريف الرضي للمرأة لم ترفع قيمتها أو تعطيها منزلة تستحقها .. وبالرغم من كل ما كانت تحاط به المرأة من بهرجة وما وصلت اليه بعض النساء من سلطة ظلت المرأة عموماً ذلك الجانب الضعيف الذي خلق ليداري الرجل وليكون متاعاً حلالاً له .

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٦٩ .

(٢) الديوان ١ / ٣٩ .

(٣) الديوان ١ / ٢٦ .

الأعياد :

كان العراقيون يحتفلون بأعياد كثيرة منها ما هو اسلامي ومنها ما هو أجنبي ، فلقد تأثر المجتمع العراقي بحضارتين مهمتين هما حضارة الروم المسيحيين وحضارة الفرس المجوس ، ويبدو هذا التأثير بارزاً في الاعياد الدينية للنصارى والقومية للفرس ، وفي مشاركة أغلب الناس فيها .

ومن أبرز الاعياد « الاسلامية التي وردت بها الشريعة » (١) ويحتفل بها المسلمون أجمعهم عيد الفطر وعيد الاضحى ، وهما عيدان ما زال يحتفل بهما المسلمون في كل أصقاع الدنيا .

وفي القرن الرابع أفسد رجال الدولة المظهر الديني لهُذين العيدين فقد كانوا يجلسون لتقبل التهاني في مجالس خمر وشراب كما كان يفعل مثلاً عز الدولة بختيار .

قال ابن الحجاج يخاطب بختيار ويهنئه بعيد الاضحى (٢) :

قد صَحَّبَ البَّسمَ مع الزَّيرِ فقم قليلاً غير مأمورِ

• • •

فأسعدَ بيومَ العيدِ ، واجلسَ له في خلوةٍ جلسةَ مسرورِ
وضح فيه بالدنان التي تخر بين البَّسم والزَّيرِ
وكتب ابو اسحق الصابي يهنيء الوزير المنجلي بقوله : (٣)

أسيّدنا نَعْمَاك هُنَّثَ بالفطرِ ووقيت ما تخشاه من نوبِ الدهرِ

• • •

وللفطرِ رَسْمٌ للسرورِ وسِنّةٌ ومثلك من أحيا لنا سِنّةَ الفطرِ
ولا بدّ فيه من سَماعٍ وقهوةٍ نُقِضَ بها الأوطار من لذّةِ السكرِ

(١) نهاية الارب ١ / ١٨٤ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٧١ .

(٣) اليتيمة ٢ / ٢٧٨ .

وهناك أعياد استحدثها أصحاب المذاهب الاسلامية أهمها عيد الغدير وهو خاص بالشيعة « شعارهم فيه لبس الحديد وعنق الرقاب وبر الاجانب والذبايح » (١) وأول من عمله معز الدولة البويهى وقد صنع السنة نظيراً له وقالوا : « هذا يوم دخول ابي بكر والرسول الغار وأظهروا هذا اليوم الزينة » (٢) .

أما أعياد النصارى فعديدة وكان الناس أيامها يخرجون الى ضواحي بغداد والاديرة والمدن التي تختص بذلك العيد .

ففي عيد الفصح كان المسلمون والنصارى يقصدون دير سمالو (٣) فلا يبقى واحد من أهل الطرب واللهو الا حضره ، وهناك يدور الشراب ويصطح الغناء ، وفي هذا الدير ولهوه قال الشاعر (٤) :

فتلاعبت بعقولنا نسوانه وتوقدت بخدودنا نيرانه
حتى حسبت لنا البساط سفينة والدير ترقص حوّلنا حيطانه
وكان لدير الثعالب عيد يسمى باسمه يقع في آخر سبت من أيلول ولا يتخلف عن حضور يومه نصراني أو مسلم (٥) وفي اليوم الثالث من تشرين الاول يقع عيد القديسة أشموني (٦) ويقام في دير هذه القديسة يقول فيه الشاعر :

(١) نهاية الارب ١ / ١٨٤ . وفي عيد الغدير يقول صريع الدلاء من قصيدة يهني بها فخر الدولة :

قد أناك الغدير فاسعد هنيئاً بأمر تجري على المأثور
أنت فخر الموك يا غرة الدهر ر ، وفخر الأعياد عيد الغدير

(٢) نهاية الأرب ١ / ١٨٥ .

(٣) الديارات ١٤ .

(٤) الاوراق ٦١ .

(٥) ينظر الآثار الباقية ٣١٠ ، معجم البلدان ٢ / ٥٠٢ .

(٦) الآثار الباقية ٣١٠ ، الديارات ٤٧ ، الاوراق ٦٥ . وأظن أن في البيت تصحيحاً فقد يكون اراد « بتفليس » بدلا من « بتفليس » لأن تفليس بلد في أرمينيا .

اشرب على قرع النواقيس في دير أشموني بتفليس
وهناك أعياد مهمة أخرى منها عيد الميلاد (١) وعيد رأس السنة
وغيرهما من أعياد القديسين والقديسات (٢) .

وفي عيد الميلاد كان من عادة النصارى ايقاد النار واللعب بالجوز
لاعتقادهم بأن السيدة العذراء ولدت المسيح في ليلة باردة فأكلت عشر
جوزات .

وكان المجتمع العراقي يحتفل بالاعیاد القومية للفرس باندماج تام يزيد
على اندماجه باعياده ومن أعياد الفرس : ليلة الوقود أو عيد السدق وفي
هذه الليلة تعمل نار عظيمة تسمى نار السدق . وكان من عادة كبار رجال
الدولة في هذا العيد وغيره الجلوس لقبول التهنئات والهدايا .

قال ابن الحجاج يصف ليلة الوقود (٣) :

ليلتُها حسنُها عجيبٌ بالقَصْفِ والعزفِ قد تحقّقُ
لنارها في السما لسانٌ عن نور ضوء الصباح ينطقُ
ودجلةٌ أضرمتُ حريقاً بألفِ نارِ و ألفِ زورقِ
فماؤها كلّها حميمٌ قد فارّ مما غلّى وبَقْبَسَقِ

وقد وصفها شعراء كثيرون وأشاروا الى أنها ليلة شتوية . ومن هؤلاء
الشعراء عبد العزيز بن يوسف وابن نباتة السعدي والسلامي (٤) .

(١) ينظر أحسن التقاسيم ١٨٢ .

(٣) ينظر في أعياد النصارى الآثار الباقية ٣١٠ وما بعدها ، نهاية الارب ١ / ١٩١ وما بعدها .

(٣) نهاية الارب ١ / ١٩٠ . ومثل هذا يقول صريع الدلاء في هذه الليلة :

اهلا وسهلا بلييلة الدق والشرب فيها على الفسق
واللهو والقصف والمجون بها بين خليج وبين منخرق
الديوان ٧٣ أ .

(٤) اليتيمة ٢ / ٣٢٥ ، ٣٩٢ ، ٤١٤ ، ٤١٨ .

ويقع النيروز « أول الربيع » ومعناه اليوم الجديد ويرجع أصله الى البابليين (١) ، وقد أكثر الشعراء تهنئة رؤسائهم بهذا العيد ، من ذلك تهنئة عبد العزيز بن يوسف لعضد الدولة (٢) وتهنئة المطرز (٣) لاحد الرؤساء وتهنئة مهيار لاحد الوزراء والتي يقول فيها (٤) :

يزوركُم النيروز مقبـل الصبا وقد دب في رأس الزمان مشيب
تصوِّح أغصان الاعادي وغصنكم من السعد ريان النبات رطيب
ويقع المهرجان في السادس والعشرين من تشرين الاول ويستمر ستة أيام آخرها يسمى المهرجان الاكبر (٥) .

وسبب تعظيم الفرس لهذا اليوم زعمهم أن فريدون أدرك ثار جده من الضحاك الملك الظالم « وقيل أن مهر هو اسم الشمس وأنها ظهرت في هذا اليوم للعالم فسمي بها والدليل على ذلك أن آتـين الأكَاسرة في هذا اليوم التتوج بالتاج الذي عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها » (٦) وكان الملوك يظهرون فيه أفراحهم ويتقبلون هدايا رعاياهم .

ومن الأدلة على مجيئه أول أيام نزول المطر قول الشاعر (٧) :

أحبّ المهرجان لأن فيه سروراً للملوك ذوي السناء
وباباً للمصير إلى أوانٍ تفتّح فيه أبوابُ السماء

(١) الآثار الباقية ٢١٧ ، نهاية الارب ١ / ١٨٥ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٣٢٣ .

(٣) تنمة اليتيمة ١ / ٧٤ .

(٤) الديوان ١ / ١١٣ .

(٥) نهاية الارب ١ / ١٨٧ .

(٦) الآثار الباقية ٢٢٢ .

(٧) نهاية الارب ١ / ١٨٧ والمستطرف ٢ / ٥٤ وينظر ديوان الشريف المرتضى ٣ / ٢٨٥ ، وينظر في النيروز مقال الدكتور حسن علي محفوظ العدد الثاني من مجلة التراث الشعبي نيسان ١٩٦٤ وينظر في الاعياد الساسانية مجلة المعلم الجديد الجزء الاول شباط ١٩٥٧ المجلد العشرون ص ١١ .

ومن الأدلة على اشتقاق اسمه من الشمس قول مهيار الديلمي متفاخراً (١):

وعساد المهرجان بخفض عيش يترَف على طلائله الصفاق
هو اليوم ابتناه أبوك كسرى وشيّد من قواعد الوثاق
وشق له من أسم الشمس وصفاً يطول به صحيح الاشتقاق

ويمكن أن تكون مشاركة المسلمين في أعياد النصارى والفرس تنفيساً عن كبت سياسي واجتماعي وديني ومحاولة لقتل الفراغ والتمتع بالحرية ولو للحظات ، ومشاركة المسلمين هذه « تدل على مقدار رقة المظهر الاسلامي الذي يحيط بالحياة العامة » (٢) .

التعصب :

من المظاهر الاجتماعية البارزة التي أخذت جانباً من وقت الناس وفكرهم مظاهر التعصب الطائفي والقومي (٣) والفكري ، على ان التعصب الطائفي أو المذهبي كان ابرزها وأعمها .

فلقد استغلت سذاجة العامة ، وسطحية وتبعية بعض الشخصيات الفكرية والسياسية من أجل اذكاء نار الفتنة بين الشيعة والسنة ، أو بين السنة أنفسهم كما حصل حين اشتد أمر الحنابلة على مخالفيهم من أهل المذاهب الاخرى (٤) .

(١) الديوان ٣٥٢/٢ ، وفي التهنئة بعيد المهرجان نظم صريع الدلاء لفخر الملك قصائد عديدة طويلة ، ينظر الديوان ورقة ٢١ أ ، ٢٢ ب ، ٢٤ ب ، ٢٦ ب ، واماكن أخرى .

(٢) الحضارة الاسلامية ٢ / ٢٧٦ .

(٣) من علائم التعصب القومي قول مهيار :

وابي كسرى عدلى ايوانسه أين في الناس أب مثل ابي
الديوان ١ / ٦٤ . وقول المتنبي :

وانما الناس بالملوك ومسا تفلح حرب ملوكهم مجم
الديوان ٨٤ .

(٤) ينظر الكامل ٨ / ٣٠٨ .

وظهر هذا الاستغلال من أغلب الفئات المتسلطة التي تدعي السنة أو تميل الى الشيعة .

فكلما أحس وزير أو أمير أو ملك بوجود تدمير شعبي أو اهتزاز في كرسيه افتعل فتنة مذهبية تمتص حقد الناس على السلطة وتلهيهم لفترة معينة عن متابعة مظالم الحكام . فحين أحس معز الدولة باستياء الناس من تسلط جنوده وأعوانه أمر بأن تخرج النساء لاطمات الصدور نافشات الشعور وأن يخرج الرجال لاطمين باكين في مواكب كبيرة تبدأ في اليوم الاول من محرم تعبيراً عن حزن الشيعة على مقتل الحسين الشهيد (١) ، وبذلك ألهى الناس ، وتبعه في ذلك خلفاؤه من آل بويه حتى صار الامر عادة سنوية جارية .

وكانت الفتن بين السنة والشيعة دائمة مستمرة والسلطة تناصر أهل المذهب الذي يدين به رؤساؤها (٢) .

وكان للشعر دور في مثل هذه المعارك والفتن بتأكيد ما تقوله هذه المذاهب والاصرار على افكارها .

ومن أهم الافكار التي يعتنقها الشيعة وتناولها شعرهم أحقية علي بن أبي طالب بالامامة ، والولاء له ، والاغراق في حبه وحب آل بيته ومن الذين قالوا بامامة علي بن أبي طالب ، محمد بن احمد بن عبد الله المتوحي ، وهو يؤكد ذلك في قوله (٣) :

قد صحّ قولُ النبيّ عندي أنّ عليّاً هو الامامُ
فان تواليته بحق ليس على مثله ملامُ
بفضله فاق كلّ فضل يعجز عن مثله الأنامُ
ذا مذهبي ليس لي سواه لنقطع القول والسلامُ
ويبلغ ألم مهيار الديلمي لمقتل الحسين بحيث يجعله قاعدة فاصلة في

(١) ينظر النجوم الزاهرة ٣ / ٣٣٤ ، العبر ٢ / ٢٩٤ .

(٢) ينظر الكامل حوادث سنة ٣٦١ مثلاً وينظر المنتظم ٧ / ٨٨ .

(٣) المحمّدون ٧٨ .

الصادقة والصديق لذلك يقول :

وليس صديقي غير الحزين لفقد الحسين وغير الأسوف (١)
وقد يكون الولاء ادعاء من غير ايمان ، أو يكون ولاء متطرفاً يجعل من
الناس الذين لا يتفقون مع الشاعر خارجين على الدين لذلك دعى من لا يقول
به ناصبياً ووصم بالقبح والكذب .. يقول الخوارزمي (٢) :

ربّ ليلٍ كطلعةِ الناصبيّ ذي نجومٍ كحجّةِ الشيعيّ
ويقول الناشيء الاصغر ابو الحسن علي بن عبد الله (٣) :

لك صدغٌ كأنما لوئيه وجهُ ناصبيّ
ويقول كشاجم (٤) :

حبّ عليّ علوّ همّه لأنه سيدُ الأئمة
مميزٌ محبيه هل تراهم إلاّ ذوّي ثروة ونعمه ؟
بين رئيس إلى ظريف قد أكمل الظرف واستتمه
فهم إذا حُصّلوا ضياء والعصبُ الناصبيّ ظلّمه
ومع ركافة هذا الشعر بناء ومعنى نستدل على ان ادعاء التشيع صار
يوصل الانسان زمن كشاجم المتوفي ٣٩١ الى الغنى والجاه ، وتبين أيضاً
ان التشيع أو التسنن لم يكن بدافع الحرص الديني بقدر ما هو دافع مصلحي
ذاتي .

وحين ننتقل من الشيعة اتباع علي الى ابنائه نجد اللوعة الصادقة والحزن
الكبير على الشهداء الذين راحوا ضحية الغدر والحقد ، وهذا يظهر في
شعر الشريف الرضي حين يقول (٥) :

(١) الديوان ٢ / ٢٦٣ .

(٢) المضاف والمنسوب ١٧ وترجمة ابي بكر محمد بن العباس الخوارزمي ت ٣٨٣
في وفيات الاعيان ٣٣ / ٤ .

(٣) المضاف ١٧٣ ، وترجمة الناشيء في الوفيات ٣ / ١٥١ الديوان ١٦٠ .

(٤) المضاف ١٧٣ ، الديوان ١٦٠ .

(٥) الديوان ١ / ٤٤ .

كربلا لا زلت كربلاً وبلا
 كم على تربك لما صُرْعُوا
 الى أن يقول عن قتل الحسين :
 يا قتيلاً قوَّض الدهرُ به
 قتلوه بعد علم منهم
 غسلوه بدمِ الطعن وما
 ما لقي عندك آلُ المصطفى
 من دمٍ سال ومن دمعٍ جرى
 عَمَدَ الدين وأعلام الهدى
 أنه خامسُ اصحابِ الكِسا
 كفنوا غيرَ بوغَاءِ الثرى

* * *

ربّ إني اليومَ خصمٌ لهم جئت مظلوماً وذا يوم القضا
 وعندما يستكين حزن الشريف الرضي على القتلى من آبائه ، ينظر الى
 الخلافة نظرة أي شيعي آخر ولذلك يرتفع بفخره ويقول للقادر بالله (١) :
 عطفاً أمير المؤمنين فأنسا في دوحة العلياء لا نتفرقُ
 ما بيننا يومَ الفَخَّارِ تفاوتٌ ابدأً كلانا في المعالي معرقُ
 الاّ الخلافة ميّزتكَ فلأنني أنا عاطلٌ منها وأنت مطوقُ
 ولربما كان الشريف الرضي يقول في نفسه أكثر من المساواة في النسب ،
 فهو يرى في القادر مغتصباً حتى هو أجدر به منه ، ولذلك رأينا أخاه
 الشريف المرتضي يؤكد مثل هذا التطلع فيدعو الى الثورة لاسترداد حقوق
 العلويين المغصوبة حينما يقول (٢) :
 يا آل احمد والذين غداً بجبههم نجاني

* * *

حتى متى أنتم على صهوات حذبٍ شامصات
 وحقوقكم دون البرية في أكفٍ غاصبات

(١) الديوان ٢ / ٤٢ ، اليتيمة ٣ / ١٤٤ .

(٢) الديوان ١ / ١٤٥ .

قل للآلى حادوا وقد ضلّوا الطريق إلى الهداة

• • •

نامت عيُونُكُمْ ولكن عن عيون ساهرات
وظننتم طُولَ المدى يمحو القلوبَ من التُّراتِ
هيهات ان الضغن توفده الليالي بالغدات
لا تأمنوا غرض النواظر عن قلوب مرصّادات

• • •

حتى يعود الحق يقظانا لنا بعد السبات
وكان ظهور شعر معاكس نتيجة حتمية لهذا التعصب والغلو أحياناً على
أننا وفي كل الفترات لا نجد تعصباً مذهبياً يوازي تعصب كشاجم أو
الحوارزمي ، أو النامي .

ويبدو أن حب علي وابنائهِ من قبل كل المسلمين جعل ذلك حداً يقف
عنده من يحاول الرد على مدّعي التشيع .

أما التعصب بين الاقوام الكثيرة التي كانت تعيش في العراق فقد كان
يحدث غالباً بين الديلم والأتراك وهو لا يعدو أن يكون صراعاً على مراكز
السلطة ، وقيادة الجيش ، ولم نجد لهذا الصراع ذلك التأثير الكبير بحيث
ينطبع على الشعر .

أما الصراع بين العرب وغيرهم من الاقوام فلم يظهر له وجود لان
الصراع الطائفي والطبقي غطى عليه ، واذا وجدنا بعض النزعات القومية
عند مهيار أو غيره ، فهي من قبيل الفخر ليس الا (١) .

١ -- ينظر مثلاً ديوان مهيار ١ / ٦٤ .

الخلاصة :

هذه نماذج من الشعر تجلو لنا صوراً من الحياة الاجتماعية في بغداد وغيرها وتبرز لنا ما كان عليه مجتمع العراق من تناقض طبقي ، وتباعد بين غني وفقير وزاهد وعابد وسني وشيعي ، وهي تعين المؤرخ في اغناء دراسته ويمكن ان تكون أحد مصادره النادرة ، لما فيها من تسجيل ذاتي ، وصدق في نقل الحقيقة .

أما قيمتها الفنية فليست بشيء الا أن الباحث اللغوي أو المؤرخ الادبي لا يمكنه أن يتركها لانها ظاهرة واقعة دخلت اللغة والشعر ويمكنه أن يفيد مما ورد فيها من الفاظ ومفردات ومصطلحات فيحدد معالمها ودلالاتها ويتتبع تطورها التاريخي .

وحين عرفنا هذا جيداً بذلنا الجهد للم أجزاء هذا الفصل من هنا وهناك ايفاءً بحق البحث واتماماً للصورة الموضوعية ، لان كلامنا على المجتمع يبقى ناقصاً ان أهملنا هذه الاشارات الشعرية الاجتماعية .

ان المظاهر الاجتماعية كثيرة ومتعددة وقد آثرنا أن نسجل ما هو بارز منها وما اهتم به الشعر وبين معالمه .

خاتمة :

مر العراق منذ بداية القرن الرابع للهجرة حتى مجيء البويهيين في شبه فوضى سياسية كانت ذات منبع اقتصادي ونتائج اجتماعية خطيرة ، فحدثت المجاعات وتخلخل البنيان الاخلاقي للمجتمع العراقي وكثر السلب والنهب والرشوة والزور والدجل .

وحين جاء العهد البويهي واستقرت الامور السياسية نوعاً ما لم تتحسن احوال المجتمع فالسلطة الجديدة لم تكن أقل جوراً من سابقتها ، ولربما زادت عليها قساوة وتجبراً ، واشتد أمرها على المجتمع حين بدأت تفتعل الفتن المذهبية والطائفية والعنصرية وتستفيد منها في تفتيت قوة الناس وقيمهم ، وزيادة على ذلك افتعل رؤساؤها المناسبات ، والالعب الرياضية ،

والاعمال اللاهية الاخرى لكي (يمنتصوا) حقد الناس على مظالمهم وجبروتهم .

واذا كان أول عهد البويهيين فترة تبدل سياسي أعقبها استقرار نسبي دام حتى وفاة معز الدولة ، فان عهد بختيار بن معز الدولة كان مضطرباً مرتبكاً وقد انعكس اضطرابه على أحوال الناس ، فكثرت في أيامه الفتن الطائفية والعنصرية ، وحين أمسك عضد الدولة الامور عاد الاستقرار السياسي ثانية لكنه لم يكن هذه المرة طويلاً كما في أيام معز الدولة ، فلم يدم أكثر من خمس سنوات أعقب ذلك ، وبعد وفاة عضد الدولة مباشرة ، هزات سياسية عنيفة تأثر بها كيان المجتمع وبنيتة .

ولم يسكت الناس على هذه الاوضاع المضطربة التي (أكلت) أجزاء كبيرة من اصاله هذا المجتمع وأعرافه ورزقه ، فلقد كانت لهم مع السلطات الظالمة جولات وثورات وكان أبرز مظاهر سخط الناس على حكاهم ، حركات القرامطة ، والعيارين والشطار والمظاهرات والحركات الشعبية المتعاقبة التي قاد قسماً منها الهاشميون أنفسهم .

كل هذا كان سببه الصراع الطبقي والتباين الاقتصادي الناتج عن سوء النظام الاقتصادي للدولة العباسية ، وعن الاطماع المتزايدة للحكام الذين صار همهم فرض الضرائب ومصادرة الناس ونهب أموالهم .

ولقد انقسم المجتمع العراقي الى طبقتين متباينتين رئيسيتين هما أساس بنیان هذا المجتمع ودافع حركته : الطبقة الحاكمة المستغلة والتي اطلق عليها اسم طبقة الخاصة ، والطبقة المحكومة المستغلة والتي اطلق عليها اسم طبقة العامة ، وهي الاكثر نفوساً (وفاعلية) .

ولا يفوت القاريء اننا نركز على المجتمع المدني لأن الشعراء كانوا أكثر التصاقاً به فالمدينة استقطبتهم بما تدره عليهم من مال وجاه وترف ، لذلك كادت البادية والارياف ان تفتقدهم .

وفي هذا المجتمع كان الشاعر عضواً بارزاً ، تربطه بالفئات الاجتماعية
الآخرى علاقات عديدة .

فمع الحاكم يرتبط بعلاقات اقتصادية ذات أثر كبير في وجوده
وفكره وتصرفه . وهو بالنسبة للحاكم شيء مزيم يؤثر في حياته ووجوده
فمثلما هو لسانه وسوطه هو نديمه وعشيرته . وكان يفيد مقابل هذا ثروة
لا تبقى كثيراً في يده فهو سرعان ما يبدها على موائد اللهو وفي مجالس
الشراب بالرغم مما كان يلاقي في سبيل جمعها من اهانات ومشقة سفر
وهجرة .

أما رابطة الشاعر مع الناس فبمنية - في الاغلب - على أساس من رابطة
الحاكم معهم .

وهناك شعراء ربطوا أنفسهم بمصير أبناء بلدهم وضربوا الملاذ التي
يحصل عليها من يرتبط بالحاكم عرضاً ، فأثبتوا شجاعة وسجلوا ثورة على
الذات وعلى الفساد .

أما علاقات الشاعر مع أصحابه الشعراء فكانت ذات صيغ تجارية
لذلك كثر الحسد والمنافسة والدس الرخيص ، ولا يعني هذا انعدام
العلاقات الحسنة بين شاعر وشاعر ، فلقد سجل لنا الزمن أنبل العلاقات
بين الصابي والشريف الرضي وبين الشريف وابن الحجاج أو بين شعراء
آخرين غير هؤلاء .

ومثلما تأثرت الحياة الاجتماعية بالسياسة والاقتصاد تأثر الشعر والأدب ،
فكان حصيلة التباين الطبقي تبايناً ثقافياً نلاحظه في شعر كل فئة من فئات
المجتمع لما هو معروف من أثر البيئة في الشعر ، فلقد عكس شعر الطبقة
الحاكمة طبيعة المجتمع المترف الذي عاشه رجالها ، واتضح لنا من خلال
شعر الخليفة الراضي - مثلاً - كيف كان مجتمع الخلفاء متحللاً ذليلاً لا
حول له ولا سلطة .

ثم اكتشفنا اعترافاً شعرياً على لسان الراضي يقول بانحراف هذا الخليفة

الى الغلمانية والدعارة ، وكذلك كان الأمر عند آل بويه ، والوزراء ورجال الدولة الآخرين .

ونتيجة لهذه البنية غير الاخلاقية لمجتمع الحكام شاعت الرذائل والفواحش في المجتمع على أساس المبدأ الرديء القائل (الناس على دين ملوكهم) فتهرأت القيم الخلقية ، وانحسرت اللغة المؤدبة ، وحلت محلها لغة ضالة مسففة ، فكان الهجاء الماجن ، والوصف الخليع ، والغزل العاهر ، والممازحة الممجوجة السمجة لغة تداولها الشعراء ، واستظرفها الخاص والعام .

وقد وصل اللفظ الفاحش الى وصف الاعمال الجنسية والاعضاء التناسلية وصفاً فاضحاً ، والى ترديد كلمات الفجور في كل مناسبة ، وقد أكدت لنا هذه الاشعار والمنظومات شيوع الغلمانية والبغاء بشكل واسع حتى ليتصور الانسان أن الانحراف الاخلاقي قد تركز في كيان المجتمع العراقي وصار أمراً اعتيادياً لا يعاب مريدوه ، ولا يعاقب فاعلوه .

وفي هذا المجتمع الذي انحرف بالقيم ، وصار حكامه آلات سطوة وسلب عاشت فئات لم تتحمل قساوة الحياة ولا استطاعت الوقوف أمام مآسيها فوضعت خلدتها واستصغرت نفسها ، وصغرت هممها ، فكبت بها السبل القويمة وشذت عن خط الحياة الواضح ، واتبعت أساليب وضيعة للحصول على قوتها ومسببات وجودها .

تلك هي فئات المكدين والسؤال التي توسعت وانتشرت بسبب الظروف الاقتصادية القاسية حتى صار لها شعراؤها ومتكلموها ، وعاداتها وتقاليدها . وقد عكس لنا شعر المكدين الصراع النفسي عند بعض رجالها ، كما صور لنا مجمل حياتهم تصويراً يكاد يكون تاماً بيتاً .

ومثل هذه الفئة من حيث الهروب أمام مشكلات الحياة كانت فئات المتصوفة التي آثر أغلب أعضائها الانزواء في الصوامع والانعزال عن الناس والفرق في لجج الافكار الغيبية أو التهويم بين ضباب الخيالات والشطحات

والصرعات . ولم يعد لهم هم إلا الحصول على اقامة العيش براحة بال وبلا كد ، وصارت لهم مزوجة بشيء من الهيبة والاحترام يعرضهم عن قيم فقدوها .

على أن هذه الفئات لم تخل من ايجابية بلغت أحياناً حد العنف والمواجهة فجوبهت بالموت والتعذيب كما حصل للحلاج وابن عطاء مثلاً .

وتعد فئة المتصوفة بالقياس الى الفئات التي باعت نفسها للسلطة أو انحرفت الى طريق الشذوذ الاخلاقي والكندية ايجابية ، لانها—عموماً— ظلت تحافظ على ماء وجهها ، وكان في افرادها من كسب من عمل يده أو ارتزق بعلمه .

ويبدو أن هذه الفئة قد انحسرت فاعليتها—وقد كانت فيما سبق ذات أثر في التوجيه الاخلاقي— في الاقل—بعد أن قُتل الحلاج ومُثل به وعذب ابن عطاء حتى الموت .

لقد أثر معظم افرادها في هذا القرن الركون الى الجانب الغيبي من الدين ولم يتعرض للجانب الذي يمس حياة المجتمع اليومية .

من هؤلاء كان الشبلي والكلاباذي وأبو طالب المكي ، والطوسي ، والسلمي وقد اتجه هؤلاء الذين ذكرناهم—عدا الشبلي—نحو التأليف في النواحي الصوفية وآدابها ، فأدوا بذلك خدمة لا تقدر لدارسي عادات هذه الفئة وطبائعها ، وكأني بهم قد عوضوا بتأليفهم عن سكوتهم تجاه مظالم الحياة الاجتماعية وقسوة حكام أزمانهم .

ولم يعدل المجتمع جماعات أخرى التزمت بقيمها ، وترفعت عن التمسح بالاذيال ، وصانت نفسها من الابتذال ، فما استكانت لذل ، ولا هادنت ظملاً ولا سكنت عن جبروت طاغية .

لقد كانت هذه الجماعات الساخطة أو المتمردة متباينة في عمليات مواجهتها للمظالم الاجتماعية ، فهناك من سخط ووقفت به جرأته عند ذم الزمان رامزاً بذلك الى ذم الحكام والمستلطين وهناك من سخط وأعلن

سنخطه في صراحة تامة وجراحة كبيرة .

ولقد تمثل لنا كل ذلك في اشعار الكثير من أهل العصر ، خاصة شعراء البصرة الذين نرى أن من أسباب جرأتهم تأثرهم بالافكار القرمطية وقربهم من دولة القرامطة في البحرين اضافة الى بعدهم عن مركز القوة « بغداد » . وكان ابن لنكك وأشعاره أنموذجاً لا يوازيه من حيث الجرأة غير أبي العلاء المعري في الشام ، ولابن لنكك السبق في هذه الانتفاضات الشعرية . ومن خلال هذا التناقض الاجتماعي برزت مظاهر حضارية اجتماعية عديدة ، بيّنت مقدار تأثير المجتمع العراقي بالحضارات الاجنبية المجاورة أو الوافدة بواسطة الغزو والاحتلال .

وكما كانت هناك مظاهر انفردت بها هذه الطبقة أو تلك ، كانت هناك أيضاً مظاهر اشتركت بها معظم الطبقات والفئات الاجتماعية .

فلقد لَمَّها أغلب الناس بمقادير متباينة ووسائل عديدة ، وتعددت وسائل اللهو وأماكنه ، فانتشر في بغداد ، وعُكبرا وبُصرى وأوانا ، وسامراء ، وتكريت وواسط والبصرة ، والاهواز وغيرها من المدن والمنتزهات والاديرة .

وفي أماكن اللهو هذه شاع الفساد ، والغناء وشرب الخمر ، بشكل انفرادي أو على صورة مجالس صاخبة .

وفي مجتمع الرق والجواري والاقطاع يسود الرجل سيادة مطلقة وتصبح المرأة متاعاً رخيصاً لهذا السيد المطلق ، ولقد ظلت المرأة العراقية في القرن الرابع في موقع اجتماعي متأخر جداً ، وبخاصة المرأة الحرة ، فلقد نافسها الجوّاري والغلمان وأخذوا المراكز المهمة في دور الخلفاء والملوك ، ووصلوا الى مرحلة بلغت فيها سطوة بعض الجوّاري أدرجة أعلى من سطوة الوزير . ولم تكن عادات وتقاليد المجتمع العراقي وليدة حضارة مستقلة خاصة بهذا المجتمع . فلقد كان لحركة التجارة بين العراق وغيره من الامم وللاحتلال الفارسي للعراق اضافة الى عشرات الآلاف من الجوّاري

والغلمان الروم أثر كبير في خلق تلاحم حضاري وفكري بين العرب والفرس والروم ، لذلك رأينا عادات مشتركة كثيرة بين هذه الاقوام تشكل مجموع المظاهر الحضارية للمجتمع العراقي .

لقد كان الناس يحتفلون باعياد النصارى الدينية وأعياد الفرس القومية كما يحتفلون بأعياد المسلمين ، وكانوا يتفننون في أزيائهم ومآكلهم ومجاسن شرايهم وأنسجهم بتأثير من هذا التلاحم الحضاري والتزواج الفكري .

لقد حصلنا من خلال الكشف عن معطيات النصوص الشعرية على صورة بيئة لمجتمع العراق في القرن الرابع بطبقاته وتأثيراته وعاداته ومظاهر حياته ، وكان لنا في دراستنا هذه أكثر من نتيجة ، فمن الاسلوب العلمي في تحليل النصوص الشعرية ذات الدلالات الاجتماعية ، توضح لنا المدى العميق لانهايار القيم الاخلاقية والدينية في المجتمع العراقي ، واستنتجنا بعد رؤية زينة محايدة أن هذا الانهايار الاجتماعي لم يكن مقصوداً أدخلته أقوام أخرى أو فئات شعوبية بقصد تحطيم الدين أو العروبة - كما يدعي بعض الباحثين - فقد كان نتيجة طبيعية للبنية الاقتصادية الاستغلالية التي ارتكزت عليها الدولة العباسية ، ولم ننكر ما للغزو الحضاري وصراعه مع القيم العربية البدوية من تأثير في انحراف الاعراف والاحلاق .

وقد تأكد لنا من خلال النصوص الشعرية ان الانهايار الاخلاقي بدأ من القمة ثم سار حثيثاً نحو القاعدة أي بدأ من دار الخليفة ثم انتشر في بغداد ومدن العراق الاخرى بين الطبقات الوسطى والفقيرة .

وكان من نتائج تحليل المجتمع تحليل لغة ابنائه وانحدارها نحو الرذيلة اللفظية ، فلم تعد اللغة السامية المترفعة هي لغة الشعر السائدة ، انما أصبحت اللغة العامية المبتذلة لغة أغلب الشعراء ، وحتى هذه اللغة العامية كانت تختلف في قيمها الفنية لانها كانت تحمل مفردات والفاظاً تمثل المنطلق الاجتماعي لكل فئة من فئات المجتمع ، ولهذا السبب درسنا القيمة الفنية لكل فصل بصورة منفردة وبشكل مكثف مبتعدين عن لغة الحشو والانشاء .

المصادر والمراجع

- الآثار الباقية عن القرون الخالية محمد بن أحمد البيروني (ت ٤٤٠ هـ) ليدن (مطبعة بريل) ١٩٢٣ .
- آداب الصحبة وحسن العشرة أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي ت ٤١٢ هـ . ي . قسطنطين - منشورات الجمعية الشرقية الاسرائيلية - اورشليم (مطبعة الحكومة - يافا) ١٩٥٤ .
- أبو حيان التوحيدي (سيرته - آثاره) . عبد الرزاق محي الدين نشر مكتبة الخانجي مصر (مطبعة السعادة) ١٩٤٩ .
- أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي (ت بعد ٣٧٥) ط ٢ . ليدن (مطبعة بريل) ١٩٠٦ .
- الاحكام السلطانية . أبو الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي (ت ٤٥٠) ط ١ القاهرة (شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي) ١٩٦٠ .
- اخبار الرازي والمتقي ابو بكر محمد بن يحيى الصولي ت ٣٣٥ او ٣٣٦ هـ . ميورث دن القاهرة (مطبعة الصاوي) ١٩٣٥ .
- أخلاق الوزيرين أو (مثاب الوزيرين صاحب بن عباد وأبن العميد) : أبو حيان علي بن محمد التوحيدي (ت نحو ٤١٤) - تح محمد بن تاووت الطنجي مطبوعات المجمع العلمي العربي - دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٩٦٥ .
- أدب الدنيا والدين : أبو الحسن الماوردي بعناية أحمد ابراهيم - وزارة المعارف العمومية - القاهرة (المطبعة الاميرية) ١٩٢٥ .
- الادب في ظل بني بويه : الدكتور محمود غناوي الزهيري - مصر مطبعة الامانة ١٩٤٩ .
- الاربعين في التصوف (كتاب) : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت ٤١٢) حيدر آباد الدكن (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٦٩ .
- الاشارات الهية والانفاس الروحانية : أبو حيان التوحيدي - تح الدكتور عبد الرحمن بدوي - القاهرة (مطبعة جامعة فؤاد الاول) ١٩٥٠ .

- أشعار أولاد الخلفاء : أبو بكر الصولي تحه هيو رث . دن . مصر (مطبعة الصاوي) ١٩٣٦ .
- الاعجاز والايجاز : أبو منصور عبد الملك الثعالبي ت ٤٢٩ ، مصر (المطبعة العمومية) ١٨٩٧ .
- الاعلام : خير الدين الزركلي ط ٢ (مطبعة كوستانس وشركاه) من ٩٥٤ - ١٩٥٩ .
- الاقاليم : أبو اسحاق الاصطخري طبع بالاوفست عن المخطوط د. ج. ا. ج مولر (كوتيه) .
- أقسام ضائعة من تحفة الامراء وأخبار الوزراء : لابي هلال الصابي . جمع وتعليق ميخائيل عواد ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٤٨ .
- الامتاع والمؤانسة : أبو حيان التوحيد تحه أحمد أمين ، أحمد الزين القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٩ - ١٩٤٤ .
- الاناقة في معالم الخلافة : أحمد بن عبد الله القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) الكويت (سلسلة التراث العربي) ١٩٦٤ .
- الاوراق ، أخبار الراضي ، أشعار اولاد الخلفاء .
- الاوراق : كتاب يبحث في أشهر ديارات العراق ، أحمد محمد السقاف ط ١ لبنان - عاليه ١٩٥٤ .
- أهل الكدية أبطال المقامات في الادب العربي : عبد النافع طليمات - دار الوليد - حمص - سوريا ١٩٥٧ .
- البخلاء : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥) تحه أحمد ظافر كوچان - دار اليقظة العربية ، دمشق (مطابع فتي العرب) ١٩٦٣ .
- البخلاء : أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) تحه الدكتور أحمد مطلوب والدكتور أحمد ناجي القيسي والدكتورة خديجة الحديثي - بغداد (مطبعة العاني) ١٩٦٤ .

البداية والنهاية : أسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٨٧٤) ، مصر (مطبعة السعادة) .

برد الاكباد : أبو منصور الثعالبي ضمن أربع رسائل أخرى طبعت في كتاب واحد على مطبعة الجوائب - قسطنطينية ١٣٠١ هـ .
البصائر والذخائر : أبو حيان التوحيد ، تـ الدكتور ابراهيم كيلاني ، دمشق (مكتبة أطلس ومطبعة الانشاء) ١٩٦٤ .

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ .

بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب : محمود شكري الالوسي البغدادي تـ محمد بهجة الاثر ط ٣ ، مصر (دار الكتاب العربي) .

بين التصوف والحياة : الشيخ عبد الباري الندوي ، نقله الى العربية محمد الحسيني الندوي ، دمشق (مكتبة دار الفتح) ١٩٦٣ .

تاج العروس : محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) نشر دار ليبيا للنشر ، بنغازي . طبع دار صادر - دار بيروت - بيروت ١٩٦٦ .

تاريخ أبي الفداء (كتاب المختصر في أخبار البشر) : أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ) ، بيروت (دار الكتاب اللبناني) د . ت .

تاريخ الامم والملوك : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) بيروت (مكتبة خياط) .

تاريخ بغداد : الخطيب أحمد بن علي البغدادي ، مصر (مطبعة السعادة) ١٩٣١ .

تاريخ الحكماء : وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنخبات الملتقطات من أخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي - لايبزغ ١٩٠٣ - أوفست مكتبة المثني - بغداد .

تاريخ الخلفاء : الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

(ت ٩١١ هـ) محي الدين عبد الحميد ط ٣ ، القاهرة (مطبعة المدني)
١٩٦٤ .

تاريخ الشعوب الاسلامية : بروكلمان ، ترجمة نبيه فارس ومنير
بعلبكي ط ٣ ، بيروت ، دار العلم ١٩٦١ .

تاريخ الفلسفة العربية : حنا الفاخوري ، و خليل الجر ، بيروت (دار
المعارف) ١٩٥٧ .

تاريخ الفلسفة في الاسلام ت. ج. دي بور ، ترجمة محمد عبد الهادي
أبي ريدة ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والنشر) ١٩٣٨ .

تمة اليتيمة : أبو منصور عبد الملك الثعالبي تح عباس اقبال ، طهران
(مطبعة فردين) ١٣٥٣ هـ .

تجارب الامم : أبو علي أحمد بن محمد مسكويه ، تصحيح أمدروز ،
مصر (شركة التمدن الصناعية) ١٩١٤ - ١٩١٦ .

التحف والهدايا ، الخالديان : محمد وسعيد ابنا هاشم (ت ٣٨٠ ،
٣٩٠) تح الدكتور سامي الدهان . مصر (دار المعارف) ١٩٥٦ .

تحفة الامراء في تاريخ الوزراء : أبو الحسن الهلال بن المحسن العباس
(ت ٤٤٨) تح عبد الستار أحمد فراج ، مصر (عيسى البابي وشركاه)
١٩٥٨ .

التصوف الاسلامي : الدكتور زكي مبارك ط ٢ ، القاهرة (دار
الكتاب العربي) ١٩٥٤ .

التصوف الثورة الروحية في الاسلام : الدكتور أبو العلا عفيفي ، مصر
(دار المعارف) ١٩٦٣ .

التصوف في الشعر العربي : عبد الحكيم حسان ، القاهرة (مكتبة
الانجلو المصرية) ١٩٥٤ .

التعرف لمذهب أهل التصوف : أبو بكر محمد الطلابي (ت ٣٨٠)
تح الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سزور ، مصر (عيسى

البابي (١٩٦٠ .

تقويم البلدان : الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء صاحب حماء ،
باريس (دار الطباع الطباعة السلطانية) ١٨٤٠ أعادت طبعه بالاوفست
مكتبة المثنى ، بغداد .

تكملة تاريخ الطبري : محمد بن عبد الملك الهمداني (ت ٥٢١) تح
البرت يوسف كنعان ط ٢ ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٦١ .
تلبس ابليس : عبد الرحمن بن الجوزي ، (ادارة المطبعة المنيرية)

١٩٢٨ .

التلخيص في معرفة أسماء الاشياء ، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥)
تح الدكتور عزة حسن (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) دمشق مطبعة
الترقي ١٩٧٠ .

تلطيف المزاج : من شعر ابن الحجاج مخ مصور في المجمع العلمي
رقم ٣٤٦ - م .

التمثيل والمحاضرة : أبو منصور الثعالبي تح عبد الفتاح محمد الحلو ،
مصر (عيسى البابي وشركاه) ١٩٦١ .

التمدن الاسلامي ، جرجي زيدان ، علق على حواشيه ، الدكتور
حسين مؤنس ، القاهرة (مطابع دار الهلال) ١٩٥٨ .

التنبيه والاشراف ، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)
القاهرة (مطبعة عبد الله الصاوي) ١٩٣٨ .

تيارات ثقافية : الدكتور أحمد الخوفي ، مصر (دار نهضة مصر)
١٩٦٨ .

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، أبو منصور الثعالبي تح محمد أبي
الفضل ابراهيم ، القاهرة (دار نهضة مصر للطباعة) ١٩٦٥ .

الحركات التقدمية في العراق حتى غزو التتار : الدكتور صلاح الدين
المنجد ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٦٢ .

الحضارة الاسلامية في القرن الرابع للهجرة : آدم متر ، القاهرة (مطبعة
لجنة التأليف والنشر) ١٩٥٧ .

حضارة الاسلام : جوستاف ا. فون جرونباوم ، القاهرة (دار مصر
للطباعة) ١٩٥٦ .

حكاية أبي القاسم البغدادي : محمد بن المطهر الازدي باشراف آدم
متر هايدلبرج (مطبعة كارل ونتر) ١٩٠٢ .

(يرى الدكتور مصطفى جواد أن هذا الكتاب من تأليف أبي حيان
التوحيدي وله على ذلك عدة دلائل ، مجلة الاستاذ مجلد ١٢) .

حلية الاولياء وطبقات الاصفياء : الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله
الاصبهاني (ت ٤٣٠) ، مصر (مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة) ١٩٣٢
- ١٩٣٨ .

انصار الحمقى والمغفلون : أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي تح علي الخاقاني
- بغداد (مطبعة البصري) ١٩٦٦ .

خاص الخاص : ابو منصور الثعالبي ، قدم له حسن الامين ، بيروت
(منشورات مكتبة الجبلة) ١٩٦٦ .

الخزانة الشرقية : حبيب زيات ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ج ١
١٩٥٢ ، ج ٢ ١٩٣٧ .

دائرة المعارف الاسلامية : الترجمة العربية ، ترجمة عبد الحميد يونس
وآخرين .

دراسات في العصور العباسية المتأخرة : الدكتور عبد العزيز الدوري ،
(شركة الرابطة للطبع والنشر) بغداد (مطبعة السريان) ١٩٤٥ .

درة التاج : من شعر ابن الحجاج ، نسخة مخطوطة محققة من قبل د.
علي جواد الطاهر ومعدة للطبع .

دمية القصر وعصرة أهل العصر : الجزء الأول ، أبو الحسن علي بن
الحسن الباخريزي (ت ٤٦٧ هـ) تح عبد الفتاح الحلو (دار الفكر العربي)

مصر (مطبعة الترقى) ١٩٦٨ .

الدولة الحمدانية في الموصل وحلب : دكتور فيصل السامر ، بغداد
(مطبعة الايمان) ١٩٧٠ .

ديوان ابن الحجاج : الحسين بن أحمد (ت ٣٩١ هـ) مخ منه نسخ
مصورة بالمجمع العلمي تبدأ من رقم ٤٣٤ - م الى ٤٤١ - م .
ديوان ابن دريد : أبو بكر محمد بن دريد الازدي (ت ٣٢١ هـ) تم
وجمع السيد محمد بدر الدين العلوي ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف
والنشر) ١٩٤٦ .

ديوان ابن المعتز : عبد الله بن المعتز (ق ٢٩٦) ، بيروت (دار صادر
- دار بيروت) ١٩٦١ .

ديوان أبي نواس : الحسن بن هانيء (ت ١٩٨ هـ) تم أحمد عبد المجيد
الغزالي ، بيروت (دار الكتاب العربي) ١٩٥٣ .

ديوان البحري : الوليد بن عبيد الطائي (ت ٢٨٤ هـ) ، بيروت (دار
صادر - دار بيروت) ١٩٦٢ .

ديوان الحلاج : أبي منصور الحسين (ق ٣٠٩) تم لويس ماسينيون ،
باريس ١٩٥٥ .

ديوان السري : بن أحمد الكندي الرفاء (ت ٣٦٠) ، القاهرة (مكتبة
القدس) ١٣٥٥ هـ .

ديوان الشبلي : دلف بن جحدر (ت ٣٣٤) جمع الدكتور كامل
مصطفى الشبي ، بغداد (مطبعة دار التضامن) ١٩٦٧ .

ديوان الشريف الرضي : أبو الحسن محمد بن الحسين بن الطاهر (ت
٤٠٦) ، بيروت (دار صادر - دار بيروت) ١٩٦١ .

ديوان الشريف المرتضى : علي بن الحسين بن الطاهر (ت ٤٣٦) تم
رشيد الصفار مراجعة الدكتور مصطفى جواد ، مصر (عيسى البابي
الخلي) ١٩٥٨ .

ديوان صريع الدلاء : ابو الحسن محمد بن عبد الواحد او علي بن عبد الواحد كما في بعض المصادر المتوفي سنة ٤١٢ هـ والديوان مخطوط يزمع تحقيقه السيدان أحمد النجدي وطلاق عيد عون وقد اعتمدنا نسختهم المصورة .

ديوان المتنبي : أحمد بن الحسين (ق ٣٥٠) تح الدكتور عبد الوهاب عزام ، مصر (مطبعة لجنة التأليف والنشر) ١٩٤٤ .

ديوان مهييار الديلمي : القاهرة ط (دار الكتب المصرية) ١٩٢٥ .

ديوان الهمداني : بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين (ت ٣٩٨) ، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٩٠٣ .

رسائل الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥) تح عبد السلام هارون ، مصر (مكتبة الخانجي) ١٩٦٤ .

(رسائل الصابي والشريف الرضي : تح محمد يوسف نجم ، الكويت (سلسلة التراث العربي بالكويت) ١٩٦١ .

رسوم دار الخلافة : أبو الحسن هلال بن الحسن انصابي (ت ٤٤٨ هـ) تح ميخائيل عواد ، بغداد (مطبعة العاني) ١٩٦٤ .

الرسالة القشيرية في علم التصوف : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٤٦٥) تح الدكتور عبد الحليم محمود ، عبد الباقي سرور ، مصر (مطبعة لجنة التأليف والنشر) ١٩٦٦ .

زجر النابح : أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري (ت ٩٤٩) تح أحمد الطرابلسي مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٩٦٥ .

زهر الآداب وثمر الالباب : أبو اسحق ابراهيم بن علي الحصري (ت ٤١٣) تح عدلي محمد البجاوي ، مصر (مطبعة عيسى البابي وشركاه) ١٩٥٣ .

شخصيات قلقة : الف بينها وترجمها الدكتور عبد الرحمن بدوي ،

ط ٢ ، القاهرة (دار النهضة العربية) ١٩٦٤ .

شرح أسماء العقار : الشيخ أبو عمران موسى بن عبيد الله الاسرائيلي ،
تح الدكتور ماكس ماير هوف طبعة أوروبا ١٩٤٠ (أوفست مكتبة
المثني) بغداد .

الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي : الدكتور علي
جواد الطاهر ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٥٨ .

شعراء النصرانية : لويس شيخو ، بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين)
١٩٢٦ .

شهيدة العشق الالهي رابعة العدوية : الدكتور عبد الرحمن بدوي ط ٢
مصر (مكتبة النهضة) ١٩٦٢ .

الصحاح : اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣) تح أحمد عبد
الغفور عطار ، مصر (دار الكتاب العربي) ١٩٥٦ .

الصدقة والصديق : أبو حيان التوحيدى ، تح الدكتور ابراهيم الكيلاني ،
دمشق (دار الفكر) ١٩٦٤ .

الصوفية في الاسلام : تأليف نيكلسون ، ترجمة نور الدين شربية ،
مصر (مكتبة الخانجي) ١٩٥١ .

طبقات الصوفية : لأبي عبد الرحمن السلمي تح نور الدين شربية ، مصر
(دار الكتاب العربي) ١٩٥٣ .

الطبقات الكبرى ، المسمى لوفح الانوار في طبقات الاخبار : لابي المواهب
عبد الوهاب بن احمد الشعرائي (ت ٩٧٣) القاهرة (مصطفى البابي
الخلي) ١٩٥٤ .

الطبيخ : تأليف محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم الكاتب البغدادي
(ت ٦٢١) تح الدكتور داود الحلبي ، الموصل (مطبعة أم الربيعين)
١٩٣٤ .

الظرفاء والشحاذون : الدكتور صلاح الدين المنجد ، ط ٢ ، بيروت (المؤسسة الاهلية) د. ت.

ظهر الاسلام : أحمد أمين ، ط ٣ ، مصر ١٩٥٢ .

العبر في خبر من غبر : للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨) تح صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد ، الكويت (١٩٦٠ - ١٩٦٣) .

العقيدة والشريعة في الاسلام : للمستشرق كولد زهير ترجمه الدكتور علي حسن عبد القادر وآخرين ، ط ٢ ، مصر (دار الكتاب العربي) ١٩٥٩ .

عوارف المعارف : عبد القاهر بن عبد الله السهروردي (ت ٥٦٣) بيروت (دار الكتاب العربي) ١٩٦٦ .

الفخري في الآداب السلطانية : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩) ، بيروت (دار بيروت) ١٩٦٦ .

الفرج بعد الشدة : القاضي أبو علي المحسن التنوخي (ت ٣٨٤) ، مصر (مطبعة الهلال) ١٩٠٣ .

الفلاكة والمفلوكون : احمد بن علي عبد الله شهاب الدين الدبلي (ت ٨٣٨) ، مصر (مطبعة الشعب) ١٣٢٢ هـ .

الفلسفة الصوفية في الاسلام : الدكتور عبد القادر محمود ، مصر (مطبعة المعرفة) ١٩٦٦ .

في الادب العباسي : الدكتور محمد مهدي البصير ، ط ٢ ، بغداد ١٩٧٠ .

في التصوف الاسلامي : نيكلسون ترجمة ابي العلاء عفيفي ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٦٥ .

الفهرست : محمد بن اسحق بن النديم (ت ٣٨٥) اشراف غوستاف فلوجل وجونسن رودجر ط أوروبا ، أوفست (مكتبة خياط) بيروت ١٩٦٤ .

قصيدة للخيزأرزي : مخ (دار الكتب الظاهرية) رقم ٣٣٢٣ ولدي نسخة مصورة عنها .

قوت القلوب في معاملة المحبوب : أبو محمد بن علي المكي (ت ٣٨٦) مصر (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده) ١٩٦١ .

الكامل في التاريخ : عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ) ، بيروت (دار صادر - دار بيروت) ١٩٦٥ - ١٩٦٦ ، وهذه الطبعة منقولة عن طبعة أوروبا الواقعة ما بين ١٨٥١ - ١٨٧١ .

الكشكول : بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الهمداني (ت ١٠٣١ هـ) ، مصر (دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه) ١٩٦١ .

الكنية والتعريض : ابو منصور الثعالبي تصحيح محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، مصر (مطبعة السعادة) ١٩٠٨ .

لباب الآداب : أسامة بن مرشد بن منقذ (ت ٥٨٤) تح احمد محمد شاكر ، مصر (المطبعة الرحمانية) ١٩٣٥ ، أوفست (مكتبة المثني) بغداد .

لسان العرب : ابو الفضل محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ) ، بيروت (دار صادر - دار بيروت) ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .

لطائف المعارف : ابو منصور الثعالبي تحقيق ابراهيم الابياري وحسن كامل ، القاهرة (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه) ١٩٦٠ .

لزوم ما لا يلزم أو اللزوميات : ابو العلاء احمد بن عبد الله المعري (ت ٤٤٩) ، بيروت (دار صادر - دار بيروت) ١٩٦١ .

المحاسن والمساويء : ابراهيم بن محمد البيهقي ، كان حياً أيام المقتدر تح محمد ابي الفضل ابراهيم ، القاهرة (مطبعة نهضة مصر) ١٩٦١ .

محاضرات الادباء ومحاولات الشعراء والبلغاء : ابو القاسم حسين بن

محمد الراغب الاصبهاني (ت ٥٠٢ هـ) ، بيروت (منشورات دار مكتبة الحياة) ١٩٦١ .

محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية : محمد الحضري ، ط ١٠ ، مصر (مطبعة الاستقامة) د . ت . .

المحمدون من الشعراء : علي بن يوسف القفطي (ت ٤٤٦) تح حسن معمرى مراجعة حمد الجاسر (منشورات دار اليمامة - الرياض ، المملكة العربية السعودية) ، بيروت (مطبعة المتنبي) ١٩٧٠ .

مختصر التاريخ : ظهير الدين علي بن محمد المعروف بابن الكازروني (ت ٦٩٧) تح الدكتور مصطفى جواد ، سلسلة كتب التراث ، بغداد (المؤسسة العامة للطباعة والصحافة) ١٩٧٠ .

مختارات البارودي : محمود سامي البارودي (ت ١٩٠٤ م) ، القاهرة (مطبعة الجريدة) ١٣٢٧ هـ .

مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع : صفى الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩) تح علي محمد البجاوي ، مصر (دار احياء الكتب العربية - عيسى الباني الحلبي وشركاه) ١٩٥٤ .

مروج الذهب ومعادن الجوهر : علي بن الحسين المسعودي تح محي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، مصر (مطبعة السعادة) ١٩٦٤ .

المسالك والممالك : ابن اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصبخري عاصر القرن الرابع ، سلسلة تراثنا - وزارة الثقافة في ج.ع.م . ، القاهرة (دار القلم) ١٩٦١ .

مطالع البدور في منازل السرور : علاء الدين علي بن عبد الله البهائي القرولي ، القاهرة (مطبعة ادارة الوطن) ١٢٩٩ هـ .

معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ) ، بيروت (دار صادر - دار بيروت) ١٩٥٥ - ١٩٥٧ .

معجم الادباء أو ارشاد الارب الى معرفة الاديب : ياقوت الحموي

اشراف الدكتور احمد فريد رفاعي ، مصر (مطبوعات دار المأمون)
١٩٣٦ .

معجم الشعراء : محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٧٠ هـ) تح عبد الستار
فراج ، القاهرة ١٩٦٠ .

مع المتنبي : الدكتور طه حسين ، مصر (دار المعارف) ١٩٦٠ .
معالم القرية في احكام الحسبة : محمد بن محمد بن احمد القرشي المعروف
بابن الاخوة تح وين ليوي كمبرج (مطبعة دار الفنون) ١٩٣٧ .

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص : الشيخ عبد الرحيم بن احمد
العباسي (ت ٩٣٦) تح محي الدين عبد الحميد ، مصر (مطبعة السعادة)
١٩٤٧ .

مفاخرة الغلمان والجواري : الجاحظ تح شارل بلا ، لبنان (دار
المكشوف) ١٩٥٧ .

المقاييسات : ابو حيان التوحيد تح حسن السندوبي ، مصر (المطبعة
الرحمانية) ١٩٢٩ .

مقامات بديع الزمان الهمذاني : تح محمد عبده .
المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء : القاضي ابو العباس
احمد بن محمد الجرجاني الثقفي (ت ٤٨٢) ، ط ١ ، مصر (مطبعة
السعادة) ١٩٠٨ .

المنتظم في تاريخ الملوك والامم : ابن الجوزي ، حيدر آباد (دار
المعارف العثمانية) ١٣٥٧ - ١٣٥٩ هـ .

من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام : بندلي جوزي ، بيروت (دار
الروائع) د. ت . .

من غاب عنه المطرب : الثعالبي ، ملحق مع التحفة البهية والطرفة
الشهية ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ .

الموشى أو الظرف والظرفاء : ابو الطيب اسحق بن يحيى الوشاء (ت

- ٣٢٥ هـ) ، تح كمال مصطفى ، مصر (مطبعة الاعتماد) ١٩٥٧ .
- النبراس في تاريخ بني العباس : أبو الخطاب عمر بن الشيخ حسن بن رحية (ت ٦٣٣) تح عباس العزاوي ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٤٦ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : جمال الدين بن يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ) ، مصر (مطبعة دار الكتب) ١٩٢٦ أوفست وزارة الثقافة والارشاد القومي ج.ع.م. .
- نزهة الالباء في طبقات الادباء : ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن الانباري (ت ٥٧٧) تح الدكتور ابراهيم السامرائي ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٥٩ .
- نساء الخلفاء أو جهات الأئمة : ابو علي بن أنجب المعروف بابن الساعي (ت ٦٧٤) تح الدكتور مصطفى جواد ، مصر (دار المعارف) .
- نشوار المحاضرة أو جامع التواريخ : القاضي ابو علي المحسن بن علي التنوخي مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق - ٨ ١٩٣٠ ج ١ ، مصر (مطبعة هندية) ١٩٥١ .
- نكت الهميان في نكت العميان : صلاح الدين خليل بن يبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) وقف على طبعه احمد زكي ، مصر (المطبعة الجمالية) ١٩١١ .
- نهاية الارب في فنون الادب : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣) ، مصر (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٩٢٣ وما بعدها أوفست وزارة الثقافة والارشاد القومي ج.ع.م. .
- الوافي بالوفيات : صلاح الدين الصفدي ج ١ اعتناء هـ . رينر استانبول (مطبعة الدولة) ١٩٣١ ، نشر جمعية المستشرقين الالمانية المانية ، فسيادان (دار النشر فرانزشتاين) ، ج ١٢ اعتناء س. ديدرينغ ، استانبول (مطبعة وزارة المعارف) ١٩٤٩ ، ج ٣ ، ٤ اعتناء س. ديدرينغ ، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٩٥٣ ، ١٩٥٩ .

الوصف في شعر القرن الرابع : الدكتور جميل سعيد ، بغداد (مطبعة الهلال) ١٩٤٨ .

وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان : شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان (ت ٦٨١) تح محي الدين عبد الحميد ، مصر (مطبعة السعادة) ١٩٤٨ .

الهفوات النادرة غرس النعمة : ابو الحسن محمد بن هلال الصابي (ت ٤٨٠ هـ) تح صالح الاشتر ، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) ١٩٦٧ .

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : ابو منصور الثعالبي تح محي الدين عبد الحميد ، ط ٢ ، مصر (مطبعة السعادة) ١٩٥٦ .
المجلات :

مجلة التراث الشعبي س ١ ع ٢ ١٩٦٣ .

مجلة سومر ج ٢ سنة ١٩٥٤ .

مجلة كلية الآداب ع ١ حزيران سنة ١٩٥٩ .

مجلة المجمع العلمي العراقي مج ٤ سنة ١٩٥٦ .

ملاحظة :

هناك مصادر ومراجع استعملنا قليلاً ولم نذكرها في هذه القائمة ، واكتفينا بالاشارة اليها في الهوامش .

فهرس الأعلام

الاصطخري : ٩
 الاصفهانى (ابو الفرج) : ٢٦٤
 الآلوسى : ١٤٧
 الآمدى : ٤٦ ، ٢٦٨
 (ابو القاسم بن بشر)
 أمية بن أبي الصلت : ٢١٧
 ابن الأنبارى : ٥٢ ، ٨٢
 أشمونى : ٣١٧ ، ٣١٨
 ب
 بابل : ٢٥
 الباخري : ٩
 البارودى : ٦٤ ، ٢٧٤ ، ٣٠٨
 بجكم التركى : ١٧ ، ١٨ ، ٣٠ ،
 ٩٠ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠١ ،
 ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٣١ ، ٢٢١ ،
 ٢٨٧
 البحرى : ٤٥ ، ٥٣ ، ١٥٠ ،
 ١٩٢
 البخارى : ٤٣
 بختيار : عز الدولة
 بدعة (مغنية) : ١١٦ ، ٢٨٧
 بديع الزمان الهمدانى : ٤٦ ، ١٩١ ،
 ٢١٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣
 بروكلمان : ٢٨ ، ١١٣
 البريدى (عبد الله) : ١٦ ، ١٧ ،
 ١٨ ، ٣٢ ، ١٩٣ ، ٢٤٨ ، ٢٦٤
 ابن بسم : ١١٣ ، ٢٦٢ ، ٢٨٤ ،
 ٢٩٦ ، ٣١٣
 بشار : ١٩٢
 (الشاعر)

١
 ابراهيم بن محمد المادرائى : ٣٠
 ابليس : ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ ،
 ٢٤٢
 ابن الأثير : ٣٤ ، ٢٦٤
 احمد بن اسماعيل زنجى : ١٢٠
 احمد امين : ٣١
 ابو احمد بن حماد البصرى : ٢٥٧
 احمد بن حنبل : ٤٣
 احمد بن كامل بن خلف (القاضي)
 ٣١٤
 الاحنف المكبرى : ١٠٧ / ١٩٧ ،
 ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ،
 ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،
 ٢١٣
 احمد الحوفى (الدكتور) : ١٤٨
 احمد بن عبد الله البديهي : ٢٨٢
 احمد بن علي الكوفى : ١٨
 احمد بن كليب النحوي : ١٦٥
 احمد بن محمد بن أبي الشوارب :
 (أبو الحسن) : ٢٦٩
 احمد بن محمد السامرائى : ٦٤ هـ
 احمد بن محمد بن عطاء : ابن عطاء
 احمد بن يحيى : ٢٣٧
 الأخطل : ١٩٢
 ابن الأخوة : ٦٣
 آدم متر : ١٠ ، ١٦ ، ٣١ ، ١٦٠
 ابن أبي الساج : ٢٤٩
 ابن أبي الشوارب القاضي : ٢٦٧ ، ٢٩٧

٤٤ ، ٤٦ ، ١٠٧ ، ١١١ ،
 ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٤١ ،
 ١٤٤ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٧٠ ،
 ١٧٥ ، ١٨٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
 ٢٢١ ، ٢٦٨ ، ٢٨٤ ، ٢٩٤ ،
 قهر خاتنة أم المقتدر : ١٤ ، ٣١٢

ج

الجاحظ : ١٩١ ، ٢٠٩ ، ٣١٤ ،
 جارية ابن مقلة : ٢٨٩ ،
 جبريل (في شعر العصفري) : ٧٣ ،
 جحظه : ١٧٠ ، ١٩٧ ، ٢٣٥ ،
 ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
 ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ،
 ٣٠١ ، ٣٠٦

ج. د. بور : ٢١٧

الجرجاني (صاحب الكنايات) : ١٥٥ ،
 الجرجاني (محمد بن احمد البندادي) :
 ٥٨ ، ٢٥٩

جرو بنيام : ٣٠

جرير : ١٩٢

ابن جرير : الطبري

ابن الخصاص : ٢٤ ، ٣٠

ابو جعفر العيمري : ١١٤

ابو الحمال (الوزير) : ٢٦٣

جميل سعيد (الدكتور) : ١٠٣

ابن جني : ٤٥

الجنيد : ٢٢٥

ابن الجوزي : ٣٤ ، ٩٨ ، ٢٢٠ ،

٢٢١ ، ٢٢٨

الجوهري : ٤١ ، ٤٤

ح

الحاتمي : ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩

بشار عواد معروف : ١٤٩

بشر الخافي : ٣١١

بشر بن هارون : ٦١

البغدادي : ٣٠١

ابن بقية الوزير : ٥٢ ، ٥٨ ،

٦٣ ، ٨٢ ، ٢٩١

ابو بكر (الخليفة) : ٢١٠ ، ٣١٧

بليق : ١٦ ، ٨٩ ، ١٣١

بنان (جارية المتوكل) : ٣١٢

بندلي جوزي : ١٥ ، ٣٤

بهاء الدولة : ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ،

٢٧ ، ٦٤ ، ١٠١ ، ١٣٦ ،

١٩٣

ابن بهلول (المغمي) : ٢٣٥

البيهر نصري نادر : ٢١٦

البيهقي : ١٩١ ، ٢٣٨

تاج الدولة بن عضد الدولة : ١٠٥ ،

١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،

١١١ ، ٣٠٤

تجني (جارية الوزير المهلب) :

١٢٤

ابو تراب (في شعر الخبز آري) :

٧٤

ابن تغري بردى : ٩٨

ابو تغلب بن حمدان : ١٠٧

تكين الجامدار : ١٢٥

ابن التمار الواسطي : ١٥٤

ابو تمام : ٤٥ ، ١٩٢

التنوشي : المحسن

توزون : ١٨ ، ١٩ ، ٨٦ ، ١٠١

ثابت بن هارون : ٦١

الثعالبي (ابو منصور) : ٩ ، ٣١ ،

٤٠ ، ٤٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ،
 ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٣ ، ٢٧٦
 ابو حيان التوحيدى : ٣٦ - ٣٧ ،
 ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ،
 ١٥٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٧٢ ،
 ٢٩٧ ، ٢٧٩

خ

الخاطف (جارية) : ٢٩٨
 ابن خاقان : ٣١٢
 الخاقاني (الوزير) : ٢٤ ، ٣٥
 الخالديان : ٣٥ ، ٦٩ ، ٧٠
 الخوارزمي : ٤٧ ، ٥٧ ، ٧٤ ،
 ٧٥ ، ١٠٧ ، ١٥٣ ، ١٦٥ ،
 ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ٢٤٨ ،
 ٢٩٠ ، ٢٩٧
 الخصري : ١٠٠ ، ١٠١
 الخطيب البغدادي : ٣١٤
 ابن خلكان : ١١٩
 الخليج : ٢٨٦
 خمره (الحارية) : ١٨٥ ، ٣١٣ ،
 ابو بكر الخوارزمي : ٤٦ ، ١٠٢ ،
 ٣٢٢ ، ٣٢٤

د

الدانيالي : ٢٦٣
 ابن دريد : ٤٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ،
 ٢٥٦
 دره (المغنية) : ٢٩٧
 ابو دلف الخرجي (مسعر بن
 مهلهل) : ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ،
 ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ،
 ٢١٢ ، ٢١٣

الحاكم بأمر الله : ١٤٨

حامد بن العباس : ٢٤ ، ٢٥ ،
 ١١٣ ، ١٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٣ ، ٢٨٨
 حبيب زيات : ٢٨٣
 ابن الحجاج : ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣ ،
 ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ،
 ٨١ ، ٨٣ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،
 ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
 ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،
 ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،
 ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،
 ١٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢١٣ ، ٢٥٥ ،
 ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،
 ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
 ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣١١ ،
 ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٧
 حسان (في شعر العصفري) : ٧٣
 حسن ابراهيم حسن : ١٠١
 حسن العكبراوية (مغنية) : ٢٨٩
 الحسين بن اسماعيل المحاملي (ابو عبد
 الله) : ٣١٣
 حسين امين (الدكتور) : ٣٣
 الحسين بن احمد بن سعيد الجنابي : ٢٤٩
 الحسين بن القاسم الوزير : ٢٦٣
 الحسين بن علي بن ابي طالب : ٢١٠ ،
 ٣٢١ ، ٣٢٣
 حسين علي محفوظ : ٣١٩
 الحسين بن منصور : الحلاج
 الحصري : علي بن ابراهيم
 الحصري شيخ الصوفية : ٢٣٥
 الخطيشة : ١٩٢
 الحلاج (الحسين بن منصور) : ٣٨ ،

ذ

ذو الرمة (غيلان) : ٧٣
في شعر المصفرى :
ذو النون المصري : ٢٣٤

ر

ابن رائق : ١٧ ، ١٨ ، ٣٠ ،
٣٢ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠١ ،
١١٤ ، ١١٨ ، ١٣١
رابعة العدوية : ٢٣٩
الراضى (الخليفة) : محمد بن جعفر
المقتدر : ١١ ، ١٦ ، ١٧ ،
٣٨ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ،
٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ،
٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،
٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
١٥٥ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ٢٤٩ ،
٢٦٦ ، ٨٧ ، ٣٢٧
ربيعة بن مكرم : ٦٩
الرسول : ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٤ ،
٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٣١١ ، ٣١٧ ،
٣١٩ ، ٣٢١
ابو رقاعة (القاضي) : ٦١٢
ابو الرقعمق : ١٤٨
ركن الدولة : ٢١
الرماني (ابو الحسن علي بن عيسى)
٤٥
الرملي (الشاعر) : ١٨٢ ، ١٨٥
روبن بيوي : ٦٣
روعة المغنية : ٢٩٧
ابو رياش : ١٨٢

ز

الزجاج : ٤٥
ابن زريق الكوفي : ٦٠ ، ٦١ ،
٨٢ ، ٢٣٥ ، ٣٠٩

س

ابو السائب : عتبة بن عبد الله
سابور بن اردشيز : ٥٥ ، ٥٦ ، ٦١ ،
الساري : ٢٦٤
ستيته بنت القاضي : ٣١٣
السرمرائي : ٢٦٤
السري الرفاء : ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ،
٧٥ ، ١٧٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ،
٢٩٦ ، ٣٠٩
ابن مسعدان (الوزير) : ٤٠
ابو سعيد الصفيري : ١٧٧
ابن سكره : ٤٧ ، ٥٣ ، ٧١ ،
٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٥١ ،
١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ،
١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،
١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ،
١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢١٣ ،
٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٩٤ ، ٣٠١
السلامي الشاعر (ابو الحسن) : ٥٠
٥٥ ، ٦١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٦٨ ،
١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ،
١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٩٣ ،
٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،
٣١٨
سلطان الدولة : ٥٥
السلمي (ابو عبد الرحمن) : ٤٤ ،

ابن شيرزاد : ١٩ ، ٣١٣
الشیطان : ٢٥٩

ص

الصابي : ٣٥ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٦ ،
٥١ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ،
٨١ ، ٨٣ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ،
١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ ،
١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٨٢ ،
١٨٥ ، ١٩٢ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ،
٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٠٦ ،

٣١٠ ، ٣١٦ ، ٣٢٧

الصاحب بن عباد : ٤٠ ، ٤١ ،
٤٣ ، ٨١ ، ١١١ ، ١١٥ ،
١٣٥ ، ١٥٠ ، ١٩٤ ، ٢٠٥ ،
٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٥٩ ،

٢٨٩ ، ٢٩٦

صاعد بن مخلد : ١٩٣

ابن صبرا القاضي : ٢٩٧

صبي موصلي عيار : ٢٣٥ ، ٢٨٠ ،
صريع الدلاء : ٥١ ، ٥٤ ، ٩٢ ،
١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٧ ، ١٩٣ ،
١٩٦ ، ٢٨٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ،
٣٠٠ ، ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ،

٣٢٠

صلاح الدين المنجد : ٧٦

صمصام الدولة : ٢١ ، ٢٧ / ٦٤

صوفة (اسم رجل) : ٢١٨

الصولي (ابو بكر) : ٣٨ ، ٤٥ ،
٤٦ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨٦ ،

٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠

سمتون : ٢١٩ ، ٢٢٩

السيدة العذراء : ٣١٨

سيدوك الواسطي : ٢٩٤

سليمان بن الحسن بن مخلد (الوزير) :

١٧

ابو سليمان المنطقي : محمد بن طاهر :

سيف الدولة : ١٨ ، ١٥٥ ، ١٩٢

السيوطي : ٨٥

السهروردي : ٢٣٦

ش

الشافعي (الامام) : ٢٥٧

الشيلي : ٤٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،

٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،

٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩

شرف الدولة (ابو الفوارس) :

٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٦٠ ،

الشریف الرضی : ٥١ ، ٥٣ ،

٥٤ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٨ ،

٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ،

١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،

١٧٨ ، ٣٠٨ ، ٣١٥ ، ٣١٩ ،

٣٢٢ ، ٣٢٧

الشریف المرتضى : ٤٣ ، ٤٧ ،

٢٧٤ ، ٣٢٣

الشعراني : ٢٢٨ - ٢٣٠

شغب (ام المقتدر) : ١٤ ، ٨٧ ،

٣١٢

أبو شمير (المكدي) : ٢٠٩

شوقي ضيف : ٤٥

عبد الرزاق محيي الدين (الدكتور) :

٢٥ ، ٢٧

عبد العزيز الدوري (الدكتور) :

١٥ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ،

١٠١ ، ٢٤٨ ، ٢٧٧

عبد العزيز بن يوسف : ٨٠ ، ٤١ ،

٨١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٨ ،

١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٨٨ ، ٣١٨ ،

٣١٩

أبو عبد الله البصري : ٢٣٥

أبو عبد الله الحامدي : ١٥٣ ، ١٦٨ ،

عبد الله المالكي (القاضي أبو نصر) :

٦٥

أبو عبد الله المحاملي : الحسين بن

إسماعيل

أبو عبد الله بن محمد الراسبي : ٢٣٠ ،

عبد الله بن المعتز : ١٤ ، ٩٨ ،

٩٩ ، ٢٣٨ ، ٢٨٠ ، ٣٠٩ ،

عبد النافع طليعات : ٣١

عبد الواحد التميمي (أبو الفضل) :

١٦٨ ، ١٧٠ ،

عبيد الله بن جعش : ٢١٧

العبسي (في شعر المفجع) : ٧٦

عتبة بن عبد الله (أبو السائب) : ٢٦٧

عتيبة بن حارث بن شهاب : ٦٩

أبو عثمان الناجم : ٢٨٣

عز الدولة بختيار : ٢٠ ، ٢١ ،

٢٧ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٩٧ ،

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٠ ،

١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ،

٢٤٩ ، ٣١٦

٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٨ ،

٩٩ ، ١٠٢ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،

١٥٥ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ،

ط

الطائغ (الخليفة) : ٢٢ ، ٢٣ ،

٥٣ ، ٧٩ ، ١٠١ ، ١٣٥ ،

١٣٦ ، ١٨٠ ،

أبو طالب المكي : ٤٤

طه حسين (الدكتور) : ٢٥ ، ٢١٦ ،

طاهر بن الحسين المخزومي البصري :

٢٢٠

أبو طاهر بن سليمان بن الحسن : ٢٤٨

الطبري : ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٨٥ ،

٢٤٩ ، ٢٥٤ ،

الطوسي : ٤٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ،

٢٣٤

ظ

الضحاك : ٣١٩

ع

عائدة بنت محمد الجهنية : ٣١٣

عارف تامر : ١٥ ، ٣٤٢ ،

العباس بن الأحنف : ٢٤٩

أبو العباس بن فيروز بن ركن

الدولة : ١٠٦

عبد الحكيم حسان : ٢١٥ ، ٢٢٠ ،

عبد الحميد بن عبد الرحمن القاضي : ٢٣٧

عبد الرحمن بن عيسى (الوزير) : ١٧

عبد الرحمن الشيرازي (أبو أحمد) :

١٢٩

أبو عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي

٨١ ، ١١٥ ، ١٨١

عزيز (الميار) : ٣٢
 ابن العصب الملحي : ٧٤ ، ٧٠
 ابن العيصي : ٢٣٥
 العصفري : ٧٢ ، ٢٦٩
 عضد الدولة : ١٩ ، ٢١ ، ٢٧ ،
 ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ،
 ٦٠ ، ٦٣ ، ٨٠ ، ١٠٤ ،
 ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
 ١١٠ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
 ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٥ ، ١٨٨ ،
 ١٩٢ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢٤٩ ،
 ٢٨٨ ، ٣٠٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٦ ،
 ابن عطاء : ٣٨ ، ٤٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
 (احمد بن محمد)
 أبو العلاء المعري : ٦٢ ، ٦٥ ،
 ٦٨ ، ٦٩ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
 ٢٢٢
 علوه (المغنية) : ٢٩٧
 علي بن ابراهيم (ابو الحسن) :
 ٢٢٨ ، ٢٢٩
 علي بن أبي طالب : ٢١٠ ، ٢٦٧ ،
 ٣٢١
 علي بن بليق : ١٥ ، ١٣١
 أبو علي الرقاق : ٢٣٣
 علي جواد الطاهر : ١٢
 علي بن محمد البديهي : ٢٢٣
 (ابو الحسن)
 علي بن عيسى الجراح (الوزير) :
 ١٤ ، ٣٤ ، ١١٣ ، ١١٥ ،
 ١١٧ ، ١٣٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
 أبو علي الفارسي : ٤١ ، ٤٥

علي بن الفرات (ابو الحسن) :
 ابن الفرات .
 علي بن القاسم القاشاني : ١١٥ ، ١٢٨
 العماد الاصفهاني : ٩
 عمران بن شاهين : ٢٥٠
 أبو عمر الزاهد (محمد بن عبد
 الواحد) : ٣٨
 أبو عمر بن عبد الله الهرندي : ٢٢١
 أبو عمر بن محمد الواحد القاضي : ٢٦٩
 ابن العميد (ابو الفتح) : ٦٣ ،
 ١١٥ ، ٢٥٢
 ابن العميد (أبو الفضل) : ٢٩٧
 عنان بنت عبد الله (جارية المنطقي) :
 ٣١٢
 أبو بكر العنبري : ٢٢٠ ، ٢٣٧
 عيسى بن المقتدر : ٣١٣
 أبو عيينه المهلب : ١٢٣
 غ
 ابن غالب : ٨٧
 أبو الغوث بن النحرير المنيعي : ٣٠٧
 ف
 الفارابي : ٤٦ ، ٢٧٣
 ابن الفارض : ٢٢٧
 ابن فارس اللغوي : ٤ ، ٤٤
 أبو الفتح الاسكندري : ٢٠٤ ،
 ٢٠٥
 أبو الفتح البستي : ٢١٨
 أم الفتح بنت القاضي أحمد بن
 كامل : ٣١٤
 فخر الدولة : ٣١٧

فخر الملك ابو غالب محمد بن علي :

٣٢٠ ، ٢٨٤ ، ١٩٣ ، ٥٥

ابن الفرات (الوزير) : ٢٥ ، ٢٤ ،

٣٩ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ١١٣ ،

١١٧ ، ٢٨٧ .

ابو الفرج الاصفهاني : الاصفهاني

فريدون : ٣١٩

الفضل بن الفرات : ١١٧

ابو الفضل الفضلي العسكري : ١٥٧

فضل اليمامية (جارية المتوكل) : ٣١٢

الفضل بن يحيى : ٣١

ابو الفوارس (ابن عضد الدولة) :

١١٠ ، ١٠٨

ابن فهم الصوفي : ٢٣٥

فيصل السامر (الدكتور) : ٢٠ ،

٣١ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ١٠٤ ، ١١٥

ق

القادر بالله : ٢٢ ، ٣٢ ، ٩٧ ،

١٠١ ، ١٣٦ ، ٢٤٢ ، ٣٢٣

(احمد بن اسحاق بن المقتدر)

ابو القاسم بن عبد الرحيم : ٥٣

ابو القاسم (صاحب كتاب حكاية

ابي القاسم) : ٢٨٠ ، ٢٨١ ،

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ،

٣٠٠ ، ٣٠٥

القاضي التنوخي : ٧٦ ، ٧٧ ،

٨١ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ٢٦٨

القاهر محمد بن المعتضد : ١٥ ،

١٦ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ١٠١

القرمطي (ابو سعيد) : ٢٤٩

ابن قريمه (القاضي : محمد بن عبد

(الرحمن)

قلم القضيبه (مغنية) : ٢٣٥

قيصر : ٢٩٤

ك

كاتب ابن الفرات : ١٢٠

كافور : ١٩٢ ، ١٩٣

الكاغاني (مكدي) : ٢٠٨

كسرى : ٣٢٠

كشاجم : ٧٠ ، ٢٨٧ ، ٣٠٢ ،

٣٢٢ ، ٣٢٤ ،

كلاب بن حمزه (ابو الهيزام) : ١٨٢

الكلاباذي : ٢٢٦

كورتكين الديلمي : ١٨

كولنزيهر : ٢١٥

كيسان : ٢١٠

ل

لؤلؤ (صاحب الشرطة) : ٢٦

ابن لنكك : ٤٧ ، ٦٢ ، ٦٨ ،

٧٣ ، ٧٥ ، ١٠٧ ، ١٨٢ ،

١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،

٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ،

٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٧٠ ،

٢٧٦ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،

٣١٠

لويس برنارد : ٣٤

م

المأمون : ٣١ ، ١٥٩

الماوردي : ٣٠

المتقي (ابراهيم بن المقتدر) : ١٨

٢٦ ، ٢٧ ، ٤٥ ، ٨٦ ،

٨٧ ، ١٠١ ، ١٩٣ ، ٢٨٧ ،

محمد بن طاهر (ابو سليمان المنطقي)

٤٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥

ابو الفرج محمد بن العباس بن

فسانجس الوزير : ٥٣ ، ٥٤

١٨١

محمد عبده (الشيخ) : ٢٠٨

محمد بن عبد الواحد التميمي : ٢٥٨

محمد بن عبد الواحد الهاشمي (ابو

الحسن) : ٢٦٨

محمد بن عبد الرحمن بن قرية

(القاضي) : ١٣٧ ، ٢٦٨

محمد بن علي بن خالد الحمداني : ٣٠٨

محمد بن علي السامري الوزير : ٢٦٤

محمد بن عمر العنبري : ٢٧٢

محمد بن عيسى (ابن موسى الضريز

القاضي) : ٢٦٦

محمد بن غسان (ابو الحسن) : ٦٠

محمد بن القاسم الكرخي (الوزير)

١٧ ، ٣١٣ ، ابو جعفر)

محمد بن محمد بن لنكك : ابن لنكك

محمود غناوي الزهيري : ١٠ ، ٣١

١٧٩ ، ٢٠٦

محيي الدين عبد الحميد : ٥٢ ، ٦٩

٨٥ ، ١٠٦ ، ١١٩ ، ١٢٦

٢٩١

مروان : ٢٦٧

ابن أبي مرة المالكي : ١٧٦

المستكفي (الخليفة) : ١٩ ، ٢٠ ،

٨٦ ، ١٠١ ، ٢٦٤ ، ٢٨٧

٣٠٢

المسعودي : ٣٤ ، ٨٥ ، ٩٨

المتنبي : ٢٥ ، ٢٨ ، ٤١ ، ٤٦ ،

٤٧ ، ٧١ ، ١٨٢ ، ١٩٣ ،

٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣٢٠

المتوكل : ٥٣ ، ٨٥ ، ١٠١ ،

٣١٢

ابن مجاهد : ٢٦٣

محبوبه (جارية) : ٣١٢

المحسن (بن علي بن محمد) ابن

الفرات) : ١١٧ ، ١٣١ ،

المحسن بن القاضي التنوخي : ١٣٨ ،

١٣٩ ، ١٩١

محقق اليتيمة : محيي الدين عبد

الحميد

محمد : الرسول

محمد بن احمد بن أبي البغل : ١٣٣ ،

١٣٤

محمد بن احمد بن عبد الله القطان :

٧٠ ، ٣٢١ المنوتي

محمد البجلي الكوفي : ٢٠٢

محمد بهجة الأثري : ١٤٧

محمد بن جامع : ١٦٤ ، ١٦٥

محمد بن الحسن بن أبي الشوارب :

ابن أبي الشوارب

محمد بن الحسن الاماسي العلوي :

١٦٧

محمد بن حماد البصري : ٢١٤

محمد بن داود : ١٦٤

ابو بكر محمد بن السري السراج :

١٦٤

ابن مقاتل : ٣٠
المقتدر : ١٣ ، ١٤ ، ٢٢ ، ٢٤ ،
(جعفر بن المعتضد) ٣٦ ، ٢٥ ،
٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠١ ،
١١٣ ، ٢٨٤ ، ٣١٢ ،
ابن مقله : ١٦ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
(الوزير) ١١٧ ، ١١٨ ،
١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
١٩٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٣٠١ ،
الملك البويهى : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،
الملك اليماني : ٢٨٩ ،
حموية : ٢٥٣ ،
المنطقي : محمد بن طاهر (ابو
سليمان)
المهتدي : ٨٥ ، ١٠١ ،
مهييار الديلمي : ٤٧ ، ٥٣ ، ١٩٣ ،
٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٣١١ ، ٣١٦ ،
٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ،
ام موسى (قهرمانه ام المقتدر) :
١٤ ، ١٣٤ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،
مؤنس الخادم : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ،
٨٩ ، ١٣١ ، ٢٤٩ ،
ميخائيل عواد : ٢٦٤ ،
ن
الناطقة الذيباني : ١٩٢ ،
الناجم (ابو عثمان) : ٢٨٣ ،
الناشيء الأصغر : ٣٢٢ ،
ناصر الدولة الحمداني : ١٨ ، ١٩ ،
الناطقى : ٣١٢ ،
النامي : ٣٢٤ ،

مسكويه : ٣٤ ، ٤٦ ،
مسلم (صاحب الصحيح) : ٤٣ ،
ابو مسلم الخراساني : ١٦٠ ،
المسيح : ٣١٨ ،
مصطفى جواد (الدكتور) : ٣٣ ،
٤٠٥ ،
مصطفى عبد الرازق : ٢١٧ ،
ابن المطرز : ١٥٧ ، ١٦٨ ،
١٩٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٩ ،
ابو المكارم المطهر البصري : ٥٠ ،
المطيع الفضل بن المقتدر : ٢٠ ، ٢٢ ،
٩٧ ، ١٠١ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،
المعتز (الخليفة) : ١٠١ ،
ابن المعتز : عبد الله بن المعتز
المعتصم : ٨٥ ، ١٠١ ، ٣٠٣ ،
المعتضد : ٨٥ ،
المعتد : ٩٩ ،
ابن معروف (القاضي) : ١٣٦ ،
١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٨١ ،
معز الدولة البويهى : ١٣ ، ١٩ ،
(احمد بن بويه) : ٢٠ ، ٢١ ،
٢٣ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ١١٤ ،
١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٦٥ ،
٢١١ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٦ ،
المعلم غلام الحصري : ٢٣٥ ،
ابن المغني : ٢٣٥ ،
المفجع البصري : ٤٧ ، ٦٨ ، ٧٦ ،
٧٧ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
١٦٧ ، ١٧١ ،
المفضل بن ثابت الصابي : ٦٩ ،
(ابو الخطاب)
مفلح الاسود : ١٣١ ،

نبت (جارية المعتضد) : ٣١٢

ابن نباته السعدي : ٥٥ ، ٥٦ ،

٦٠ ، ٦٤ ، ١٦٨ ، ١٩٣ ،

٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،

٢٧٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ،

٣١١ ، ٣١٨

النبتي : الرسول

نصر بن احمد : الخبز آروي

نصر الخادم : ١٤

نصر الحاجب : ٨٦

ابو نصر الفارابي : الفارابي

نصر القشوري : ١٣١

ابو النصر الهزيمي الابيوردي : ٢٧٣

نماية (جارية) : ٢٣٥

ابو نواس : ١٥٩ ، ١٩٢

نيكلسون : ٢٤٤

هـ

ابو هلال المسكري : ٤٥

هند : ٢٥٣

و

ابن واسانه : ١٤٨

ابو الورد : ١٥٣

ورقة بن نوفل : ٢١٧

ابو الوزير الصوفي : ٢٣٥

ابو الوفاء المهندس : ٢٥١

الوزير المهلبى : ٢٣ ، ٣٩ ، ٥٣ ،

٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٨١ ،

١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،

١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،

١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٥١ ، ١٨٠ ،

١٨١ ، ٢٢٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،

٢٩١

الوليد بن يزيد : ١٧٨ ، ١٧٩

ي

ياقوت الحموي : ٢٨٨

يحيى بن مهيد : ١٩٤

يحيى الكاتب (ابو عبدالله) : ١٢٠

ابن يزداذ : ٥٧

يوسف بن عمر بن محمد الرازي :

٣٨ ، ٢٦٦ ، (ابو نصر)

فهرس الأشعار

قافية الهمة والالف

الصفحة	البحر	الشاعر	القافية	صدر البيت
١٢٢	كامل	الرفاء	غراء	أحوال مجدك في العلو سواء
١٣٨	طويل	الصابي	دواؤها	ألاهل لأهل الدولة النذلة التي
٢٩٧	خفيف	جحظه	ملاها	وانصرفنا لمسا تغنت عطاشاً
٢٦٦	وافر	—	القضاء	قضى لمخاصم يوماً فلما
١١٩	كامل	ابن مقلة	الادواء	لقلك ربك صحة وسلامة
١٢٨	م. الكامل	المهلبى الوزير	الدواء	يا عارفاً بالداء
١٥٠	مجتث	ابن الحجاج	الظرفاء	فإن شعري ظريف
٣١٥	وافر	الشرىف الرضى	النساء	معادة الرجال على الليالي
٣١٥	كامل	الشرىف الرضى	الابناء	لو كان مثلك كل امبرة
٣١٩	وافر	الشرىف المرتضى	السناء	أحب المهرجان لأن فيه
٦٢٠	خفيف	ابو العلاء المعري	النساء	يا ملوك البلاد فزتم بنسى الـ
٢٧٢	طويل	—	الاذى	نظرت فلم يعلق بقلبي سوى القذى
٣٢٣	رمل	الشرىف الرضى	المصطفى	كربلا لا زلت كرباً وبلا
١٢٧	كامل	الوزير المهلبى	يهوى	يا من يسر بلذة الدنيا

قافية الباء

٣٠٧	وافر	ابن لنكك	العذاب	حزيران وتموز وآب
٦١	وافر	ثابت بن هارون	الحجاب	سأهجر كل باب رد دوني
٢٥٢	خفيف	جحظة	لا تعاب	قلت لما رأيته في قصور
٢٥٤	منسرح	ابن لنكك	عجب	عجبت للدهر من تصرفه
٣١٩	طويل	مهيار	مشيب	يزورك النيروز مقتبل الصبا
٢٥٦	مجتث	ابن لنكك	يشيب	الدهر دهر عجيب

٨٣	م. الرجز	ابن الحجاج	فثبوا	يا أهل بغداد كما
٧٠	بسيط	السري الرفاء	غاصبه	هل للغنيين عذر في اغتصابها
٧٦	بسيط	السري الرفاء	واجبه	كم منطق كسحيق المسك ظاهره
١٩٧	منسرح	جحفله	حاجب	الحمد لله ليس لي كاتب
٢٩٦	طويل	السري الرفاء	قلوبها	وشعث دنان خاليات كأنها
١١٧	بسيط	ابن الجراح	انقلبوا	ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها
٢٧٤	منسرح	الشريف المرتضى	طلبا	شد غروض المطي مغترباً
١٠٢	بسيط	الخوارزمي	ابواباً	ما لي رأيت بني العباس قد فتحوا
٩٨	كامل	الراضي	خضابا	قالوا : الرحيل فأنشبت أظفارها
٨٣	كامل	ابن الحجاج	غلبا	إن الملوك اذا هم اقتتلوا
٦٣	كامل	ابن الحجاج	منتسبا	حقني على الاستاذ قد وجبا
٩٥	مجتث	الراضي	وطيبا	وعقار ذوب شمس
٣١٣	م . الكامل	ابن بسام	والخطابه	ما للنساء وللكتا
٣٠٥	مجتث	ابن الحجاج	جبه	يا شاعراً لا يساوي
٥١	خفيف	صريع الدلاء	الآداب	كم أديب تراه أعرف مني
٥٤	خفيف	صريع الدلاء	احبابي	شمت الحاسدون بي بعد عزي
٦٩	كامل	السري الرفاء	الخطاب	بكرت عليك مغيرة الأعراب
٧٤	وافر	الخبز أرزي	عذاب	منحت أبا الحسين صميم ودي
٧٤	وافر	ابن لنكك	الصحاب	لنصر في فؤادي فرط حب
٢٢٤	وافر	المنطقي	والتصابي	بكيت على مفارقة الشباب
٢٦٧	سريع	ابن سكرة	السائب	إن شئت أن تبصر اعجوبة
٩١	طويل	الراضي	الحباب	أطلب كيدي من يهون كياده
٥٣	كامل	ابن سكرة	خصب	أيام كنت من المهالب في
٦١	مجزوم . الكامل	بشر بن هارون	بالعيوب	سابور ويحك ما أخسك
١٩٣	بسيط	الصولي	ارب	مالي إذا لم أفر منه بمنزلة
٢٠١	وافر	الاحنف العكبري	مستريب	دهينا من زمان ليس فيه
٩٥	مجتث	الراضي	بلهيب	وقهوة يترامى
١٠٨	رجز	تاج الدولة	المناقب	انا ابن تاج الملة المنصور
١٢٥	وافر	الوزير المهلب	بالحييب	اتاني في قميص اللاذ يمشي
١٥١	بسيط	الصاحب بن عباد	الطيب	فالصبي والمتر من بعد القشام به
١٥٤	بسيط	ابن التمار	الطرب	قم فاتتصف من صروف الدهر والنوب

١٥٧	مجتث	والاصحاب ابن الحجاج	فيا امير اكثير ال
١٥٨	خفيف	آب ابن الحجاج	حره في الشتاء إذ وقع الثلج
١٧٧	خفيف	الثواب ابن الحجاج	يا شيوخ الاسلام دعوة نسلك
١٧٨	كامل	الاطراب السلامي	اني حلفت برب أشرف كعبة
٧١	مجتث	المتنبى ابن الحجاج	يا ديمة الله صبي
٣٢٠	رمل	أبسي مهييار	وابي كسرى على ايوانه
٣٠١	طويل	قريب جحظة	ولي صاحب لا قدس الله سره
٢٩٦	خفيف	الجنوب -	يا نسيم الشمال من نحو بصرى
٣٢٢	م. الخفيف	ناصبي الناشيء الأصغر	لك صدغ كأنما
٣٠١	سريع	ارباها ابن سكرة	اكلت بالأمس جزورية
٢٠٤	م. الرمل	غارب -	انا في الحق سنام
٦٥	مقارب	الكذب الشريف الرضي	أبى الناس إلا ذميم النفاق
٩٤	سريع	بالفضب الراضي	وزادني في طربي منعم
٢٨٧، ١١٦	مقارب	صعب ابن الفرات	إذا بدعة جودت عودها
١٠٦	م. الرمل	لنطرب ركن الدولة	ادر الكأس علينا
٢٦٧	م. الكامل	المعائب ابن سكرة	نوب تقوبك بالنواثب
٢٥٩	وافر	راقب صاحب بن عباد	إذا أولاك سلطان فزده
٢٠٥	م. الخفيف	الطلب -	لا يغرنك الذي
٢٥٣	م. الكامل	عجب ابن لنكك	لا تعجبي يا هند من
٢٥٤	م. الكامل	الذنب جحظة	فالجهل يضطهد الحجر
٢٨٥	م. الوافر	تحسب -	وجدت رئيسه اللذا
١٤٠	م. الرمل	مذهب القاضي التنوخي	بات يسقيني ويشرب

قافية التاء

٦٨	بسيط	السباريت ابو العلاء المعري	لا يصبرن فقير تحت فاقته
٢٤٣	رمل	ابصرتنا الحلاج	فإذا أبصرتني أبصرته
٢٣٧	طويل	الصلوات ثعلب	ثلاث خصال الصديق جعلتها
٥٢	وافر	المعجزات ابن الانباري	علو في الحياة وفي الممات
٣٠٤	كامل	لروضة السلامي	مرقومة اجنابت بالبدع التي
٣٢٣	م. الكامل	نجاتي الشريف الرضي	يا آل احمد والذين
٢٣١	مقارب	مرية بعض الحكماء	ولما رأيت القضا جارياً

٩٣	طويل	الراضي	بنوبات	ولما رأيت الدهر يخطب خطبة
١١٠	م. الرجز	تاج الدولة	اخوتي	أفكر في بني أبي
٢٣٨	طويل	عبد الحميد القاضي	فمرت	صبرت على بعض الأذى خوف كله
٢٩٦	منسرح	ابن بسم	صفرته	ابريق صفر كأنه قبس
٩٣	بسيط	الراضي	بلحظته	العيش راح يعاطيها براحتته
٣٠٧	منسرح	ابو الفوث المنيعي	بهجرتها	كأن حناها براحتها
٢٨٢	سريع	جحظة	جناها	سقياً لأشموني ولذاتها

قافية الشاء

١٢١	م. الرمل	ابن مقلة	لبث	لا يكن للكأس يوم الد
٢٠٣	مجتث	-	وغثا	من يصحب الدهر يأكل

قافية الجيم

١٥١	طويل	الصاحب بن عباد	ويخرج	واترك محجوباً على الباب كالخصي
١٨٧	طويل	ابن الحجاج	تتهرج	الا أيها الاستاذ دعوة شاعر
٦٣	م. الرجز	ابن الحجاج	نجما	قل للإمام المرتجى
٢٧١	م. الكامل	-	حاجه	لا تخرجن من البيوت
١٥٧	متقارب	ابن الحجاج	مرعجه	جلست وبابي على مدرجه
١٢٥	سريع	الوزير المهلبى	ساجي	يا شادناً جدد حبي له
٣٠٠	خفيف	الصابي	بثلج	هلف نفسي على المقام ببغداد
١٢٦	كامل	الوزير المهلبى	ومتوج	الورد بين مضمخ ومضرج
٢٥٨	وافر	ابن لنكك	علوج	مضى الاحرار وانقرضوا وبادوا
٢٣٠	طويل	سمنون	يبرح	فلما دعا قلبي هواك أجابه
١٤٢	مجتث	الصابي	وشاح	جردها واعتقنا
١٣٨	مديد	المحسن التنوخي	فرح	قل لمن أودى به الترح
٧٤	خفيف	العصب الملحي	قدح	هل يقول الاخوان يوماً نخل
٧٤	خفيف	ابن سكرة	وشح	يا صديقاً أفادنيه زمان
١٤١	م. الرمل	الصابي	جناها	فاسقنيها خمرة
١٧٠	متقارب	ابن سكرة	التحى	كثمت هواه زمان الصبا
١٨٢	طويل	الصابي	التحى	وارعن عن سكر الحداثة ما صحا
٣١٠	طويل	الصابي	تجريحا	ومحرورة الاحشاء تحسب انها

قافية الحاء

٢٨١	بسيط	ابن الحجاج	يلح	في العمر من واسط والليل ما هبطت
٨٨	كامل	الراضي	الناصح	هلا رددت على العدو الكاشح
١٠٩	وافر	تاج الدولة	الصلاح	انا التاج المرصع في جبين الـ
١٦٧	خفيف	المفجع	الجناح	سيدي انت ان عبدك امسى
٢٢٣	وافر	ابن نباة	الصباح	وتأخذ من جوانبنا الليالي
٢٨٣	خفيف	الناجم	ملاح	اح قلبي من الصباية آح
١٩٦	م. الرمل	-	وقاح	ليس للحاجات إلا
٢٢٠	كامل	الحلاج	صباح	ليس التصوف حيلة وتكلفاً

قافية الخاء

١٧٠	م. الرمل	ابن سكرة	طباخ	ما تركناه وفيه
-----	----------	----------	------	----------------

قافية الدال

٣٢٠	طويل	بعض الأعراب	راقد	لقد طال في بغداد ليلى ومن بيت
١٣٨	طويل	المحسن التنوخي	المجد	لئن أثمرت الأعداء صرني ورحلتي
٢٤٩	بسيط	الجنابي (القرمطي)	عود	اني امرؤ من شأني ولا أربي
١٢٦	م. الكامل	الوزير المهلبى	عوده	ظني يرف المساء في
١٣٤	بسيط	الصابي	ابدا	يا ماجداً يده بالجوود مفطرة
١١٨	متقارب	ابن مقله	الجديدا	وقائلة قد اضعت الصواب
٨٩	متقارب	الراضي	الجديدا	فقدت الهوى وعدمت الودودا
٨٠	طويل	عبدالعزیز بن يوسف	ودا	وقيت أبا اسحق من حافظ عهدا
٦٤	طويل	الشريف الرضي	فقدنا	آل بويه ما نرى الناس غيركم
٥٤	م. الخفيف	ابن الحجاج	العدى	يا وزيرا بنوره
٥٤	طويل	الشريف الرضي	شهدا	نرى منعكم جوداً ومطلقك جدا
١٦٨	طويل	ابن نباته السعدي	خده	ويدر تمام بت الم رجله
٢٥٢	مديد	جحظة	عائده	انا في قوم أعاشرهم
١٨٤	خفيف	ابن سكرة	عاده	يا جو امرد يا حليف البلاده
٧٩	كامل	الشريف الرضي	النادي	ارأيت من حملوا على الأعدا
٢٨٩	م. الكامل	الوزير المهلبى	الفؤاد	يا من له رتب ممكنة
١٦٩	سريع	احدهم	بالمسجد	قد حرت في وصف صديق لنا
١٧٦	طويل	الخبز ارزي	عابد	أرى لي في شهر الصيام إذا أتى

١٧٨	وافر	ابن الحجاج	الحديد	فاقم لا بياسين وطه
١٦٥	طويل	الحبزارزي	مبد	خليلي هل ابصرتما او رأيتما
١١٤	مخلع البسيط	—	بلاد	اعجب من كل ما تراه
٥٦	سريع	ابن تباته	الواحد	يا عضد الدولة لا واحد
٩٣	كامل	الراضي	الحمد	بادر بلهوك ليلة بدرية
٢١٩	بسيط	—	أحد	قوم همومهم بالله قد علقت
٢٢٧	مجزوء الخفيف	الشبلي	كبدى	انبتت صبايتكم
٢٠٦	هزج	العكبري	المجد	على أني بحمد الله
٢٣٣	بسيط	الشبلي	وحدى	لي سكرتان وللتدمان واحدة
٢٢٣	الكامل	البيهي	مرصد	لا تحسدن على تظاهر نعمة
١٩٦	منسرح	ابن الحجاج	الفدد	نحن سنانير اهل دولتكم
١٥٣	طويل	صريع الدلا	الحقد	وليس دواء الهم الا رقاعة
٢٦٣	م. الكامل	ابن بسم	ابن مجاهد	قل لابن عيسى قولة
٢٢٧	وافر	—	الشهود	وجودي أن أغيب عن الوجود
٢٢٦	مجتث	الشبلي	شهودي	الوجد عندي جحود
٢٨٠	خفيف	ابن المعز	عودي	يا ليالي بالمطيرة والكر
٢٦٦	وافر	—	القرود	إذا كان القضاء لابن آوى
١٠٩	رجز	تاج الدولة	القود	صرنا مع الصباح بالفهود
٣٠٢	مخلع	—	والبنود	قد أقبلت دولة القلايسا
٣٠٠	رجز	ابوالفرج الاصفهاني	بالثرايد	أكل خلق الله للفضايد
٦٤	خفيف	ابن البريدي	—	يا سماء اسقطي ويا ارض ميدي
٢٦٢	مجتث	ابن بسم	شاهد	يا رب انك عدل
٦٤	رمل	الشريف الرضي	السد	من بني ساسان أفنى ضربت
٢٣٧	متقارب	ابو بكر العنبري	النشيد	وذو كلف باستماع السماع

قافية الذال

١٥٦	ابن الحجاج خفيف	لاذ	خرجت في قميصها الدرياذي
-----	-----------------	-----	-------------------------

قافية الراء

١٤٢	ابو اسحاق الصابي بسيط	أحرار	لحاجة المرء في الادبار إدبار
٥٦	منسرح	جبار	يا عضد الدولة الذي قمعت
٢٩٢	ابو اسحاق الصابي متقارب	قرار	ألائي همومي في جحفل

٦٥	كامل	ابو العلاء المعري	ظهار	يا ليت آدم كان طلق أمهم
٢٣٨	خفيف	ابن ابي العباس اليتهمي	عار	قيل لي قد اساء اليك فلان
٣٠١	بسيط	جحظة	خشكار	قل للوزير آدام الله دولته
٦٢	كامل	المعري	وأبتر	ما أجهل الأمم الذين عرفتهم
١٦٧	مبحث	الأقسامي	سحر	يا بدر وجهك بدر
١١٥	طويل	عبد العزيز بن يوسف	الفخر	ألا يا أمير المشرقين ومن به
٢٣٣	طويل	صوفي آخر	أجدد	كفأك بأن الصحو أوجد أني
١٦٩	خفيف	ابن سكرة	بدر	من كثلي وعن يميني شمس
٢٥١	كامل	التوحيدي	خطر	دنيا دنت من عاجز وتباعدت
٢٥٥	كامل	ابن لنكك	تتفطر	الأردلون بغبطة وسعادة
٣١١	بسيط	الصايي	تستمر	غصن من الذهب الابريز أثمر في
١٨٥	سريع	ابن سكره	الأخضر	قد قلت لما لاح لي ثمرها
٢٦١	منسرح	ابن لنكك	بقر	لا تحذعنك اللحى ولا الصور
٢٨٢	بسيط	البيديي	البكر	الدير دير سمالو للهوى وطر
١٧٠	بسيط	الخيز أريزي	الثمر	قالوا عشقت صغيراً قلت أرتع في
٢٨٨	طويل	عبد العزيز بن يوسف	والحمر	فيا مجلساً عن الخلافة محدد
٢٩٦	كامل	الصاحب بن عباد	ر	رق الرجاج وراقت الحمر
٢٨٦، ١٦٣	خفيف	؟	والمشور	مجلس في فناء دجلة يرتاح
٢٩٦	بسيط	ابن الحجاج	شحرور	إذا تثنت وغنت خلت قامتها
١٩٨	مخلع البسيط	أبو دلف الخزرجي	الغرور	ويحك هذا الزمان ذور
٥٥	بسيط	السلامي	التباشير	اليوم طبق أفق الدولة النور
٩٦	رجز	الراضي	ازاره	يا رب ليل قد دنا مزاره
٣٠٩	طويل	ر	قصورها	هل الله من بغداد يا صاح مخرجي
١٥٧	خفيف	ابن المطرز	سكاري	فقحة مثل عجنة الحواري
٢٩٣	مقارب	مهيبار	والحمارة	نديمي وما الناس الا السكاري
٢٤٩	بسيط	أبو سعيد القرمطي	ومزمارا	قولوا لمؤنسكم بالراح كن أنسا
٨٩	طويل	الراضي	قبراً	ولو ان حياً كان قبراً لميت
٢٩٠	طويل	الصاحب بني عباد	عكبرا	تركت لساقى الريح بانه عرعرا
١٨٠	سريع	ابن الحجاج	جری	يا رب عيد النحر هو ذا ترى
٣١١	وافر	ابن سكرة	وحرا	اليك اذم حمام ابن موسى

١٩٣	م. المديد	الصولي	طرا	فاغني كيماء عهدت عليه
٢٩٩	مجتث	صريع الدلاء	السفرا	ومهرجان زائر
١٠٥	هزج	تاح الدولة	النثرة	سقاني سحرا خمرة
١٣٧	م. الكامل	ابن معروف	مره	احذر عدوك مرة
٣٠٦	مقتارب	جحظة	زاهره	دخلت على باخل مرة
٧١	م. الخفيف	ابن سكره	المزوره	سلحة بمد قرقره
٢٩٧	خفيف	الحيز ارضي	البحورا	ولو ان البحور خمر لدينا
٨٩	م. الرمل	الراضي	شهورا	يا عيليا جعل الساعة
٣٠٢	مجتث	بديع الزمان	ومضيره	عندي فديتك جدي
٢٩٣	طويل	السلامي	غيرها	اقنطرة التوبندجان وديرها
١٧٨	خفيف	السلامي	الأوتار	ونصلي على اذان الطنابير
٢٩٤	كامل	الصابي	والإثار	ما زلت في سكري الملع كفها
١٧٠	خفيف	ابو الفضل التميمي	احمرار	هام قلبي بحسن ذاك العذار
٢٩٥	سريع	ابن الحجاج	عار	يا سيدي قد جاء زواري
٢٣١	كامل	-	عاري	انا حامد انا شاكر انا ذاكر
١٣٧	منسرح	ابن قريهه	والصفار	يا خالق الليل والنهار
١٣٩	خفيف	القاضي التنوخي	العقار	اسقني الراح في ثياب النهار
١٤١	وافر	الصابي	والوقار	كتني لذني رتب المعالي
٢٩٩	خفيف	صريع الدلاء	والمزمار	أنا بوق السرور طبل الحماقات
٣٠٥	-	مخلع البسيط	جلناري	يفضل عنها قميص لاذ
٢٦٤	كامل	شاعر	النار	الآن إن كفر المقتدر رزقه
١٣٩	مقتارب	القاضي التنوخي	نهار	وراح من الشمس مخلوقة
١٦٩	خفيف	ابن سكره	الجواري	وغزال لولا تيممة شعر
٢٤٠	طويل	ابن عطاء	الكبر	أسامي بنفسي ذلة واستكانه
١٠٤	كامل	بختيار	الزاجر	اشرب على قطر السماء القاطر
١٢٨	هزج	عبد العزيز بن يوسف	تجري	شربنا ذهباً يجري
٢٠٧	مجزوء الوافر	ابو دلف	والهجر	جفون دمعها يجري
٨٦	سريع	القاهر	مصدر	صرت وأبراهيم شيعي عمي
١٥٢	مخلع البسيط	ابن الحجاج	تسدي	لو جد شعري رأيت فيه
٢٤١	سريع	الحلاج	خاطري	يا موضع الناظر من ناظري
١٨٠	منسرح	ابن الحجاج	بالظر	وقد علمنا بأن سيدنا

لو لم أشبب بشعر عانتها	شعري	ابن الحجاج	منسرح	١٥٣
حسناء صافية بيضاء صافية	ذكر	السلامي	بسيط	٣٠٥
حتى متى نكبات الدهر تقصدي	والفكر	تاج الدولة	بسيط	١١٠
طربت إلى عمى وعادوني ذكرى	فكري	الراضي	طويل	٩٢
بقيت أمير المؤمنين على الدهر	والأمر	الراضي	طويل	٨٩
ليلتي بالنمر دهرى	علمري	ابن سكره	مجزوء الرمل	٢٨١
أسيدنا نعماءك هنيئ بالفطر	الدهر	الصابي	طويل	٣١٦
ذو طرة قاطرة بالعبر	جوهر	ر	رجز	١٦١
قد أذاك الغدير فاسد هنيئاً	المأثور	صريع الدلاء	خفيف	٣١٧
بهطة تعجز عن وصفها	بالزور	عضد الدولة	سريع	١٠٧
فصرنا في حمى البيت	تنور	الاحنف العكبري	هزج	٢٠٠
قد صخب البسم مع الزير	مأمور	ابن الحجاج	سريع	٣١٦
واستحضر العود ووجه به	بالطناير	ابن الحجاج	سريع	١٧٧
يا طيب رائحة من نفحة الخيري	الدياجير	عضد الدولة	بسيط	١٠٧
فأسكر القوم دور سكر	المدير	ر	مخلع البسيط	٢٣٣
وليس الشرب إلا بالملاهي	وزير	ابو نواس	وافر	٢٩٦
ورأيت في النوم دنيانا مزخرفة	المقاصير	الاحنف العكبري	بسيط	١٩٨
اصبحاني بها ثلاثاً رحيقا	الشعير	صريع الدلاء	خفيف	٢٩٩
يا سيدي هذي القوافي التي	الدنانير	ابن الحجاج	سريع	٣٠١
وعتيدة للطيب إن تستدعها	بشيرها	الصابي	كامل	٣٠٧
داو الخمار بجمرة	بفجره	الراضي	مجزوء الكامل	٩٤
أوفى على كل البشر	وأثر	الحاتمي	رجز	٥٧
ليس شرب الراح إلا في المطر	السحر	عضد الدولة	الرمل	١٠٤
كل صفو إلى كدر	حذر	الراضي	مجزوء الخفيف	٩١
أسر إليك مقال النصيح	بالمفتقر	ابن نباة السعدي	مقارب	٦٠
والدهر من جفائسه	النمر	—	مجزوء الزجر	٢٥٠

قافية الزاي

بارك الله للأمير أبي العباس	النيروز	الصولي	خفيف	١٣٢
وبرر	—	—	مجث	٢٠٤

قافية السين

سافرت ابني لبغداد وساكنها	الياس	ابن زريق الكوفي	بسيط	٣٠٩
---------------------------	-------	-----------------	------	-----

١٨١	مخلع البسيط	ابن الحجاج	سمس	سعدك للحاسدين نحس
٢٤٢	هزج	الحلاج	تهويس	جنوني فيك تقديس
١٨٤	وافر	ابن سكرة	النفاسه	عليل لا يعساد من الحساسة
١٣٦	كامل	الشريف الرضي	ابو العباس	شرف الخلافة يا بني العباس
٢٨٤	منصرح	-	الناس	يا اهل بغداد فرقي لكم
٢٩٤	كامل	ابن الحجاج	يمس	قوما اسقياني قهوة رومية
٣٠٩	متقارب	-	الأنفسي	سقى الله بغداد من جنة
٧٧	رجز	المفجع البصري	قميس	قد قدم العجب على الرويس
٣١٨	سريع	-	تفليس	اشرب على قرع النواويس

قافية الشين

١٢٧	م. الكامل	الوزير المهلبى	الابرش	يوم كأن سماءه
-----	-----------	----------------	--------	---------------

قافية الصاد

٢٦٦	طويل	-	لصوص	فلا تجملني للقضاة فريسة
٢٥٢	وافر	جحظة	مصا	لقد اصبحت في بلد خسيس

قافية الضاد

٦١	بسيط	ابن زريق الكوفي	الغرضا	إنا لقينا حجاباً منك ارمضنا
١٣٢	خفيف	الصولي	وامتعاض	علم الله ما الذي كنت القى
٢٣٢	طويل	الشيلي	بعض	وتحسبني حياً واني لميت
٣٠٧	م. الرجز	الصابي	غرض	كافورة جعلتها

قافية الطاء

٢٦١	طويل	ابن لنكك	فأفرطا	لنعم جميعاً من وجوه لبلدة
٢٥٢	بسيط	ابن لنكك	وضراط	دنياً تأبت على الاحرار عاصية
٢٩٤	وافر	سيدروك	بمسعط	فديتك لو علمت ببعض شربي
٢٢١	م. الكامل	-	غلط	ليس التصوف بالفوط

قافية الظاء

١٢٨	طويل	القاشاني	حافظ	واني وان قصرت عن غير بنضة
-----	------	----------	------	---------------------------

قافية العين

٢٧٣	مخلع البسيط	الابيوردي	الضاع	لما رأيت الزمان نكسا
٢٢٨	بسيط	الحصري	هجموا	قالت : لقد سؤتنا في غير منفعة
٢٢٠	الكامل	طاهر بن الحسين	مرقع	ليس التصوف ان يلاقيك الفتى
١٨١	مخلع البسيط	ابن الحجاج	نقيع	يا ايها الحاكم الرقيع

٥٠	زافر	المطهر البصري	ارتقاعا	رأيت الشعر للسادات عزاً
١١٦	طويل	ابن الفرات	فودعا	خليلي قد امسيت حيران موجعا
٥٧	طويل	الحبازي	انصعا	فأعطيتها تحكي أباديك في الوري
٢٨٥	رمل	—	رضعا	كل دجاجة وفراخاً وجدا
٥١	م.الكامل	الصابي	ربيما	يا سيداً اضحى الزما
٢٨٥	مخلع البسيط	ابن الحجاج	السماع	اعدل إلى الكأس والندامي
١١٩	كامل	ابن مقله	المترفع	وإذا رأيت فتى بأعلى رتبة

قافية الغين

١٨٢	وافر	ابن لنكك	الدباغ	لام الشاعر الرمي صدغ
-----	------	----------	--------	----------------------

قافية الفاء

١٣٣	طويل	ابن ابي البغل	اشرف	ولي همة تملو السماكين رفعة
١٤٣	طويل	ابن معروف	متصرف	وما سر قلبي منذ شطت بك النوى
٢٠٢	مجتث	ابو دلف	سخيف	ساخف زمانك جدا
١٤٩	كامل	—	عفيفا	ليس الظريف بكامل في ظرفه
١٨٦	مخلع البسيط	ابن سكره	خليفة	تمت علينا ولست فينا
٩٧	كامل	الراضي	الاسراف	لاتكثر لومي على الاسراف
١٧١	سريع	ابن سكرة	الواني	سألته الوصل فلم يحتشم
٢٦٦	مجتث	—	فخفي	يا محنة الله كفي
١٢٩	منسرح	الشيرازي	صلف	خرجت من عندكم فأدركني
٢١٨	بسيط	البستي	الصوف	تنازع الناس في الصوفي واختلفوا
١٢٠	سريع	ابن مقله	التصاريف	جربني الدهر على صرفه
١٩٤	مجتث	ابن سكرة	وشريف	رسالة من مكسد
٣٠٨	م. الرمل	ابن لنكك	ظريف	نحي بالبصرة في لسو
١٤٠	وافر	القاضي التنوخي	الظريف	أعشق لا عشقت اخا نحول
١٧٣	منسرح	السلامي	مخطف	يا مرهفاً في لحاظه مرهف
٣٢٢	مقارب	مهيار	الأسوف	وليس صديقي غير الحزين

قافية القاف

١٩٤	بسيط	السلامي	أغنيق	ارسلت اشكو اليكم غدوة ظمئي
٢٥٨	بسيط	ابن نباته	تحترق	كم نفحة لي على الأيام من ضجر
٢٥٢	بسيط	ابن نباته	شرق	حظي من العيش اكل كله غصص
٢٩٦	طويل	السري الرفاء	تفرق	وموسومة كاساتها بضوارس

عطفاً امير المؤمنين فإننا	نتفرق	الشريف الرضي	كامل	٣٢٣
مضى ملك عم البرية جوده	شفيق	ابن سكرة	طويل	٥٣
اهل التصوف قد مضوا	مخرقه	-	م.الكامل	٢٢٢
ظلي إذا لاح في عشيرته	طرقه	السلامي	منسرح	١٦٨
قتلت صناديد الرجال فلم ادع	خلقا	عضد الدولة	طويل	١٠٨
لم لا ترى لصداقتي تصديقا	صديقا	الخيزارزي	كامل	٧٥
يا ليلة كرم الزما	باقي	الشريف الرضي	م.الكامل	١٤٣
وضامن الأوقات والأرزاق	البزاق	ابن سكرة	رجز	١٧١
وعاد المهرجان بخفض عيش	الصفاق	مهيار	وافر	٣٢٠
جد للصريع بجة وعمامة	الاخلاق	صريع الدلاء	كامل	١٩٦
رق الزمان لفراقي	تحرق	الوزير المهلب	م.الكامل	١٢٣
يا طالباً بالعلم خطاً مسعداً	مخرنق	ابن لنكك	كامل	٢٦٠
وحبسك لي جاء عريض ورفعة	لمفرقي	الصابي	طويل	١٣٥
اهلا وسهلا بليلة السدق	الفسق	صريع الدلاء	منسرح	١٣٨
سقاني وحياني وبات معانتي	عاشق	ابو بكر الحامدي	طويل	١٦٨
يا هلالا يبدو فيزداد شوقي	عشقي	الوزير المهلب	خفيف	١٢٤
شبيهك قد وافى وحان افتراقنا	مروق	-	طويل	٢٣٥
وكل ولاية لا بد يوماً	الصديق	-	وافر	٢٥٩
أيا رب كل الناس اولاد علة	بصديق	الصابي	طويل	١٣٧
قد قسم الله رزقي في البلاد فما	بالتفريق	الاحنف العكبري	بسيط	١٩٨
كل الأنام كلاب	طريق	ابو نصر المالكي	مجث	٦٥
ولو أني سمحت ببذل وجهي	الطريق	ابن جرير الطبري	وافر	٢٥٤
خذ من الدهر ما صفا لك منه	الطريق	ابن سكرة	خفيف	١٥٤
لبست العدم حتى صار ذيلي	كريقي	السلامي	وافر	٦٧
كم حمار هو أولى	ونهيقي	محمد التميمي	م.الكامل	٢٥٩
ليتها حسنها عجيب	تحقق	ابن الحجاج	مخلع البسيط	٣١٨
من قال اني اعشق	احمق	المعتمد	؟	٩٩
لم يقل ذا الشعر إلا	أحمق	الراضي	م.الكامل	٩٩
جبلت روحك في روحي كما	الغنى	الحلاج	رمل	٢٤٢

قافية الكاف

قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم	الفلك	القاضي التنوخي	بسيط	١٤٠
كبرت همة عبد	تراكا	-	م. الرمل	٢٣٦
صغير هواك عذبي	احتنكا	قوال	م. الوافر	٢٣٤
شاورني الكرخي لما بدا الـ	ضاحكه	عائدة الجهنية	سريع	٣١٣
يا أبا اسحق زاد الـ	حبورك	السري الرفاء	م. الرمل	٧٥
بالورد من وجنتيك من لطمك	ظلمك	-	منسرح	٢٩٧
يسوس الممالك رأي الملك	المحتنك	ابن غسان	متقارب	٦٠
ضللت في حبكم فحسبي	الضلالا	الراضي	رجز	٩٦
بساحة الحيرة دير حنظله	مسله	-	رجز	٢٨٢
في رأسه عمامة	مرفله	-	م. الرجز	
فلم أزل خادماً لهم زمناً	سقله	-	منسرح	٢٢١
صحبت قوماً يقول قائلهم	متكله	-	منسرح	٢٢١
تباً لقوم جعلوا	مأكله	الهرندي	م. الرجز	٢٢٢
قرم إذا انشدته	تهللا	ابن الحجاج	م. الكامل	١٥٠
دنياً تغالطني كأنـ	حالها	الحلاج	م. الكامل	٢٢٣
لو كنت تدري ما الذي صنع الهوى	البالي	ابن معروف	كامل	١٤٣
ولكني رأيت الحر فينا	حال	ابن الحجاج	وافر	١٦٢

قافية اللام

الحمد لله ليس لي مال	افضال	-	منسرح	١٩٧
صديق لكم يشكو اليكم جفاكم	قاتل	الصابي	طويل	٨٠
يرد مصيفك وافرشه بميثرة	ارتحل	الوزير المهلي	بسيط	١٢٦
اسائل عن سلمى فهل من مخبر	تنزل	-	طويل	٢٣٥
ارى الناس قد أغروا ببني وريية	عاقل	ابن دريد	طويل	٦٦
فما طلابك انساناً تصاحبه	همل	الشريف الرضي	بسيط	٦٥
وقال لي العذول تسل عنها	تقول	-	وافر	٢٣٥
ايا من مجده المجد الاثيل	الدخيل	ابن الحجاج	وافر	٨١
يا خليلي ليس للهـم شاف	الجميل	ابن نباته السعدي	خفيف	٢٧٤
لو لم تحل ما سميت حالا	زالا	سريع	سريع	٢٢٥
واصوم شهراً ثم أخرج غادياً	الامبالا	المالكي	كامل	١٧٦

انت ياذا الحال في الوجـ	خالي	ابن مقله	م.الرميل ١٢٢
عشت في ذلة وقلة مال	انذال	الاحنف العكبري	خفيف ١٩٨
دير الثعالب مألّف الضلال	وغزال	—	الكامل ٢٨٢
إذا كان الوزير أبا الجمال	الدانيالي	جحظة	وافر ٢٦٣
الذنب للأيام لا لي	الليالي	—	م.الكامل ٢٠٣
ومن يك عني سائلا لشماته	سائل	ابن الجراح	طويل ١١٧
تصوم شهر الصوم شهر الزلازل	الفصائل	السري الرفاء	طويل ١٧٥
ادل فيا حبذا من مدل	مستحل	ابن مقله	مقارب ١٢١
من عملي من عملي	البزل	الصاحب بن عباد	رجز ١٥١
اني بليت بشادن غنج	الكفصل	ابن سكرة	كامل ١٧٢
هرمت حتى تناسيت اللحوون معاً	والمقل	ابن سكرة	طويل ١٨٥
أفلا أجاز ولي ثلاثة أشهر	تجملي	السلامي	كامل ٥٠
عليك يا نفس بالتسلي	التخلي	الحلاج	مخلع البسيط ٢٢٣
غرست لاهل الحب غصناً من الهوى قبل		ابن عطاء	طويل ٢٢٨
زمان قد تفرغ للفضول	جهول	ابن لنكك	وافر ٢٥٥
خالطوا لم ان تعرض بالرا	التطليل	صريع الدلاء	خفيف ٣٠٠
أرى جيل التصوف شر جيل	مستحيل	ابو العلاء المعري	وافر ٢٢٢
ايها التركي ما عذ	النحيل	ابن سكره	م.الرميل ١٧٢
من اراد الملك والرا	طويل	الأحنف العكبري	م.الرميل ٢٠٠
مذ نقبوه وزرنفوا اصداغه	اقفاله	السلامي	كامل ٣٠٧
الناس مثل زمانهم	مثاله	ابن دريد	م.الكامل ٢٥٦
لما وضعت صحيفتي	رسولها	الصابي	م.الكامل ١٣٥
إذا ما صب في القنديل زيت	للمقندل	—	وافر ٢٦٥
أقصى علي من الأجل	عذل	الاحنف العكبري	الكامل ٢٠٠
يفض الغزال جفون الغزل	الحجل	السلامي	مقارب ٣٠٧
اقول لعصبة بالافقه جالت	باطل	ابن لنكك	وافر ٢٧٠
قل للوضع ابا رياش لا تبيل	العمل	ابن لنكك	كامل ١٨٢

قافية الميم

قد صح قول النبي عندي	الامام	المنوتي	مخلع البسيط ٣٢١
الأبادر فلا تأن سوى ما	التمام	ابن بسام	وافر ٢٨٤
وخلفك عن يمين الدن عس	جام	ابن الحجاج	وافر ٢٩٥

وإنما الناس بالملوك وما	عجم	المتنبى	منسرح	٣٢٠
حبيبي ما أزرى بحبك في الحشا	أعجم	الشريف الرضي	طويل	١٤٤
لله ثم لك المحل الأعظم	الأقدم	الشريف الرضي	كامل	١٣٦
الصعو يصفر آناً ومن أجله	يترنم	ابن أبي النفل	كامل	١٣٤
فقلت يا قوم على تكّي	الدرهم	—	سريع	١٧١
مالك قد هيمك الهم	والفهم	الستري	سريع	٢٧٣
والمال طيف ولكن	يحموم	—	م.الكامل	٢٠٣
الحق فيه مליح	وشوم	—	مجث	٢٠٢
بين الصراة وكرخا يا تمرده	معصوم	الراضي	بسيط	٩٦
حرم الله ان يكون جنابى	والحریم	الصولي	خفيف	١٩٣
يا ايها السيد الكريم	مقيم	الشبلي	مخلع البسيط	٢٢٩
يحبك قلبي واحييت وإن أمت	رميم	الشبلي	طويل	٢٣٠
قيل ان الوزير قد قال شعراً	ويعمه	ابن الحجاج	خفيف	١٨٠
حب علي علوه	الأئمة	كشاجم	مخلع البسيط	٣٢٢
قيسه طنبورها مستعمل	الهندقة	ابن الحجاج	رمل	٢٩٩
أفاق حين وطئت ضيق خناقه	صارما	عضد الدولة	كامل	١٠٨
غضب الصولي لما	وسما	ابن القطان	م.الرمل	٧١
لو اعرض الناس كلهم فأبوا	قسما	المفجع البصري	منسرح	٧٧
فلما تصرمنا وشطت بنا النوى	مسلمنا	ابن معروف	طويل	١٤٢
يا لعبارة تقصر للعا	يوقه	الكسكري	خفيف	١٥٧
أصبحت من سفلى الأنعام	بالطعام	—	م.الكامل	٢٧١-٦٨
ومن عبد ابن يوسف صار اسمي	السلامي	السلامي	وافر	١٩٤
وأبرح ما يكون الشوق يوماً	الخيام	—	وافر	٢٢٩
ونسكر سكرة شنعاء جهراً	الصيام	—	وافر	١٧٦
لنا شيخ يصلي من قعود	قيام	ابن سكرة	وافر	١٦٩
أقول وقد جردتها من ثيابها	التم	الصابى	طويل	١٤٢
أو في كلا وقتي قسط تأله	لمحرم	الوزير المهلبى	طويل	١٢٧
يا حبذا صحبة العلوم بها	والعدم	السري الرفاء	منسرح	٣٠٩
هلا أئمت ولو على جمر الغضا	الصارم	—	كامل	٢٨٩
مجالس ترقص القصاة بها	البرم	السري الرفاء	منسرح	٢٩١
هب البعث لم تأتأنا نذره	تضرم	الوزير المهلبى	متقارب	١٢٧

لنّاس حج ولي حج إلى سكّني وديمى الحلاج بسيط ٢٤٠

قافية التّون

٧٢	سريع	العصفري	شان	رأيت في الجامع حواقه
١٩٧	بسيط	الاحنف العكبري	وطن	العنكبوت بنت بيتاً على وهن
٢٠٢	مجثث	—	اكون	انا أبو قلمسون
٢٢٧	طويل	ابن عطاء	قرين	إذا ما وجود الناس فات علومهم
٢٣٠	كامل	الراسبي	اعلانه	ولقد أفارقه باظهار الهوى
٣١٧	كامل	—	نيرانه	فتلاعبت بعقولنا نسوانه
٥٧	سريع	الحجز ارزي	بانا	اهديت ما لو ان اضعافه
٢٣٨	بسيط	—	برهانا	لا يسألون أخاهم حين يندبهم
٢٨١	م. الرمل	—	أوانا	حفظ الله اوانا
٢٥٧	وافر	ابن لنكك	سوانا	يعيب الناس كلهم الزمانا
٢٥٧	وافر	الامام الشافعي	سوانا	نميب زماننا والعيب فينا
٢٩٨	خفيف	—	تثنى	لست أنسى تلك الزيارة لما
٢٥٣	خفيف	ابن لنكك	فرعنا	نحن والله في زمان غشوم
٢٦٩	مجثث	العصفري	يتغنّى	عندي حديث طريف
١٥٩	بسيط	ابن الحجاج	سمنّا	يفتر عن صدغ مهزول به عجب
١٧٠	سريع	جحظة	الثلاثينّا	يقول لي يوماً وقد جئته
٢٥٥	م. الرمل	ابن لنكك	مهانه	يا زمان البس الأحـ
٢٧٤	م. الكامل	ابن نباته	محنه	ونبت بنا ارض العراء ...
٣٠٢	هزج	كشاجم	الجونه	مى تنشط للأكل
٢٨٠	خفيف	ابن الحجاج	البردان	وسلام على مواخير بصرى
١١٩	خفيف	ابن مقلة	واتاني	لست ذا ذلة إذا عضني الدهر
٥١	كامل	الشريف الرضي	التيجان	قدم السرور بقدمة لك بشرت
٢٨٩	وافر	—	التداني	سلام أيها الملك اليماني
١٧٣	كامل	السلامي	الميدان	علقت مفترس الضراغم فارساً
٢٢٩	خفيف	الحصري	الإحسان	ان دهرأ يلف شملي بسلى
١٧٥	خفيف	ابن الحجاج	العطشان	يا خليلي قد عطشت وفي الخمر
٧٨	طويل	الشريف الرضي	قضائي	ظمائي إلى من لو اراد سقاني
٢٥٩	كامل	—	الشيطان	قد كنت الزم صاحب وأبره
٢٧٢	كامل	العنبري	كفاني	اني نظرت إلى الزمّا

سكران سكر هوى وسكر مدامة	سكران	-	كامل	٢٣٣
امل كان كضوء الشمس	المكان	ابن ابي البغل	م. الرمل	١٣٣
إذا ما تعدت بي وسارت محفة	رجلان	الصباي	طويل	٧٨
ورق ابلو حتى قيل هذا	الزمان	محظه	وافر	٢٣٥
عجبت من الزمان واي شيء	الزمان	ابن الحجاج	وافر	٢٥٥
يا عمدة السلطان	الزمان	الراضي	مجتث	٩٠
قد نسيتم خبز الذراري والدخن	الهرطمان	صريع الولاء	خفيف	٣٠١
تعلقته بدوي اللسان	الجنسان	السلامي	مقارب	١٧٢
فاسقياني من الدنان إلى أن	الدنان	ابن الحجاج	خفيف	١٧٥
إذا تكامل لي ما قد ظفرت به	رنان	الوزير المهلبى	بسيط	١٢٣
كل العجائب قد سمعت وما أرى	قرنان	ابن سكرة	كامل	٧٢
شيثان يعجز ذو الرياسة عنهما	الصبيان	-	كامل	٣١٥
ويحكم يا كهول او يا شيوخ الـ	الفتيان	ابن الحجاج	خفيف	٢٨٥
نعوه على صن قلبي به	الناعيان	الشريف الرضي	مقارب	٨١
فيا حبذا روضتا نرجس	بريحانها	بختيار	مقارب	١٠٥
يا مجمع الحسن يا بغداد يا بلدي	بالحسن	-	بسيط	١٥٥
ولحية بيضاء كالقطن	الحسن	ابن الحجاج	سريع	١٨٣
سئمت العيش حين رأيت	يرهقي	-	م. الوافر	٢٥١
لاأشككي زمني هذا فأظلمه	الزمن	ابن حماد البصري	بسيط	٢٥٧
يا منية المتمني	عني	-	مجتث	٢٤٣
من استخف بقسدي	عني	-	مجتث	٢٩٨
رب ليل لبست فيه التصابي	عني	الوزير المهلبى	خفيف	١٢٤
ان كان لابد من أهل ومن وطن	ياأمني	ابن حماد البصري	بسيط	٢١٤
ان كنت تنشط للمديـ	منى	ابن سكرة	م. الكامل	١٩٥
ان الهريسة اهواها وتعجبني	معتون	-	بسيط	٣٠٢
رأيت قلنسية تستنيـ	خضوني	الأمدي	مقارب	٢٦٨
قد زارني اليوم نور عيني	عني	جحفلة	مخلع البسيط	٢٩٥
لواعج الشوق تخطيهم وتصميني	ويغريني	الشريف الرضي	بسيط	١٣٦
ما سئمت الحياة لكن توثقـ	يمني	ابن مقلة	خفيف	١١٨
مرهفة تعجز وصف اللسان	معنيان	ابن نباته	سريع	٣١١

قافية الهاء

١٦٣	هزج	المفجع	الله	الا يا جامع البصر
١١٦	طويل	ابن الفرات	وجه	معذبي هل لي إلى الوصل حيلة

قافية الواو

٢٤١	سريع	-	يلهو	من رame بالعقل مسترشداً
١٦٧	وافر	ابن سكرة	يعشقوه	بليت ولا أقول بمن لأنني

قافية الباء

٣٠٨	طويل	ابو سعد الهمداني	ديارنا	فدى لك يا بغداد كل قبيلة
٨٠	طويل	الشريف الرضي	والمعاليا	أيعلم قبر بالحنينة اننا
١٢٠	طويل	ابن مقلة	غاليا	تري حرمت كتب الأخلاء بيننا
١٢٣	طويل	الوزير المهلبى	الدنيا	ويا فوز نفسي لو بلغت زمانه
٢٠١	م. الكامل	ابو دلف	مطيه	رب عجوز مستعينة
١٨٥	سريع	ابن سكرة	سلوقيه	يا ابن الفرات تعز
١١٣	مجثث	ابن بسم	آيه	رب ليل كطلعة الناصبي
٣٢٢	خفيف	الخوارزمي	الشيحي	اما للدهر من حكم رضى
٣١٨	وافر	المحسن التنوخي	الدني	يا سادتي قول ميت
١٩٥	م. الخفيف	ابن الحجاج	حي	سيدي سحفي قد
١٥٢	م. الرمل	ابن الحجاج	بالدواهي	الا موت يباع فأشتره
١٢٢	وافر	الوزير المهلبى	فيه	مرت فلم تثن طرفها تيهها
١٢٤	منسرح	الوزير المهلبى	تثنيها	

فهرس الطوائف والأقوام والفئات

آل الفرات : ٢٦٢	أ
آل المصطفى : ٣٢٣	الأمية : ٣١٢
الإمام : ٣١٤	الأتراك : ١٣ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ،
الأولياء : ٢٣٧ / ٢٤٥	٢٢ ، ٢٧ ، ٣٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
الإيجابيون : ٢٧٥	١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٤ ،
أهل الحجى : ٢٥٥	١٢٩ ، ١٣١ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ٣٢٤
أهل السنة : ٢١٧	الأحرار : ٢٥٨ ، ٢٥٥
أهل التسك : ٢٨٠	الأحناف : ٢١٧
ب	الأجانب : ٣١٧
بنو بويه (البويهيون) : ١٠ ، ١١ ،	أخوان الصفا : ٤٦
١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٩ ،	الأدباء : ترد كثيرأ
٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٤ ، ٥٥ ،	الأرذليون : ٢٥٥
٦٤ ، ٦٧ ، ٧٧ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،	الأزواج : ٣١٤
١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،	اسرائيل : ٢١٠
١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ،	الاسماعيلية : ٢٧٧ ، ٣٣
١٢٨ ، ١٥٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٠ ،	اصحاب السلطان : ٢٥٣
٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ،	الأضياف : ٢٨٣
٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ ،	الأطباء : ٢٧٣
٣٢٦ ، ٣٢٨	الاعراب : ٢٠٩ ، ٣١٠
بنو ساسان : ٦٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ،	الأغنياء : ٢٥٤ ، ٣٠٦
بنو هاشم : ٢٦ ، ١٩٥ ، ٣٢٦	الأفضلون : ٢٥٥
البائعون : ٢٨٠	الاقطاع (الاقطاعي) : ٣٠ ، ٢٤٠
اليابليون : ٣١٨	الأكاسرة : ٣١٩
البخلاء : ٣٠١ ، ٣٠٦	الأكراد : ٢٠٩
البلو : ٢٣٦	الأكرة : ١٥
البغايا : ٢٨١	آل أحمد : ٣٢٣

الروم : ٧٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٩٤ ،

٣١٦

الرهبان : ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٣٣ ، ٢٨٣

ز

الزراع : ٣١

الزنج : ٢٥ ، ٦٢

الزهاد : ترد كثير في فصل المتصوفة :

٢١٥ ، ٢٤٦

س

الساخطون : ٢٤٧ ، ٢٧٥

الساسانية : ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٣١٩

السبيون : ٢٧٥

السلطان : ٢٤٧ ، ٢٤٨

السكرارى : ٢٩٢ ، ٢٩٣

السنة : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢١٠ ، ٣٢٠ ،

٣٢١ ،

السوقيون : ٣١

السوقيون : ٣١

ش

الشالوسة : ٢١٠

الشحاذون : ٢١١ ، ٢١٣

الشرقيون : ٢٠١

الشطار : ٣٢ ، ٣٢٦

الشموية : ٢٧٦

الشيعة : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢١٠ ، ٣١٧ ، ٣٢١

ص

الصبايا : ٢٨٥

الصبيان المزنونون : ٢٩٠

الصبيان البدور : ٢٧٩

الصحابة : ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨

صنعان : ٢٥٥

ت

التابعون : ٢١٧ ، ٢١٨

التجار : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١

التقدمية : ٢٧٧

ج

الجن : ٢٠٩

الجواري : ١٤ ، ١٥ ، ٥٩ ، ١١٦ ،

١٦٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ،

٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥

ح

الحرائر : ٣١٤

الحظايا : ٢٨٣

الحكام : ٣٢١

الحمدانيون : ١٨ ، ٢٠

حمقى : ١٤٩

الحنابلة : ١٦ ، ٣٢٠

خ

الخاصة : ترد كثير في التمهيد

الخلعاء : ٢٨٠

الخلفاء : ترد كثير

الخمارون : ٢٩٠

الخواص : ٣٠٤

د

الدجالون : ٢٥٣ ، ٢٥٤

الدراويش : ٢٩ ، ٢٣٢

الدروز : ٢٨٣

الدعار : ٢٢

الديلم : ١٨ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٨ ،

٣٢٤

ر

الراؤون : ٣١١

الرقيق : ٣١٢

١٧١ ، ١٧٣ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ،
٣٠٣ ، ٣١٢
الغلمان المرد : ٢٤٥

ف

الفاطميون : ٢٠
الفتيان : ٢٨٥
الفرس : ١٤٨ ، ٢١٦ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ،
٣١٩ ، ٣٢٠
الفقهاء : ٢٢
الفكهون : ١٤٩
الفلاحون : ٣١
فوارس : ٢٩٦

ق

القحاب : ١٥٥ ، ١٥٧ ، ٢٨١
القديسون : ٢٤٥
القرامطة : ١٤ ، ١٥ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٤ ،
٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٧٦ ،
٢٧٧ ، ٣٢٦
القرويون : ٢٣٦
القسس : ٢٨٣
القضاة : ٣٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،
٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠
القوالون : ٢٣٤
القيان : ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٩٢

ك

الكادحون : ٣١
الكاغرون : ٢٤١
كهول : ٢٨٥
الكنهنة : ٢١٧
الكيسانية : ٢١٠
اللصوص : ٣١١

الصناع : ٣١

الصليبيون : ٣٠١

ط

الطبقة المستغلة : ٢٨ واماكن عديدة من
التمهيد : ٢٤٧
الطبقة المستغلة : ٢٨ واماكن عديدة من
التمهيد : ٢٤٧

ظ

الظرفاء : ١٤٩ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٣٠٢
الظريفات : ٣٠٤

ع

عابرو السيل : ٢٨٣ ، ٣٢٠ ،
العالمون : ٢٦٦
العامية : ترد كثير في التمهيد ٢٨٦ ، ٣٠٤
العباسيون : ١٩٥ ، ٢١١
عجم : ٣٢٠
العراقيون : ٣٢٨ ، ٣١٦
العرب : ٢٦٠ ، ٣٢٠ ، ٢١٧
العرافون : ٢١٧
عشاق : ٢٩٦ ، ٣١٠
العلا : ٢٥٥
عاوج : ٢٥٨
العلماء : ٣١٤
العلويون : ١٩٥ ، ٢١١
العيارون : ٢٢ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ،
١٧٣ ، ١٧٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٣٢٦

غ

الفجر : ٢١٤
غزلان النصارى : ٢٨١
الغلمان : ١٤ ، ١٥ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ١٠١ ،
١٠٦ ، ١٠٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،
١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٩

الملاحون : ٣٥ ، ٢٨٤
 الملوك اليهوديون : بنو بويه
 الممخرقون : ٢٥٣
 المنافقون : ٢١٦
 الموالي : ١٤٨
 الموظفون : ٢٨٩
 الميزقانيون : ٢٠٨
 ل
 اللعام : ٢٦١
 ن
 ناسك صوفي : ٢٩٤
 ناصبي : ٣٢٢
 النبط : ٢٠٤
 النحويون : ٤٥
 النخاسون : ٣١٤
 الندامي : ٢٩٢
 الندماء : ٢٨٨
 النصرانية (النصارى) : ٢٧٤ ، ٢٨١ ،
 ٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠
 النصيرية : ٢٨٣
 و
 الوزراء (الوزير) : ترد كثيراً
 الوعاة : ٢٥٦ ، ٢٥٧
 هـ
 الهندية : ٢١٦
 الهندوس : ٢٣٣
 ملاحظة :
 هناك فئات لم نشأ ادخالها في هذا الفهرست
 لأنها ترد كثيراً وبامكان القارئ ان يجدها
 في اي فصل من الفصول من ذلك الخلفاء
 الوزراء ، الأمراء ، القواد ، واجند
 الكتاب ، الأدباء ... الخ .

م
 المؤرخون : ٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥
 الماجنون : ١٤٩
 المترفون : ٢٩٢
 المتصوفة : ٢٩ ، ترد كثيراً في ٢١٥-٢٤٦
 رجال الصوفية : ٣٢٦
 المتظفرون : ٢٨٣
 المتردون : ١٢ ، وترد كثيراً ٢٤٧ فما بعدها
 المتزهنون : ٢٨٣
 المثقفون : ٤٩
 المحبون : ٢٤٤ ، ٣١٠
 المحجوبون : ٢٢٩
 الحمدلون : ٢٥٧٨
 مخنث : ٢٩٨
 المريدون : ٢٤٦
 المسؤولون : ٢٧٥
 المسلمون : ترد كثيراً ٢١٥ ، ٢٤٦ ،
 ٢٨٣ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠
 المسيحية : ٢١٦
 مشايخ الصوفية : ٢٤٥
 المشعوذون : ٢٩
 المصطبانيون : ٢١٠
 المعزلة : ٤٣ ، ٤٤
 المغنون : ٢٧٩ ، ٢٨٦ ، ٢٩٧ ،
 ٢٩٨ ، ٢٩٩
 المغنيات : ٢٧٩ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٧ ،
 ٢٩٨ ، ٢٩٩
 المفلوكون : ٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٣٠٩
 المكثرون : ٢٩ ، ١٥١ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
 ١٩١ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،
 ١٩٨ وترد كثيراً في الصفحات
 التالية حتى صفحة ٢١٤
 الملائكة : ٢٤١

فهرس الا ماكن

١٦١ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢١٤ ،
٢٢٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ،
٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٧ ، ٢٧٩ ،
٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ،
٢٨٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،
٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٥

ت

تكرت : ٩

تفليس : ٣١٨

ث

الثريا : ٢٥٦

ج

جامع المدينة : ٢٣٥

الجزيرة : ٩

جلندا : ٢٩٠

جلولاء : ٩

الجنينة : ٨٠

الجواسق : ٢٨٤

ح

الحارثية : ٢٨٢

الحانات : ٢٨١

حانة عكبرا : ٢٩٠

حلقات الذكر : ٢٣٤

حلوان : ٩

الخيرة : ٢٨٢

أ

الاحساء : ٦٢ ، ٤٨

ارمينيا : ٣١٧

اصفهان : ٢٥ ، ١٦١

الأنبار : ٩ ، ١٥٥ ، ٤٩

الأندلس : ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٩١

الأهواز : ٩ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٧ ، ١٠٩

١١٠ ، ١٣٨ ،

ب

بانة عرعر : ٢٩٠

بحر الخزر : ٢١

البحر : ٢٥٩

البحرين : ٢٤٨ ، ٢٤٩

براتا : ٩٦ ، ٢٨٠

البردان : ٢٨٠

بصرى : ٢٨٠ ، ٢٩٦

البصرة : ٩ ، ١٦ ، ١٧ ، ١١٠ ،

١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ٢٤٨ ،

٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ،

البطيحة : ٩ ، ٢٥٠

بغداد : ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ،

١٩ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ،

٤٢ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٩٦ ، ١١٠ ،

١١٤ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ،

خ

خانقين : ٩
خوارزم : ٩
خوزستان : ٢٥

د

دار القحاب : ١٥٥
الدار الآخرة : ٢١٥ ، ٢١٦
دار الخلافة : ٣٠٣
دار الروم : ٢٨٠
دار السلام : ١٩٧
دار القطن (محلة) : ٢٣٥
دجلة : ٢٨٤ ، ٢٨٦
دجيل : ٢٨٠
درب الزعفراني : ٢٩٧
درب السلق : ٢٩٧
درب السوسي : ٢٨٠
الدنيا : ٢١٦
ديالي : ٩
الديارات : (الأديرة) ٢٨٢ ، ٢٨٣
الدير : ٢٨١
دير اشموني : ٢٨٢
دير الثعالب : ٢٨٢ ، ٣١٧
دير حنظلة : ٢٨٢
دير حنه : ٢٨٢
دير الخوات : ٢٨٢ ، ٢٨٣
دير سمالو : ٢٨٢ ، ٣١٧
دير الفنون : ٢٨٥

ر

الربط : ٢٤٥
الرصافة : ٢٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨
رقة الشماسية : ٢٨٢

س

سامراء : ٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣
سوق يحيى : ١٥٧

ش

الشام : ٩ ، ١٨ ، ١٤٨ ، ١٤٩
شمال افريقيا : ١٤٨
الشماسية : ٢٨٢
شهرزور : ٩
شيراز : ١٢٨

ص

الصراة : ٩٦

ع

عبادان : ٩
العتبات : ١٧٧
العراق : ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ،
٢٥ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ،
٣٧ ، ٤٠ ، ٦٩ ، ١١٢ ، ١٢٦ ،
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ،
١٦١ ، ١٨٨ ، ٢١٤ ، ٢٤٧ ،
٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٢ ،
٢٩٦ ، ٣١٠ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،
هرعرا : ٢٩٠
عكبرا : ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٩٠
العلياء : ٢٤٠
عمان : ٢١
العمر : ٢٨١
عمر كسكر : ٢٨١

غ

غمى (عمى) : ٩٢
الغمر (العمر) : ٢٨١

ف

فارس : ١٥٠ ، ٥١ ، ١٧ ، ١٥ ، ٩ ،

١٦١

الفرات : ١٢٨

ق

ابو قبيس (جبل) : ٧٦

قصر الرصافة : ٢٦

قصر شيرين : ٩

القفص : ٢٨٠ ، ٩٤

قنطرة النوبندجان : ٢٩٣

ك

الكرخ : ٢٢ ، ٢٣٦ ، ٢٥٣ ، ٢٧٩ ،

٢٨٠

كرخايا : ٩٦ ، ٨٠

كرمان : ٢١

كسكر : ٢٨١

الكعبة : ٢٣٩

الكوفة : ٣٥ ، ١٤

م

المارستان : ٢٢٩

مسجد الرصافة : ٢٦

مصر : ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٧ ، ٩

المطيرة : ٢٨٠

مكة : ٧٦

المواخير : ٢٨١

مواخير بصرى : ٢٨٠

الموصل : ٧٠ ، ٣٧ ، ١٩ ، ١٨ ، ٩

و

واسط : ١١٠ ، ٩٠ ، ١٧ ، ٩ ،

١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٩٥ ، ٢٤٩ ،

٢٨٢ ، ٢٨١

الوهاد : ٢٥٦

هـ

هجر : ٢٤٨

هيت : ٥٣ ، ٩

فهرس الموضوعات

- ٩ - ٥ مقدمة للدكتور فيصل السامر
١٣ - ٩ مقدمة المؤلف
٤٩ - ١٣ التمهيد
٢٣ - ١٣ ١ - الحالة السياسية
٢ - عصر ما قبل البويهيين
٣ - العصر البويهي
٢٨ - ٢٣ ٢ - الحالة الاقتصادية
أ - طبيعة النظام الاقتصادي للدولة العباسية
ب - شراسة الطبقة المستغلة
ج - موارد الدولة
د - أثر المال في الطبقة الحاكمة
هـ - أثره في الطبقة المحكومة
و - الحركات الشعبية وتأثيرها بالحالة الاقتصادية .
٣٧ - ٢٨ ٣ - المجتمع
أ - انقسام المجتمع إلى طبقات (مستغلة ، مستغلة ، طارئة .. الخ)
ب - مكونات الطبقة المستغلة
ج - مكونات الطبقة المستغلة .

د - الفئات الطارئة .

هـ - القرامطة ودورهم

و - احوال المجتمع

٤ - الحالة الثقافية ٣٧ - ٤٩

أ - رأي في ثقافة العصر (تجسد المذاهب ، جهل الناس دور الأتراك في ذلك)

ب - البويهيون والثقافة ، اسباب انتعاش الثقافة ، استغلال البويهيين لرجال الأدب والشعر لبناء دولتهم .

ج - الأدب وليد ماذا ؟

د - بماذا تلوثت ثقافة العصر ؟

هـ - استعراض للحركة الفكرية في العصر

الفصل الأول

الشاعر في المجتمع ٤٩ - ٨٥

١ - الشاعر والحاكم ٤٩ - ٦٤

أ - طبيعة ارتباط الشاعر بالحاكم

ب - استغلال الحاكم للشاعر

ج - أهمية المديح للممدوح والمادح

د - بعض المشاعر الصادقة بين الشاعر والحاكم

هـ - تصاعر بعض الشعراء

و - مواقف وسطية للشعراء من الحكام

ز - مواقف ايجابية معارضة وقمها بعض الشعراء .

٢ - الشاعر والناس ٦٤ - ٦٩

أ - طبيعة العلاقة

ب - اسباب ازدياد بعض الشعراء للناس
ج - مواقف ناقدة لطبيعة المجتمع

٨٢ - ٦٩

٣ - الشاعر وأقرانه الشعراء

أ - الشاعر والحرفة

ب - أثر الحرفة في علاقة الشعراء

ج - أساليب الوقعة التي يتخذها بعض الشعراء للنيل من غيرهم

د - مواقف طيبة بين الشعراء (العتاب ، المديح ، الرثاء)

٨٣ - ٨٢

• - القيمة الفنية

- ٨٣ -

• - الخلاصة

الفصل الثاني

١١٣ - ٨٥

الخلفاء والأمراء

١٠١ - ٨٥

أ - الخلفاء

أ - متى كثر الخلفاء الشعراء ؟

ب - قلتهم في هذا القرن

ج - لماذا انفرد الراضي شاعراً ؟

د - عناية الصولي وأثرها

هـ - مجتمع الخليفة في شعر الراضي (اللهو والمجون ، الجبن

والخيبة السياسية ... الخ)

١٠٠ - ٩٨

• - القيمة الفنية لشعر الراضي

١٠١ - ١٠٠

• - الخلاصة

١١٣ - ١٠١

٢ - الأمراء

أ - كيف وجدوا ؟

ب - حظ الخلافة في الزمن البويهي

المجتمع العراقي (٢٥)

ج - هل اهتم الأمراء الأتراك بالأدب ؟

د - اهتمام البويهيين بالشعر

هـ - شعرهم وشعراؤهم (بختيار ، عضد الدولة تاج الدولة)

* - القيمة الفنية لشعرهم (وهل هم شعراء حقاً)

* - خاتمة

الفصل الثالث

١١٣ - ١٤٧

الوزراء ورجال الدولة

١١٣ - ١٣١

١ - الوزراء

أ - كيف كان الوزير في الدولة العباسية ؟

ب - الوزارة أيام المقتدر

ج - ماذا يسجل شعرهم من حياتهم ؟

د - امثلة لشعراء وزراء (علي بن عيسى - ابن مقلة ، المهلب الخ)

* - القيمة الفنية

* - خاتمة

١٣١ - ١٤٧

٢ - رجال الدولة

أ - من هو رجل الدولة ؟

ب - كيف كانوا في عهد الأتراك ثم كيف أصبحوا في

العهد البويهي ؟

ج - من هم رجال الدولة الذين لهم شعر (الصولي ، الصابي

الشريف الرضي ... الخ)

د - شعرهم وماذا يمثل من حياتهم

* - القيمة الفنية

* - الخلاصة

الفصل الرابع

- المبتذلون والمجان ١٤٧ - ١٨٩
- المجون والمجتمعات البشرية ، المجون في الاسلام ، المؤثرات العامة في ايجاد المجون، المجون في القرن الرابع وموقف المجتمع منه .
- أهم الشعراء ١٥١ - ١٥٤
- ابن الحجاج وابن سكرة ، السخف وسبب ظهوره في هذا القرن
- موضوعاته ١٥٤ -
- أ - الدعوة للأخذ باللذة ووصف أماكنها ١٥٤ - ١٥٥
- ب - البغواء ١٥٩ - ١٥٥
- ج - الغلمانية ١٥٩ - ١٧٥
- اثر التدهور الاقتصادي والسياسي في ظهور الغلمانية .
- الغلمانية في القرن الرابع ، اثر بعض التقاليد الاجتماعية في وجود الغلمانية ، مظاهر الغلمانية في الشعر
- د - الكفر والتجديف ١٧٥ - ١٧٩
- مفهوم الكفر والتجديف ، موضوعاته ومظاهره ، المباشرة بالافطار ،
- أتيان المحرمات في رمضان ، الدعوة إلى الأخذ بالملذات الجسدية استهانة بالدين
- هـ - الهجاء ١٧٩ - ١٨٦
- و - القيمة الفنية ١٨٦ - ١٨٨
- ز - الخلاصة ١٨٨ -

الفصل الخامس

- المكذون ١٨٩ - ٢١٥
- المعنى اللغوي للكذبة ، ظهور الكذبة في المجتمع العربي الاسلامي ،
- تحول المكذبن إلى طبقة اجتماعية متميزة لها أصولها ورسومها ،
- الهمداني واساليب المكذبن
- الكذبة والشعر ١٩٢ - ١٩٦

المديح والتكسب بالشعر وعلاقتها بالكديّة
الكديّة والاحتراف

١٩٦ - ٢١٢

طوائف المكدين الشعراء ، الأحنف العكبري ، أبو دلف الخزرجي
شخصية أبي الفتح الاسكندري والكديّة ، قصيدتا العكبري وأبي دلف

٢١٢ - ٢١٣

* - القيمة الفنيّة

٢١٣ - ٢١٤

* - الخلاصة

الفصل السادس

٢١٥ - ٢٤٧

الزهاد والمتصوفون

٢١٥ - ٢١٦

أ - الزهد نشأته ، أسبابه

٢١٦ - ٢١٧

ب - التصوف نشأته وآراء في ذلك

٢١٧ - ٢١٨

ج - أصل كلامي صوفي وتصوف ونسبتهما وآراء في ذلك

٢١٨ - ٢٢٥

د - ما هو التصوف ومن هو الصوفي

٢٢٥ - ٣٣٣

هـ - حوال الصوفية ومقاماتهم

ما هو المقام ؟ وما هو الحال ؟ بعض الأحوال والمقامات الوجد
والتواجد والوجود ، المحبة والشوق ، التوكل ، السكر

٢٣٣ - ٣٣٩

و - آداب المتصوفة

منها : السماع ، الصمحة

٢٣٩ - ٢٤٠

ز - التفاعل الحيائي عند بعض الصوفية

٢٤٠ - ٢٤٣

ح - العمق الفكري عندهم

٢٤٣ - ٢٤٥

* - القيمة الفنيّة

٢٤٥ - ٢٤٦

* - الخلاصة

الفصل السابع

- الساخطون والمتمردون ٢٤٧ - ٢٧٩
- الاضطرابات السياسية والاقتصادية وأثرها في السخط ،
شعراء البصرة والسخط ، اسباب ظهور السخط والتمرد لدى
شعراء البصرة
- موضوعات شعر السخط والتمرد ٢٥٠ -
- أ - المشاعر الذاتية ٢٥٣ - ٢٥٠
- ب - ذم الزمان ٢٥٣ - ٢٥٨
- * - السخط والسلطة ٢٥٨ - ٢٦١
- مظالم السلطة ، الشعراء والمظالم ، رؤساء الزمان وجهالتهم ، ثورة
الشعراء ، فقدان الثقة بأصحاب السلطان
- * - الوزراء والسخط ٢٦١ - ٢٧٠
- احتكار بعض الأمراء للوزارة وسخط الشعراء ، جحظه وآل الفرات
ذم الوزراء البلهاء والأميين ، نقد القضاة
- * - السخط السلبي ٢٧٠ - ٢٧٥
- مفهوم السخط السلبي ، تسجيل مآسي المجتمع فقط ، الانهزامية
لدى بعض الشعراء ، الاتجاه إلى الحمر والشراب من آثار الانهزامية
- * - القيمة الفنية ٢٧٥ - ٢٧٦
- * - الخلاصة ٢٧٦ - ٢٧٨

الفصل الثامن

- مظاهر حضارية واجتماعية ٢٧٩ -
- * اللهو أماكنه ومجالاته ٢٧٩ - ٢٩٤
- اماكن اللهو وترددها في الشعر ، الفحش واللهو في هذه
الأماكن وموقف الشعراء ، الأديرة والشعراء .

٢٨٦ — ٢٨٤	• الدعوة للهو
٢٩٤ — ٢٨٦	• مجالس اللهو
٢٩٦ — ٢٩٤	• الخمرة وآلاتها
٣٠٠ — ٢٩٦	• الغناء وآلاته
٣٠٤ — ٣٠٠	• المأكّل وأنواعها
٣٠٦ — ٣٠٤	• الملابس والحلى
٣٠٧ — ٣٠٦	• العطور وأدوات الزينة
	• الطبيعة والمدن والاستعمالات
٣١١ — ٣٠٧	البيتية واليومية
٣١٦ — ٣١١	• المرأة
٣٢٠ — ٣١٦	• الأعياد
٣٢٥ — ٣٢٠	• التعصب
	• خلاصة
	• خاتمة الكتاب
	الفهارس

جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	ص	س
وترك	وتعمق	٦	١٦
تسر	مثمر	٧	١٥
وحدة متميزة	وحده متميزاً	١٣	٤
الوزير العباس بن الحسن	الوزير العباسي بن الحسن	—	١١
مروج الذهب ٤ - ٣٠٢	مروج الذهب ٣٠٢	—	١٥
النبيه	اليتيمة	—	—
العصور العباسية المتأخرة ١٨ ١٨٧		—	—
ام موسى تعبث في شؤون	ام موسى في شؤون	١٤	٩
بالراضي (٥) ثم تتغير الأرقام	بالراضي	١٦	٥
التي تليها تبدأ لذلك			
والمنتظم ٦ - ٢٤٩ يلبق	والمنتظم ٦ - ٢٤٩ يلبق	—	١٥
يتقل إلى ص ١٦ ويصبح ٩٥	نفسه ٨ - ٣١٢	١٧	١٥
١	٢	—	٢٥
سقط هامش رقم ٢ ويكون : تجارب الأمم ١ - ٥١٥ ،		—	هامش
الكامل ٨ - ٣١٥			
فتقلدها	كتقلدها	١٨	٥
بأيام	أيام	١٩	١٤

٢٣٤ — ٢	٣٤ — ٢	٢٥ ٢١
الاقتصادية ويقول	الاقتصاديه يقول	٩ ٢٥
يجكم الدراهم	بحلم ... الدراهم	٥٥ ٣٠
الاسهاب	الاهاب	١٥ ٣٢
نافذ	نافذ	١٢ ٤٠
ابن جني	ابي جني	٣ ٤٥
ونلاحظ فلسفته	ونلاحظ فلسفه	٥٥ ٤٦
أحسن	احسن	١ ٥٠
فسانجس	فسانجس	١٥ ٥٤
وزلبهاء	وزر بهاء	٢٥ ٥٥
صريع الدلاء	صريع الهرلاء	— —
الجرجاني	الجرجاني	٤٢ ٥٨
الامناع والمؤانسه ٣ — ٢١٧	الامناع والمؤانسه ٣ — ٣١٧	١٥ ٥٨
لانه نعم	لانه نعم	٥ —
الجرجاني	الجرجاني	١٢ ٥٩
يا ملوك	يا سلوك	٥ ٦٢
ومن أبى	من أبى	٧ ٦٣
وزيره	وزيره	١ ٦٤
أسكر	اشكر	٣ —
يقصد وزيره ابن بقيه	يقصد وزيره	١٥ —
مختارات	مختارات	٣٥ —
« الضبي »	الضبي	٢٥ ٦٩
قضاني	قضائي	١٧ ٧٨
الوجود	الوجود	٨ ٨٢

الفصل الثاني	ساقط	٨٥	عنوان
سقطت كلمة «أو» وعليها الرقم ٣ والهامش (١) في الصفحة ٩٥ يعود لهذه الكلمة وللبيتين اللذين بعدها (وزادني .. الخ ، ويصبح هامش رقم ٣) ويوضع فوق (أو)	٩٤	١٩	قبل
١ وتتغير ارقام الهامشين اللذين يتبعان إلى ٢ ، ٣	٩٥	٢٥	٢
قال بحكم	٩٥	٢٥	قام بحكم
إزاره	٩٦	٧	إزاروه
الخبري	١٠٧	٨، ٧	الخبري
عضد	١٠٨	١١	عصد
هذا سواد بلا وزير	١١٤	٢	هذا بلاوير
إذا بدعة	١١٦	٦	إذا بدعة
بن الفرات	١١٧	الأخير	ابن الفرات
لا يكن للكأس	١٢١	١٣	لا يكن الكأس
وليسا شطرين	١٢١	١٣	لا يكن للكأس هما بيتان
ظبي يرق	١٢٦	١	ظبي الماء
بشاطي	١٢٨	١٤	بشاطي
من ذلك ما قاله في القادر	١٣٦	٦	من ذلك ما قاله القادر
كنايات	١٤١	٤٥	كتابات
كنايات	١٤٢	٢٥	كتابات
واعتنقنا	—	١١	جردتها اعتنقنا
كالخصي	١٥١	٢	كالخصي
سخفي الذي قد صار	١٥٢	٣	سخفي الذي صار

و مثل البيت	وقبل البيت	٣٥ —
التبذل	التبذلي	٨ ١٥٤
حداً قاتلاً	حد قاتلاً	١٢ ١٥٥
المنتخب من كنايات	المنتخب من كتابات	٢٥ —
أكل الفراخ	كل الفراخ	١٤ ١٧٠
يا مرهفا	يامرهقا	١٠ ١٧٣
فاسقياني من	فاسقياني بين	١٣ ١٧٥
ليعيى	ليعي	٧ ١٧٧
الدعوة إلى	الدعوة الـ	١١ —
قول ابي سعيد الغفيري	قول ابي سعيد القبري وهو	٣٥ ١٧٧
وهو من اهل القدس :	من اهل القدس	
هي الدنيا وليس لها تناء		
ونوم القبر وليس له انتباه		
وليس يخرب الدنيا الحكيم الا		
قديم القادر الأحد الإله		
تنظر التتمه ١ — ٢٦		
في المساجد يخرأ	في المساجد نجرا	٤٥ ١٧٧
إمام فساً	إمام فساً	١٩ ١٨٠
نكت الهميات ١٩٦ ، البيتان	نكت الهميات ١٩٦ والأبيات	٣٥ ١٨٠
الثالث والرابع فقط ،		
والأبيات ..		
السامرائي بتحقيقها .	السامرائي بتحقيقها البيتان	— —
	الثالث والرابع فقط	
يعود إلى الصفحة السابقة بعد	في المخطوطة .. الخ	١٥ ١٨١

ان يوضع له رقم ٤ ويضاف
رقم ٤ إلى (خربشته) في
البيت قبل الأخير من ص ١٨٠

يصبحان (١ ، ٢)

رتبت على شكل اشطر وهي
ايبات شعرية من مجزوء
الرجز

او ضربوا الدبادب

ومن أبي

يا جوامرد

قد قلت لما لاح لي ثغرها ..

وانتشر السوسن من صدغها

فاغني

مجدباً

فابعث

الرغد

بدأ

جحظه البرمكي

يُكادُ

لما طلبت فلم أظفر

لأهليد

دهينا

وغشا

والصاحب .. بطباتعهم

الهامشان (٢ ، ٣)

١٨١ ١٨٣ وما بعدها يا اهل بغداد .. وبقية

الآبيات الأخرى التي

رتبت متقابلة

او اضربوا الدبادب

ومن اين

٢ فوق الهامش يا جواً مرد

قد قلت لما لاح لي ثغرها ..

وانتشر السوسن من صدغها ..

فأغني

مجدباً

ما بعث

الرغد

بدأ

جعفر البرمكي

يُكادُ

لما طلبت لم اظفر

٣ قبل الهامش لا هليه

دعينا

وغشا

والصاحب .. بطباتعهم

وقال : إن هذا	وقال : إذا هذا	٢٠٧ ١٤
صمّي	صمّي	٢٠٨ ٨
دكتك أو فككتك	دلك أو فلك	٢٠٩ ٨
لغة الادباء	لغة ادباء	٢١٢ الاخير
ويساعدنا في دراستنا لها ..	ويساعدنا رؤيتنا في	٢١٤ ١
فيأخذوها ... وينالوا	فيأخذونها .. وينالون	٢١٥ ٨
« الفرار من الدنيا »	الفرار من الدنيا	— ٢٥
عبد الرزاق	عبد الرزاق	٢١٧ ٢٥
عبد الله الهرندي فيهم	عبد الله الهرتد عفيهم	٢٢١ الاخير
صوفية	صوفية	٢٢٢ ٢
البيهي	البويهي	٢٢٣ ٣٥
يحبك عظم	يحبك	٢٣٠ ٥
رأكا	قبل الهامش سراكا	٢٣٦ ٦
تحذف ويحل محلها ما جاء	عوارف المعارف	٢٣٨ ٤٥
في هـ	اداب الصحبة .. الخ	— ٥٥
تنقل إلى هامش ٤ ويحل		
محلها (ينظر الرسالة		
القشيرية ٢ — ٥٧٤ فما		
بدها وعوارف المعارف ٤٣٧		
غلمانا مرداً	٣ قبل الأخير غلمان مرد	٢٤٥ ٣
ويؤسسها بمقدار	ويؤسسها بمقدار	٢٤٧ ٥
من « هجر »	من « عجز »	٢٤٨ ١٢
١ ، ٢ ، ٣ .. الخ	٢ ، ٣ ... الخ	٢٥١ الهوامش
امض به ثمار	امض به ثمار	٢٥٢ ٨

إلا الممخرقون	غير الممخرقون	١٥ ٢٥٣
مثلما وصفه ابن لنكك ٤ :	مثلما وصفه ابن لنكك ٤ :	٢٥٤ الاخير
زمان قد تفرع للفضول		
يسود كل ذي حمق جهول		
عيانا	عميانا	٧ ٢٥٧
الْحَزَنُ	الحَزَنُ	٢ ٢٥٩
والسر من رأي	والسر من ورأي	١٣ ٢٦٤
ثورٌ	نورٌ	٢٦٦ الاخير
ثورٌ	نورٌ	٢٦٦ الاخير
صُرَّة	ضرة	٨ ٢٦٧
المثالب	واخو المثالب	٣ ٢٦٨
شجواً من ليب	شجواً في ليب	٤ ٢٧٢
الايوردي	الايوري	٦ ٢٧٣
لما	أما	٧ —
ليس هنا محلها وإنما بهد	٣، ٢ قبل الهامش مالك قد هيمك	—
هذه الجملة في ص ٢٧٤	لو رمت ان يبقى	
(على قول ابي سعيد		
التستري (١)		
وارانا ... في زمان	وارانا من الشقاء .. في زمن	٢٧٤
فاسقيا في مفيدة .. من السفاه	فاسقيا في مفيد ... ما السفاه	— —
بروح علمية	بروح عامية	٢ ٢٧٧
في الكرخ	٣ قبل الهامش في الكوخ	٢٧٩
المطيرة	المطيرة ٣٥ ، ٦	٢٨٠

٣ قبل الهامش	ليت شعري مذ غيت عنها	ليت شعري غدغيت عنها	—
٧ ٥	الشعراء الخلفاء	الشعراء الخلفاء	—
٥ ٢٨١	فيها بأوانا	قبة بأوانا	—
٦	قحانا	قحاًباً	—
٧	شيوخ البناء	شيوخ البغاء	—
٣ قبل الهامش	لم يلح	لم يلح	—
٣ ٢٨٣	آح لقلبي .. من جوارى	آح قلبي .. من جوارى	—
١٦	فأعزرت	فأعوزت	—
٧ ٢٨٥	والأكل والشراب والسماع	والأكل والشرب والسماع	—
١٤ ٢٨٦	كأنه زهر المذ	كأنه زهر المنـ	—
٨ ٢٨٩	سلا	سلام	—
٩	بغنائنا	بغنائها	—
١٢	من غنائنا	من غنائها	—
١٤	رتب	رتب	—
٧ ٢٩٠	تركت لساقى	تركت لساقى	—
٨	بعبد الخمر	يعبد	—
١٠	نابا	نابا	—
١٠ ٢٩٢	فيا لك فأقط	فيا لك من مأقط	—
١٢ ٢٩٣	فيه بلى فاستجارا	فيه به فاستجارا	—
٧ ٢٩٤	شكري	سُكري	—
—	هامش	برد الاكباد (٢)	—
—	—	الاعجاز والايجاز ٢٣٤ (٣)	—
٤ ٢٩٥	المزير	الزير	—

٢٩٦ بعد ٤	سقط شطر هو	يقول فيها الصاحب :
		« رق الزجاج وراقت الخمر
٢ ٢٩٩	الغناء والمغنين	الغناء والمغنون
٧ —	الطبل والبوق :	الطبل والبوق : قال
		صريع الدلاء .
— الأخير	إذا بابست	إذا باست
٥٥ ٣٠١	قد نسيتم خبز ...	قد نسيتم خبز الذراي
		والدخن وخبز الشعير
		والهرطمان
٣١١ بعد ٦	سقط كلام هو	ومنه وصف ابن سكرة لحمّام
		دخل اليه فسرقت نعله (١)
١٦ ٣١٦	وكتب ابو اسحق	وكتب ابو اسحق الصابي
		يهنىء الوزير المهلبى بقوله :
٣٢٤ هـ	—	(١) ينظر مثلاً ديوان
		مهيار ١ — ٦٤
٧ ٣٣٧	هذا الكتابين	هذا الكتاب من
١٢ —	الحمقى والمغفلون	أخبار الحمقى والمغفلين

ملاحظة هامة : حيث ان الطبع قد تم في بيروت ولبعد المسافة بين بغداد المؤلف وبيروت الطباع فقد وقعت اخطاء أخرى أرجو أن لا تفوت القاريء اللبيب كما اود أن أنبه إلى ان المرتب ساعه الله قد خلط بين كثير من الأبيات المدورة وأحياناً غير المدورة وما انتبه إلى ذلك المصحح ايضاً وما اطلعت على هذه الهفوة الا بعد الطبع وفوات الأوان ، أرجو المعذرة وعسى ان نتلافى اخطاءنا في الطبعة القادمة

المؤلف